فرانسيس بيزاني

الثورة الساندينية في نيكاراغوا

دار ابن خلدون

حسن يوسف اللويشي

حسن اللويشي
دمشق - سورية
ابريل 1986

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

حسن يوسف اللويشي

الثورة الساندينية
في نيكاراغوا

فرانسيس بيزاني

الثورة الساندينية في نيكاراغوا

« مذكرات شاهد عيان »

ترجمة عبد القادر ضيللي

دار ابن خلدون

حسن أبو يوسف اللويشي

حقوق الطبع محفوظة

دار ابن خلدون
كورنيش المزرعة ـ بناية ريفييرا سنتر
بيروت هاتف : ٣١٢٣٣٥
٨١٧٣٨٥
ص.ب ١١٩٣٠٨

الطبعة الاولى
١ / ٦ / ١٩٨١

« ترى يا اخـي ، تساورني نفسي احيانا ان اعـذب هؤلاء الكلاب مثلما عذبونا . لكني اقول في نفسي آنـذاك ومهلا ! ان انت تفعل فعلهم فلن يفهم احد ابدا لماذا أنت تقوم بالثورة » . واعتقـد انـا نفسي بأنني اكاد ان احـار في ذلـك .

نحن كثيرون هنا من يفكرون على هـذا النحو ، ان نحاول ان ندفع قليـلا تطورنـا قدمـا فندفع به الثورات جميعا، بانتظار ان تنطلق في غـد ثورة اخرى أبعـد ايضا . ان حمل الافكار الجميلة سهل ايهـا الاخ ، لكـن المهم هـو ان نمنح انفسنـا وسائل تحقيقها ».

انتونيو

عباس يوسف القريشي

- ١ -

في الجبهة الجنوبية

علمها احمر واسود، شعارها : «وطن وحرية» ، وثائقها الرسمية كلها تحمل دمغة يشاهد فيها فلاح يقطع رأس جندي امريكي بضربة ساطور.

قال ساندينو يوما، وهو حرفي فقير، اقسم ان يطرد من بلده«البحارة الامريكيين» : «الانسان الذي لا يريد من وطنه غير شبر ارض لرمسه جدير بأن يصغي اليه. لا يصغي اليه فحسب وانما يؤمن به ايضا». لكن السياسيين رفضوا الاصغاء اليه. عندئذ جمع شرذمة من الفلاحين والعمال والهنود والطلاب والاولاد وعمدهم بقوله : «انتم جيش الدفاع عن نيكاراغوا وسيادتها الوطنية .» وصنع المقاتلون قنابلهم من علب معلبات يحشونها بالحجارة والمسامير ، واصلحوا بأنفسهم ، كيفما كان ، بنادقهم العتيقة ، يقاتلون بالسلاح الابيض في الاغلب .. يختبئون تحت الاشجار يهاجمون الدوريات العدوة وهي تجتاز مخاضات الانهار ، يضربون بشدة وسرعة المخافر المعزولة . وحين يصبح عددهم غير كاف ، تقوم مجموعة من يتامى الحرب بمهمة احداث الصخب بقدر ما يمكن بوساطة خشخيشات ومفرقعات وعصي وطناجر . سماهم الشعب « فرقة الملائكة »

٢٤ حزيران ١٩٧٩

اطلق الهجوم النهائي في آخر شهر ايار .

الساعة ١٦ ـ الحرب على بعد اقل من كيلومتر واحد . قذائف

مدافع الهاون والصواريخ تدفع بقوة اهتزازات الهواء الرطب ، وسعال أبح من رشاشات ثقيلة . تسمع حتى رشقات الاسلحة الخفيفة التي يتبادلها مقاتلو المعسكرين من خندق الى خندق .

تحت سقف كوخ صغير ابيض عند حافة طريق « بان اميركين » ، تنتصب لافتة ، تشير ، « الحرس الوطني ـ مركز قيادة سابوا » . او بالاحرى انها كانت تشير الى ذلك ، لان ايد مجهولة من نزعات مختلفة كتبت بقلم الفحم فوق بلاط جدرانه الابيض :

قاري : « ياساندينو ، ياكاميلو ، يا ايرنستو ، شعبكم سينتصر ».

فردي : « ميزانو مر من هنا » .

منتقمة وعنيدة : « Aqui manda Sandino » ساندينو هو القائد هنا !»

كان صبي يركن في زاوية من الباب ، يتزرر بطقم مبقع ، يوزع في اكياس من البلاستيك المبرد ، حصص طعام من معلبات متنوعة : فستق عبيد ، طون ، مكدونية اثمار وحليب مجفف من علامة « الطفل الهولندي »، كان الصبي طيبا ، هادىء الحركة ، يأتيه المقاتلون فرادى او زمرا صغيرة . كانت فترة استراحة قصيرة ، بعيدا عن الموت تقريبا . كانوا يثرثرون ، يعقدون خيوط احذيتهم او يرتقون سلاحهم ، يتعانقون مع اخ hermano (١) ـ اجتمعوا به صدفة . كانوا كلهم شبابا بين ١٨ ـ ٢٥ عاما كحد اقصى . ترتدي غالبيتهم الواسعة الطقم الاخضر الزيتي التقليدي . لكن ما بينهم من نقاط مشتركة تتوقف عند هذا الحد . يغلب عليهم عدم التناسب . مقاتلوهم الاقوياء ، الذين امضوا اكثر من ثلاثة اشهر من الخبرة ، يفعلون كل شيء ليتميزوا عن غيرهم . انظارهم اكثر توترا ، حركاتهم اشد تسلطا ، مشيهم متعجل ، تجهيزاتهم اتم ، لا يتوقفون غير لحظة قبل ان يعودوا الى الخط الامامي ، خط النار linea de fuego غيرهم يستريح وقتا ، يضحكون بسرور ، يتخلصون من عدتهم التي ترهقهم .

هم هنود وزنوج وصفر وبيض وسمر وشقر ، يضاف اليهم سلم بكامله من المهجنين . رجال ونساء .

---

(١) Hermano تعني في الاسبانية اخ .

وقد اثرنا وضع بعض الكلمات والجمل في الاسبانية ـ مع ترجمتها الى العربية ـ بالشكل الذي اورده فيها المؤلف (المترجم) .

المعجزة طقوسهم ليست موحدة ، جاءت من كل ما فاض ، كان موجودا على بعد ٥٠٠ كيلومتر ، من كل الجهات . اشتريت من الولايات المتحدة واعطيت لفنزويلا او بناما ، وردت الى الحرس الوطني في نيكاراغوا . كلها تقريبا بالية ، من النادر ان تكون بحجم جسم لابسيها، لا تجانس بين قميصها وبنطالها في الاغلب . مبقعة للتمويه ، قماشها خشن مضى عليه عشرون عاما ، خفيفة مناسبة للبلدان الاستوائية ، لونها اخضر غامق او اخضر فاتح ، لبسها جنود ايضا ، اي رقيب بينهم لم يصلح بدلته ابدا ، اغنتها مقتنيات شخصية ، الدارج فيها اكثر هو المنديل الاحمر والاسود للجبهة الساندينية ، اكملها ما تيسر من وسائل : حقيبة شاطىء بالية ، كيس بحار امريكي ، او خوذة لاعب بيسبول .

نفذت شاحنة كالاعصار تحمي حشية زجاجها الخلفي ، فوق غطاء محركها كتبت ، بدهان فوق سطح مبقع اخضر واسود ، الاحرف الاولى من جملة : « الجبهة الساندينية للتحرر الوطني « F.S.L.N. » خرج من الشاحنة ، بخفة بهلوان ، شاب في لحية شقراء ـ صهباء ليطلب بلهجة المانية رهيبة حصص طعام خمسة عشر مقاتلا من زمرته . تبع الاصهب ، وكأنه ظله ، شاب صغير جدا في قسمات هندية ، يحمل بندقية من علامة « فال » (وهي بندقية آلية ثقيلة) ، ناجعة وصالحة للعمل، وهي السلاح المرغوب لدى المغاوير .

ـ كم عمرك ؟

ـ ١٤ عاما ! حتى انني كنت مدرّبا عسكريا قبل شن هذا الهجوم بالضبط .

لم يفارق الخجل نظرته .

ـ كيف ينظر اليك المقاتلون الآخرون ؟

ـ يمزحون طبعا لكنهم يحترمونني . ما يهم لدينا هو كيفية القتال ، مهما كان المقاتل ومن اي مكان جاء . قتلت اكثر من حارس واحد.

ـ كيف جئت الى هنا ؟

صمت لحظة . مرت به ذكرى لن يفصح عنها ..

ـ جئت من مازايا . في حيي ، الكلاب Perros ، الاسم الذي نطلقه على جنود الديكتاتورية ، يقتلون بانتظام الصبية البالغين اقل من تسعة اعوام لانهم يخافون منهم .

اني افضل الموت وبيدي السلاح .

ـ السماء !

كـان ذلك يعني بالمعنى المادي المباشر : الخطر آت من فوقنا .

ـ جاءت ! ـ انتبه ! ...

تفجرت الدنيا فـي جزء من الثانيـة . برزت من خلف الروابـي طائرة من طراز « ت ٣٣ » مجهزة بصواريخ ورشاشات . انفجر صاروخان على بعد اقل مـن ١٥٠ مترا منا ، مثيران غمامة بشكـل فطـر من الدخـان والتراب . الارض تهتـز . طلقات اسلحـة خفيفـة تتفجر . المدفعية مـن عيار ١٠٥ بدأت تتخذنا هدفـا . اتيحت الفرصة للطائرة فارتفعت ومالت على جناحهـا وعادت زارعـة الموت فـي محور مرورهـا . انقضت ارضا ودارت حول الكوخ الابيض الصغير ترشقه برشاشاتها . اختبأنـا قرابة عشر دقائق عاد بعدهـا الطيار الى ماناغوا .

انتهى الالماني من اخذ مؤنته . القى نظرة جافة خلف الشاحنة وعـاد مثلمـا جاء ، يرافقه طبعـا صاحبه الفتى الصغير . بقي فاوستو ، وهـو شاب اكوادوري فـي شعـر طويل اشقـر ولحيـة صغيرة وشارب صغير ورأس فارس ملكي . كان يجلس فوق مقعـد الى جدار « مقر قيادة الحرس الوطني » السابـق ، يضـع بندقيته فوق ركبتيه ، فتناول قضيبا رفيعا، يجره فوق الارض . ونظف بقفـا حذائه رقعة من الارض امامـه، وراح يرسـم خارطـة بدائيـة : « سأشرح لـك الوضع الجغرافي والعسكري واجعلـك بعـد ذلـك تزور سابوا قبل سقوط الليـل .

« نحـن بالضبط في حافـة طريق « بان امريكيين » الذي يجتـاز القارة من الشمـال الى الجنوب . على بعـد ٥ كيلومترات مـن خلفـنا ، وبشكل متعاضد مـع الطريق ، توجـد الحدود الفاصلـة بين النيكاسيين والتيكوسيين ، كمـا يقولون هنـا ، اي بين نيكاراغوا وكوستاريكـا . امامنا ، شمالا ، ماناغوا ، وتقع على بعـد ١٥٠ كيلومترا تقريبا . ومدينة ريفاس على بعد ٣٥ كيلومترا . غير انه يوجد ، بيننا والمدينة ، على مسافة اقل من كيلومتر واحد من هنـا ، النهران الصغيران سيبو وأوستالـو، تفصل بينهمـا رواب ، يستخدمهـا الحرس الوطني ليسد علينا المرور . قاموا فيهـا بعمل عجيب فأشادوا تحصينات وحفروا خنادق وجلبوا اليها مدفعيـة وعهدوا بكل شيء الى وحداتهم من النخبة . علينـا نحـن ان نزيل هـذه العقبـة .

« في اتجاه غرب ـ شرق ، الآن . الى ناحيـة اليسار اي الى الغرب على بعـد ١٥ كيلومترا من هنـا ، لديك المحيط الهادىء . ما يزال الحرس الوطني يسيطـر على ساحله غيـر اننـا نسيطـر على شطـر لا بأس بـه

من الارض في هذا الاتجاه . من الجهة الثانية ، الى اليمين اي الى الشرق ، لديك بحيرة نيكاراغوا ، على بعد ١٥٠ كيلومترا من هنا ، خلف ستار الاشجار بالضبط . اطلق عليها الهنود كوسيبولكا ، ويقول نيكاراغويو اليوم انها اكبر بحيرة في العالم ، والوحيدة التي توجد فيها اسماك قرش المياه العذبة . لست متأكدا من هذا او ذلك ، لكن الواقع، اذا ما استخدمت ، امكن بناء افضل قناة بين الاطلسي والمحيط الهادىء. وهنا يكمن الشقاء الاكبر لهذا البلد الفقير .

ـ كيف كان ذلك ؟

هذا بسيط . البحيرة عميقة جدا وتتصل من ناحية الشرق بنهر ريو سان خوان عند المحيط الاطلسي . يكفي اذا تنظيم النهر وشق قناة بطول خمسة عشر كيلومترا ، قريبا من المكان الذي نحن فيه ، وهذا عمل يعد مجرد سخرية اذا قورن بقناة بناما .

ـ بالاحرى ان نحاول القول انها قضية حظ .

ـ نظريا نعم ، لكن العكس عمليا . منذ اعوام الاستعمار الاولى، اهتمت الدول الكبرى كلها بالمنطقة ، اسبانيا وبريطانيا والولايات المتحدة ووجدت فيها ذريعة للتسلط بوحشية ايضا اشد مما هي في اي مكان آخر ، على هذه الزاوية الستراتيجية . لا اعرف كثيرا اي غرينغو (١) قال ذات يوم : « من يسيطر على بحيرة نيكاراغوا يسيطر على مصير القارة » . واشد ما في الامر رهبة ومفارقة ان القناة لم تبن . كل شيء يسير بالنسبة لامكانية بسيطة ، لاحتمال بسيط ، خوفا من التنافس . ليس عن صدفة اذا كان هذا البعد قد ظل بخمسين عاما الحلقة القوية للامبريالية الامريكية الشمالية في المنطقة لكني اقسم لك ان ذلك سيتوقف » .

انفجر ضحكا ونهض : « تعال سأجعلك تقوم بجولة في منشآتنا » . راح ، وبندقيته في يده ، يجتاز الطريق باتجاه المحيط

---

(١) غرينغو Gringo كلمة استخدمتها شعوب امريكا اللاتينية منذ ان بدأ الانكليز والامريكيون يتدخلون عسكريا واقتصاديا في بلادهم . وهي من كلمتين: غرين اخضر ، وغو :اذهب ، ارحل . وكان الجنود الامريكيون والانجليز يلبسون ثيابا خضراء . فكانوا يعنون بها : ايها الامريكيون ، ايها الانكليز: ارحلوا ، وهي شائعة اليوم بين شعوب امريكا اللاتينية تعني الامريكيين (المترجم) .

الهادىء . « جئت من الخلف . بانياس ، بلانكاس ، مخفر الحدود الذي استولينا عله يقع على بعد ٥ كيلومترات . هنالك ، لا شيء يستحق التنويه . أنت تأكدت بنفسك انها منطقة تربية مواشي . والملكيات واسعة . تحول سكانها الى مأجورين زراعيين وعائلات عسكرية هي التي احتلت سابواه لجأ الاولون كلهم تقريبا الى كوستاريكا . ويختبىء الآخرون في مكان ما ، من الناحية الاخرى من الروابي التي تراها هنالك ».

راح يمشي فتبعته . تحدث عن نفسه قليلا ونحن في الطريق: عمل سياسي في وسط عمالي في بلده ، ومشاركة في لجنة التضامن مع نيكاراغوا ، ورحلة الى المكسيك وتصوير فيلم اثناء ثورة ايلول ١٩٧٨ . ثم انخراطه في الجيش السانديني .

« كوننا هنا ، وقت القتال ، هو في وقت واحد حلم ووضوح لجميع الامريكيين اللاتينيين . ففي تاريخ قارتنا ، نيكاراغوا هي اوضح رمز للتدخل الامريكي «Yanke» كما قال ساندينو . **واليوم ، تهب امريكا اللاتينية كلها في وجه الولايات المتحدة** . منذ وقت ، قام مجلس منظمة الدول الامريكية بتظاهرة ذات اهمية تاريخية . ان رفضه ، كما حدث في قضية سان دومينيك ، تأييد مشروع تدخل الغرينغو العسكري، هو الصدى لشعور قوي جدا في بلداننا كلها . لقد عرفت الجبهة السانديئية كيف تفجر كفاحا شعبيا جذوره بوليفارية (١) اثر بها حتى المحافظون .. »

كان فاوستو منجذبا بحماسة شرحه واقناعه فكاد ان يتعثر بجالب الحظ (٢) لطباخين في سابوا . وهو خنزير صغير اسود طبعا لكنه « مموه » بلون اخضر وكستناوي كي لا يشد انتباه طياري الحرس ...

« .. لهذا قالت حكومات فاشية « لا » لكارتر . ان امرا ما يتغير في هذا الركن من العالم . ان موقفي الشخصي يختلف قليلا طبعا.

---

(١) بوليفاريه : نسبة الى سيمون بوليفار (١٧٨٣ - ١٨٣٠) ، الزعيم السياسي الفنزويلي . وقد حاول تحرير فنزويلا وجامايكا والاكوادور وكولومبيا والبيرو من الاستعمار الاسباني . كما استطاع ان يستقل بجمهوريتي فنزويلا وكولومبيا ويعلنها دولة واحدة باسم جمهورية كولومبيا الكبرى ، فشلت بعد وقت .(المترجم).

(٢) جالب الحظ : اي شيء او حيوان ، وحتى انسان احيانا ، يعتقد بعضهم انه يجلب له الحظ (المترجم) .

أردت ان آتي هنا لاني مقتنع بأن مصير القارة السياسية يلعب هنا في هذا الوقت . في الجبهة الجنوبية ، حيث نحن في حرب كلاسيكية ، ولكن ايضا ، ولربما بوجه خاص في مدن وجبال الشمال والمحيط الهادىء التي ثار سكانها كلهم . وفي ماناغوا الواقفة منذ قرابة خمسة عشر يوما ، بعشرات قليلة من البنادق ، في وجه خيرة جنود سوموزا . هذا الطاغية سيسقط . اريد ان اعرف كيف اصبح ذلك ممكنا . نحن سلكنا طريق الثورات الشعبية ضد الديكتاتوريات العسكرية . لا تنخدع !... »

واتى بحركة دائرية بيده .

« ... امكنك ان ترى الكثير من البزات العسكرية والاسلحة منذ قدومك ، لكن اي شخص ليس عسكريا . جميع النيكاراغويين والامريكيين اللاتينيين الموجودين هنا ، تركوا مهنتهم وعائلتهم لقاتلوا . وهذه هي نقطة ضعفنا حين نأخذ خندق هجوم او نجابه جنودا مروا بكافة مدارس الحرب التي ترعاها الولايات المتحدة في القارة . لكن ذلك يمنحنا معنويات اخرى في المعركة ... نحن لسنا مأجورين مثل من نجابههم . نحن نقاتل في سبيل الثورة .. في سبيل اول ثورة في القارة الامريكية . ليس ذلك تعريف مؤرخ ، لكن شعوبنا تدركه. اعرف ان ما ارويه لك فيه طابع ديماغوجي . ذلك صحيح . صدقني هذا صحيح . ليس لك الا ان تتجول وتتحدث مع الشباب Muchachos فترى جيدا ، وان شئت ، فاذهب الى الشمال حيث لن ترى مقاتلين فقط وانما الشعب بكامله ».

وصمت .

« ها هي ذي البحيرة ! » اجتزنا سابوا طوال حديثه . البحيرة تمتد امامنا بمنظرها المؤثر المهيب . هي بحر في لون اسود يأخذ الالباب . وسور قاتم لجزيرة اوميتيب . وبراكين ترتفع الفا وخمسمائة متر عن سطح البحر . وماديراس وكونسيبسيون . بلد البحيرات والبراكين وشعب الشعراء . كانت طيور العقاب تدوم في السماء او تستريح فوق اشجار الساحل قبل ان تعود الى ميادين القتال القريبة جدا .

« ايها الاخ ! Hermano ماذا تعمل هنا ؟ » وتعانقنا . اجتمعت بشيلي من « الحركة المستقلة الثورية » يدعى اليوم لئو . كان كبيرا ، نحيفا ، رشيقا ، يكاد يكون ناعما ، مظهره يدل على ما

تعود من عمل . كان استاذ اقتصاد ، كان قد ظل لربع ساعة منهمكا برفش يعالجه بسهولة اقل مما يعالج بها قلم حبر .

« هذا يواكيم ، شيلي مثلي ، ومارلون وايدجار ، نيكاراغويان من عرق نقي . نحن نحفر خندقا ». واتى بحركة من يده ليمسح العرق اللامع في وجهه . « يا له من عمل مقدس ! » مهمتنا مراقبة البحيرة. لديهم بعض زوارق ، اكتشفنا في هذا الصباح آثار مجاذيف اقدام مطاطية فوق الرمال . ان انزالا بحريا كثيفا قليل الاحتمال ، لكنهم يرسلون رجال ضفادع يصبحون قناصة . اضروا بنا كثيرا ببنادقهم ذات المنظار وتجهيزاتها ما تحت الحمراء . اضروا بنا حتى في الليل الحالك » .

عاد فاوستو الى مقره في حين تناولت رفشا . فمثلما يعمل المرء خندقه ينام . نحن تحت الاشجار ، فوق الساحل تماما ، خلف الاكواخ التي تحف بالساحة الكبيرة الخالية . كانت مراكز اكثر تقدما تقع في حافة البحيرة ، لكن اهمية مركزنا هي سيطرته تماما على طريق موصلة يضطر الى المرور بها مهاجمين محتملين . الارض سمراء، رطبة ، غنية ، ثقيلة ، لكن الرفش يغوص فيها بسهولة . كانت بعض الجذور والحجارة تجعل احيانا العمل اكثر تعقيدا بحد .

توقف لئو لحظة وساعده فوق رفشه : « اكتشفت بسحر انه ليس لدي اية فكرة عن كيفية حفر خندق . » ابتسم الشابان النيكاراغويان. « لا أتحدث فحسب عن كيفية معالجة الادوات . اصرف من الوقت عشرة اضعاف ما يصرفه اي احد اعتاده ، وذلك امر طبيعي . غير ان ما يذهلني هو الشكل والحجم . رئيس زمرتنا اوضح لنا ان الخنادق يجب ان تكون بعمق ١٫٨٠ مترا وعرض ٥٠ سنتيمترا . لكن الاهم ان نجعلها بشكل متعرج . بشكل حرف « L » على الاقل . ويجب الا يتجاوز كل جزء المترين .

قاطعه ادجار ، وهو فتى في وجه امرد وشعر طويل وابتسامة كيسة : ــ انا لا افهم لماذا يجب الا نحفرها بشكل مربع . حتى ان ذلك اسهل . حينما نتجاوز المتر ونصف المتر عمقا في هذا المكان الضيق، بالكاد ان نشتغل ويتقلص عملنا اكثر فاكثر .

كان الاستاذ لئو منفتنا . مسح نظارتيه اللتين ملأهما الطين وعاد بالفطرة الى لهجته كمدرس : « لنبدأ منذ البداية : اذا عملنا خندقا بطول اربعة امتار بخط مستقيم وسقطت القنبلة في داخله ، يحتمل ان تقتل

معظم المقاتلين . واذا كان العكس وجعل الخندق بشكل زاوية مستقيمة ، فان نجاعته تصبح الضعف . هذا منطقي . والآن ، اذا حفرت نفس المساحة بشكل مربع واصابت القنبلة هدفها ، فمن المؤكد انها تقتل الجميع » .

قاطعه يواكيم ، الشاب المتين البنية ، ذو اللحية ، المتوتر الاعصاب دوما : ـ اني لاتساءل عما اذا كانت حدود حساب الاحتمالات تغير شيئا من الامر .

لم يتح الوقت للئو ليرد . فالدروس النظرية قطعتها حفلة اعمال عملية قدمها مجانا مدفعيو سوموزا . اندفعنا الى الخندق الذي لم يتم بعد ورؤوسنا بين اكتافنا ، لا ننبس بكلمة . كانت الطلقات تصل بوتيرة اداة الموقتة الموسيقية . كان هؤلاء السادة قد قسموا علميا المنطقة التي نحن فيها الى مربعات . كانت كل اربع طلقات تصل بخط مستقيم يفصل بينهما خمسون مترا تقريبا . تعقبها فترة راحة لتعود بخط مواز للاول لكنه اقرب الينا في هذه المرة ...

اعلن المتفائل : ـ لحسن حظنا ان خندقنا اصبح جاهزا تقريبا.

فزاود المتشائم : ـ لو عرفت انهم يهاجموننا مباشرة لخففت من استراحتي في الاغلب .

لكن الجميع في خوف . سحب من الغبار . هزات . الارض تمطر. الوجوه رمادية . قال لئو وانفه بين ركبتيه ، ان الاشجار يمكن ان تنقذ حياتنا .

ـ من قذائف مدافع الهاون ؟

ـ نعم لانها تنفجر من اول صدمة .

تناهى صوت صغير و وشيش ... « علينا ! »

وكان الانفجار . سقطت الطلقة التالية في الطريق بالضبط ، على بعد اقل من خمسة امتار منا ، تصم الآذان . سقط شيء فوق قمة راسي . كانت شظية صغيرة جدا وجدتها فوق فخذي . كانت محرقة. ان الحظ في الملتقى . عدنا نمزح بقدر ما كانت الانفجارات تبتعد .

ـ لو التقطونا ونحن في الخندق لخرجنا منه كسرافات ذباب .

ـ هذا اسهل على الآخرين الذين ليسوا بحاجة لدفننا .

عاد لئو الى حساب احتمالاته ..

الساعة ١٨ ـ آخر ضربة رفش . توجه ادجار ليأتي بحصصنا من الطعام . حفرت انا ولئو ساقية صغيرة حول الخندق لكي لا

تضطرنا المياه المنهمرة من المطر لان تستحم اقدامنا باستمرار. اخرج يواكيم لوحة واسعة ولفة كبيرة من قماش النايلون جعل منها سقفا . كان عمله رائعا لكنه انهار بعد نصف ساعة منذ اول زخة مطر .

الحديث الآن حول بعض علب المعلبات . ادجار في السابعة عشرة من عمره . ابواه بورجوازيان من ماناغوا . ذهب من غير ان يقول لهما شيئا . مارلون في الثانية والعشرين من عمره . عائلته من مازيا . انضم الى الجبهة منذ اعوام عديدة . اما لئو ويواكيم فقد عانا من تشرد النفي السياسي . اقاما في كوستاريكا واتصلا منذ عامين بالساندينيين الذين قبلوا اخيرا بطلبهما الانخراط في جيش الجنوب ، منذ اسابيع قليلة .

روى لئو : « يومان من التدريب بامتداد الحدود . تركيب وفك بندقية « فال » ، كيفية الزحف وبعض المبادىء التعبوية البدائية جدا مثل « اذا اضطررتم للقتال ليلا فانتقلوا فورا بعد اطلاقكم النار لان العدو يمكن يرصدكم على اللهب الخارج من سبطانة سلاحكم » . يظهر ذلك وكأنه لا شيء لكنه افادنا . بعد ٤٨ ساعة ارسلونا الى سابوا التي احتلت منذ وقت قريب . وصلنا الساعة ٦ صباحا . في الساعة ٨ كنا في خط النار . الانفجارات من كل الجهات : الرشاشات ، بنادق الفال ، مدافع الهاون ، الصواريخ . انبطحت وانفي في الطين من غير ان ادري شيئا . ذهلت . لست خائفا . عانيت طبعا حياة السرية وقمت ببعض الاعمال في المدن . ومع ذلك فان حربا حقيقية هي امر آخر . اقسى ما فيها الشرط الطبيعي . اضطررت مرة لحمل جريح الى المؤخرة. وحين اطلقوا النار فوقنا راح يركض اسرع مني .

« خوض القتال لاول مرة امر اساسي للجميع . تشكلت الوحدة بسرعة واتخذنا مواقعنا . جميع هؤلاء الاشخاص ، الذين لم يكن لمعظمهم اية خبرة عسكرية ، راحوا يقاتلون فورا بشجاعة . كنا نجابه افضل وحدات بين افضل جيوش في القارة . كانوا افضل سلاحا منا. لكنا صمدنا . كانت ردة فعل « الرفاق « Compas » جيدة .

ـ ماذا تعني كلمة « Compas » ؟

ـ من المختصر السانديني « رفيق « Companero » يقولون ايضا Compita . وهي طريقة تعني اننا نفترق عن الاخرين . (رد بذلك مارلون وهو يبتسم) . كان في وجنتي هندي ، وشارب،

وقسمات صبي ونظرة كبيـر .

رد لئو : ـ الهجوم يطرح مسائل اخرى . رؤساء الوحدات فـي معظمهم من المغاويـر الذيـن اكتسبوا خبراتهم على اساس مبدأ : اضرب واهرب . غيـر انهنـا ، يجب عمل العكس تماما . هنا ترى اشخاصـا يصرفـون كنوزا من الحيويـة والشجاعة ، يتقدمون امتارا ، يقضون على حرس ويستولون على اسلحة . بعـد ذلك يختفون وينسحبون فـي حيـن ان عليهم ان يشرعوا فورا بحفر حفـر فرديـة ليلتصقـوا بالارض . لا يعرفـون ، والاكثر من ذلـك انه يسوءهم ان يختبئوا فـي الارض . اتعرف فـي الوقت الراهن عـدا عـن خط النار ، اننا فـي الخنـدق الحقيقـي الوحيـد للجبهة الجنوبيـة . لحسن الحظ انهم يتعلمون بسرعـة الى حد لا يصدق . منذ اسابيع قليلة شهدنـا وصول ضباط حقيقيين امريكييـن لاتينيين قدموا من كل مكـان قريب قليلا ، شرعوا بتأطير الجيوش وعلموها الطريقـة الكلاسيكية جدا التي نحـن بحاجـة اليهـا لننتصر هنا .

الساعة ٢١ ـ الليل حالك . البرق ، بعيدا فوق البحيرة يمـزق السمـاء ويجعلنـا نستشف ، بفترات متقطعـة ، كتلة البراكين القاتمة. جونا متوتر . يمكـن لسوموزا ان يقوم في الساعا تالقادمة بعمليـة ليقطع سابوا عـن بينياس بلانكاس . سنطلع علـى الامر عن كثب .

توجه لئو ويواكيم ليقومـا بالحراسة في مكـان يبعد قليلا . حاول اديجار النـوم .

الليـل حالك . حشرات حباب تحلق عرضيا ، يمزق الوانهـا المزخرفـة البديعـة تحليق مستقيم لرصاص خطاط يطلقه قناص يظهر انه اتخذنـا هدفـا . انه لانطباع مؤثر رهيب ان نرى ولا نرى شيئا . بدايات الرعب . اصطفاق جاف ، وأزيز مشهدي يمـر فـوق رؤوسنـا الآن . نقف في الخندق ، مرافقنـا فوق حافته وكأننـا الى طاولـة حانـة، لا نجازف بأمر خطير . حان وقت ان نتنفس ونروي لبعضنـا بعض قصصا، ونتقـارب .

ـ لماذا اخترت مارلون اسما مستعارا ؟

ـ ليس ذلـك على سبيل التمثيل . حين كنـت صغيرا كان ابـواي يقولان عني اني كنت « Malo » اي شزيرا ، لاني كنت اكثر شجارا مـن اخوتي واخواتي . واليـوم اجـد ذلـك صفـة فاختـرت الاسم الخـاص الذي تتقارب رنته اليه اكثر : « مارلون » ، « مالـو » ، متشابهـان تقريبـا .

« اتصلت بالساندنيين منذ ثلاثة اعوام بعد ان عشت مشهدا رهيبا بصحبة والدي واخي . كنا قد عدنا من ماناغوا ، ولدى وصولنا الى ضواحي مازيا ، اضطررنا لان ننبطح فوق الممر الجانبي من حافة الطريق لان الحرس الوطني كان هنالك يطلق النار على كل من يتحرك. كان فاران من القوات الجوية قد هاجما احدى دورياتهم منذ وقت . كنا كثيرين في هذه الحفرة . فقد بعض الجرحى دمهم على قارعة الطريق. وفجأة ، نهضت امرأة حامل مهسترة كلية ،راحت تزعق : « توقفوا ! توقفوا ! زوجي هناك سيموت . توقفوا ! يجب استدعاء طبيب ، يجب عمل كل شيء ! » كانت صرخاتها وحشية . اخذ الجنود يترددون . عندئذ امر ضابط احدهم ان يصرعها . ولما لم يتحرك الرجل، راح الرتيب يعوي بدوره : « اقتلها ! اقتلها ! ايها الغبي ! والا صرعتك انت ! » اطلق الجندي النار ، الى الاعلى قليلا ، وفي الوقت ذاته ارتمى مدني بين قدمي المرأة . لبثنا على هذه الحال اكثر من ساعة . جرح والدي ، واخي ايضا ، لكنه ظل عاجزا » .

الجو ماطر والعاصفة تقترب والرعد يختلط احيانا باصوات مدافع الهاون التي عادت ترقص من الجهتين في هذه المرة . نحن نميز الضربات المنطلقة بصوت الانفجار الاصم ، والضربات الواصلة بأزيز القنبلة في الجو . لكن الاصوات الاكثر تأثيرا هي الاقل خطرا . كانت مناوشة جدية في روابي نهر اوستاللو . وتحولت قرقعة الاسلحة الخفيفة اصواتا عميقة . اضطرب ادجار ووقف مرارا صارخا : «انهم يهاجمون » وطلب اخيرا ان تتمدد في الفرع الثاني من شكل «L» من الخندق الذي بدا له افضل حماية في حالة الهجوم . لم نعرف السبب ابدا . كان مارلون يوصفه « بالمهذار « Baboço »

عاد مارلون يقول بعد فترة صمت « Escuchame grinoga te voy a Contar la historia de mi pais » ـ اسمعني ايها « الغرينغو » ، سأروي لك تاريخ بلدي ـ . عليك ان تعرف بعض امور من الماضي لتفهم ما يجري هنا . انا لست استاذا طبعا ، غير اني وانا اكافح درست قليلا وتعلمت شيئا واحدا على الاقل : ان التاريخ الحقيقي لشعبي ليس ما يعلم في المدارس ، وهو تاريخ مؤثر . ربما لان قادتنا اهتموا بدراسته بعمق ، فوجدوا الرد على سؤال يطرحه الجميع منذ اكثر من اربعين عاما، كيف نتخلص من الطاغية ؟

« منذ البداية ، جاء الغزاة Conqruistadores يبحثون هنا عن

الممر الشهير من الاطلسي الى المحيط الهادىء ، الذي سموه « المضائق المشكوك فيها » والتي سمعوا الحديث عنها من جانب بناما . استغلوا ذلك لينهبوا كل ما عثروا عليه من ذهب ، ثم ساقوا قسما لا بأس به من الهنود المستوطنين بنيكاراغوا عبيدا الى مناجمهم في البيرو . لكنهم لم يستسلموا . قاتلوا بضرارة الغزاة الذين ترعب ، مع ذلك ، خيولهم واسلحتهم النارية . قاتلوا في سبيل ارضهم، قاتلوا في سبيل حريتهم ، لكنهم قاتلوا ايضا في سبيل افكارهم . وبذل الخوارنة جهدا كبيرا ليغيروا آراء من ظلوا احياء بعد المجزرة . ولما كانوا لا يعتبرونهم كائنات بشرية ، لم يكن هنالك ما يدعوهم لان يتضايقوا ، وفي اعوام قليلة ، على ما اعتقد ، ابادوا ثلاثة ارباع السكان تقريبا . استمرت مع ذلك مقاومة الهنود حتى القرن التاسع عشر بثورات متكررة تسحق دوما . لم يستطع الاسبان خلال ثلاثمائة عام تقريبا ان يسيطروا حقيقة الا على ساحل المحيط الهادىء . وظل ثلثا البلاد بأيدي هنود الكارائيب لا سيما هنود الموسكيتوس الشهيرين. ويؤكد كثيرا الرفيق « Companero » المكلف بدروس التربية السياسية على انه ، منذ هذا العصر، كان أحد مواطن المقاومةالرئيسية في الجبال الواقعة في الشمال ـ الشرق من البلاد . في هذا المكان نفسه قاتل ساندينو وشكلت الجبهة الساندينية قاعدة انطلاقها » .

الظلام حالك جدا بحيث لا يتيح لي ان ارى قسمات مارلون . يتحدث بصوت خافت « لان الاصوات تنطلق بعيدا في الليل » .اصابعه تلعب بفرضة امان بندقية الفال الموضوعة الى جانبه وسبطانتها نحو البحيرة .

« استقلت نيكاراغوا عام ١٨٢١ . كان ذلك بداية حقبة معقدة في تاريخنا . تميزت بحروب اهلية لا تنقطع بين البورجوازيين الذين كنا نحن الشعب طعام مدافعهم . بعضهم يريد الانضمام الى المكسيك، ويريد غيرهم اتحادا فيديراليا امريكيا اوسطيا ويتجادلون في ذلك في ساحات القتال . كانت ، شأنها دوما ، مسألة مصالح متضاربة بين تجار غرانادا في جنوب البلاد ومزارعي ليون التي تبعد قليلا في الشمال . ولهذا بنيت ماناغوا على بعد متساو لتقوم فيها العاصمة. لكن الشعب يريد الاستقلال ، فكافح الهنود لاول مرة الى جانب الفقراء وبعض القطاعات التقدمية ضد رجال الدين والارستقراطيين المرتبطين بالنظام القديم . كانت حقبة حرب المغاوير الشهيرة لاصحاب « المناديل السبعة

« Siete panuelos » التي كثر الحديث عنها في شمال البلاد . كانت الثورات الشعبية في اعوام ١٨٤٠ ـ ١٨٥٠ كثيرة جدا في ليون وريفاس ومازايا ، بحيث تدفع احيانا البورجوازيين المتعادين فيما بينهم الى الاتفاق لقمع السكان .

« هنا ادركت ان الشعب وحده عزيز النفس في بلدي . تصور ان احد الفريقين ، لكي يسوي مشاكله ، لم يجد خيرا من ان يستدعي لمساعدته غير مغامر غرينغو ، قرصان حقيقي ، يدعى ويليام ووكر . كانت اهدافه الحقيقية ان يثري ويعزز قوة الولايات المستعبدة للزنوج في جنوب الولايات المتحدة . ما كاد يصل عام ١٨٥٥ او ١٨٥٦ ، حتى وفق بين الجميع واعلن نفسه رئيسا لنيكاراغوا ، وفرض الانكليزية لغة رسمية وأعلن تأييده للاسترقاق . ولم يطرد الا بفضل تأليف جيش امريكي اوسطي .

« كان ذلك في حقبة اكتشاف الذهب في كاليفورنيا . خلف ذلك كله ، كانت هنالك منافسات بين المجموعات الرأسمالية حول نقل البضائع والمسافرين في السفن من المحيط الاطلسي الى ريفاس ، ثم بالعربات حتى المحيط الهادىء . كانوا يجنون ارباحا طائلة لان اجتياز الولايات المتحدة لم يكن مأمونا بعد .

« هل تعرف ان هذا اللص ووكر حين عاد الى نيويورك ، بعد تدخل سلطات بلده ، استقبل كبطل ؟ عندئذ اراد العودة ، غير انه هنا ، قتلناه برصاصنا .

« الغرينغو احتقرونا دوما ويتصرفون وكأن القارة كلها ملكهم . حتى ان احد رؤسائهم صرح في عام لا اعرفه ، ربما عام ١٨٢٣ ، ان « امريكا للولايات المتحدة » . او يأتون بشيء من النوع نفسه . لا يتورعون عنده عن التدخل في شؤوننا بكل الاشكال التي لا يمكن تصورها . حتى انهم وقعوا مع البريطانيين ، من غير ان يسألونا رأينا ، معاهدة تعطيهم حق بناء قناة عبر نيكاراغوا .

« ولحسن الحظ ان وقعت حرب الانفصال بينهم فتركونا ننعم بالهدوء تقريبا طوال ثلاثين عاما . واستغلت ذلك الشركات الاجنبية وكبار الاقطاعيين عندنا ليدخلوا زراعة القهوة والموز . ولكي يدر ذلك عليهم الكثير من المال ، كان عليهم توسيع استثماراتهم على حساب الاضرار بالفلاحين طبعا . استخدموا كل شيء مفضلين الضعفاء جدا . احد وسائلهم المفضلة هي سلب اراضي مجتمعات السكان الاصليين التي

حافظوا عليهـا بفضل مقاومتهم الضاريـة للاسبان . عندئذ عاد الهنـود يحملون السلاح ليخوضوا ما سمي « بحرب المجتمعات » او « الحـرب المنسيـة » ايضـا . كانوا قرابة سبعـة آلاف في منطقـة ماتاغالبا . فلم تتردد الحكومة المحافظـة عن الرد على الثورة بقمع دام .

« لكـن الثورة امتدت في النهايـة . استغلها الاحرار وتولى السلطة الجنرال زيلايـا عام ١٨٩٣ . قيل انه كـان يريـد ان يعمل على تنميـة البلد وانه اكثر وطنيـة من غيره . حتى انه وضع مشروعـا لشق قنـاة بدون الغرينغـو . فكـان ذلـك وبالا عليه .

« هذه القصة تتيح ان نفهم كل شـيء . تصور ان زيلايـا اقدم على طلب ضرائب من شركـة منجميـة امريكيـة ، شركة روزاريو . عندئـذ دفعت هذه اموالا للجنرالات المحافظيـن . ثم ، لما كـان زيلايا قـد اعـدم مأجوريـن غرينغـو ، أبلغه وزيـر الخارجيـة الامريكية ، المحامـي السابق لشركة روزاريو ، ان الولايات المتحدة لا تعترف بحكومته ابدا . كل ذلـك انتهـى عام ١٩١١ ، بتعيين الرئيس دياز الذي كـان ، احزر ماذا .. محاسب شركـة روزاريـو !

« اصبح الغرينغـو اذا سادة نيكاراغوا بلدي . انصرف موظفوهم الى المرافىء والجمارك والى امور لست ادري عنهـا كثيرا ايضا . ولكي يقضوا عـلى كل خطـر ، فرضوا علينـا عام ١٩١٤ معاهدة مشينة تمنحهم حصر بنـاء قناة بهم لـم يشرعوا ببنائها ابدا . ارسلوا الينا عـام ١٩١٢ الافـا من البحارة « للمحافظـة على مصالح المواطنيـن الامريكيين وحمايـة حياتهـم » . جملة يعرفهـا الامريكيـون اللاتينيـون جميعـا عـن ظهـر قلب . ولبث جنودهم ثم غابوا اشهرا قليلة فقط الى ان طردهم ساندينو عـام ١٩٣٣ .

قال ادجار من اسفل الخندق حيث لم يجد نوما : ــ آه ! ساندينو، كـان لصا قاطع طريق . كان لاجدادي ملـك في الشمال وقصوا علي،حين كنت صغيرا، ان جنوده سلبوا كل شيء واغتصبوا النساء .

قال مارلون من غير ان يلتفت : ــ ايهـا التعس الراديو يقول الآن انك انت قاطع الطريق » . ثم وضع يده فـوق ساعدي : ــ « يوجـد حقـا كل هذا هنا . هذه القصـة عـن السرقـة والاغتصاب يرويهـا سومـوزا والبرجوازيـون . لكـن الحقيقة مختلفة جدا .

« اعرف تاريخ ساندينـو منذ طفولتي لان عم جاري قاتل فـي صفوفه . كان والده غالبا مـا يروي حكايـات حول هذا الموضوع ، لا سيما

كيف حاول ان يساعد في ماناغوا مغاوير الجبل . حدث مرارا كثيرة ان يكمن مع صديقين او ثلاثة قرب مخرج بار اعتاد البحارة التوجه اليه ليسكروا . وحين يخرج الجنود الاعداء ليعودوا الى ثكناتهم ، يذبحونهم بالسكين . ويقولون : « ها هو ذا واحد لن يذبح قومنا ابدا». جاءتهم هذه الفكرة بعد ان توجه هؤلاء السكارى ذات مساء مع عاهرات ليدنسوا مقبرة ماناغوا . كانوا يعتبروننا حقا اقل من لا شيء .

«منذ ذلك الوقت سنحت لي الفرصة لادرس تاريخ هذه الحقبة في دروس التربية السياسية للجبهة . بذلت جهدي لاتعلمه كي اتمكن من اروائه للنيكاراغويين الذين ما يزالون يصدقون اكاذيب سوموزا . يبدو لي تاريخا جميلا . ساندينو هام ايضا للقارة الامريكية إهمية بوليفار . واهمية جوزيه مارتي ايضا لانه قاتل وبيده السلاح .

« ولد آغوستو سيزار ساندينو عام ١٨٩٥ في نيكوينوهومو قريبا جدا من مدينتي مازايا . كان ابواه فلاحين . سجن في التاسعة من عمره مع والدته لدين عجزت عن دفعه لسيد الملك . غادر في العشرين من عمره قريته ليرحل الى هندوراس وغواتيمالا والمكسيك . مثلما فعل تشي غيفارا بعد اربعين عاما . غير انه هو لم يكن طبيبا . فاضطر ليشتغل بكل المهن : عاملا زراعيا في مزارع الموز لشركة يونايتد فروت (شركة امريكية) ، وعاملا حرفيا وبائع وقود لشركة بيترولية، الخ. وهنا عرف اليانكي، كما قال ، الذين كان غالبا ما ينقاد للعمل لحسابهم .

عام ١٩٢٦ ، عاد الى نيكاراغوا واشتغل في مناجم سان آلبينو ، في شمال البلاد ، وتعود ايضا الى شركة امريكية . في ذلك العام ، بعد سلسلة من الانقلابات العسكرية والانتخابات المزورة والتدخلات الامريكية، ثار الاحرار ضد حكومة دياز المحافظة . حتى انهم شكلوا جيشا سموه «الدستوري» عند ساحل الاطلسي تحت امرة الجنرال مونكادا. جمع ساندينو بعض عمال المنجم . واشتروا ، بما توفر لديهم من نقود، بنادق عتيقة من تجار سلاح وخاضوا اولى معركتهم في ايلجيكارو في ٢ تشرين الثاني ، ان لم أكن مخطئا . هزم ، فراح يهبط ريو كوكو حتى بلغ الاطلسي بمساعدة هنود الموسكويتوس . أراد ان يطلب من زعماء الاحرار الاحرار وسائل لخوض الحرب في الشمال . لكنهم رفضوا لانه ليس منهم. لكنه ، برجاله ومساعدة عمال المرفأ ، استولى في مياه بويرتو كابيزا على بنادق وذخائر كان الغرينغو قد القوا بها فيها منذ وقت ليحولوا

دون قيام الجيش الحر . عاد الى الشمال من الطريق نفسها وخاض معارك مظفرة ضد جيوش الحكومة . وتوصل مونكادا ، من ناحيته ، الى الاقتراب من العاصمة . خاف الامريكيون فأرسلوا شخصا يدعى تيمسون يفرض حلفا بين الاحرار والمحافظين ، كان من نتيجته ان يظل دياز رئيسا حتى الانتخابات القادمة ، يمكن لمونكادا ان يعقبه بعد ذلك ،وافق طبعا جنرالات الجيش الدستوري كلهم ، باستثناء واحد تحذروا من طلب رأيه ، كان ساندينو .

« علم بالهدنة بعد فوات الاوان، فقرر المقاومة وحده برجاله الى ان يخرج آخر جندي يانكي من ارض الوطن وتعهد بوقف الحرب يوم ذهابهم .

منذ عام ١٩٢٧ ، وبعد هزائم حلت به في معارك من نموذج تقليدي، غير طريقته وابتكر حرب المغاوير ، وتعتمد على نصب الكمائن والاغارات المفاجئة ، الخ . ومبدؤها الحاق اكبر قدر ممكن من الخسائر بالعدو والاستيلاء على الكثير من الاسلحة والذخائر وخوض القتال حين التأكد من النصر . واتذكر ان عم جاري كان فخورا جدا لانه توصل الى أخذ بندقية « سبرينغفيلد » من غرينغو قتيل ، كما نفعل نحن اليوم حين نستولي على بنادق « الجليل » وبنادق « م ١٦ ». كان عدد جنود جيش الدفاع عن السيادة الوطنية ٦٠٠٠ جندي في ذروة الحرب .كانوا مقسمين ارتالا عديدة نجد بينها ، كما هو الوضع الآن ، مقاتلين امريكيين لاتينيين اوسطين مثل فارابوندو مارتي الذي ينتسب اليه اليوم ثوار السلفادور .

« هؤلاء « قطاع الطرق » ، مثلما كانت تنعتهم بذلك سلطات ذلك الوقت بحجة انهم يقومون بحرب مختلفة ، طرحوا ايضا مسائل كبيرة على كاهل الولايات المتحدة . لجأوا الى كل شيء لايقافهم . فاخترعوا هنا حشد الفلاحين في معسكرات اعتقال حقيقية ونفذوا اولى عمليات القصف الجوي في التاريخ ضد المدن . حتى ان والد جاري يحتفظ بصورة «بحار امريكي» يحمل بيده رأس نيكاراغوي اغتاله . مثلما فعلوا في فيتنام بالضبط . غير ان قائمة قتلاهم كانت تطول . عندئذ قرروا تزويد بلدي بجيش محترف اصلي يؤطره ضباط يانكي، فكان الحرس الوطني.

« غير ان اي شيء لم يمنع ساندينو من احراز انتصارات بحيث توقف العدو عن وصفه « بقاطع طريق » واعترف له بلقب « مغوار » . عام ١٩٢٨، امتدت الحرب حتى شملت شمال سواحل الاطلسي في حين كان

مونكادا ينتصر في الانتخابات ، كما كان متوقعا ، تحت رقابة البحارة الذين الفوا مكاتب التصويت ايضا . وفي عامي ١٩٢٩ ـ ١٩٣٠ ،احصي الكثير من تمردات الحرس الوطني وفرار بعض منهم . وفي نهاية عام ١٩٣٠ ، اقترب الساندينيون من ليون وابادوا رتلا بكامله من الجنود الامريكيين ، مما احدث ضجة في الولايات المتحدة . وعام ١٩٣١، توصلوا الى قطع الطريق الحديدي الذي يصل شيشيغالبابليون اي عموديا على ساحل المحيط الهادىء . فأثار ذلك الرعب في ماناغوا واعلن ستيمسون ، الذي اصبح وزير الخارجية الامريكية ، ان جنود بلده سوف ينسحبون بعد انتخابات الرئاسة عام ١٩٣٢ . وقبل ان يذهبوا، فرضوا حلفا جديدا على الحزب الليبرالي والحزب المحافظ مليء بنصوص جديدة نسيتها ، لكن احدها يتكشف عن اهمية شديدة ، ورد فيه اسم « الرئيس الاداري » للحرس الوطني : اناستازيو سوموزا ، ابن اخ الرئيس المقبل ساكازا .

« في الاول من شباط ١٩٣٣ ، غادر اخيرا آخر بحار ارض بلدي، وفي اليوم نفسه ، سلم مبعوث من ساندينو رسالة الى ساكازا يذكره فيها بتعهداته ويعلن استعداده للمفاوضة . وابرم اتفاق وجرد الساندينيين من سلاحهم ، في حين اختار جنرالهم ١٠٠ من رفاقه انسحب معهم الى مناطق ويويلي البكر ، عند ريو كوكو لينشىء تعاونية منجمية فلاحية .

« لم يغفر الحرس الوطني لهذا الهزائم التي حلت به في الماضي، فراح يستفز ويعامل بشراسة بلا انقطاع المغاوير السابقين ، بحيث قرر ساندينو القدوم ليتفاوض حول ذلك مع ساكازا في ٢١ شباط ١٩٣٢، احد الايام القاتمة جدا في تاريخنا . لدى خروجه من الاجتماع ، اعتقلته دورية كانت تنتظره ، واعدم على ضوء مصابيح شاحنة في مكان ظل « سر دولة » . وفي الغداة ، قتل الحرس الوطني ٣٠٠ فلاح من تعاونية ويويلي . وبعد شهرين ، اعترف سوموزا خلال مأدبة انه هو الذي امر بتنفيذ هذه الاعدامات «لصالح النيكاراغويين» بالاتفاق مع سفارة الولايات المتحدة . وعام ١٩٣٦ ، اطاح بعمه وتولى السلطة واحتفظ بها حتى ايلول ١٩٥٦ » .

توقف مارلون ليستعيد انفاسه بعد قصته الطويلة المثابرة . وانحنى ليشعل سيكارة في قاع الخندق .

ـ هذا خطر !

ـ انت تعرف ان السرطـان لا يخيفني حقا !

غير انه ما كادت تمضي دقائق قليلة على نهوضه حتى ظهـر القناص ثانيـة ليجبرنـا ايضا على القرفصة .

ـ لكن من كان سوموزا هذا ؟

ـ قصته مضحكـة .

« احد والديه كـان قاطع طريق شهيرا في نهاية القـرن الماضـي. ودرس هو التجارة في الولايات المتحدة ويتكلم بلغتهـا العاميـة هنالك ايضـا . واستغلهـا ليحظى برعايـة السفيـر الامريكي بعد انتخـاب مولكادا . وقيل ايضا انه عشيق زوجته . كان جميـلا طافح الفتنة ينطبق تمامـا مـع الصورة التـي كونهـا الفرينفـو لانفسهـم عـن «العاشق اللاتيني » . كـان هـو نفسه قد عين جنرالا ايام الحرب الدستورية، وحين تولـى السلطة ، بلغت ثروته كلهـا مزرعـة قهوة كانت على شفا الافلاس. اليانكـي لا ينوهون بأخلاقيته ، لكنهم يعرفـون انه لا يخذلهم ابدا . قال عنه الرئيس روزفلت : « انه ابـن عاهرة لكنه ابن عاهرتنا » . وساعدوه حتى النهايـة ، هـو واولاده .

« كـان شخصا ذكيـا الى حد غريب . كان يحذر من ان يصـدم الشعـب كثيـرا . حيـن تسأله عجوز نقودا يعطيهـا اياهـا دومـا. وعلى الصعيـد السياسي ، يتدبـر امره لينتخب مكانه ، من وقت لاخر ، رجـلا فاقـد الشخصيـة ، مع احتمـال ان يطيح به بعـد اشهر قليلة . فكانت سياسته تلـك ترضـي الاجنبـي .

ظل على هذه الحال عشريـن عامـا الى ان اقتص لنا منه وطني من مدينـة ليـون ، شاعـر يدعى ريغوبيرتو لوبز بيريس . كان ابواه قـد انتزع منهمـا ملكيتهمـا الديكتاتور نفسه ، ولما رفضـا مغادرتها قتلهـم جميعـا . عندئذ هجر ريغوبيرتو مهنته كمنضد حروف طباعـة وعمـل خادمـا في مطعم اعتاد سوموزا التردد عليه .

«اقيمت في هذا المطعم حفلة عشاء للاحتفال بانتصار انتخابي مزور. ويحكي ان ريغو بيرتو اقترب من مائدة الرئيس وسأله « اتريد شيئا»؟وحين التفت سوموزا صرخ بوجهه قائلا «جاء دورك»! ثم اخرج مسدسا وانبطـح ارضا ليتمكن من الاطلاق تحت صدارة تاشو الواقية من الرصاص والتي لا تفارقـه ابـدا .

«اقتص منه بلا عدل الحرس المرافق حتـى انهم قطعـوا عضـوه التناسلي ووضعوه في فمه .

«كان محتملا ان الطاغية قد مات فورا. ولما لم يكن اي حل سياسي معدا، نقله الفرينغو بالطائرة الى بناما بحجة اجراء عملية له. فلم يسعه الا ان يتدبر امره ويعهد بالوراثة الى ابنه البكر لويس. لكن هذا لم يظهر انه مرض فيستخدم. عندئذ اتفق الامريكيون مع اخيه الاصغر «تاشيتو» الاكثر ذكاء والعديم الذمة والضابط برتبة من ويست - بوينت. وبالاتفاق معهم، قيل انه رشا ممرضا للويس ليسممه، وتولى السلطة بدوره عام ١٩٦٧.

«عندئذ راح الرئيس الجديد يسلب وينهب البلد ويرتكب فيه المجازر بلا ادنى تحفظ، متخليا عن كل دراية وتقدير. مثال ذلك، ان والده كان، اثناء الحرب العالمية الثانية، قد امم الممتلكات الالمانية في نيكاراغوا قبل ان يشتريها لحسابه الخاص بفضل مزاودات احتيالية. ولجأ الابن، بعد الهزات الارضية التي دمرت ماناغوا عام ١٩٧٢، الى تحويل معظم المساعدة الدولية الى خزائنه مباشرة. واستولى على مؤن الطعام والادوية المرسلة من البلدان الاجنبية قبل ان يبيعها. ولم يكن ثمة مجال للاحتجاج. ودمر في الشمال تدميرا شاملا قرى بكاملها، وفي بعض الاماكن، اغتصبت ١٠٠ ٪ من النساء. والقي بأناس من الاعالي بطائرة هيليكوبتر الى البحر، والقي مرة احد الزعماء الساندينيين بفوهة بركان موموتومبو. انه مجنون متعطش للسلطة. لديه رأسمال ويريد مزيدا من الرأسمال ايضا. واليوم هو احد اغنى اغنياء العالم. واعتقد ان ثروته لو قسمت بالعدل على النيكاراغويين جميعا لعاشوا كلهم برخاء ...».

- صمتا!

تناول مارلون بندقيته الفال ... صوت اقدام في الطريق الاتية من البحيرة ...

- من القادم؟

توقف الرجل:

- كارلوس فونسيكا امادور!

الامر بسيط. كان يعرف كلمة السر: اسم مؤسس الجبهة الساندينية للتحرر الوطني، الذي اغتاله الحرس الوطني، الذي يجب ان يردده شعب شهيد بكامله ...

- تقدم! شيللي!

ابتعد الرفيق، فوضع مارلون سلاحه.

«سوموزا أسوأ ايضا من هتلر، لانه مستعد لافناء شعبه. ويحكم مع هذا بمباركة الولايات المتحدة التي لا تدعنا نتمتع بالديمقراطية. اي احد لا

يريـد الشيوعية لو تركوا لنا حلا اخر. لكنا ننشد الحرية وسننالها .

«جرت مظاهرات احتجاجا على اغتيال بيدرو يواكيم شامورو. حدث ذلك في شباط ١٩٧٨. اكتفى الناس في البداية بالهتاف بشعارات. فتدخل الحرس الوطني بغازات مسيلة للدموع. عندئذ قذفوا بالحجارة ، فـردوا بالرشاشات . حين ادرك الشعب انهم يذبحونه، استولى على مصـارف ومصانع لعائلة سوموزا. وأضرم الشباب النار باطارات شاحنـات وسـط الشوارع .

عندئذ تدخل جنود النخبة، الذين تدربوا في منطقة قناة بناما كـي يقتلـوا ...

ادركنا جميعا ان طلبنا اليه ان يرحل لا يكفي لجعله يرحل. علينا ان نحمل السلاح ونقذف به خارجا بحد البندقية ـ

« . - « a punta de balazo »

تقويم

« .. كان هنالك سكون الليل وصمته فقط . كان الخالق وواهب الخلقة، تيبو وغوكوماتز، وحدهما في الماء يحيط بهما النور ، مختبئين تحت ريش اخضر وازرق .. هكذا خلقت السماء وقلب السماء ايضا الذي هو اسم الاله ...

عندئذ جاءت الكلمة الالهية . اجتمع تيبو وغوكوماتز في ظلام الليل، وبعد ان تأملا، اتفقا على جمع اقوالهما وفكرتهما . وقررا خلق ونمو الاشجار، ومولد الحياة وخلق الانسان . هكذا تقرر في الليل في قلب السماء المسمى هوراكان ... » .

بوبول فوه ـ التاريخ القديم لشعب الكويش .

١٥٠٢ ـ كان من تعاسة ارض تيبو وغوكوماتز ان يطأها لاول مرة شيخ قبيلة اجنبي اسمه كريستوبال كولوم .

١٥٢٣ ـ اول اجتماع بين شيخ القبيلة نيكاراؤ واسباني . المجازر تبدأ .

١٥٥٢ ـ كتب بارتولومئو دي لاس كازاس : «استمرت اعمال هذا التدمير والقتل كلها اربعة عشر عاما. في مقاطعة نيكاراغوا كلها لا يوجد اليوم غير ٤٠٠٠ او ٥٠٠٠ شخص .. الاسبانيون يقتلون منهم كل يوم.. كانت احدى اكثر المقاطعات المأهولة بالسكان في العالم» .

١٦٠٤ ـ اولى غزوات المستعمرين في مناطق الشمال والشرق، وهي ارض، بين غيرها من اراض، لهنود الكسيكاك والموسكيتو الذين لا يتحمسون كثيرا لحكم الكنيسة والجيش .

١٧٢٥ ـ ثورة السكان الاصليين في ليون .

١٧٧٧ ـ ثورة شيخ القبيلة يارينسه في بوآكو .

كانون الاول ١٨١١ ـ كانون الثاني ١٨١٢ ـ ثورة شعبية في جميع البلاد مطالبة بعزل السلطات الاسبانية .

١٨٢١ ـ ١٥ ايلول ـ مملكة غواتيمالا التي كانت نيكاراغوا جزءا منها يومذاك ، تعلن استقلالها .

١٨٢٢ ـ ٣ كانون الثاني ـ خمس عائلات، الى جانبها رجال الدين ، يقفون ضد الشعب ويقررون ضم نيكاراغوا الى امبراطورية المكسيك. الحروب بين «الاستقلاليين» و «انصار الضم» تستمر حتى عام ١٨٥٥.

١٨٢٣ ـ ٢ كانون الاول ـ جيمس مونرو، رئيس الولايات المتحدة، يعلن «امريكا للامريكيين»، مما يعني في الواقع : ان القارة كلها للغرينغو.

١٨٥٣ ـ اول انزال عسكري امريكي شمالي في نيكاراغوا « لحماية حياة ومصالح المواطنين الامريكيين» ...

١٨٥٤ ـ البحارة الامريكيون يدمرون مدينة سان خوان ديل نوتره انتقاما لاهانة حلت بممثل بلدهم .

١٨٥٥ ـ القرصان الامريكي الشمالي وليام ووكر يتدخل في الحروب الاهلية الداخلية . يستدعيه الاحرار ويقوم بدوره بسرعة ويعلن نفسه رئيسا لنيكاراغوا. اول تدابيره هي فرض الرق والانكليزية لغة رسمية. كانت نهايته الاعدام عام ١٨٦٠ .

١٨٨١ ـ حرب الطوائف . الفلاحون والهنود يثورون ضد كبار الملاكين ونتائج الانقلابات التي حدثت بسبب ادخال زراعة القهوة (ازالة الملكية الصغيرة وتركيز اليد العاملة).

١٨٩٣ ـ الجنرال المتحرر زيلايا يتولى السلطة .

١٨٩٥ ـ مولد اوغوستو سيزار ساندينو في نيكوينوهومو .

١٩٠٩ ـ المحافظون يثورون ضد زيلايا بتأييد من وزارة الخارجية الامريكية .

١٩١٠ ـ الولايات المتحدة تفرض توقيع احلاف داوسن التي تشير الى بداية تدخلها المباشر المستمر .

١٩١١ ـ دياز المحافظ ينتخب بفضل الولايات المتحدة .

١٩١٢ ـ الجيوش الامريكية تنزل بالقوة وتترك فصيلا حتى ٥ اب ١٩٢٥ «لحماية البعثة الدبلوماسية وتأمين السلام واستقرار الحكومة» ...

١٩٢٦ ـ ايار ـ ثورة تحررية عند ساحل الاطلسي. الامريكيون يرسلون بحارتهم، يظلون في هذه المرة حتى عام ١٩٣٣ .

٢ تشرين الثاني ـ ساندينو يخوض معركته الاولى ضد جيوش الحكومة في الخيكارو .

القوات الامريكية الموجودة في ارض نيكاراغوا ترتفع في نهاية السنة الى ٦٠٠٠ رجل .

١٩٢٧ ـ ٩ كانون الثاني ـ الامريكيون يقصفون ويدمرون شيناندیغا.

١٢ أيار ـ الجنرال مونكادا، الاحراري، يستسلم . ساندينو يستمر في القتال ويحرز انتصارات باهرة .

١٦ ايار ـ البحارة الامريكيون يتعهدون بالحرس الوطني ويقومون بمهمة الشرطة في ماناغوا .

الاول من تموز ـ جنرال امريكي يعين رئيسا للمجلس الوطني للانتخابات في نيكاراغوا .

١٩٢٨ ـ انتخابات تحت رقابة امريكا. فوز الاحرار .

١٩٣٣ ـ الاول من شباط ـ ساكازا الاحراري يصبح رئيسا. ابن اخيه «الجذاب والذي يتقن الانكليزية» يقفز من صف ضابط الى جنرال ويتولى قيادة الحرس الوطني الذي دربته الولايات المتحدة الان .

١٩٣٤ ـ ٢١ شباط ـ جاء ساندينو الى ماناغوا للمفاوضة واغتيل.

٣ حزيران ـ سوموزا يعلن مسؤوليته عن الاغتيال خلال مأدبة.

١٩٣٦ ـ سوموزا يتولى السلطةمباشرة بعد ان اجبر عمه على التنازل.

١٩٣٧ ـ انتخابه ، ووضعه دستورا يعطيه السلطة لعشرة اعوام على الاقل .

١٩٤٣ ـ سوموزا يستولي لحسابه الخاص على معظم الممتلكات الالمانية في نيكاراغوا، التي امهما قبلا .

١٩٤٧ ـ سوموزا يعمل على انتخاب ارغويللو رئيسا لكنه يطيح به بعد ٢٠ يوما. يستقل كثيرا ويعين ريس مكانه .

١٩٥٠ ـ موت ريس . ولما كان خير من يخدمهم المرء هو ان يخدم نفسه، عاد سوموزا رئيسا .

١٩٥٦ ـ ٢٢ ايلول ـ اناستاسيو سوموزا يقتص منه ajusticiado الشاعر ريغوبيرتو لوبز بيرز . ابنه الاكبر يخلفه .

١٩٦١ ـ تأسيس الجبهة الساندينية للتحرر الوطني « F.S.L.N. »

١٩٦٧ ـ اناستاسيو سوموزا الابن ، تاشيتو، ينتخب رئيسا بفضل

تحايل شنيع في الانتخابات، استنكرها الراي العام .

١٩٧٢ ـ زلزال يدمر وسط ماناغوا ـ ١٠٠٠٠ ـ قتيل . لكنه كان مناسبة ليثري الرئيس .

١٩٧٧ ـ تشرين الاول ـ الجبهة الساندينية تهاجم مدنا عديدة في البلاد : اوكوتال، ريفاس، سان ماركو، بهدف الاستيلاء على اسلحة وتوزيعها على السكان .

قيام «مجموعة الـ ١٢»، وهي شخصيات مستقلة تؤكد ان ازمة البلاد لا يمكن تسويتها الا بالتعاون مع الجبهة .

١٩٧٨ ـ ١٠ كانون الثاني ـ اغتيال بيدرو يواكيم شامورو مدير صحيفة لابرينزا والوجه البارز في المعارضة ضد سوموزا .

٢٣ كانون الثاني ـ بداية الاضراب العام احتجاجا .

شباط ـ ثورة مونيمبو، حي السكان الاصليين في مازايا . ظهور قنابل بالتماس من صنع يدوي .

١٢ تموز ـ أضراب وطني بطلب من «جبهة المعارضة الواسعة» (جبهة معتدلة) .

٢٧ اب ـ جبهة المعارضة الواسعة تدعو لاضراب عام جديد .

٢٩ اب ـ الطلاب والشعب في ماناغالبا يثورون. قصف جوي يقوم به الحرس الوطني .

٩ أيلول ـ ثورات شعبية في العديد من المدن (ايستيلي، ليون ، شيناديغا، مازايا ...) الحرس يعدم المدنيين، قصف بالقنابل، حرائق. ابن الرئيس، على رأس فيلق من نخبة الجيش، يستعيد المدن واحدة بعد اخرى. الصليب الاحمر يذكر ٥٠٠٠ قتيل و ١٠٠٠٠ جريح. منظمة الدول الامريكية تقرر ارسال لجنة وساطة تتباطأ في الوصول لتترك الوقت لسوموزا لتسوية المسألة العسكرية قبل وصولها .

١٩٧٩ ـ ١٩ كانون الثاني ـ سوموزا يرفض مقترحات لجنة الوساطة.

١٠ شباط ـ الولايات المتحدة توقف مساعداتها العسكرية .

١١ نيسان ـ الساندينيون يستعيدون مدينة ايستيلي.

١٤ ايار ـ مصرف النقد الدولي يمنح سوموزا قرضا ضخما بتأييد من الولايات المتحدة .

٢٠ ايار ـ المكسيك تقطع علاقاتها الدبلوماسية مع سوموزا .

٢٧ ايار ـ الجبهة الساندينية تدعو لاضراب عام جديد، لبي كلية الاول من حزيران ـ الجبهة الساندينية تشن هجوما عاما .

١٦ حزيران ـ تشكيل حكومة اعادة البناء الوطني في ظل الجبهة.
١٧ تموز ـ سوموزا يصل الى ميامي حاملا معه الاموال ونعشي والده واخيه .
٢٠ تموز ـ حكومة اعادة البناء الوطني والقيادة القومية للجبهة الساندينية تدخل ماناغوا .

- ٢ -

ابناء ساندينو وحراس السلالـة

كانون الثاني ١٩٧٨. مارلون ورفاقه يقررون حمل السلاح .
لولاهم لما انتصرت اية ثورة .
لكن السخط والوعي وارادة التماسك لا تكفي ولا حتى الهتافـات الداعية الى الاطاحة بالديكتاتور .
حزيران ١٩٧٩ ـ في اشهر قليلة، انتظم الشباب - muchachos - وتجمعوا ثانية واندمجوا في جيش واحد .
وهوجم سوموزا وحرسه الوطني في المدن والارياف وفي الجنـوب والشمال والشرق والغرب .
البلد ثائـر .
امعجزة ؟
كلا . انها نهاية عمل استمر اعواما .
كان «ابناء ساندينو» يعملون في **الظل** ويستعدون ليثأروا، عـلى حساب ضحايا لا تحصى .
كان لديهم تاريخ والان لديهم خطة .
وما بين الاثنين، قتلى وهزائم وخبـرة وتنظيـم، فكانت الجبهـة الساندينية للتحرر الوطني .
ما هو عميق في الجبهة الساندينية للتحرر الوطني ؟ سنكتشفهـا بتتبعنا للشباب، غير ان ما يهم هو تحديد الوقائع البارزة في تاريخها .

بعض ارقام في تاريخ الجبهة الساندينية للتحرر الوطني

١٩٦٠ ـ ١٩٦١ ـ تشكيل الجبهة الساندينية للتحرر الوطني على يد كارلوس فونزيكا امادور وسيلفيو مايورغا وتوماس بورجه .

١٩٦٢ ـ مدارس عسكرية في المناطق المدنية والريفية. النشرة الاولى من «راخو نيغرو Rojo Negro » و «تربنكيرا Trinchera »

١٩٦٣ ـ اغارات على المصارف والاستيلاء على محطة راديو وقيام «جبهة الطلاب الثورية». مقتل عدد كبير من الساندينيين في معارك المغاوير التي جرت في ريوس كوكو وبوكاي .

١٩٦٤ ـ ١٩٦٥ ـ تنظيم نقابات في مدن الشمال. الاتصالات الاولى بالحركة العمالية .

١٩٦٦ ـ ١٩٦٧ ـ هجمات منظمة على اهداف اقتصادية. اغتيال جلاد سوموزا الاول. تشكيل حرب المغاوير في بانكازان التي قتل فيها سيلفيو مايورغا. غير ان فشلها العسكري جعل النيكاراغويين جميعا يعرفون الجبهة الساندينية .

١٩٦٨ ـ اعادة بناء شبكة سرية مدنية . «غنائم» اقتصادية، اعمال تخريب في ماناغوا، اختطاف طائرة تابعة للشركة الجوية لانيكا التي يمتلكها سوموزا .

١٩٦٩ ـ العمل خارج البلاد وفي المنفى يتسع رغم القمع الذي تعرض له الساندنيون في كوستاريكا .

١٩٧٠ ـ لاول مرة تحصل المنظمة على اطلاق سراح المعتقلين السياسيين وبينهم كارلوس فونزيكا امادور. ساندنيون يقاتلون الى جانب الفلسطينيين. استئناف المغاوير في الجبال .

١٩٧٠ ـ ١٩٧٤ ـ الجبهة الساندينية تكرس نفسها جوهريا للعمل السري لتجميع القوى، خلال هذه الاعوام الاربعة. اغتيال عدد كبير من الاطر المدنية، لكن الحركة الجماهيرية تتسع من جديد. اضرابات عن الطعام، احتلال كنائس ومظاهرات شعبية تكره سوموزا على اطلاق سراح الكثير من المعتقلين السياسيين .

١٩٧٤ ـ الجبهة الساندينية تشن الهجوم العسكري ـ السياسي . في ٢٧ كانون الاول، اغارة ساندينية تعتقل الكثير من الرهائن الدبلوماسيين وكبار شخصيات النظام المجتمعين في حفلة كوكتيل في بيت شيما كاستيلو. يحصل الساندينيون مقابل ذلك على اطلاق سراح جميع المعتقلين السياسيين. صدى كبير لهذه العملية داخل البلد وخارجه. سوموزا يرد

على ذلك باعلان حالة الطوارىء وفرض الرقابة على وسائل الاعلام وارتكاب عمليات القمع الدامية .

١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ـ تذرعت الديكتاتورية بالقيام بمناورات عسكرية، استمرت عامين، فراحت تنظف بانتظام الجبال الواقعة في شمال البلاد في عملية اطلقت عليها «السندان والمطرقة»، يساعدها في ذلك «مستشارون» امريكيون وفيتناميون جنوبيون وامريكون جنوبيون وقوات من مجلس الدفاع عن امريكا الوسطى (هندوراس، سلفادور، غواتيمالا ونيكاراغوا). لاقى حتفهم في هذه العملية اكثر من ثلاثة الاف فلاح. ترحيل السكان. تدمير شامل لبعض القرى.

عام **١٩٧٦** قتل كارلوس فونزيكا امادور .

كان الثمن الذي دفعته الحركة الجماهيرية والجبهة السانديينية جسيما في المدن والريف. اصبح عدد من ظل حيا عشرات قليلة، منعزلين في الاغلب، لا بل مشردين في الجبال. واكثر من ذلك، انقسامهم ثلاث «نزعات»، لاسباب تتفق اليوم على انها كانت من ضرب «شخصي» و«تعبوي» اكثر منه «ستراتيجي».

تأكدت «الحرب الشعبية المستمرة» انها الوريث الشرعي للمنظمة التي قامت في عامي ١٩٦٠ـ١٩٦١. نادت بقيام مرحلة جديدة لتجميع القوى في جبال الشمال حول نواة مغاوير الى ان تتمكن من التحول الى جيش شعبي ينزل الى المدن .

كان اول من انفصل «البروليتاريون ـ Jrolés » ليندفعوا في عمل تنظيم عسكري ـ سياسي بين الجماهير العمالية في المدينة والريف في المناطق المأهولة جدا بالسكان عند المحيط الهادىء .

وقدر «الثالثيون ـ Tercéristes » او ما اطلق عليهم :«المتمردون» من ناحيتهم ان الاساس هو شن الهجوم لكسب قوات في البلاد كلها، في منظور ثورة . وهم الذين شنوا العمليات العسكرية في تشرين الاول ١٩٧٧، مؤكدين في الوقت ذاته على خط سياسي اكثر مرونة يمكنه تأليب اكبر عدد من النيكاراغويين ضد الديكتاتورية .

١٩٧٧ ـ تشرين الاول : عمليات عسكرية ضد ثكنات اوكوتال وسان كارلوس وريفاس، الخ .

١٩٧٨ ـ شباط : هجمات على ريفاس وغرناطة .

٢٢ اب : احتجاز ٦٠٠ رهينة في القصر الوطني، تمت مبادلتهم بمعتقلين سياسيين بينهم توماس بورجه واخذ ٥٠٠٠٠٠ دولار.

٩ ايلول : عمليات عسكرية في المدن الرئيسية من البلاد. السكان يثورون قبل ان يقمعهم بأفظع الطرق الحرس الوطني ولا سيما جنود النخبة بقيادة ابن الرئيس سوموزا .

١٩٧٩ ـ اذار . النزاعات الثلاث في الجبهة الساندينية توقع اتفاق وحدة جديدة .

الشعب ينتظم. غير انه، لكي يطيح بالديكتاتور، الذي لم تجد امامه اية تظاهرة سلمية، كان عليه ان يدحر عسكريا دعامة الديكتاتور الاولى: الحرس الوطني .

الحرس الوطني .

يتضح عدد كبير من الصور المذهلة في الثورة الساندينية حين نعرف ان جيش نيكاراغوا، الذي صنعته دولة اجنبية، اصبح جيش متطوعة ـ ميليشيا ـ خاصة .

ان سيطرة انستازيو سوموزا المطلقة على السلطة مكنته من ان ينسحب مرارا من المسرح السياسي مع احتفاظه بالسلطة الحقيقية واطمئنانه الى انه يستطيع في اي وقت ان يلجأ الى القوة ويطيح بالاشخاص الذين عينهم. وهذا ما سمي «بالاستمرارية» .

عام ١٩٥٦، وبعد اغتيال مؤسس السلالة، تقاسم ولداه مناصبه : لويس الرئاسة ولتاشينو قيادة الحرس الوطني، الذي كان قائده بالوكالة منذ عام ١٩٥٠ .

قيل انه هو الطالب الضابط الوحيد الذي تخرج من مدرسة ويست بوينت (في الولايات المتحدة) وتولى قيادة جيش كهدية لترفيعه. هدية عرف كيف يستغلها لمصلحته فيقنع الولايات المتحدة انه افضل حليف لها في المنطقة ويثري ويحول دون قيام اية معارضة لسلطته في الداخل.

تجلى ولاؤه بوضوح للولايات المتحدة في مناسبات كثيرة، لا سيما حين مهاجمة نظام اربينز التقدمي ، في غواتيمالا عام ١٩٥٤، وفي اطار العملية ضد سان دومنيك عام ١٩٦٥، وبوجه خاص يوم محاولة الغزو في خليج الخنازير. ففي الواقع ، كان قد توجه فيها من نيكاراغوا عدد كبير من المرتزقة. وهذا ما اعطى واشنطن الانطباع انها ليست الوحيدة في هذه المناورة. وبوجه عام، كان سوموزا وحرسه الوطني حراب مجلس الدفاع عن امريكا الوسطى. وهو حلف عسكري هدفه ترسيخ واستمرار سيطرة الولايات المتحدة على المنطقة الاقرب الى حدودها، مما يجعل بناما

منفصلة، البلد الذي نعرف اهميته الستراتيجية .

مكن الحرس الوطني سوموزا من ان يثري ايضا. مثال ذلك:استغلاله لمصلحته معظم المساعدة الدولية التي ارسلت بعد زلزال ١٩٧٢ والتي اصبح بها الديكتاتور حقا اغنى رجل في امريكا الوسطى. وترجمت قوته الاقتصادية والمالية بدءا من ذلك التاريخ بسيطرته على مصارف ومؤسسات اعتماد وتأمينات. ذلك انه لم يستطع ان يحرف المساعدة لصالحه الا بفضل اعلانه حالة الطواريء التي فرضها على البلد خلال عامين بحد البندقية . ورافق تبديره هذا رقابة صارمة منعت نشر اقل نبأ عن اختلاساته .

كان الارهاب الذي مارسه الحرس الوطني على السكان جميعا قد منع كل معارضة جدية لسلطته. وكانت اللعبة السياسية البرلمانية مصطنعة مزيفة كلية. من لا تسرهم، ليس امامهم حلول اخرى غير اللجوء الى السلاح (من بورجوازية معارضة وبعض العسكريين والثوريين)، فكانت الارض التي يصطدمون بها الحرس الوطني . كانت الحلقة مطبقة. وللاطاحة بسوموزا، لا بد من قهره عسكريا. لكن العملية ليست سهلة بسبب الرقابة التي يتحكم بها سوموزا .

كان يفضل تجنيد بسطاء الجنود من المناطق النائية جدا من البلاد، بالارهاب والعلاقات التي يقيمها النظام بينه وشيوخ قبائل الهنود المحليين او لمجرد الاغراء الذي يمثله للفلاحين البؤساء منظور حصولهم على زوج احذية وبدلة وما يسد رمقهم طوال الايام. وكانت عائلة سوموزا تحترس دوما من فرض الخدمة العسكرية الالزامية. لان لها محظورا مزدوجا، فهي تكسب النيكاراغويين جميعا خبرة القتال وتجعل جيوشهم صعبة المراس.

ويأتي الضباط في الاغلب من صفوف البورجوازية الصغيرة جدا. وكان للديكتاتور علاقات شخصية بين كل منها. كان يعلمهم منذ الثامنة من اعمارهم. ومعظم الضباط الذين كانوا في مناصب فعالة قد ولدوا في ظل النظام. يروي عقيد ان رغبته قبل ان يدخل الجيش كانت دراسة الطب. لكنه كان يفتقر الى النقود. فكان سوموزا هو الذي منحه الوسائل التي حققت حلمه، واتاح له ان يتدرب طويلا في المكسيك. ولدى عودته، تدخل الرئيس شخصيا لمنحه اعتمادات تمكنه من شراء بيت فخم. كان ذلك كله وهو ما يكف عن التفكه، بما طاب له، بمشاغله الاجتماعية المعلنة، فيقول العقيد : «انه رئيس ابوي، يعطي كل شيء ويصفح عن كل شيء ما دام المرء يظل مخلصا لشخصه». كان ذلك دليلا اثبته هو عندما استقال من الحرس الوطني في اعقاب مجازر ايلول ١٩٧٨، فعلىَ الفور، طالبته

مؤسسة الاعتماد، التي اشترى بفضلها بيته، ان يسدد بسرعة ما اخذ.

كانت رواتب الجند منخفضة جدا، خلافا لما كان يفترض. كانت منخفضة بحيث تدفع الضباط والجنود الى اللجوء الى كافة التصرفات الممكنة بحيث تورطهم نهائيا مع النظام. كانت دور القمار ومواخير البغاء والحانات والجمارك، الخ، تحت رقابتهم، منها يأخذون عائداتهم. وهكذا ترافق الطبقة العسكرية طبقة اقتصادية. في كل مقر عسكري ارض مناسبة للسلب، ونسبة مئوية تقتطع عن كل ما يمر بأيدي الحرس. كل نقيب تخرج من المدرسة العسكرية او التداريب ـ ستاج ـ في بناما او الولايات المتحدة، يمكنه عند تعيينه في مدينة من المحافظات ان يمتلك سيارة امريكية فارهة يصرف البورجوازيون الموسرون عدة اعوام لامتلاكها. ويمكن لهذا النوع من المكافات ان يرتفع بسهولة لدى جنرال فيبلغ عشرات الملايين من القرطبات (القرطبة وحدة النقد في نيكاراغوا وتساوي ربع دولار تقريبا). يروي ان احد هؤلاء الجنرالات كان على حافة التقاعد، فلم يجد خير وسيلة للاثراء ايضا من ان يغير خلال وقت قصير كافة الاتجاهات الممنوعة في المدينة التي كان هو المخطط لها. فكان يقف جندي في كل زاوية من الشارع مكلف بتحرير ضبط فيأخذ غرامته. يضاف الى ذلك، لاسباب واضحة هي سهولة المراقبة، يقوم الحرس الوطني بوظائف الشرطة والجيش معا.

فلكي يضمن سوموزا تلاحم جيشه، يعتمد اذا على الابوية Jaternalisme (١) وتلويث السمعة في وقت واحد. ويعلم الضباط كلهم علم اليقين ان اي نظام اخر لا يمنحهم مثل هذه التسهيلات. كما انه ارعبهم انه لن يغفر لهم ما اراقوه من دماء، منذ ايلول ١٩٧٨ خاصة، بعد اتساع المجازر التي قام فيها الديكتاتور وابنه بدور حاسم. فكان ذلك سلاحا استخدمته الدعاية داخل الجيش الى حد مشوه غالت فيه. فمن ابسط جندي الى جنرال، كانوا مقتنعين بأن الساندينيين سوف يذيقونهم مر العذاب مثلما هم اذاقوهم مره، ولربما لم يمنع ذلك طبعا من تعزيز القناعة الايديولوجية الظاهرة بين بعضهم، الذين يعتقدون حقا انهم انما يدافعون عن شعبهم والغرب. كان ذلك هو الشعور الذي يتشاطره اكبر عدد من الضباط الامريكيين اللاتينيين الذين درسوا في المدارس العسكرية التي تشرف عليها واشنطن في الولايات المتحدة او في قناة بناما. ثم ان نيكاراغوا

---

(١) الابوية : طريقة عائلية تنتهجها حكومته في ادارة البلاد ومعاملة الافراد والجماعات او ينتهجها شخص متنفذ، (المترجم).

رغم قلة عدد سكانها (٢٫٥ مليون نسمة) هي البلد الامريكي اللاتيني الذي لديه اكبر عدد من الضباط والجنود والشرطة الذين تدربوا مباشرة على يد الغرينغو (بين اعوام ١٩٤٦-١٩٧٣ تخرج منهم من مدرسة القارات الامريكية Escuela de las Americas ٤١١٩ مقابل ٢٨٤٦ لفنزويلا و٢٤٧٢ لبناما، الخ). وهذا ما يفسر ان نفقات هذا الحل الرخيص لا يمكن الا ان يغري رجلا ينزع الى حد غريب الى عدم التمييز بين اموال الدولة وامواله.

رغم ذلك كله لم يكن تاريخ الديكتاتورية ليخلو من محاولات انقلابات عسكرية او تمرد. ولكي يتوقى اناستازيو سوموزا كل خطر من هذا النوع، وضع نموذج تنظيم يجعل السلطة الحقيقية داخل الحرس بأيدي قلة من الناس، هم اخوه الحميم وابنه، واقاربه طبعا، في اخر المطاف.

ومبداه الاول : الوحدتان من جنود النخبة، المكلفتان بالقيام بمعظم عمليات القمع، تحت امرة اقاربه.

المبدأ الثاني : اي ضابط يتولى قيادة حقيقية، لا يمارسها الا على ثلاث او اربعمائة رجل.

المبدأ الثالث : كافة الضباط الذين يتولون قيادة جيش، ينقلون باستمرار بحيث لا يتاح لهم الوقت لخلق علاقات وثيقة مع رجالهم.

المبدأ الرابع : لا تتمتع الوحدات المقاتلة باحتياطات هامة من ذخيرة تمكنها من استقلال ذاتي خطر. فالذخيرة توزع قطرة قطرة ومفتاحها في جيب افراد عائلته.

المبدأ الخامس : يشجع الديكتاتور عن علم وببراعة الشقاق والمنافسة بين مرؤوسيه.

هذا النظام البارع جدا وقت السلم، انقلب وبالا على من ابتكره يوم ان اختار اعداؤه طريق الكفاح المسلح بحزم وذكاء، فأمكن ان ينقلب كل شيء. واسهم في ذلك الهجوم الذي شنته الجبهة الساندينية خلال ازمة عامة.

ولان سوموزا لم يشأ ان ينفق مالا كثيرا في عمليات غير مثمرة ولانه كان يرتاب بضباطه، لم يكن لديه عام ١٩٧٨ غير جيش من حجم متوسط (٨٣٠٠ رجل + ٤٠٠٠ شبه عسكري) سيء التجهيز نسبيا. ثم ان طائرة تكلف غاليا وطيارها خطر. وبشكل ادق، لم يكن تسلح الحرس الوطني يوم ثورة ١٩٧٨ طبقا للصورة التي تكونت عن جيش اشتهر بأنه بين افضل جيوش القارة. لا يشبه معظم الجيوش الامريكية اللاتينية.

يستثنى من ذلك طبعا وحدتا جنود النخبة المزودة بتجهيزات حديثة متقدمة، تقدمها مباشرة الولايات المتحدة او «اسرائيل». حتى ان تدريبه، الـــذي راينا انه كان احد قواه الرئيسية، اصبح موضع بحث في السنوات الاخيرة. فقد خفضت الدورات في بناما الى حد كبير بحجة ان «مدرســة التدريب الاساسي للمشاة» لا تكفي الا لتدريب رجالها هي، لكن الحقيقة لان سوموزا كـان يحذر من المؤثرات السيئة التي قد يتأثر بها رجاله اذا ذهبوا خـارج البلـــد .

وكان لدى سوموزا، بفضل سيطرته الشخصية على الحرس الوطني، من الوسائل ما تمكنه من ان يجعل من الصعب حدوث انقلاب توعز بـــه الولايات المتحدة، التي يمكن ان تتخلى عنه في اللحظة الاخيرة حفاظا علـى الجيش الذي خلقته. ويمكنها ايضا ان تكبح الى حد كبير النشاط السياسي الذي تجهد تقليدا الحركات السياسية في تحقيقه داخـل الجيش الـذي تقاتله. غير ان السؤال المطروح هو معرفة عما اذا كان بقدرته مجابهـــة الحرب .

مثال ذلك : ليحطم ثورة ايلول، لجأ الديكتاتور الـــى تكتيك تميـز بوحشية عمياء واستخدامه قواتها بكثافة. ونفذ، في الواقع ، معظـــم العمليات جنود النخبة من «مدرسة التدريب الاساسي للمشاة» بقيـــادة ابنـه الذي كان يتصل به بالراديو من وكره المحصن ـ بونكر. وهكذا تدخل «اولاد (١) Chiguines » «الولد ـ rhiguin » على التوالي في كـل المدن الثائرة مدمرين كل شيء في مرورهم بها. وروي عن المقدم سومـوزا انـه حين وقف امام مدينة ليون المشتعلة، قال لاحد نظرائه بالراديو: «لـم يعـد ينقصنا غير فتيات ووسكي لتكون هذه الواقعة اسطورة» .

انتهت حملة جنود «مدرسة التدريب الاساسي للمشاة» بالنصر، فقرر حفظ المبدأ نفسه لثورة جديدة، مع تعديل طفيف. راح الحرس الوطنـــي يتحصن، بالاضافة الى مقر قيادته المركزي، في خمسة او ستة مواقـــع محصنة في كل عاصمة محافظة ليقضي على الحركة الشعبية. وكـــانـت الاوامر هي الصمود بقدر ما يمكن، ثم الالتجاء الى الثكنات بانتظار قـــدوم جنود «مدرسة التدريب الاساسي للمشاة». كان التدبير يظهر كافيا، وعلى

---

(١) Chiguines تعني في الاسبانية اولاد، مفردها ولد Chiguin .وقد شاع هـذا التعبير في نيكاراغوا للحديث عن ابن سوموزا واصبح فيما بعد للتحقير ويعني بـــه جنود مدرسة التدريب الاساسي للمشاة الذين كان يرأسهم المقدم سوموزا .

ايـة حال، لم يكن لسوموزا من خيار للاسباب المشروحة انفا .

غير ان عدد المقاتلين الساندينيين الذين انضموا الى ثورة ايلول لـم يبلغ المائتان في طول البلاد. ولكن ماذا كانت النتيجة الاساسية لهذا القمع الوحشي؟ راح عدد كبير من الفتية الشباب muchachas ينضم الـى صفوف الجبهة الساندينية داخل البلد وخارجه. اما البورجوازية الوطنية التي كانت هي ايضا ضحية المجازر، كما اجتذبتها سياسة الجبهة المنفتحة، فقـد قررت تأييدها سياسيا وماليا. مما سهل على الجبهة حصولها عـلى وسائل عسكرية اشد اهمية .

لجأ سوموزا في الاشهر الاخيرة من ديكتاتوريته الى التجنيد الاجباري وبشكل متسارع، فحشد مجندين جددا، فارتفعت عناصر الحرس الوطني الـى ٥٠ بالمئة. واشترى ايضا من السوق السوداء، من العالم كله، سلاحا احدث بقدر ما اتاح له سطحه المالي الحصول عليه بلا صعوبة شديدة. وظلت بطاقة نجاحه الاساسية هي تمكنه من الاحتفاظ ببطاقة الولايات المتحـدة الوحيدة والديكتاتوريات العسكرية في القارة الامريكية .

ذلك كله يفسر سبب تشبث سوموزا بالسلطة حتى النفس الاخيـر، ولماذا كان خطه الوحيد للتوصل الى ذلك هو في وقاحته المتحالفـة مـع تعطشه الى الدم. ويعتمد من اجل ذلك على الحرس الوطني الحارس الامين لسلالتـه منذ نشوئهـا .

امكن للمشاهدين ان يسمعوا في مقابلة بثـت في ١٧ كانون الاول ١٩٧٨ في سلسلة تلفزيون C. B. S. الحوار التالي :

احد الصحفيين : اذا قال لك الحرس الوطني يوما : «نريد ان ترحل ايهـا الجنرال!» هل ترحل ؟

سوموزا : كـلا .

الصحفي : الا يستطيعون ا ن يكرهوك على ذلك ؟

سوموزا : الا اذا لم استخدم القوة ضدهم .

الصحفي : لكنهم هم الذين بيدهم السلاح ...

سوموزا : لكن الشعب معي !

خطة الهجوم النهائي للجبهة الساندينية

حديث القائد يواكيم كوادرا

وضعنا خطة الهجوم النهائي جاهدين في ان نستفيد بأكبر قدر ممكن من تجاربنا الماضية. وتأخذ باعتبارها ايضا المسائل الاقتصادية والسياسية والعسكرية. يمكننا ان نلخص ببساطة خطها الموجه : نضغط على العدو في كل الحقول ضغطا متواصلا ومتناميا حتى الاعياء .

على الصعيد الاقتصادي ، لا بد من ان نمنع بكل الوسائل وصول الاموال التي تمكن النظام من التنفس وتحسين تسلحه ايضا . غير انه يجب عدم الاضرار بالعمال . لهذا ركزنا هجماتنا منذ مطلع عام ١٩٧٩ على عنابر ومرافىء واحرقنا رزم القطن مثلا (المنتج الاساسي مع القهوة للتصدير الى الخارج) ، اي في مرحلة انتاج كان العمال الزراعيون قد اخذوا خلالها اجورهم .

الصورة السياسية والصورة العسكرية لا تفصلان عمليا . كان هدفنا الاول مواصلة الكفاح المسلح المطروح في جدول الاعمال وعن طريقة الثورة وقت ان كانت الامبريالية تجرب كافة المناورات السياسية الممكنة . كان لا بد لذلك من ان نظل باستمرار في موقف الهجوم في الحقل العسكري وننمي في الوقت ذاته العمل السياسي لتنظيم الجماهير وتوعيتها . وتوصلنا الى ذلك بفضل مضاعفة عمليات الانهاك، التي ازدادت اهميتها، وبفضل قيام «حركة الشعب الموحد» .

لمست اثار هذا العمل بسرعة : ازدادت الروح القتالية الى حد كبير ، واتسع الهياج في طول البلاد . ووجدنا انفسنا عند ابواب ثورة في حركة صاعدة لم نسيطر عليها نسبيا .

من الناحية العسكرية ، كانت قواتنا تتجهز وتتسلح . كانت لدينا في الشمال ارتال من ١٥٠ مقاتلا ومناطق واسعة لا يجرؤ العدو على المغامرة فيها . وتوصلنا في

منطقة المحيط الهادىء الى توريب ١٥٠٠ مقاتل سرا ، مسلحين كلهم تقريبا ، بينما واصلنا ، في منطقة الجنوب ، ضغطا جمد عددا هاما من جنود العدو . لكن هذا النمو الخارق طرح مسائل جديدة في التنسيق واضطررنا لمجابهة الكثير من التغيرات لانقطاعنا عن الواقع ، وبعض « الاستباقات » وخير مثال عنها قضية ايستيلي التي تستحق ان نتوقف عندها لحظة .

بالتوازي الى الاعداد للثورة ، وضعنا خطة عاجلة ننفذها اذا تخلى سوموزا عن السلطة او مات فجأة او اطاح به انقلاب عسكري . كان علينا ان نرد على كل مناورة من هذا النوع بالاستيلاء بأسرع ما يمكن على اكبر عدد من المواقع الحساسة بعمليات سريعة وحيوية . وكان ضروريا ان نجني افضل فائدة من الفوضى المحتمة التي يخلقها مثل هذا الحدث في كل البلاد .

ذهب سوموزا في اجازة الى فلوريدا في مطلع نيسان . ولدى اتصالنا بالقائد Comandante روبن ، المسؤول عن منطقة ايستيلي ، انتهزنا الفرصة لنقول له : « رحل سوموزا » من غير ان نحدد انه في اجازة . وتحت ضغط الوضع الذي كان فيه بلا ريب ، فر هذا النبأ بأنه رحيل نهائي ، وفي خلال ساعات قليلة ، شن بكل ما لديه من قوات هجوما على ايستيلي . ولدى اتصالنا التالي به بالراديو ،قلنا له ان عليه ان ينسحب من المدينة وان الوقت لم يحن بعد للاستيلاء على المدينة والبقاء فيها . واستقبل السكان مقاتلينا بشكل لا يصدق ، مندفعين في الشارع مخرجين اسلحة ، مقيمين المتاريس . اصبحنا عندئذ امام مسالة في غاية الحرج من الناحية المعنوية والسياسية : ان انسحابنا يترك الجماهير تحت رحمة عمليات « تنظيف » الحرس الوطني . اضطر روبن اذا للبقاء اياما قبل ان ينسحب برجاله الاشد تواطؤا .وقررنا لمساعدته ان نعطيه شيئا من النفس ونفعل كل شيء لتخفيف الضغط الذي سيرهقه به سوموزا .

كان ابسط شيء لدينا هو دفع قواتنا الى التدخل ، التي لدينا في الشمال، لكنها جميعا كانت في هذا الوقت بعيدة جدا عن مراكز العدو الحساسة . عندئذ حركنا المغاوير الذين ركزناهم منذ وقت في منطقة نويفا غوينيا في جنوب ـ غرب البلاد! شرعت الارتال التي اشتركت في العمليات التي اطلقناها في اماكن عديدة بالقتال ولم تستطع التوقف . اعتبر كثيرون ان ذلك كله ليس له اي معنى واننا نضعف الجماهير الان ونعرض حياتهم للخطر بلا فائدة . وجهدنا من جانبنا لتنسيق هذه الحركات كلها وجعلها خطة واحدة . اما العدو ، فذهل تماما وارتكب اخطاء بما لا يقاس . ارسل الى نويفا غوينيا الفي رجل سحبهم من جبهة الجنوب ، تاركا مئات قليلة من الحرس في هذه المنطقة التي اخذنا عندئذ بمهاجمتها بشكل اكثر تنظيما .

كانت فكرتنا الاساسية اذا الزج تدريجيا بكل قواتنا في المعركة الى ان نبلغ

الثورة ، لكنهـا اصطدمت بمسائل جيش تشكل سرا وبمصاعب جسيمة للاتصال والتنسيق. ومما لـه اهميـة حيويـة فـي مثل هـذه الشروط هـو بنـاء شبكة اتصال بالراديـو في كل البلاد . فـي حيـن انه لـم يكـن لدينـا منهـا شيئا في جبهـة الشمـال الاولى (تشرين الاول ١٩٧٧ شباط ١٩٧٨) كنـا نضطـر لارسال ساعي بريـد الى هندوراس ينقل الرسائل من هنالـك . ثم اخذنـا نستخدم راديـوات هواة وبعض محطات كانت لدينـا . كانـت محادثاتنـا بالرمـز ، نتكلم بعبارات « مزارع « fincas » ، مصانع، ورشات . « ارسل لي عشرة عمال . عنـدي ٢٥٠ محزقـة في متناول يدي .. » .

ثم قررنـا تزويـد كافـة القوات الهامة براديـو مستقل . كانت اجهـزة مدنية اعدها رفيق وحصرهـا بطول موجـة واحدة خشيـة ان يجعلهـا المقاتلون غيـر صالحـة للعمـل بكثرة استخدامهـا . كـان يكفي اذا الضغط على زر ، وذلـك اكثر ضمانا . كانت هـذه الراديوات خفيفـة نسبيـا ، تعمل على بطاريـة سيارة وتنتشر هوائياتهـا بسهولة . شرعنا بتوزيعهـا على الارض في نهايـة اذار ، وكـان لدينـا منهـا قرابة اربعيـن في الخدمة يـوم شـن الهجوم الاخير . وخشينـا في البدايـة من ان يتحرى عنهـا الحرس الوطني ،ولهذا كنـا فـي الايام الاولـى نتحدث باختصار ، وفـي مناغوا مثلا ، كـان لدينـا رفاق ـ في الشوارع المجاورة مهمتهم رصـد السيارات المجهزة بهوائي وجهاز تحديد الموجات. بيد انهـم لـم يستخدموهمـا كمـا يظهـر . وظل عدد التوقف غيـر هام نسبيـا ، رغم ان روبـن، اذا لـم نذكـر غيره ، ظل معزولا عدة ايـام .

لكن ثورة ايستياي غيرت كليـة طبيعـة اتصالاتنـا . ويوم ان قررنـا انسحـاب مقاتلينـا كمـا هـو متوقع ، عقدنـا اجتماعات حقيقيـة بالراديـو اشترك فيها اعضاء القيادة القوميـة ومسؤولو المناطق المختلفـة ، استمرت ساعات . ولما كنـا نستخدم دومـا منـذ قرابة عام طـول الموجـة نفسهـا وشارات الدلالة ذاتهـا ، كـان واضحـا ان يصغـي الحرس الى محادثاتنـا ويستطيع بادنى جهـد وذكاء ان يتبـع تمامـا ما نقول . لكنـه كان مرهقـا فلـم يستطع ان يمنع الثورة من الانفجار .

ورغم المشاكل المذكورة ، توصلنـا منذ ايار الـى اعادة دمج قواتنـا في خطـة شاملة، ظلت فكرتهـا الاساسيـة الضغط المستمر على القوات العدوة في نقاط مختلفـة من الارض بهدف تشتيتهـا . وتتمفصل حـول ثلاث « كتل » منطقيـة .

كانت الحقبة الاولـى على مضاعفـة نشاط المغاوير تدريجيـا فـي « الكتلة ١ » ، فـي الشمـال ، المنطقـة ذات التقاليـد الساندينية والتي يوجـد لدينـا فيهـا الكثيـر مـن السلاح والمقاتليـن . كـان لهذه المرحلـة ان تمتـد الى ان يتم الاستيلاء على المدن وتحريرها كليـة . يجب ان نوضـح ايضـا اننـا فكرنـا بوجه خاص في ماناغالبا في اطار مـا عانى منـه سكـان ايستيلي من قمع سابق في هجوم نيسـان وحيث انسحب مـع روبن عدد كبير من المتعاطفيـن معنـا فـي قواتـه .

وفي الحقبة الثانية ، انتقلت « الكتلة ٢ » الى العمل ، وهي في الجبهة الغربية، في شمال ـ غرب البلاد في الواقع ، وهدفها الاستيلاء على ليون وشينياديفا .

ولذلك فكرنا بالدعوة الى الاضراب العام وزج « الكتلة ٣ » في المعركة، اي المنطقة الوسطى الجنوبية من البلاد (مازيا ، غرناطة ، كارازو) .

كان على مقاتلي الجبهة الجنوبية مهاجمة الحدود بين كوستاريكا ونيكاراغوا طوال هذا الوقت بهدف تجميد اكبر قدر ممكن من القوات العدوة ، او تقديم او عكس نسبة قواتنا المسلحة بشكل حاسم لصالحنا ، لا سيما بفضل ادخال معدات عسكرية تقنية لم تكن لدينا وسائل نقلها الى جبهات اخرى .

تركنا ماناغوا حتى المرحلة الاخيرة . وفكرنا ان نفجر فيها ثورة شعبية باشتراك مقاتلينا ، حين تشرع قوات مختلف « الكتل » باقامة « حلقة ستراتيجية » حول العاصمة وتقترب منها . كانت تقدمية هذه الخطة مختلفة جدا مع الخطة التي طبقناها في ايلول ١٩٧٨ حيث اندفعنا مهاجمين في كل مكان وفي الوقت ذاته بكل قواتنا . ولهذا رد سوموزا بحشد جيوشه من النخبة ، على التوالي ، ضد كل مدينة ثائرة . اصبحنا اقوياء بهذه الخبرة ففصلنا ، من اجل الهجوم النهائي فتح جبهة تلو اخرى فنجمد بذلك جيش الديكتاتور الذي يرى ، قبل ان يتمكن من تسوية مسالة، ظهور جبهة جديدة في نقطة اخرى من الارض ، لكنها اقرب الى العاصمة في كل مرة. فنحن نجد في ذلك احدى المميزات العسكرية الجوهرية للثورة النيكاراغوية ،وهي استخدام ثلاثة اشكال من الحرب بشكل مترابط : حرب المغاوير والثورة الاهلية المسلحة والحرب الكلاسيكية .

ان المبدأ العام للخطة التي عرضتها الان كان جديرا بالاحترام . لكن الاحداث قلبت برنامجنا جزئيا .

النشاطات الرئيسية السياسية والعسكرية للهجوم النهائي حتى تاريخ ٢٨ حزيران ١٩٧٩

منذ الاسبوع الثاني من ايار ، اشتدت عمليات الانهاك في الارض كلها ، وخاصة في محافظات مازيا ، ليون ، شيناديغا ، ماناغوا ، كارازو ، خينوتيغا ، ريفاس ، ريون سان خوان وايستيلي . فمكنت من الاستيلاء على عدد كبير من الاسلحة والذخيرة واضعفت الحرس الوطني . احتلت خلال ساعات قليلة احياء ومدن ، فمكنت الجبهة من تحقيق عمل هام لاعداد الشعب عسكريا وسياسيا للثورة المسلحة .

٢٨ ايار ـ الاستيلاء على مدينة كونديغا ، شمال ايستيلي .

٢٩ ايار ـ معارك حامية قرب قاعدة بويترو كابيزاس العسكرية عند ساحل الاطلسي ـ وحدة ساندينية تحتل حامية الى نارانخوا على ساحل المحيط الهادىء قرب حدود كوستاريكا .

٣٠ ايار ـ الجبهة الساندينية تدعو لاضراب عام في ٤ حزيران . اصبح الشلل المدرسي شاملا تقريبا منذ هذا الوقت وخف النشاط التجاري في ليون وماناغوا وايستيلي ومازايا ـ ارباض مدن وال ناراخو وال اوستيونال حتى حدود كوستاريكا تعلن « مناطق محررة » ـ مصادمات خطيرة في شيناديغا .

٢ حزيران ـ معارك حول شيناديغا والاستيلاء على اينجينيو سان انتونيو ، المركز الرئيسي لصناعة السكر في البلاد .

٣ حزيران ـ الجبهة الساندينية تفضح مساعدة عسكرية وصلت الى

سوموزا من الولايات المتحدة عن طريق قواعدها في قناة بنامـا ، وارسال اسلحة وذخائر من غواتيمالا وسلفادور .

٤ **حزيران** ـ بدء الاضراب العام وقد نفذ مئة بالمئة في ماناغوا والمدن الرئيسية ـ الساندينيون يتقدمون في ليون ـ يسيطرون على المناطق الريفية في محافظات ايستيلي ، ماتاغالبا ، خينوتيغا ونويفا سيغونيا في شمال البلاد ويشرعون في الاقتراب من عواصم المحافظات .

٥ **حزيران** ـ الاستيلاء على مدينة سوموتيلو شمال شيناديغا . ـ بداية المعارك في مدينة ماتاغالبا .

٦ **حزيران** ـ معارك في مازيا والاستيلاء على تيكوانتيبه شمال هذه المدينة ـ معارك في مدينة اوكوتال ، عاصمة ولاية نويويفا سيغوفيا . ـ الاستيلاء على شيشيغالبا ، شمال شيناديغا ، ونواح مختلفة تحيط بالمدينة .

٨ **حزيران** ـ معارك في كافة قطاعات الشمال والجنوب والغرب من البلاد تقريبا . غير انه من وجهة النظر العسكرية الصرفة ، كان الهجوم الساندينى يراوح . فأهالي اوكوتال وخينوتيغا لم يثوروا واضطرت ارتال الجبهة الساندينية الى الانسحاب . وجرح جيرمان بومارس ، أحد القادة الساندينيين اللامعين ، جراحا مميتة لدى خروجه من خينوتيغا . واستعاد الحرس الوطني سيطرته على مازيا بعد قصف بحري وبري وجوي كثيف ، وطرد الساندينيين من المواقع التي احتلوها في نارانخو وال اوستيونال في الجبهة الجنوبية . وصد الهجوم على مدينة شيناديغا التي ظلت ارباضها تحت سيطرة الجبهة. كان جنود سوموزا يقاتلون خطوة خطوة . يتحصنون في المدن التي استولت عليها الجبهة او في المباني العامة ، مثل الكنائس والمشافي .. حيث يصعب على الساندينيين ترحيلهم لنقص في اسلحتهم الثقيلة . فاتخذت القيادة القومية والاركان العامة للجبهة الداخلية قرارا بخوض معركة ماناغوا قبل الوقت المقرر .

٩ **حزيران** ـ عمليات انهاك في العاصمة .

١٠ **حزيران** ـ بدء الهجوم على ايستيلي ـ بدء الثورة المسلحة في مختلف احياء ماناغوا .

١١ **حزيران** ـ الساندينيون والاهالي يسيطرون تماما على غرب المدينة ـ خنادق ومتاريس تسد الطريق على الحرس الوطني . ـ تحرير

كونديفا ولاترينيداد ، شمال وجنوب ايستيلي .

١٣ حزيران ـ الجبهة الساندينية تستولي على غائتادا في محافظة شونتالس .

١٤ حزيران ـ ديريامبا، شمال العاصمة، تنتقل الى السيطرة الساندينية .

١٥ حزيران ـ تحرير مقر بينياس بلانكاس العسكري عند حدود نيكاراغوا كوستاريكا .

١٦ حزيران ـ ارتال الجبهة الجنوبية تواصل اندفاعها وتستولي على سابوا ، على بعد ٥ كيلو مترات شمال الحدود . ـ القيادة القومية المشتركة للجبهة الساندينية تعلن قيام حكومة اعادة البناء الوطني .

١٩ حزيران ـ الساندينيون يسيطرون على اكثر من نصف ايستيلي . ـ تحرير الكثير من القرى في محافظة شونتالس ، غرب العاصمة . ـ سوموزا يقصف بالطائرات الاحياء الثائرة في ماناغوا .

٢٠ حزيران ـ الحرس الوطني يطرد نهائيا من ليون ويلتجىء الى حصن اوكازاكو الصغير . ـ المباشرة فورا بتنظيم اعادة البناء .

٢١ حزيران ـ القوات الجوية الساندينية تقصف المنشآت العسكرية المحيطة بوكر سوموزا المحصن .

٢٣ حزيران ـ قصف جوي ساندينى فوق خنادق الحرس في ماتاغالبا . ـ الاستيلاء عنوة على آخر محرز للحرس في مدينة مازايا .

٢٧ حزيران ـ القوات الجوية الساندينية تقصف مطار لاس مبرسيدس وتلقي للثوار في ماناغوا بكميات كبيرة من الاسلحة ولا سيما الذخيرة .

في ليلة ٢٧ ـ ٢٨ حزيران اخذت القوات الساندينية ، التي قادت عملية الثورة في ماناغوا ، تنسحب من مازايا ومعها قرابة ٦٠٠٠ رجل. فكان واضحا ان يتصور سوموزا هذا الانسحاب بمثابة هزيمة ، توقع من ورائها ان تطلق يده « لسحق الثورة » في بقية البلاد .

٢٨ حزيران ١٩٧٩ :

تكشف الوضع العام على النحو التالي :

توصل الساندينيون في جبهة الجنوب الى تجميد شطر هام من وحدات النخبة للحرس الوطني ، لكنهم لم يكونوا بمستوى تحقيق خرق سريع . خاضوا حربا كلاسيكية لم يشترك بها الاهالي لان منطقة المعارك كانت غير مأهولة عمليا .

واستأنف سوموزا سيطرته على ماناغوا التي رسخ فيها سلطته .

ولم تحقق بعد الثورة الشعبية المسلحة غير تحرير جزئي في شمال وغرب وجنوب وشرق العاصمة . وكانت جيوب المقاومة للحرس الوطني عديدة (مدن بكاملها : شيناديغا، اوكوتال ، غرناطة ، الخ . او خنادق محصنة : ايستيلي ، ماتاغالبا ، الخ) .

وراوح الهجوم النهائي خطوة ثانية . غير انه كان ما يزال باستطاعة الساندينيين ان ينتصروا اذا أحكموا اغلاق « الحلقة الستراتيجية »حول ماناغوا . ولكي يتوصلوا الى ذلك ، كان عليهم اولا ، وطبقا لخطتهم، ان ينهوا تنظيف الاراضي المحررة .

الاثنين ٢ تموز

يمكن لاحمق ان يجعل عمل فرقة بكاملها هباء منثورا في ايام قليلة

تيغوسيغالبا ـ عاصمة هندوراس ـ الساعة ٩ ـ اريد ان اصل الى المنطقة المحررة من نيكاراغوا . حاول لويس، المغوار المحنك ، ان يشرح لي خط السير فوق خارطتين منبسطتين امامه . اكبرهما مصمم لطيارين، والثانية اطلس ، نبحث فيه عن نيكاراغوا بعد تدقيق مجهد . كانت مخاطرة في مثل هذه الوسائل . اعتذر وهو يقول باسما :« ليس لدينا الوسائل الضرورية بعد . لكن من حسن الحظ ان ذلك لم يمنع الثوريين الحقيقيين ابدا من الفوز » .

ذلك مؤكد . لكن شرح خارطة مسيرة غير مألوفة ، شاذة ، يصبح مستحيلا تقريبا في مثل هذه الشروط . حتى حينما ندرك ان ما لدينا من بسالة انما مصدره الشعور باننا سنغامر بجلودنا . كان علي ان التحق عند الحدود برتل من الشباب الساندينيين واحاول ان اصل معهم الى ايستيلي في المنطقة المحررة . كانت المرحلة تستغرق خمسا واربعين دقيقة في وقت طبيعي بطريق « بان اميركين » . لكن الحرس الوطني ما يزال يراقب بعض النقاط الستراتيجية بامتداد المحاور الرئيسية . لم يكن امامنا اذا غير دروب الجبل والعطفات التي تستغرق ساعات . ولا ننسى الكمائن الممكنة دوما . وجنود سوموزا الذين هضموا بسرعة تكتيكات المغاوير التي جعلها استخدام طائرات

الهيليكوبتر وكل سلاح مطلوب فعالا تجاهها الى حد مفرد .

نصحني لويس الذي لم يكن مطمئنا جدا الى القذف بمدني في المشروع : « تلزمك جزمة مشي وحقيبة ظهر ومطرة . ستكون حالتك جيدة ، وآخر نصيحة ، لا تنس ما فعلوا بالصحفي الامريكي » .

ـ أتراهن على اللقاء في ماناغوا ؟

ـ موافق !

الساعة ١٧ ـ جاء مجهول يسأل عني . انطلقنا بشكل مصطنع. رحنا نتجول في جميع اتجاهات تيغوسيغالبا لنتقصى ملاحقين يحتمل انهم يتتبعوننا . فالشرطة الهندوراسية ضاعفت من مراقبتها واعتقلت الكثيرين منهم منذ ايام قليلة .

الساعة ١٨ ـ غادرت اخيرا المدينة برفقة رجل في الثلاثين في شارع لاتيني كلاسيكي وشاب حليق الشعر . كان الاول يسوق بسلطة ظاهرة ، في حين كان الثاني يسند ظهره الى المقعد الخلفي صامتا. كانت الطريق طويلة حتى الحدود ، والحديث صعب ، اذا لا يجروء احد على المبادرة به خشية خرق القوانين القدوسية ، لكنها حيوية للسرية وتقسيم الفئات الى اجزاء مستقلة . لم ألف بعد تواضع المقاتلين الحقيقيين فسرني ان اتصور ان سائقي هو قائد ذو ماض لامع ...

ـ من اين قدمت ؟ ـ من فرنسا .

آه ! تدربت في مونبليه عام ١٩٧٢ بعد ان انهيت دراسة الحقوق زالت اوهامي . ان مهمته تقتصر على النقل ، ورفيقنا في السفر «سيضم الى الكفاح » . طالت شواطىء الصمت حتى الخدر . هجع الليل .

معدتي تتلوى الآن . الحرب والثورة لم تكونا حتى الان غير اقوال سهلة التلفظ ، ساحرة بقدر ما تكون مجردة . لكنها الان تفلت سافرة من غير ان نستدرك جانبها من الحقيقة .

لا علاقة بين الموقفين .

اذا واجهنا كمينا ننبطح ارضا . الا نتحرك ؟ لكن ما العمل اذا نجوت من الخطر ـ وحيدا طبعا ـ في بلد لا اعرفه ؟ اعود الى هندوراس .نعم.. سأضطر للبقاء وقتا اكثر عند « رواد فرنسا » . او التحق بالخدمة العسكرية .. واذا اختار سوموزا هذا الوقت ليشن هجومه المعاكس ؟ الساندينيون لن يتراجعوا ابدا ... بقدرته ان يقتل الجميع ... اموت فظيع ؟ ام جرح بسيط ؟

ـ هل اعطاك احد قائمة الادوية الضرورية ؟

ـ لم يفاتحني بها أحد . غير انه لدي بعض المضادات الحيوية والحبوب لمكافحة الملاريا ودواء مسكنا للالم .

ـ رانت بسمة حنان .

ـ هذا غير كاف . مخاطر الوباء كبيرة في المدن الخالية من الماء والكهرباء التي يدمرها العدو يوميا . ليس لدينا دوما وقت لحرق الجثث . ارجو ان تكون ملقحا ضد الكزاز ...

ـ لا اعرف ابدا ... مضى على ذلك زمن .. لماذا ؟

ـ بسبب جروح الرصاص . ينسى في الاغلب انها تنقل الجراثيم بقدر ما يتنقل المرء في كل مكان . حتى الخدوش يمكن ان تكون قاتلة ..

لقد فاته اكثر من ذلك . انفجر ضاحكا .

ـ ... اطمئن . شظايا قنابل مدفع الهاون معقمة عمليا بحرارة الانفجار . لكن ما يضجر فيها مصدره حروفها المحددة التي يصبح استخراجها خطرا جدا مهما يكن ..

ران الصمت ثانية .

اموت فظيع ام نزع بطيء ؟ اما الجروح الخفيفة .. لكن كيف يتصرف هؤلاء الآلاف من الشباب الذين يتوجهون الى المعركة في شفاه باسمة ؟

راح المطر ، الذي رافقنا منذ انطلاقنا ، يفرقع فجأة فوق واقية الريح . وانطلقت العاصفة الاستوائية مؤثرة مدهشة اكثر من اي وقت اخر . وبروق تدوم في السماء قريبة جدا . واصبحت الجبال المحيطة بنا مرعبة . والرعد يسمع رغم هدير المحرك والزجاج المغلق . حتى الريح ، تهب عاصفة ... الارض مخضلة ، مفعمة حرارة ، يتصاعد منها البخار .. طفح الكيل .. نمت !

الساعة ٢٠٫٣٠ ـ طلب الي السائق منبها ، هزّ نفسك وافتح عينيك . لدينا موعد امام جسر ... غير اني اعرف خمسة منها على بعد عشر كيلومترات . ويلل ، المسؤول عن المنطقة ينتظرك في سيارة شيفروليه صفراء . تأخرنا ساعة ... آمل انه ما يزال هناك لانه ليست لي صلة بغيره .

راح يبطىء ويسرع ويلف عطفات حتى توقفنا اخيرا على مقربة من سيارة شيفروليه من النموذج الذي اشار اليه ... في لون رمادي ... لكنها مع ذلك جيدة .

انفصلنا .

ـ هذه لك . قال لي السائق ذلك وهو يمد الي حقيبة بلاستيك اخرج منها قميص خاكي وشيئين غريبين، احمر واسود، كتب فوقهما بأحرف بيضاء F. S. L. N. ـ الجبهة الساندينية للتحرر الوطني ـ وعدة يظن انها عدة رصاص تماما، وانبوب ذكر وانبوب انثى الخ. وقنابل يدوية بملعقة حقيقية ومشبك امان من صناعة يدوية تماما .

ـ صناعة منزلية. انها اقوى بمرتين من قنابل العدو واكثر امانا.

كانت هدية محيرة. كان ممكنا ان توحي مثل هذه القنابل بالاطمئنان لو لم تمثل كل ما ينتظرنا من مخاطر. غير اني مبدئيا وخوفا ايضا، لن اضيع وقتا طويلا فأعطيها لاخ يموت اليها شوقا .

نحو الساعة العاشرة مساء وصلنا سان ماركو دي كولون ، اخر مدينة قبل الحدود. تضاعف سكانها في اسابيع قليلة. النيكاراغويون يهربون من الحرب. واخذ بعض السوموزيين يهربون . كان ذلك نعمة هبطت من السماء على الجنود الهندوراسيين. يحققون في الهوية ويعتقلون بشراسة وعنف. اقل ما فيهم من خطر حين يوسعون لكما يصعب تمييزه عما اذا كان جلسة تعذيب حقيقية. واكبر ما فيهم من خطر حين يسلمون المجرمين. لكن ذلك كله يتعلق بوضوح بما لدى المستجوب من مصادر مالية ..

اوقف ويلل السيارة .

ـ ستمضي الليل في احد منازلنا المأمونة. تعال اقدمك الى اوتو المسؤول عنها. نفذنا الى حجرة واسعة يقطعها شقين حاجز خشبي. تسمع فيها اصوات راديو وضحكات اطفال وعائلة تجلس في اخرها. لبثنا فيما يستخدم بمدخل وصالون وقاعدة للاجتماعات. ارضها مرصوفة بورق وردي في ازهار زرقاء. وفوق جدار عار علقت بشكل منحرف صورة بلون صباغ نبتة الوسمة تظهر زوجا وزوجته يوم عرسهما. الرجل في شارب دقيق وربطة عنق، والمرأة في جديلة شعر ملتفة في مؤخرة رأسها بشكل كعكة، وطوق في عنقها من لؤلؤ كبير الحجم، وبسمات العروسين جامدة، ان كان ثمة بسمة. والة خياطة من نموذج سينجر تكمل الديكور مع ثلاث ارائك بالية لا تذكر بأنها كانت في لون ازرق ابدا، وديوان وكرسيان وباقة ازهار من ورق وصورة دينية .

خمسة رجال بانتظارنا، في سيماء منصدمة. جاؤوا يقدمون لويلل تظلمات قرية سان فرانسيسكو ديل نوترة على بعد كيلومترات قليلة من الناحية الثانية من الحدود. ان «قائدا» ساندينيا تولى فيها الامور بشكل لا يناسبهم ابدا .

ـ يظهر عليه انه عقيد. انا لا اقاتل الطاغية ليرسلوا لنا نفس الاشخاص من قبل. حين قلت له «انكم» اول من اجتمع به لاول مرة اجابني ببرودة: كف عن قولك «انتم» هنا. هذا يجمل بالبورجوازيين. نحن متساوون جميعا ونتكلم بصيغة المفرد (بلا كلفة). لبثت معقود اللسان من جراء ذلك. حتى انه اراد ان يعدم رجلا سرق. لكن مع ذلك يجب عدم المغالاة .

نهض احد الفلاحين وتقدم ثلاث خطوات وتنحنح :

ـ جلبت بقرات من مزرعتي Jinca لتبيعها القرية وتشتري بثمنها ادوية او سلاحا. تركها ثلاثة ايام بلا طعام. هذا يمثل خسارة محترمة في الوزن فالنقود اذا. انا لا اقول ذلك لمصلحتي. انها الان لاهل القرية .

سجل ويلل ملاحظات في دفتر في سلك حلزوني وطلب ايضاحات :

ـ ما هي نزعته ؟

ـ بروليتاري .

ـ كلا : ثالثي .

ثار ويلل غضبا :

ـ لم نرسل احدا. على اية حال سأهتم بذلك الشخص . اذا كان بروليتاريا سأنقل اليهم القضية. وان لم يكن كذلك فسنتكفل به نحن.

قيل ذلك كل في عشر دقائق. كان على «المتظلمين ان يقطعوا ايضا خمسة عشر كيلومترا على اقدامهم عبر الجبال ليصلوا بيوتهم. لم يكن ويلل قد اعد كل شيء لغد .

ـ كن مستعدا للذهاب الساعة التاسعة . تحية لك ؛

ـ ران صمت. كان اوتو يلف ساقيه ويباعدهما. ثم انفلتت كلماته قائلا اخيرا : هذه مسألة خطيرة. هؤلاء الناس متأثرون جدا لشعورهم انهم اصبحوا الان بين الحرب او الاعدام رميا بالرصاص. ساعدونا كثيرا لكنهم ليسوا واثقين من فوز الجبهة. ان خسرت، سيكون القمع رهيبا ويكونوا اول الضحايا. ان احمقا يمكنه في ايام قليلة ان يحيل هباء منثورا عمل فرقة بكاملها استغرقت فيه اعواما عديدة. افراد كثيرون لا نعرفهم يحاولون استغلال الفوضى الراهنة التي لا يمكن تجنبها ليفرضوا انفسهم. حتى انهم عن نية طيبة احيانا. غير انه علينا ان ننبه الجميع. الشعب يترصد اقل تفصيل وتناقض لاصغر مسألة، ليس للاضرار بنا وانما ليفهم ويطمئن. ان تغيير مجتمع بوحشية لسلوك فيه قساوة. انا نفسي اريد جدا ان اطمئن ...

وتوقف فجـأة :

ـ هل تعشيت ؟

ـ لم اتعش حقا .

طلب الى زوجته الممددة في الناحية الثانية من الحاجز: ـ انهضي . ضيفنا جائع .

اعتذرت فورا، وانعمت علينا ببسمة واسعة رغم ما فيها من تعب.

تتابع النقاش حول مائدة امام طبق فاصولية حمـراء (frijoles) بالجبن ، وقشدة وقرص ذرة (torillos) . كان الاكل باردا لان الكانون ـ fogon وهو فرن ترابي تضرم فيه ربات البيوت نار حطب طوال اليوم ـ كانت منطفئة . اوتو في الاربعيـن من عمره ، في جسم صغير صلـب وشعر رمـادي وشارب يحمله بقوة . راح يـروي بمقتطفات مترويـة استشففت منهـا نتفـا مـن حياته النضاليـة : اجتماعه بكارلوس فونزيكا امادور ومناقشاته ، ورحلته القصيرة على حسابه الخاص منذ الساعـات الاولـى من الثورة الكوبيـة . فجعلت منه متطلبات النضال اخصائيا في المسائل العسكريـة . ولهذا هـو مسؤول عـن تدريب وعبور النيكاراغويين العائديـن الى نيكاراغوا .

قال وهـو يمرر يده فوق رأسه : ـ ادخلت ١٥٠ مقاتلا في الاسبوع الماضي فقط . الجميع لا يولون قيمة لما يجري في شمال البلاد . لا بد وان يبلـغ عدد الرجال المسلحيـن في المنطقـة خمسة آلاف او ستة الاف مقاتل والصحافـة العالميـة لا تتحدث الا عـن الجبهـة الجنوبية . حتى الزعمـاء احيانـا ...

كانت قناعات اوتو واضحة . تبرق عيناه حين يتحدث عن الثـورة والتغيرات التي ينتظرهـا والعمل المنجز . ولهذا لـم ينس ان يتساءل عن دعم الشعب مثـلا وتردده ايضا . « دخلت ارتالنـا منذ ايـام الحرب الاولى اوكوتال وخينوتيفـا . لكـن الرفاق اضطروا للانسحاب بعد ساعات طويلة من القتال من غير ان يحمل اليهـم الاهالي ولو كأس ماء . لا نستطيع الفوز بالحرب من غير مشاركـة شعبيـة .

ـ كيف تفسر ذلـك ؟

ـ كان من الصعب جدا ان يهب الناس هبة رجل واحـد في كل مكان. تتدخل عوامل كثيرة في مثل هذه الاوقات : الخوف ، حب المال او الحياة. لست متأكـدا مـن ان اجنبيـا يمكنه ان يدرك ضغوط الحرس الوطنـي والحزب الليبرالي اليوميـة . سيطرتهم قاسيـة خاصة في الشمال لمعرفتهم

تقليده الثوري . وبالارهاب خاصة ، توصلوا الى خلق جيوب صغيرة لا يخشون فيها شيئا . ولا ننسى غسل الادمغة منذ اعوام بوسائل الاعلام السوموزية . تأثيرها شديد على الاميين ـ يشكلون هنا ٨٠ ٪ ـ والذين يعيشون بعيدا عن العاصمة والمدن الكبرى . عشت في جبهة الجنوب مشهدا مؤثرا بهذا الصدد . كان في مطبخ مقر سابوا . كان مقاتلا فتى يقشر خضروات ويصغي الى « الراديو الوطني » . اعلن المذيع نبأ انتصارات كبيرة للحرس الوطني وتراجع « العصابات الساندينية ـ الكاسترويـة ـ الشيوعية » ، بصوت ملتهب طنان كما تقتضي الظروف . اضطرب الرفيق وتوقف لحظة ليتساءل بصوت مرتفع : « اذا كان هذا صحيحا؟ « Sera verdad ? »

ـ أنت ترى ان اكاذيبهم تمشي حتى في صفوفنا ايضا .

تردد اوتو ونظر الى حذائه قبل ان يحدق بي مباشرة .

ـ وما يقلقني تأكدي من ان راديو ساندينو لا يقول الحقيقة دوما. مثلا ، تحدثوا مؤخرا عن « انتصار » ال ليمايو . كان الحرس الوطني قد انسحب بكل بساطة وسيطر الاهالي على المدينة بالحجارة والسواطير من غير ان يشترك معهم مقاتل واحد . فأصبح الذين يعرفون ذلك والذين استمعوا الى الراديو يصدقوننا بصعوبة كبيرة فيما بعد . تكرار مثل هذه الثغرات فيه خطورة . لا يمكن للثوريين ان ينتصروا من غير ثقة الشعب بهم .

الاستمـــرار التاريخـــي

حديث القائد هومبيرتـــو اورتيغـــا

الثورة القائمة ليست غير جزء من كل تاريخي : عمليـة الحـرب الاهليـة الثورية التي خاضهـا ساندينـو .

في «الحرب الدستورية» ، التي بدأت عام ١٩٢٦ ، قاتلت قيـادة الحزب الليبرالـــي للوصول الى الحكم اكثر ممـا قاتلت لتحقيق تغيرات جوهرية . ولكي تجتذب الشعـب ، استندت الى عمليـة زيلابـا التقدميـة ، لكنهـا في النهايـة استسلمت كليـة للامبرياليين. ولسرعـان مـا اختلط محتوى خطهـا السياسي بمحتوى الخط السياسي للاوليغارشيـــة المحافظة ، المسيطرة على ادارة الدولة يومذاك .

وزال الالتباس عام ١٩٢٧ حيـن اوقف مونكادا القتال . لكـن ساندينو واصل وحـــده القتال على رأس رجال من الشعب . وبذلـك شهدنـا الاستقطاب التاريخي بين البورجوازيات المحافظـة والليبراليين الخاضعين لاوامر اليانكي ، من ناحيـة ، والحركة الثوريـة الوليدة، مـن ناحيـة ثانية . يمكننا القول ، باستخدامنـا تعابيـر كلاسيكية ، ان طبقـة المستغلين جابهتهـا طبقـة المستغلّين في ذلـك الوقت . عندئذ ولدت الحركـة التي ولدت فيمـا بعد حربنـا الاهليـة الثوريـة .

وقاد ساندينو حتى عام ١٩٣٢ حربا تحرريـة مناهضة للامبرياليـة . وتخلى لحيـن عـن مجابهـة البورجوازيـة والاوليغارشيـة المحليـة . وانتصر ، غيـر ان هذه الهزيمة التـي حلت بالتدخل الاجنبـي لـم يكـن ممكنـا تفسيرهـا بمكاسب كبيرة فـي الحقلين السياسي والاقتصـادي ، وذلـك لاسباب مختلفـة ، مثل السياق التاريخي والوضع الدولي وتخلف الحركـة العماليـة النيكاراغويـة ، الخ . كانت الحرب قـد اوقعت خسائر فـي الارواح بلغـت ١٠٠٠٠٠ ضحيـة منذ اول تدخل اجنبـي عام ١٩٠٩ . واصبـح الشعب متعبـا .

فكان لا بد من التشديد على العمل السياسي والتنظيمي وابرازهما وليس العسكري فحسب . كان ساندينو يدرك ذلك . فلم يكن في نيته ان يقف موقف المتفرج منهما. فأعطى الكفاح ضد الجيوش الامريكية محتوى شعبيا « للتحرر الاجتماعي » ، كما ذكرنا، مشيرا الى ان الليبراليين والمحافظين ليسوا غير عصابة رعاع اوباش . وأراد بعد رحيل الغرينغو ان يخوض المعركة ضد القطاعات التي باعت نفسها لهم . حتى انه تحدث عن خلق حزب بمشاركة الطلاب والعمال وجنوده . عندئذ اغتيل عام ١٩٣٤ وكان قيام الديكتاتورية .

غير ان عملية الحرب الاهلية لم تختف باختفاء ساندينو . تجلت التناقضات الطبقية بوضوح شديد وعادت الحركة الثورية الى البناء تدريجيا . ولم يكن عن صدفة ان لاقى ساندينيون اخرون حتفهم ، مثل بيدرو التاميرانو عام ١٩٣٧ والبيرتو ريس عام ١٩٤٢ . وقامت حركات مسلحة في شروط صعبة جدا عام ١٩٤٧ و١٩٤٨ في نقاط مختلفة من البلاد .

في هذا الوقت ، نمت البروليتاريا الزراعية وتطور الوضع الاجتماعي ودخلت السوموزية في ازمة في الخمسينات .

وانفتحت مرحلة جديدة من الكفاح المسلح حينذاك بدأت بعمليات فردية اشهرها الاقتصاص من مؤسس سلالة سوموزا . فخلقت شروطا معنوية مكنت بعض مواطنينا من تنظيم انفسهم والتعبير عن ذاتهم عبر مجوعات اقوى بناء . وشهدنا ظهور حركات كفاح مسلح بلغت اكثر من عشرين حركة منذ مصرع الديكتاتور عام ١٩٥٦ وتشكيل الجبهة الساندينية عامي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ . كان فيديل كاسترو ما يزال في سيرا مايسترا التي شكلنا فيها اول فرقة لنا من المغاوير بقيادة رامون راودالس ، المحارب العريق في في صفوف ساندينو . مما يشهد على الاستمرارية التاريخية التي نستند اليها. فالجبهة الساندينية هي مركب من جهود هذه الاعوام كلها . جمعت في هذه خيرة الرجال وافضل الخبرات لتدمجها في حركة مسلحة وسياسية . غير اننا نؤكد انها لم تولد في هذه الحقبة وانما تحي عملية سياسية وعسكرية لم يستطع ساندينو اكمالها . عملية الحرب الاهلية الداخلية لعدم وجود تدخل مباشر من جانب الولايات المتحدة رغم سيطرتها الشاملة على الحقول السياسية والاقتصادية والثقافية وحتى العسكرية بوساطة الحرس الوطني المسخر .

هذه العوامل كلها مكنت كفاحنا من القوة والاستمرار في شروط ربما لم تعرفها بلدان امريكا اللاتينية الاخرى . وواقع ان بدايتنا الجديدة كانت متزامنة مع انتصار كوبا ولم تبدأ بفضل مثالها، يفسر بلا ريب قدرتنا على المقاومة حتى النصر .

الثلاثاء ٣ تموز

البندقية ليست غير مظهر للقتال

استيقظنا الساعة ٦،٣٠ . كان طعامنا ، لنحتاط للطريق ، فطورا جافا من فاصوليا خمراء وبيض وقرص ذرة وموزا وقهوة . اذاع راديو هندوراس نبأ شن الهجوم العام على مدن ليون وماتاتغالبا وايستيلي وتروبلانت . لم يتحدث عنه احد حتى الآن غير الصحفيين السوموزيين كأمر واقع .

قالت زوجة اوتو من غير ان تفارق فرنها : ـ كيف يمكن ذلك ؟ في حين انهم يخسرون مواقعهم في كل مكان تقريبا . حتى ان الغرينغو أعلنوا رحيل سوموزا ليوم السبت . لكنه يريد ان نبقي له على حزبه وجنوده . لا مجال لان نقبل . عانينا الكثير من الحرس . قتلوا خلقا كثيرا ، قتلوا الاطفال . يستطيع هو البقاء تقريبا . لن يطيعه احد ، فلن يتمكن من الايذاء اذا . اما الحرس الوطني ، فلا !

كنا ننتظر برفقة صبية البيت . قدمت الى اصغر البنات فليفلات كبيرة عرضتها عليّ بدهاء تريدني ان آخذها على انها حبات بندورة . اما اخوها ، البالغ السادسة عشرة ربيعا ، واصبح مقاتلا منذ هذا المساء وسيسافر معنا ، فقد اراد ان يعرف « كيف يسمى البيزو الفرنسي » .

الساعة ١٠ ـ انطلقنا وبدات العطفات . ابتعدنا عن نيكاراغوا لنضلل الجيش الهندوراسي الذي اعترض منذ وقت قليل رتلا اضطر ان يستسلم اليه بلا قتال . سرنا بلا حذر مجموعة واحدة في حافة الطريق .

ثم تباعدنا حين أخذنا اول طريق تختصر عرضيا لنتجنب مزرعة غير موثوقة . واحطنا بها بشكل مجموعات من رجلين الى ثلاثة. كان معظم رفاقي لا يظهر عليهم العشرين عاما . يعودون الى بلدهم ليشتركوا بالثورة رغما عن آبائهم الذين اجبروهم على الهرب معهم من نيكاراغوا .

امضينا الساعتين الاوليتين في شاحنة ، نحل فيها احيانا بجانب بقر او اكياس حبوب ، غير اننا ، الى جانب ذلك ، نركض في الاغلب ونختبىء عند اقل تحذير او ندفع السيارة لنخرجها من الوحل. كان الجميع يعملون بمثابرة تنم عن تربيتهم غير انهم يفتقرون الى الاوامر التي يجب عليهم اطاعتها . كان رئيس البعثة يجلس في حجرة السائق لا يظهر ابدا . كانت بادرته الهامة قيامه باشارة الصليب حين مررنا امام كنيسة . قام بيلون بمهمة المستطلع فوق بغلته . كان في الثامنة عشرة ربيعا ، في شعر حلق منذ وقت قريب ومهمازين جميلين وسرج مذهل مليء بأشياء تافهة وقبعة رائعة . شديد الصفات بسكان«الغرب البعيد Far West » . يتحدث بلا انقطاع عن عملياته العسكرية منذ ثورتي ايستيلي الاوليتين او جميع الفتيات اللواتي سوف يتعاطى معهن الحب بعد النصر .

الوقت منتصف الظهر . توقفنا عند حافة مزرعة عند خاصرة جبل . كانت بعض بغال تنتظر خارجا ، وقافلة الحرس التي نعلق عليها لاجتياز الحدود تستريح في الداخل . كان قرابة عشرة مقاتلا يشعرون بالجدية بفضل بزاتهم . كان اصغرهم في الرابعة عشرة من عمره، اما الرئيسان فلا يتجاوزان العشرين ربيعا . اسماؤهم المستعارة اسماء حيوانات : كولبيرا (افعى) ، غاتو (قط) ، مثلما هي لدى المستطلعين

مرت طائرة استطلاع عسكرية لمرتين ، ذكرتنا بالحقائق ، فتشتتنا في كل الجهات . يظهر حقا انها تبحث بانتظام عن شيء محدد . أهو نحن ؟ عجل كولبيرا بتحميل البغال : صفائح وقود اذا وجدنا على بعد اكثر سيارة (كان تقديم البترول في المناطق المحررة قد توقف منذ بداية الثورة) وأكياس حبوب يظهر انها تحتوي حملا ثمينا ، حتى صفائح كرتون ، يجب ان يحملها افضل الخيالة بأيديهم . تأكد افراد الحراسة من عمل اسلحة بأيديهم : بندقيات من الطراز القديم جدا واسعة الفوهة، وبندقيات صيد في طلق واحد من نوع (الكربينه) ، ومسدس رشاش من الرعيل الاول . وبندقية واحدة حقيقية ، حربية ، ذات خمس

طلقات تعود الى ما قبل الحرب العالمية الثانية . كانت كلها تقريبا موقعة بسلك حديدي وخيط او بشريط البلاستيك اللاصق . كان يظهر على المغاوير الساندينيين من اول نظرة انه ليس لديهم حتى من الوسائل التي تجعلهم يؤذون عصفورا دوريا ـ اخرج احد القادمين الجدد من كيسه قميصا حديث الطراز جدا لكنه بلون خاكي يحمل شعارا مذهبا « طيار امريكي » واخرج جاره من قبعته الكسكيت الحمراء والسوداء رقعة قماش مربعة تخفي احرف .F.S.L.N مطرزة بأحرف كبيرة بيضاء . لم يعد مجال للتخفي . فوضعها بفخر فوق رأسه . « ان الحرب معلنة » .

الساعة ١٢،٣٠ ـ تحرك الرتل من غير ان يهتم ابدا بالسير الموزون. كان صعود الطريق شاقا . شاقا جدا .

الساعة ١٣،٢٥ ـ كان نصب حدود مضحك ، يختفي خلف شجرة ميتة على بعد ثلاثة امتار من الدرب الذي كنا نعاني فيه تعبا ، اضحك الجميع . هاجت عاطفتنا ، والتقطت الصور . قال لي بيلون وهو يكنس السماء بطاقيته اللباد السوداء وكأنه في هذه المرة فارس ملكي من العهد القديم ، حملة البنادق الواسعة الفوهة : « أهلا بكم في بلدنا. الان دخلت نيكاراغوا » . كانت اصواتنا تخرج بشكل غير محسوس. يترجم شيء من اثارتنا بمزيد من دعابات المجندين ومزيد من قصص حرب « المحاربين القدماء » . رحنا نمشي . ربلات سيقاننا افخاذنا واحذيتنا اخذت تؤلمنا . ثم نمشي . نشعر بثقل الحقيبة اكثر فأكثر . ثم نمشي .

الساعة ١٥ ـ توقفنا قرب مزرعة قهوة تتيه في واد واسع . كان قرابة ثلاثين رفيقا قد دخلوها هذا الصباح، بانتظارنا فيها. كانوا صبية وصبايا في أعمار الآخرين ولهم مثل قصصهم .

مررنا ، بشكل رتل هندي ، امام رجل في شارب ووجه ضحاك مزاح وتبدو عليه السطوة ايضا . توجه واحضر من دست واسع ازرق لحم دجاج بالمرقة وزعها علينا بالتقتير . كان طعاما فخما في وقت لم نتوقعه .

اخرج كولبيرا من اكياس عجيبة نقلناها معنا بدلات وحقائب خاكي في حمالات وعددا مذهلا من الرصاص من كل العيارات . كان معظمه متأكدا ، مصدره بلا ريب تصفية بثمن بخس من مخزون فاسد . هذا اذا لم يكن ثمرة بحث في شوارع تيغوسيغاليا . ارتدى كل واحد

بدلته ، الصبايا من ناحية والصبية من ناحية ثانية . ووزع الحمل بالعدل بين الجميع لان بغلا واحدا سيتوجه أبعد بصفائح الوقود . ثم قسم الرتل زمرا يحرس كل منها مقاتل او مقاتلان مسلحان . يتوجه اولا من هم أضعف (الصبايا ، والاصغر وانا) يتبعهم الاشد مقاومة .

الساعة ١١،٣٠ ـ انطلقت مفرزة المقدمة بقيادة غاتو . وزعت علينا ارقام يجب ان نحترم ترتيبها مهما حدث . كانت تنتظرنا اربع ساعات من المشي ايضا سأنهيها منهوك القوى تماما في حين ان بعضهم يقطعون شوطنا من سان بيدرو ديل نوتره بلا قطرة عرق واحدة ni sudado .

كولبيرا في كل مكان . يثب بخفة ، ينطنط ، يظل دوما خارج الدرب الضيق الذي نسير فيه يروح ويجيء بلا انقطاع من اول الرتل الى آخره . يباهي بسلاح من نوع « بولاروئيد » اوصل اليه معي ما تبقى من المحل ويطلق به الرصاص في طرف الحقل . ولا ينسى ان يتحاور قليلا مع الصبايا ، الانعمهن . لا يبدو على سيمائه شيء ، يترصد دوما ، جدي حين يجب ، انما حين يقتضي ذلك .

كان عملا جليلا دفع ستين شخصا للتقدم ، من اعمار وبنيات وخبرات مختلفة في طرق وعرة وصعبة تحت تهديد العدو الماثل دوما . قال تشي غيفارا : « ان رتل المغاوير يمشي بحسب خطو ابطأ رجل فيه» . كان كلا منا يجهد في ان يحافظ على نفس وتيرة المشي ويساعد الآخر والا يبطىء . وكانت الاحمال الاكثر ثقلا واشد مضايقة تنتقل من واحد لاخر من غير حاجة لان يقول احد كلمة واحدة او يلمح الى ذلك . وكان هنالك دوما رفيق في المؤخرة ليدرك ان التعب قد بدأ يرهق احدهم ولم يعد بمستطاعه حمل حقيبة ظهره . انهم فتية ، ولا يعرفون بعضهم بعضا وليس لديهم بعد خبرة بتحمل الالم معا . نفذنا تدريجيا الى منطقة مأهولة من بعد سير مضن . كانت بعض قطع من الارض مزروعة متباعدة فيما بينها واكواخ عند حافة الطريق . كان الصبية كثيرون والنساء حفنة والرجال قليلون جدا . تلك صورة كلاسيكية عن البؤس والتخلف ، غير اني لاول مرة ارى عيون هنود تلمع . راح الجميع يصبحون بالخير ويبتسمون ويحيون متوجهين مباشرة وشخصيا الى جميع اولئك الذين يرفعون انظارهم عن الحجارة لئلا يتعثروا بها .

مررنا بقافلة غريبة من اربعة رجال تجمعوا لحمل عمود طويل علق

فيه سرير من شبك هزاز . كان الشكل الراقد في اسفله ، المدثر لمريض حملوه ليعاينه اقرب طبيب ، على مسافة يوم بكامله مشيا .

كان رجل ينتظر في منعطف طريق ويستند الى ردم تراب . قسمات وجهه تفصح عن انه من اولئك الذين يكدحون بصلابة «من ارض لارض» ولا يأكلون دوما حتى يشبعوا . كان يمسك بدست بلاستيكي ثبته فوق ركبتيه تغطيه خرقة بيضاء وحمراء . توقف غاتوا واقتدى به الجند. مد له الرجل الدست ، فازاح غاتوا جانبا قليلا من القماش : كان مليئا بأقراص ذرة وجبن رائب ـ Coajada هي اساس البروتينات في المنطقة .

صافح الرجل كلا من الشباب من غير ان يتحرك قيد أنملة . ورد بصمت على الشكر ستين مرة بنفس العاطفة . وتبلغ كل منا شيئا من الطعام . كانت صورة لا تنسى . في هذا الصباح تحدث « الراديو الوطني » ايضا عن « الفوضويين الشيوعيين الساندينيين » والرعب الذي يوقعونه بالسكان المسيحيين غير المؤذين والمسالمين ...

رحنا نمشي .

كان الناس ، على مقربة من سان بيدرو ديل نوتره ، اقل توحدا واكثر انفتاحا . راحوا يصرخون : « عاشت الجبهة الساندينية للتحرر الوطني

« viva » , viva . el frente sandinista de Libaracion National

ظهر فتية في مناديل حمراء وسوداء تطوق اعناقهم وبنادق صيد بأيديهم .

كنت متعبا فتوقفت في الناحية الاخيرة . جاءني صبي في الثانية عشرة ربيعا يدعى نيلسون ، لا يكاد يبلغ طوله عند محزمي ، فاتخذني رفيقا . أراد ان يعرف فيما اذا كان بوسعه ان يلحق بنا ليقاتل . كانت الارتال التي سبقتنا الى هذه الطريق التي فتحت منذ اسابيع قليلة قد اخذت معها عشرات من الرجال والصبية . كان الاربعون لدى الانطلاق يصبحون في الاغلب مائة وعشرين لدى وصولهم سالمين .

حمل نيلسون حقيبتي ليبرهن على قوته . مرت امامنا آخر زمرة في نظام تام . فدخلنا معها القرية . كان الوقت ليلا . لكن السكان احاطوا بنا سياجا من الحماسة حتى الساحة . كان الصبية يدورون في كل مكان صائحين : « وطن حر ... او موت Patria libre ... omarir » فدمدمت عجوز : « وطن حر انشاء الله ».

الساعة ٢٠ ـ قدم الاهالي في الساحة العامة القهوة واقراص الذرة وشيئا من الحلويات الناشفة وقليلا من الجبن . كان اوسكار مالدونادو يقف عند عتبة بيته ، فدعا نساءه الى الحركة . وشرح للقادمين الجدد ان اوائل الرفاق مروا من هنا منذ شهر ، فور ان رحل الحرس الثلاثة من سان بيدرو . ثم قال لنا :

ـ لم يكن اولئك شريرين جدا . سألتهم : ماذا انتم فاعلون اذا وصلت الجبهة الساندينية ؟ فأجابوني : « لن نتصرف تصرف المغفلين ، نفتح لهم اذرعنا ونقدم لهم سلاحنا » .

اختفى ولدان من اولاده التسعة . اربما يكونون بين المغاوير ؟ان احدا لا يحب ان يستأذن من والده في مثل هذه الامور . ان كلا يساعد بما استطاع .

« انهم يضحون من اجلنا » . انهم فقراء لكن لديهم دوما شيئا من الفاصولياء .

ان التضحية يتشاطرها الكل على الاقل .

الساعة ٢١ ـ عقد اجماع في المدرسة . كان الجميع حلقة واحدة تحت لوحة في العلوم الطبيعية تظهر عينا بلا جفنين . كان غاتو يمسك برشيشه من سبطانته واخمصه فوق ركبته . الى يمينه لئونيل ، المحارب العريق والبالغ سبعة عشر ربيعا ، واخ ويلل ابن اخ ساندينو ،والذي بمبادراته في الاغلب ، سيتولى فعلا في اليومين القادمين قيادة الرتل . الى يساره ، ماركو ، الطبيب المكسيكي ، الذي جاء يسهم في ارض نيكاراغوا بعد ان اشترك في نشاطات التضامن معها في بلده .

كانت لجنة قد تشكلت في اخر مرة مر اثناءها غاتو بالقرية، انتخبها من لم يهربوا بضغط رئيس بلديتها .

كان ميزان نشاط اللجنة : اول بادرة منها اجراء احصاء كانت حصيلته : هنالك ٩٠١ شخص اعمارهم بين ١ ـ ١٠٠ سنة في القرية يعيشون في ١٤٤ منزلا . العملية الثانية : حاولوا جمع ما تيسر من السلاح .

ـ لم نستطع ان نجد كثيرا منه ومن الخير ان تتركوا لنا بعضامنه.

رد غاتو : ـ أسفا ، ما لدينا من قليل يجب ان نحمله الى المقاتلين الموجودين في خط النار .

انهم يفتقرون الى المال والسلاح ، والعثور عليهما صعب. كانت الحيرة بادية في وجه رئيس اللجنة ، وهو تقني زراعي !

ـ نحن قرية شديدة الفقر ليس فيها شيء تقريبا . نفتقر الى السكر والارز والقهوة والصابون . حين أجرينا الاحصاء ، اكتشفنا ان ليس في الكثير من البيوت كهرباء ولا مراحيض .لا نعرف كيف نعمل ، لا نعرف عمل شيء . ربما يمكنكم ان تقولوا لنا كيف نحصل على ما نحن بحاجة اليه . الشعب هنا ينقصه كل شيء .

قال غاتو : ـ الرأي ، هو مجابهة هذه الازمة بشكل جماعي . كنتم قد جمعتم الادوية من كل منكم وبعض الاغذية ووزعتموها على الافقر بينكم والشيوخ . هذا شيء جميل .

كان يجب حل المسائل المنبثقة خلال ٥٠٠ عام من البؤس و٥٠ عاما من الديكتاتورية وخمسة اسابيع من الحرب ، كلها دفعة واحدة ، والا فلن يكون للثورة اي معنى في نظر كبار المهتمين . ثم ان الوسائل مضحكة .

قال ماركو : ـ يمكنني فحص الاولاد المرضى .

قال لئونيل : ـ اذا كان لا يوجد مرحاض في بيت فابنوه متعاونين.

عاد غاتو يقول : ـ ان عدم التقيد ببعض القواعد الصحية البسيطة هو مصدر الامراض وسبب وفاة الكثير من الاطفال . يجب عدم قضاء الحاجة في اي مكان وخاصة عند الانهار . يجب غلي ماء الاطفال . هم اول اهتماماتنا .

قال نائب الرئيس : ـ ابن احد المقاتلين وقع مريضا . جمعنا نقودا لتتمكن والدته من التوجه لمراجعة طبيب لان طبيب سينكو بينوس ذهب مع رتل . كانت حصيلة جمعنا من القرية كلها ٦٧ قرطبة (٤٠ فرنكا فرنسيا) .

كان الحديث السياسي ملاذا مغريا تجاه مثل هذه المصاعب ،ومفيدا لأنه جديد تماما . فطرح ادنى حد من الايضاحات . قال لئونيل :

ـ حين ننتصر ، سوف نعني بكل هذه المسائل . غير اننا بدأنا فحسب . ولا بد وان تصلح احوالنا .

ـ نحن المقاتلون جميعا ، علينا ان نشتغل مع الفلاحين . علينا ان نساعد الشعب . الشعب هو نحن . اذا لم نساعد انفسنا فمن يساعدنا ؟ ان الكفاح الذي نخوضه هو كفاح الجميع ، كفاح المقاتلين والمدنيين ، والشباب والشيوخ والرجال والنساء والاطفال ...

كان غاتوا اقل مرحا مما كان عليه في دروب الجبل . فارتبك في الكلمات الضخمة فاضطر ان يزين خطابه بعدد كبير من كلمات : « اذا ـ

« Pues » اكثر من المعتاد . كانت ثلاث شعرات شارب تحت انفه واربع شعرات لحية في ذقنه . كان خطابه جافا ومضجرا ، لكنه مليء حيوية . كان غاتو ما يزال فتى جدا . يرى فيه بعضهم ليبراليا بلا ريب . غير انه في قرية نائية لم يتصرف فيها الحرس دوما كجلادين، كنت اسائل نفسي عن كثرة مواطنيها الذين يحترمونه لمجرد حمله السلاح .

كان الحضور كثيرين جدا . شهده عدد كبير ن النساء والهنديات الجميلات جدا . كان طفل يرضع باهمه وقد اخذ منه النوم وهو فوق ركبتي والدته . شق عاجز طريقا له نحو كرسي في الصف الاول ، معتمدا بحيوية على عكازيه . وتابع غاتو يقول :

ـ ... ليس الجبهة الساندينية هي التي ستتولى السلطة ، انه الشعب . من المهم ان تفهموا ذلك لاننا نقاتل من اجل هذا : الجبهة الساندينية ليست شيئا ، الشعب هو كل شيء . والشعب انتم .

رد نائب رئيس اللجنة برزانة يملؤها التأثر : ـ نحن متفقون على ذلك . سنقاتل . لكن ذلك سيطول لاننا تربينا على النظام الاخر تماما . نحن بحاجة الى المساعدة ، ان نعطي افكارا .

ـ سيأتي رفيق بالكتب !

شعور بالبكاء .

ـ الكفاح ليس ضد سوموزا فحسب ...

تدخل ماركو بسطوة . كانت لهجته المكسيكية منسجمة مع لهجة الآخرين . لكنه طبيب . كان في بدلة بلون اخضر زيتي . ومن حق كل واحد الكلام ، شريطة ان يشترك في الكفاح او يقدم مساعدة او معلومات، وعندئذ يصغي اليه .

ـ ... انه ايضا ضد البنية التي أشاد فوقها ثروته وسلطته : الحرس الوطني والحزب الليبرالي وبعض الزعماء السياسيين والكثير من كبار الموظفين ، الخ . ان رحل وظلت هذه البنية في مكانها ، علينا مواصلة القتال ، لانه لن يتغير من الامر شيء . نحن نقاتل من اجل حكومة شعبية ديمقراطية ، بعد ان تصادر اموال سوموزا ، تبني بها مدارس للجميع وتضمن الخدمة الطبية التي هي حق لكل الشعب . غير انه لتأمين ذلك ، يجب ان ننظم انفسنا . والكفاح يعود اليكم .

قال نائب الرئيس مقاطعا : ـ رغم عمري ، كنت احلم دوما بأن

يتغير البلد بخير الشعب .

فترة صمت . دعا الرفاق الفلاحين الحاضرين الى طرح اسئلة رفع يده عضو من اللجنة يجلس فوق كرسي تلميذ :

ـ ... يقول اناس يلتفون حولنا ان هذه هي الشيوعية وان علينا الا نساعدكم لانكم ترتكبون جرائم وتغتصبون النساء وتقتلون وتسرقون وتحرقون ... هل هذا صحيح ؟

اغتنم غاتو الفرصة ليقول : ـ الشعب رأى من يغتصب ويسرق ويقتل . لقد انفلقنا ـ ولتصفح عني النساء ـ في سبيل تحرير الشعب.

اضاف ماركو : ـ يحدثوننا دوما عن الشيوعية ويقولون انها شر لكن من غير ان يذكروا سبب ذلك . ذلك ليس غير كلام . ماذا يجري في هذا البلد ؟ فيه فرد لديه من المليارات من القرطبات والمصارف والمصانع ومئات الآلاف من الماشية . يقابله ملايين من الافراد لا يملكون شيئا . نحن ضد ذلك . هل تعتقدون ان سوموزا استحق كل هذه الاموال ؟

دمدم الذي طرح السؤال ، في حين هزّ الآخرون رؤوسهم : ـ جمع ثروته على ظهر الشعب .

يسمع صوت تحليق الذباب .. والناموس .

ـ ... نحن ضد الجهل والبؤس ، نحن ضد الحرس الوطني والفساد . نحن ضد التعذيب واغتيال الشباب . نحن ضد المسكرات والماريهوانا (مخدر نباتي اقوى من الافيون والحشيش) نريد مدارس ومشاف للجميع . اذا كانت هذه هي الشيوعية فنحن شيوعيون .

صرخ احدهم من القاعة : ـ نحن ايضا سنكافح من اجل ذلك .

سأل غاتو : ـ هل اجبنا ؟

ـ نعم .

ـ يجب ان يكون عندكم رجل سري لان مسائل الامن ...

ـ لدينا . لا تهتم بذلك . لكن ... لا يمكننا ان نذكر من هو !

رد غاتو على سؤال معقد حول الصحة بجواب حاسم : «يجب الا تزعجنا الميكروبات الآن ما دمتم قد تخلصتم من الحرس الوطني .

اعلنت اللجنة اخيرا قائمة بالمهمات التي تكفلت بها ، وها هي ذي حرفيا :

١ ـ احصاء عدد السكان .

٢ ـ وضع ضريبة حرب .

سأل احد من في القاعة بقلق : ـ ما هي « ضريبة الحرب » هذه؟
ـ ضريبة تجبى من البورجوازيين بحسب ثرائهم .
اضاف لئونيل : ـ من عنده حبتي اسبرين يمكنه ان يعطي واحدة منها لينقذ حياة .
زاود ماركو الذي التهب حماسة : ـ ليس ذلك غير جزء مما سرقوه من الشعب . على اية حال ، من الواضح ان ذلك لا يعنينا ،نحن الفلاحين ، انما يعني الذين دعموا سوموزا فقط .
٣ ـ وضع العلم الاحمر والاسود للجبهة الساندينية فوق ساحة القرية .
٤ ـ استرداد اموال « جلاوزة سوموزا » وتوزيعها على الشعب .
٥ ـ دعوة اهالي القرية ، الموجودين كلهم الآن تقريبا في اجتماع ثوري وتقديم لجنة الدفاع التي انشئت في الاسبوع الماضي اليهم .
٦ ـ فتح المدرسة .
٧ ـ مصادرة اسلحة الجلاوزة واعطائها الى العناصر الثورية لتأمين حماية القرية (يوجد ما مجموعه ثلاث مسدسات وبندقيتي كربينه واحتياطي من الذخيرة بين ٥ ـ ٦ رصاصات) .
٨ ـ بناء مواقع حراسة في مداخل القرية .
٩ ـ اجراء تحقيق لمعرفة فيما اذا كان لدى رئيس البلدية اموال، وفي حال التأكد، وضع هذا المبلغ تحت تصرف البلدية الجديدة.
١٠ ـ كل امر صرف يجب ان يوقعه رئيس البلدية وامين الصندوق.
١١ ـ وجوب تنظيم محاسبة جدية .
١٢ ـ اللجنة تؤمن كافة الخدمات التي يحتاجها الشعب :اعلان الولادة ، الوفاة ، الزواج ، الخ ..
١٣ ـ على كل شخص ان يخبر لجنة الدفاع عن الذين لا يأخذون باعتبارهم هذه التدابير .
كان النص في كتابة سيئة الخط كتبت على ورقة انتزعتُ من دفتر ووقعه اعضاء اللجنة السبعة ، وانتقل من يد لاخرى ليكون كل واحد، بما فيهم الاميين، على صلة بالسلطة الجديدة .
استأنف ماركو الكلام :
ـ تذكروا ان غذاء الاطفال هو اهم شيء ، وان في اسوأ الاوقات . اذا لم يكن كافيا لكبير ، يتعب . اما بالنسبة للطفل ، فهو اشد خطورة . فقد تكون له اضرار حاسمة . نحن شعوب امريكا

اللاتينيـة لسنـا اغبياء . نحـن سيئو التغذيـة ،وهذ كل شيء .

انطلق تصفيق حاد وشاعت الابتسامات . أخذ غاتو هذه النقطـة كخاتمة ، ودعـا متطوعيـن (ارتفعت ثلاث أيـد) لينظموا منذ الآن دورات لتعليم القراءة والكتابة للكبار وقال :

ـ شكرا لكل مـا انجزتم من عمل . البندقية ليست غيـر مظهـر للكفاح ، وعلى كل ان يسهم فيه بالشكل الذي يستطيعه . هذا الوطـن سنبنيه كبيرا جـدا .

أراد نائب الرئيس ، وهـو القوة المغرية ، ان تكون له الكلمـة الاخيـرة :

اعذرونـا لقلـة وسائلنـا ومعلومـاتنا ، نحـن مـا نزال فـي سبيلنـا الى معرفتها . سنحـاول العمل بوجه افضل فأفضل .

خطوات الثورة المسلحة الاولى

حديث القائد دانيل اورتيغا

كان هدف العمليات العسكرية التي وجهت ضد المدن في تشرين الاول ١٩٧٧ هو قيادة الشعب الى الانضمام الى الكفاح بشكل اكثر كثافة. ولقد اردنا، في عدد من عواصم المحافظات (غرناطة، ريفاس، مازايا، اوكوتال)، ان نستولي بمجموعة صغيرة من الرجال المسلحين على ثكنات الحرس الوطني ونوزع ما فيها من سلاح على الاهالي. وبعد تنظيمهم ، نقوم معهم بسلسلة من النشاطات ذات طابع ثوري. فحين مهاجمتنا مازايا، في منتصف تشرين الاول ١٩٧٧، كان هنالك جمهور يتحلق حول ثكنتها، معظمه من الهنود من جماعة المواطنين الاصليين في مونيمبو، بقيادة التنظيم، يحملون عصيا وسواطير. كانوا ينتظرون ان يبدأ المقاتلون الساندينيون بتوزيع السلاح عليهم ليتوجهوا الى الحرب. فكان ذلك اول خطوة نحو الثورة المسلحة .

ورغم اننا لم نبلغ الاهداف التي حددناها لانفسنا، فقد كان وقع هذه العمليات كبيرا على سكان مناطق المحيط الهادىء. لقد امكنهم ان يروا بأم اعينهم ان العدو ضعيفا ومن الممكن توجيه ضربات اليه. مثلا، امكنهم ان يتأكدوا بانفسهم من ان زمرة صغيرة من مقاتلينا الحقت هزيمة منكرة بقافلة من ٣٠٠ رجل من الحرس في ١٧ تشرين الاول بين ماناغوا ومازايا. اذا ، اعادت هذه العمليات ثقة السكان في وقت كانت فيه حرب المغاوير تمر بمرحلة في غاية الحرج. واضيف ان استمرار نشاطاتنا في جبال الشمال قام بدور معنوي جوهري اذ اتاح للشعب ان يؤمل دوما بأن الحرب سوف تمكننا من الاطاحة بالديكتاتورية ذات يوم . وكان لمثالية المقاتل المغوار فائدة كبيرة في عمل توعية سكان المحيط الهادىء الذين انضموا الى القتال مستوحين اياها .

وتغيرت العقلية منذ هذا التاريخ. اذ لم تعد المسالة مسالة تعاون باخفاء المقاتل قبل

وبعد المعركة واعطائه ما ياكل. كان الساندينيون يقولون للمدنيين : «نحن متوجهون للمعركة لتجريد العدو من السلاح اولا، ثم نسلحكم». ولم يكن الشعب ليتوقع من الهجوم ان يحمل اليه الحرية ابدا ليخلق الشروط التي تمكنه من التعاون . عندئذ بدأ يطلب السلاح وينضم الى القتال. وبذلك خلق مناخ امل كبير .

وتقدمنا في الحقل السياسي بالتوازي الى عملياتنا العسكرية. تشكلت مجموعة «الاثني عشر» في نهاية عام ١٩٧٩. كانت اثنتا عشر شخصية تمثل قطاعات البورجوازية والبورجوازية الصغيرة والمثقفين النيكاراغويين. كانوا «استجابة للحكومة» التي اعدتها منظمتنا حين نسقط سوموزا. فمكنت هذه العملية الساندينيين من ان تظهر قدرتهم على الاطاحة بالديكتاتورية وطرح اختيار حكومة مؤقتة يمكن «للاثني عشر» ان يتولوا رئاستها.

يقابل ذلك ان بعض قطاعات من المعارضة التقليدية اندفعت في لعبة من المناورات مع السوموزيين ، عناوينها «الحوار الوطني» .

حدثت هذه العملية التي اوحت بها واشنطن حين اخذنا ايضا نحظى بسمعة دولية. فقد شجعت سياستنا الانفتاحية بعض حكومات مثل حكومة كارلوس اندرس بيريس في فنزويلا وعمر توريخوس في بناما وكارازو في كوستاريكا، فاضهرت موافقتها لحل يؤيدنا. ذلك انها تدرك ان عدم تأييدها لنا انما يعني تعزيز المواقع المنغلقة جدا في امريكا اللاتينية والاشدها خضوعا للامبريالية مباشرة .

خلال هذه الاشهر اذا، من تشرين الاول حتى كانون الاول ١٩٧٧، اتخذ النضال السياسي طابعا جديدا، وكبر امل الشعب، والفنا في هذا الوقت فرقة مغاوير جديدة في المنطقة الريفية من مقاطعة نويفا سيغوفيا في اقصى شمال البلاد، لكنها لم تتوقف عند النشاطات التقليدية في حروب مغاوير منظمتنا. كانت مهاجمة للغاية حتى انها توصلت الى ان تكيل للحرس ضربات شديدة لم تحل به حتى هذا الوقت . فكنا قد جمعنا قوانا كلها بشكل تقوم فيه الجبهة الشمالية بدور المحرض على الكفاح المسلح في حين ننمي بسرعة نشاطنا التنظيمي في مدن وقرى البلاد الوسطى .

في هذا الوقت، اغتيل بيدرو يواكيم شامورو، مدير صحيفة «لابرينزا» في ١٠ كانون الثاني ١٩٨٧، بعد ثلاثة اشهر من عمليات تشرين الاول ١٩٧٧. لم يكن هذه التسلسل صدفة. كان سوموزا، او ابنه، يفكر بازالة هذا الرجل منذ زمن طويل . غير انه في هذه المرة دفعته الظروف الى ذلك موضوعيا. كانت الامبريالية والمعارضة التقليدية قد قررت تجميد ساندينية قررت اخيرا ان تتقود ـ Tomar Juerzas . فقد كان بيدرو يواكيم شومورو احد كبار الشخصيات اللامعة في البلاد . فخشيت الديكتاتورية من ان يكون اداة بيد النظام الجديد. واجبر سوموزا الولايات المتحدة، بعد ازالته، على اعطائه كل دعمها لان اية شخصية معارضة تقليدية اخرى لم يكن لها الشعبية التي كانت لبيدرو يواكيم شومورو. وحول صحيفة «لابرينزا» الى اداة لنشر شكاوى النيكاراغويين ومشاكلهم. كان

شومورو رجلا قويا يحترمه الجميع. فشعر الشعب ان في اغتيال مدير «جريدته» تعد عليه هو.

تترجم هذا الشعور الشعبي بمظاهرات ضخمة استفاد منها الساندينيون ، الذي اصبحوا اقويـاء، اذ منحتهم محتوى ثوريا كبيرا. وشهدت البلاد في الوقت ذاته تعبئة جمـاهيريـة واضرابا عاما لارباب العمل ـ Zaro empresarial . عندئذ فجرت الجبهة الساندينية عملها العسكري، وهي تؤيد قبلا التحركات الثلاث. وسيطرت لاول مرة على مدينة ، هـي غرناطة، ثالث مدينة في البلاد. كانت قواتنا قد انبثقت من المدينة نفسها واستولت على الثكنة ثـم تفرقت. واستولت في الوقت ذاته وحدات منسقة على ريفاس، في حين استولينـا ايضـا، في مقاطعة نويفا سيغوفيا، بهجوم مباغت على المعسكر المكافح للمغاوير، اكبر معسكر فـي المنطقة. كان ذلك وقت ان اخذ رجال الاعمال والسياسيين يعترفون بالاخفاق في مسألة الاضراب وينسحبون ويستسلمون للضغوط السوموزية .

توصلنا بفضل هذه الاعمال الى ان نعيد ثقة الشعب ثانية، بما فيه صغار الصناعييـن ومتوسطيهم وصغار التجار ومتوسطيهم. فاخذوا منذ هذا التاريخ يضعون املهـم تدريجيـا بالساندينية. مما يفسر الطابع الوطني الواسع لسياستنا التي تجسدت فيما بعد بحكومـة اعـادة البناء الوطني. اما الصورة العسكرية، فلدينا فيها كافة العناصر التي مكنت من نمو مـا يظهر الان حقيقة ثورية بكل ما في الكلمة من معنى .

الاربعاء ٤ تمـــوز

اريـــد ان اظـل حيـــا

الساعة ٤٫٣٠ – استيقظنا باكرا بعد ليلة مزعجة رغم الفرش المستعارة من المدرسة. شربنا قهوة وتكدسنا في الباص الذي يديره كجمعية تعاونية خبثاء القرية الثلاث. كانت رحلتنا فيه تشبه كثيرا رحلة مدرسية في نهاية السنة، بالنظر لسن المشتركين فيها المتوسطة وشدة مرحهم .

يستحيل القول ان الطريق التي اخذناها لتجعلنـــا على مقربة مـــن ايستيلي ليست موجودة. حتى انها تظهر بشكل نقاط فـــي بعض الخرائط المفصلة خاصة. غير انه يصعب وصفه بصالح للسير. فنتوصل مـــن وراء ذلك الى السؤال عما اذا كان النقل بالسيارة اسوأ من المشي في مثل هـــذه الشروط .

كان اول توقفنا في سينكو بينوس وهي اكبر بكثير واغنى من ســـان بيدرو ديل نوتره. كانت ساحة لتجفيف الحبوب تشير الى انهـــا نقطـة تجمع كافة فلاحي المنطقة وكان باص القرية، الذي قايضنا به فلكنا الاعـرج (اي الباص البالي)، اكثر جدة بوضوح، حتى ان به راديو .

وفي الحقيقة، لم يطلب كولبيرا، المسؤول، مصادرته. تحقق اولا من الاهالي من وجود سيارة اكبر حجما ثم طلب الى مالكها اعارته اياه حتـــى النقطة التالية على الاقل حيث يفترض امكانية ابدالها. فقدموا لنا ايضـــا الباص والسائق. غير انه في مثل هذه القرى البعيدة عن كل شيء وهـذا البلد المتحارب منذ شهر، يكاد يكون من المستحيل العثور على سيـــارات ووقود او حتى وقود الديزل . ان الامور تجري ببطء وتقتضينا ساعتـــان

وكل ما لدى كولبيرا ولئونيل وغاتو من طاقة لحل المسألة .

استفدنا منهما في التجول في القرية او الثرثرة مع الناس الذين لم يهربوا او لنتناقش فيما بيننا. ومن الغريب ان يظهر سكان المدينة اقل عددا مما هم في سان بيدرو، رغم انها اكبر بوضوح. قمنا بجولة سريعة على البقاليات، وهي نصف سمانة نصف حانة ـ Zulperias . لم يكن فيها ما يباع. لكن لحسن الحظ ان البقرات الحلوب لرئيس البلدية الهارب كانت في سياج قريب. فأتيحت الفرصة لمن يعرفون الحلب ان ينعموا بحليب منها. ذكرني ماركو باثار الحليب على المعدة. علينا الا نزيد من مخاطرها حتى الافراط .

رآنا خوان مانوئل نتحدث وحدنا عند حافة الطريق، فدعنا لفطور من الفاصولياء الحمراء والقهوة واقراص الذرة في مطبخه. كان بيته من المواد الصلبة غير انه ليس فيه اي اثاث سوى الاريكية القلابة ـ Sillon الاسطورية التي كان يتأرجح فيها بلذة وهو يحدثنا عن مدينته .

ـ كان الحرس اول من ذهب ثم تبعهم السوموزيون. ارادوا ان افعل مثلهم لكني خجلت من الهرب والعودة الى بلدي بعد تحريرها. رحل كثيرون حتى الفقراء لان الشعب هنا ليس لديه ثقة كبيرة بالجبهة السانديينية يسمعون كثيرا راديو الحكومة. ومع ذلك يفرض علينا الحرس الوطني غرامات بمقدار ٤٥ قرطبة من اجل اسباب واهية. كان رئيس البلدية طاغية يشغل القرية لحسابه الخاص تحت تهديد السلاح. الفقراء يبيعون انفسهم بصحن من الفاصولياء وهذا كل شيء . يعيشون من غير ان يقولوا شيئا، في الرعب. لقد اقسموا ان يعودوا بطائرات الهيلوكوبتر ليقتصوا من الذين تعاونوا معكم. غير انه هنالك رعب اخر ايضا. الرعب من الشيوعية. الحكومة تتحدث عنها والفلاح لا يعرف ما هي. روى رئيس البلدية ان في ظل الشيوعية يعدم الناس البالغين اكثر من ستين عاما ويبعثون الاطفال الى الاتحاد السوفيتي بالقوة. يقولون ايضا انكم ستصادرون كل شيء، كل شيء، وسوف يستخدم الكبار مثل سوائم لنقل احمال تبلغ اكثر من ٢٠٠ ليبرة ...

ان خوان مانوئل لا يعتقد حقا بكل ذلك ولديه شك فيه يظهر من اللهجة التي يستخدمها وتأرجحاته العصبية. اراد ان يكون مطمئنا ويتفق معنا على انه كان على صواب بالبقاء. كانت زوجته جامدة خلفه تكاد ترتجف. انها ترى ثانية الانزال المباشر لجماعتنا الفوضوية. يا له من هلع. البسمة له مستحيلة. لقد عرفوا فظاعات كثيرة . لقد امكن لسوموزا الفظ ان يدخل

الاعتقاد بهول الساندينية .

ـ بدأنا بجمع مواشي من هربوا والمؤن الغذائية ايضا التي وجدناها في بيوتهم. وتزودنا بالوقود حين تحتاجون اليه. لكن الشخص الذي بعثناه ليأتي بقماش احمر واسود لنجعل منه مناديل لم يجد منه .

كان مطلعا على مصاعب سان بيدرو ديل نوتره .

ـ توجهنا اليها لنبادل ماشية بحبوب. غير انه لم يكن لديهم منها، اضافة الى انهم ليسوا منظمين جدا. ومع هذا فقد ساعدناهم ما دمنا قد دخلنا مرحلة الديمقراطية ولسوف يصبح الجميع سواسية .

ـ ايقلقك هذا ؟

ـ لست ادري ... لست قلقا حقا. اني اتكل على كلمة الاشتراكية. الجميع يريدونها . وانا الفلاح لماذا لا اريدها؟ ثم، الان، ان الشباب يعرفون ما يفعلون وما لا يفعلون . حتى ان بعض سكان القرية الذين انسحبوا الى الجبال المجاورة بدأوا بالعودة. انا، مثلا، اعرتهم شاحنة اشتريتها في كانون الثاني. اعادوها الي منذ ثمانية ايام. كنت قلقا قليلا لاني وضعت فيها كل ما املك لكني كنت واثقا .

شبك ماركو اصابعه .

لم ينقطع النقاش مع ذهابنا. كان كولبيرا قد اكتشف سيارة جيب تتهزهز قليلا وضع في مؤخرتها بيلون سرجه الرائع. انه العيد دوما. العيد الغريب بين الشمس الساطعة والرطوبة والسلاح المستعمل والحرب «العلمية التي يجب خوضها» والرغبة في الحياة والخطر المزمع والقاتم من نار العدو. والفتيان والفتيات يتبادلون اصوات القبلات «بسس بسس» بأفضل تقليد امريكي لاتيني. حاول بعضهم تبادل القبلات. يثرثرون. جهد بعض الشباب ان يظهروا ملكيتهم لفتاة بالتجوال دوما في اثرها. لكن الفتيات لا يقدرن ذلك. كان الرفيق الجالس بجانبي يباهي بقميص تائي رائع كتب فوقه بأحرف بألوان صارخة : «اريد ان اظل حيا».

على مسافة كيلومترات من سينكو بينوس، اشار الينا رجلان مستوقفان، يظهران في عمر متوسط يبلغ السبعين. كانا في لون نحاسي ملأ الغضون وجهيهما لكن نظرهما المتوقد اخذ يبرق ايضا حين اكتشفا طبيعة حملتنا. قال الاكبر سنا :

ـ ادعى سانتياغو مورالس بيرمودس. انا في الرابعة والستين وقاتلت مع جيوش الجنرال ساندينو .

لم يتفاخر بذلك ابدا لكن رفيقه دفعه الى رواية قصته .

ـ كنت في الخامسة عشرة حين بدأت القتال تحت قيادته. لم يكن عندي في البداية غير ساطور طبعا ثم ربحت بندقية ريمينغتون ثم بندقية ماوزر . ـ قال ذلك وهو ينظر بطرف عينيه في رغبة الى الاسلحة القليلة التي بين ايدينا والتي يرجع تاريخها الى ذلك العهد تقريبا ـ امضيت معه ثلاثة اعوام في جبالنا في الشمال ولم يستطيعوا قهرنا ابدا ... قتلوه غدرا ولولا ذلك لما توصلوا لقتله .

رانت فترة صمت وسط اهتزازات. ثم نظر الى الذين حوله في اعينهم فردا فردا .. «غير اننا نقترب من النهاية». قال لي رفيقه :

ـ انه مقاتل حقيقي. قاتل حقا. انا القوا بي في السجن كثيرا لاني كنت معارضا لكني لم احمل السلاح مثله ..

كان يشعر بالاكبار عبر صداقة استمرت منذ اعوام بلا ريب . يملؤه التفاهم معه. اضطرا معا الى الرحيل عن الوطن والتغرب، سافرا،ونسيهما الناس قبل ان يتمكنا من العودة ليقضيا ايامهما في بلدهما .

نزلا من السيارة، بعد ان قطعا معنا قرابة كيلومترين، وانظارهما تلمع ويعتذران لعدم تمكنهما من المجيء معنا الى ايستيلي .

وجدنا على مسافة ابعد شاحنة ـ قلابة لوزارة الاشغال العامة تقف في طرف الطريق. راح غاتو يشغلها لاكثر من ساعة، يظهر قزما وسط هذه الكتلة البرتقالية التي تهدر من غير ان تتحرك. كان جهاز الوصل يستعصي. كنا نشعر اكثر ايضا، تجاه هذا المنظر الجبار، انه ان لم ينجح في مشروعه سنضطر بلا ريب الى الاستمرار في السير مشيا. لكن هذا المغوار يتقن كل شيء : يقود طائرة، باخرة، دراجة نارية، سيارة، سيارة اسعاف، شاحنة ... «اي شيء وجد» قال لي بابتسامة فخر خفيفة بعد ان شغل الشاحنة. بالامس كان يرتبك في عباراته الطويلة. اما اليوم فهو سيد.راح يدفع بمهارة نادرة طناته العشرين وسط طرق ترابية وانهار فائضة، يستأنف العمل اكثر من خمسة عشرة مرة ليجتاز احدها. تهدر السرعة لكنها لا تأتي بشيء عند المقتضى. كان غاتو يضطر في الاغلب الى اللجوء للاستعانة بجاره ليتمكن من الاسراع عنوة ... يسوق كمجنون وعاقل بينما لا يكف كولبيرا عن الانزلاق فاقد السيطرة على سيارته الجيب، مرة امامنا واخرى خلفنا، كان نشاطه بلا فائدة حقا. يستحيل في مثل هذه الشروط النظر الى المناظر الطبيعة وتذوق غزارتها الاستوائية، ومشاهدة حتى البؤس . فثمة حفر وجدبات واهتزازات وارتجاجات وضربات كابح عنيفة وتسريع بلا امل للتسلق سنتيمترا سنتيمترا فوق منحدرات قوية جدا..

كان لا بد من التشبث. كنا كلما نفذنا في ارض محررة حقا ازدادت تحية الناس الذين نصادفهم لنا وتعاونهم بحماسة. في كل قرية نصلها كان عيد حقيقي. توقفنا في ليماي للاستفسار عن حالة الطريق من وجهة النظر العسكرية. وهل ظهر الحرس مؤخرا؟ وهل ممكن مواصلة الطريق المقرر؟ كانت كارمن، التي سبقتني في السير منذ اليوم الاول مواطنة من المكان. يعرفها اشخاص كثيرون وينادونها باسمها الحقيقي فاندفعت القرية كلها حول الشاحنة. سألوها من كل الجهات : «اين انت ذاهبة؟» كانت مؤثرة في بدلتها الخضراء والزيتية. فتملكهم الاعجاب حين قالت انها متوجهة الى ايستيلي المدينة الشهيدة حيث ما يزال القتال قائما فيها. كان الاعجاب من الرجال خاصة. جلبوا ماء في دلاء مفعمة به. كان نعمة بعد هذه الساعات من الغبار. وراحت امرأة في سن ناضجة، تكسب عيشها بلا ريب من بيعها حلويات ناشفة تزينها بقعة مربى، تدور حول الشاحنة وتوزع انتاج يومها، شخصيا، بالتساوي بقدر ما يمكن، ثلاث قطع لكل واحد.

انطلقنا ثانية. ان المناطق المقفرة تثير مزيدا من الرعب. كان ظهور فلاح واحد كافية لتطميننا. كان اقل وجود للحرس الوطني يعلم مكانه ويخبر عنه. اضطررنا مرتين لمغادرة الشاحنة والارتماء في ادغال الحضر لنتخلص من الفضول المؤذي لطيار سوموزي. شاهدنا قرب ايستيلي اربع سيارات ممزقة بشدة برشاش من عيار خمسين مهجورة كما هي وسط الطريق. لقد اعطانا ذلك مزيدا من الحيوية لدى خروجنا من القلابة او من حجرة السائق التي انهيت فيها رحلتي الى جانب ماركو.

كان بعض الرفاق ينتقلون بخفة، بحسب الاوقات، من اللباس العسكري الى اللباس المدني (اذ يكفي عمليا رفع قميص)، فقد كان اللباس الثاني احتياطيا لاوقات الخطر، خلافا للعادة.

نحن في قرية بويبلو نويفو. الطريق الحقيقية ليست بعيدة. شاهدنا لاول مرة متاريس في كل مكان من القرية تقريبا. تحلق حول الشاحنة قرابة ٢٠٠ شخص. هممنا بالرحيل، فاذا امرأة تفتح الباب الذي الى جهتي وتسألني بصوت يختنق عبرات، من هو الرئيس. اشرت لها الى غاتو.

ـ لان لي اخا يدعى مارلون ـ وهو اسمه المستعار ـ وهو موجود بينكم في مكان ما.

قال لها غاتو : ـ لا تبكي.

شعرت بنهديها فوق فخذي. داعبت يدي بأخوية.

ـ انا لا ابكي ... هذه فرحة .. انتظر هذه اللحظة منذ زمن طويل. يجب ان نتخلص من هذا القذر. لي اخ اخر ... لا اعرف اين هو ...ربما ... عائلتي هدف أسوأ منكدات النظام ... سنجتمع في ساحة القرية بعد ساعة لننتخب اللجنة ونحلها محل رئيس البلدية السوموزي الـذي عذبنـا اعوامـا كثيـرة .

عانقتني، معنية انها تعانق الجميع، ثم نزلت واغلقت الباب وحيتنـا تحية واسعة بيدها، لا تدري فيما اذا كانت ان عليها ان تضحك او تبكـي، ثـم قالت : حظا سعيدا لكم ايها الرفاق ـ نحن نعتمد عليكم .

وجدنا الطريق في كونديغا مزفتا لكن البيـوت احرقت بيـد الحرس الوطني، وشاهدنا اثار الحرب والسيارات الاولى المحملة بالمقاتلين وهيكـل طائرة اسقطت برصاصة بندقية ماوزر فقط اثناء هجوم «الاسبوع المقدس» على ايستيلي . تركنا خمسة افراد من الحملة. رد عليهم غاتـو بجفـاء قبل ان يطلب منهم ان يعيدوا اليه حقائبهم وطقومهم .

توقفنا ليلا في مدرسة زراعية اسسها بادرة شيكو، الـذي اغتيـل في ايلول الماضي وهو يحاول انقاذ مدنيين . نحن الان لا نبعد عن ايستيلي اكثر من خمسة عشر كيلومترا تقريبا، غير ان الحرس لا يزال يسيطر على الثكنة لذا كان التقدم ليلا خطرا. والمقاتلون يطلقون النار بسرعة .

حينئذ اخترنا ان نأخذ شيئا من الراحة فجلسنا في ارائك قلابـة باتجاه الشمس الغاربة. اما غاتو، بطل اليوم، فقد تمنع قليلا عن الحاحنـا اليـه بالحديث، ثم اندفع يروي قصة حياته بجمل مبتورة بلا زخرفـة . كـان لا يكف عن اللعب برشيش، استولي عليه يوم امس، وهو يتحـدث ، حتـى انه لـم يعرف بعد فيما اذا كان صالحا للعمل. قام في وقت متأخر من الليل بجولة عند ايستيلي ليجربه على الحرس الذين لا يسميهم ابـدا غيـر كـلاب .

ـ انا في الرابعة والعشرين اصلي من عائلة بورجوازية في الشمال . عاش ابواي مثل سوموزا، من استغلال الاخرين، غير انهما قتلا بعـد ان اشترك والدي في احدى محاولات الثورة التي سبقت تشكيـل الجبهـة الساندينيـة .

« حينئذ عشت منذ الثامنـة من عمري مع عمي الذي كـان قائـدا للحرس الوطنـي في ايستيلي ثم ملحقـا عسكريـا في الخارج . تبعتـه الى مكسيكو لان لدي رغبة فـي دراسـة الطيران لاتخـرج طيارا، ليس اكثر . لكنه سرعـان مـا قطع عني النقود لانه لـم يعجبه من اخالطهم .

اشتد بي الحنين بسرعة الى وطني ، عندئذ رجعت على اشواط بايقاف السيارات : (ستوب Stop) . اعطاني اخي عملا في مؤسسة للسيارات ولسرعان ما اصبحت لي خطيبة كانت تدرس في الجامعة . حين توجهت للقائها عند خروجها من دروسها ، تعرفت على عالم نفس يدعى هوغو كاستيلو . تناقشنا كثيرا في السياسة . افهمني انني كنت دوما ضد طغيان النظام وظلمه فتجاه ذلك يجب ان انتظم واتوحد. وبعد ان وعاني ، كلفني بمهمة اقوم بمثلها مع الاخرين . ولما كنت احب الخطر كنت اطلب الى هوغو ان يضمني الى مقاتلي الجبهة الساندينية فكان يجيبني دوما بأنني اكثر فائدة اذا التزمت حدود القانون بقدر ما استطيع . كنت اذا « متعاونا محيطيا » اكثر مني مناضلا حتى ايلول من العام الماضي . كنت في الاغلب اعقد اجتماعات في مساكن الصفيح، واتردد دوما تقريبا على خوارنة متعاطفين . كنا نتذرع بأية حجة، مثلا ، سؤال يتعلق بآباء تلاميذ مدرسة . نطرح مسائل الادارة والمؤسسة ثم مسؤوليتهم ، ثم من موضوع لاخر ، نتوصل عموما الى ابعد من ذلك. وفي ايلول ، حين شعرت بأن القتال سيشتد ، عدت الى ايستيلي في الحال ، حيث رحت اعمل في الاغلب سائق سيارة اوتوكار ، لاني كنت اعرف ان الثورة ستكون فيها حامية اكثر من اي مكان آخر . اخذت منذ البداية اعبىء الناس لاقامة متاريس . قاتلنا طوال خمسة عشر يوما وسط فوضى لا تصدق . كلفت عشية الانسحاب اخراج ٢٥٠ شخصا شيوخا ونساء واطفالا ، ونقلهم الى ترينيداد على بعد اكثر من ٣٠ كيلومترا شمالا حيث يوجد مشفى هام لراهبات . تم كل شيء على خير ما يرام . ومن هناك وصلت الى ماناغوا حيث كنت اؤمل ان اتمكن من الاستمرار في عملي القانوني لاني قاتلت في مدينة معروف فيها قليلا. لم يدم ذلك وقتا طويلا .

« ذات يوم ، في ماتاغالبا ، جاء مجهول يشعرني بأن خمس سيارات عسكرية ، ومدنية تنتظر في محطة الاوتوكارات . خرجت فورا من المدينة بباصي باتجاه مقابل لاتجاه ماناغوا . ما كدت اعتقد انني نجوت حتى اخذت تطاردني سيارة فيها مدنيان . ادركت بسرعة انهما من اشباه العسكريين ــ وهم اشر القتلة المأجورين للنظام ــ حين رأيتهما في مرآتي العاكسة يخرجان مسدسيهما ويطلقان عليّ النار . واستفادا من قوة سيارتهما فتجاوزاني ووقفا على بعد مئات قليلة من الامتار قاطعين الطريق عرضا . لم يكن لديهما وقت ليخرجا من السيارة

فيستخدمانها متراسا ليتخذاني هدفا .

« رأيت ذلك فأسرعت وقذفت بباصي فوق السيارة بقوة فسحقتهما . لم تعد سيارتي صالحة للاستعمال . اخذت السلاح من احدهما وتوجهت الى الجبل باتجاه الشمال ، وهذا ما انقذني لان الحرس الوطني اخذ يتعقبني بطائرات الهيلكوبتر وبكل ما لديه من معدات باتجاه ماناغوا التي اتجه اليها باصي . حتى انني مشيت ساعات عديدة في النهر الذي يجتاز ماناغالبا لكي اضللهم . شردت لخمسة ايام وحيدا في الجبل ، اتغذى بالطيور التي اصطادها بالحجارة كي لا احدث صوتا ، آكلها نيئة كي لا اجتذب الانتباه بالنار .

« عرفت لدى عودتي الى ماناغوا ان صلتي ، هوغو ، التجأ الى سفارة فنزويلا . عندئذ قررت ان التحق به . نظمنا معا الـ ١٣٠ شخصا الموجودين فيها بشكل معسكر قسمناه الى ارتال وزمر . مر على حالتنا هذه شهران قبل ان تصل تصاريح الامان بمغادرة البلاد . غير انه لم يكن فيها تصريح امان لي ، بحجة اتهامي بجريمة الحق العام : حادث سير مع جريمة الهرب ! كان وضعنا حرجا اذ اصبحنا اكثر من مائتين . اضطر البعض ان ينام جالسا واخذ الطعام ينقص . وتطوعت لاحضاره من الخارج .

« تنكرت في زي امرأة في ثوب طويل وشعر مستعار اصفر ونظارتين واسعتين ومكياج سميك ، وخرجت من السفارة بسيارة الهيئة الدبلوماسية التي انزلتني قرب بيت متعاون مع الجبهة . وهنا قمت بنموذجين من العمل : اخذت اتصل بالصليب الاحمر الدولي وبعض المتعاطفين ليجمعوا الطعام ويوصلوه الى السفارة ، واشتركت ببعض العمليات مع قصائل من المقاتلين ، من نوع كمائن ، والاستيلاء على اسلحة ، الخ . الى ان اكتشفت ايضا .

« عندئذ قررت ان التجأ الى بلد آخر . استدعيت من اجل ذلك خبيرة بالمكياج صبغتني وقصت شعري وملأت خدي ونكرتني بنظارتين مكبرتين لاخفاء عيني . دخلت سفارة المكسيك حيث كنت اؤمل ان اتصل بسيرجيو راميرز ، احد اعضاء « المجموعة ١٢ » . غير انني اكتشفت في وقت متأخر جدا انه في مبنى آخر كما ان اي احد لا يريد ان احدثه . ولما كنت مجهول الهوية ، قرر الرفاق وضعي تحت الرقابة وقتا .

« في اليوم الثالث ، فتح احد الوشاة باب الحمام الذي كنت

اغتسل فيه ، وكنت قد اخرجته من سفارة فنزويلا . فعرفني واسرع وكشفني عند الدبلوماسيين الفنزويليين الذين استدعوني قائلين : « نحن نعرف من انت . تلقينا تقريرا رسميا للغاية يوحي بتسليمك الى السلطات ، فكيف نستطيع مساعدتك ؟ » لم يبق امامي غير مغادرة البلاد بوسائلي الخاصة .

« لم يكن ذلك سهلا لان صورتي نشرت في كل مكان . بعد ان خرجت من السفارة مختبئا في صندوق احد سياراتها ، توجهت الى شخص كنت قد انقذت زوجته واولاده في ايستيلي . كانت لديه شاحنة ويتوجه بانتظام الى هندوراس عن طريق محطة غوازاولة شمال شيناريغا .

« سافرنا . على بعد خمسة كيلومترات من الحدود ، جلست تحت الشاحنة ، وحبل يطوق جسمي ويداي ورجلاي متشبثتان بقائمة الصندوق .

« مررنا بسلام من المحطة النيكاراغوية . غير انه في الجهة الهندوراسية يرون من الفطنة اجراء عمليا تبخير ضد وباء القهوة roya تنجح بدقة شديدة . ولحسن الحظ انهم اجروا ذلك بأنابيب مكوعة فلم يروني . غير اني ، وانا في الاسفل ، اختنقت واصبحت اخضر .

« حين استأنفت الشاحنة سيرها ، ظننت انها ستتوقف حالا . غير انها استمرت في سيرها حتى مسافة ٢٥ كيلومترا . لم اعد اتحمل ابدا . انهارت قواي كلية واوشكت ان اتحطم في كل لحظة . توقفت اخيرا . كدت ان اصرخ حين ادركت في الوقت المناسب ان الباب الايمن قد انفتح . لم اقل شيئا اذا . انطلقنا من جديد ، وبعد كيلومترين ايضا حتى توقف « الرفيق » ليفك الحبال عني .. كان أحد الحرس الهندوراسيين قد طلب منه ان يجلسه في المقدمة بجانبه » .

كـان مـن حظنـا ان نلتقـي اخيـرا

حديث القائد جيـم ويلـوك

لتفهم الساندينية ، لا غنى عـن دراسـة جذورهـا المتغلغلة بعمق شديـد في تاريخنا. لم يكـن شعب نيكاراغوا حرا ابدا لكنه كـان يكافح دومـا فـي سبيل ان يكـون حرا . عانينـا كافـة اشكـال السيطرة تقريبا : العبوديـة ، الاستعمار ، التوسعيـة الاقليمية، التدخل الاجنبـي المباشر ، الامبرياليـة العسكريـة والسياسيـة والاقتصاديـة والثقافية..

كانت الساندينية في بدايتهـا رايـة الدفـاع عـن السيادة الوطنية ، منسجمة مـع موقف الكرامة تجاه كافـة الاضطهادات ، وتتضمـن ايديولوجيـة المطالب الشعبية . واذا كـان الفلاحـون قـد انضموا الى كفاح ساندينو فـلان هذا الكفاح كـان بالضبط في وقـت واحـد كفاحـا للتحرر الوطني والتقدم الاجتمـاعي حـول افكار التعاون والاخوة والكرامة .

بعد موته ، تغيرت الشروط وتطورت اشكـال السيادة لكـن الشعـب النيكاراغـوي استمر في القتال . ثم ظهرت قيم جديدة بدءا من الستينات والسبعينات بالكفاح الذي قادته الجبهـة الساندينيـة للتحرر الوطني . واخذت الاشتراكيـة معنى اقتصاديـا اكثر واصبح البرنامـج السياسي اكثر عقلانيـة ولمسا .

ان الساندينية الجماهيريـة اليـوم هي ساندينيـة الجبهة اكثـر منهـا ساندينيـة ساندينو . لقـد عانت الجماهيـر من الديكتاتوريـة التي جبلـت على الاستبداد السياسي والاستغلال الاقتصادي والتسلط الامبريالـي . وعرفـت الجبهـة الساندينية كيف تشير الى الطريق للتخلص من هـذا الوضع : طريق الكفاح المسلح . وهكذا اتحـد الشعب تدريجيـا مع الجبهـة ومع مـا يفترضه ذلـك في حدود شكل الكفاح وحدود الاهداف . غيـر انـه يمكننا ان نقول ان الجبهـة قـد فقدت خلال الحرب « ملكيتهـا » للساندينيـة التي تكفلت بهـا الجماهيـر مباشرة اخيرا . ممـا اضفى عليهـا ، بوضوح ، طابعـا غامضا ، غير دقيق،

نجـــد فيه « فروقا بسيطة » . تغيـرت الشروط ، واستمرت الساندينية بالتطور طبعا ، انمـا دومـا باتجاه الكفاح للحفاظ عى قدرتنـا علـــى تقريـــر المصيـــر المرتبط بمشروع اجتمـاعـي .

في هذا التطور ، يجب ان ناخذ باعتبارنـا انقسامـات طرات داخل الجبهة الساندينية عامـي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ . قيل في ذلـك الوقت ان العدو الرئيسي هـو الامبرياليـــة وان الكفاح لا بد وان يطول لذا يجب التركز في الزوايـا النائيـة جدا فـي الجـبل والشروع بالحرب من هناك . كـان ذلـك صحيحـا في عمليـة تحرر وطني بتدخل اجنبي ، حينمـا يقتضي الامر مجابهـة دولة عملاقـة قدمت من الخارج ذات طاقـة تاريخيـة قويـة وانمـا بقـوة حليفـة منخفضة . في مثل هذه الحال ، يجب ان تكـون الارض الجغرافيـة الجبـل فعـلا والطريقـة هي حرب المفاويـر . لكـن من يذهب ويلحق بنـا الى الجبال ؟ لا احـد لكي يكافح الشعب الامبريالية ، يجـب ان يـرى الغرينغو في البلد وهم يطلقون النار.قـال ذلـك ساندينو ، مـن ناحيـة ثانيـة ، وهذه نقطـة جوهريـة في ارثه السياسي :« اذا كـان تدخل الولايـات المتحدة العسكري قـد انتهى ، لكنه مـع هـذا مستمر على الصعيد الاقتصادي والسياسي . والاسوأ من ذلـك ان الشعب الذي يعاني منه لا يعتقـد بوجوده». وتابـع يقول : « تخلى عني اصدقائي في هـذا الموقف حيـن كانت الحكومة المحليـة تستعد لسحقنـا » . وذلـك مـا حدث بالضبط . ذلـك هـو فخ الديكتاتوريـة العسكريـة الذي تركه اليانكي في بلدنـا . واضطررنـا لان ننتظـر خمسة واربعيـن عامـا لنرد علـــى مجاملتهـم ونوقعهم بأفضل فـخ .

كـان للانسحاب في الجبال محظور اخـر بالاضافـة الى ذلـك ، هـو ابعادنـا عـن العمال وترك سلسلة من المهام في غايـة الاهميـة معلقة ، مثل تنظيم العمال فـي اماكـن عملهـم وتنظيـم الفلاحيـن حيثمـا وجدوا . لان مناطق الشمـال التي اقمنـا فيهـــا معسكراتنا كانت فيهـا قلـة شديـدة من الفلاحيـن . حتى اننـا بالكـاد ان توصلنا فيهـا الى تكويـن حقيقـة عسكريـة ، خلافـا للعمليـة الثوريـة . لم يكـن احـد يتحدث عـن الديكتاتوريـة ، كـان يقال : «الامبريالية هي العـدو غيـر المباشر » . انهـا حقيقة بعيـدة تقريبا . في حيـن انه كـان يجب اظهار عـدو ملموس ، وليس العدو عمومـــا ، ليس الامبرياليـة عمومـا .

كان بقدرتنـا التحدث الى المناضليـن عـن غايات الكفاح وليس ايجاد التعليمـــات الراهنـة . لم نكـن لنرد على المهام التي يجب انجازهـا فورا : تنظيم العمال ، توعيتهـم، تسليحهم ، اعداد السوقيـة وتجميع القوات .

عندئذ نزلنـا الى المدن وحشدنـا كافـة الطبقـات الاجتماعيـة في الاضراب . ذلـك اننـا كنـا دومـا من انصار العمل على التقاء اشكـال النضال الثلاثة وتركيبهـا بحد رائع في الهجوم النهائي : الاضراب ، ثورة المدن والكفاح المسلح ، وحرب المفاويـر او الحـرب

المنظمة . ثلاثة اشكال من النضال تاريخية لم نخترعها نحن . ولم نحل مسائل ثورة قائلين :« لنكن كلنا مغاوير » . لقد ثرنا ضد ذلك .

حاولنا اولا طرح هذه المسائل كلها في المنظمة . غير ان الشروط لم تكن مناسبة جدا . اضطررنا لمجابهة ردود تذكر بالروح العسكرية البالية ، واثار لروح الزعامة وحبها جعلتنا نسمع ، حين نتطرق الى المواضيع الملحة ، من يقول : « كلا ايها السيد هذه المسائل ليست موضع نقاش » . فابعدنا واحدة ثم اخرى . لم نفكر في البداية بتكوين نزعة ، غير انه دفعنا الى وضع مشروع مغاير لغيرنا من الرفاق الذين اطلق عليهم فيما بعد « الثالثيون » ، والذين انفصلنا عنهم في النهاية لانهم ارادوا عمل كل شيء فورا .

من الواضح جدا اننا ارتكبنا نحن اخطاء ايضا . مثال ذلك ، اننا في ذلك الوقت الححنا على تنظيم الجماهير من غير ان نقدر بالضبط القيمة الحقيقية لامكانية الاستفادة من الاحداث الثورية المنظورة ، وذلك شكل اخر لتجميع القوى وتحريك العملية .

غير ان الحظ واتانا جميعا والتقينا اخيرا ، بعد شيء من الانقسام في العمل الثوري . حملنا جميعا شيئا الى الثورة بعد ان وقفنا في صفوف مختلفة . والان وقد اتحدنا ، راح كل منا يحمل معه حقيبة ظهر كبيرة Mochila من الخبرات والصفوف ليقذفها في وجه العدو ..

الخميس ٥ تمـــوز ، ايستيلـــي

((انقذنـــا من الشر ، آمين ...))

استرحنـــا صباحـــا في المدرســـة الزراعيـــة . كانت الاحاديث غير مترابطـــة ، اي كانت . اعطيت اول دروس للاعداد العسكري على يـــد الاكثر خبرة الى المجنديـــن الجدد .

تجمعت الفتيات في زمرة واحدة ، يشـــددن اليهـــن انتبـــاه الشباب الذيـــن ليست لديهم غير خبرة قليلة . كانت الفرصـــة مناسبة لاظهـــار المزايـــا والتذرع البارع للمس كتف او اخذ مواقع مفيدة لا يغامر اي عدو، في الوقت الراهن ، على عدم نجاعتها . غيـــر ان اللامبالاة والمغازلـــة والمناقشات المملة الطويلة لـــم تمنـــع من قيام التدريب . ان الرياضـــة البدنيـــة تزيل صدأ الجسم . وانه لمـــن المفيـــد دومـــا معرفة الزحف والانبطاح ارضـــا من غيـــر ان يؤذي المرء نفسه . ان احدا لا يعرف كم وقتا تستمر الحرب وقد بدأت التداريب العسكريـــة كلهـــا بشكل واحـــد . ان المثابرة والتكرار تنسي القضبان الغريبة المستخدمة في التماريـــن . هذا المساء ، وربمـــا غدا ، سوف يسلمونهم بنادق حقيقية .. ويحيـــن وقت استخدامهـــا .

الساعة ١٦ ــ توجهنا الى ايستيلي . تقع ثكنـــة الحرس الوطني على الطريق الرئيسية . علينـــا ان نقوم بدورات وننعطف وننفذ في المدينـــة بطرق ترابيـــة وطرق من الوحل في احيـــاء افقـــر الفقراء حيث يتركـــز فيهـــا الساندينيون خير تركيـــز واقاموا فيهـــا مقر قيادتهم .

نظمنا راميرو صفوفـــا في تعرجات صحـــن دار كان نصفه صحن دار

والآخر بستانا . كان هو رئيس الحملة الحقيقي . لم يكن قد اظهر ذلك ابدا .

ـ ايها الرفاق ، بدأت الامور الجدية . غدا ، عندما اجتمع بفابيان ، قائد المدينة ، سيلتحق كل منكم لوحدته .

رحت ادمدم واقشعر . وبانتظار ذلك ، قسمنا مجموعات صغيرة لنتمكن من النوم والاكل . توقفت مع ماركو واخرين عند «مخزن كان له ان يبنى » ، سقفه اشبه بمصفاة . خرمت جدرانه بشكل فني صواريخ الطيران . راح ماركو يهمهم من غير ان يعرف السبب والقى نظرة فيما حوله . كان البيت واسعا ، اثاثه الوحيد فرش اخذت من بيوت متهدمة بلا ريب . وضعناها بدقة في زوايا لا يصلها المطر مباشرة . عينت موضع واحد منها قرب حفرة في الارض .دفعني اختيار المكان الى التبسم . فهو يتيح لي ان يتولد لدي الانطباع حين افيق ، وكأنني نازل من سرير ، بينما لا تتجاوز سماكة فراشي ثلاثة سنتميترات . انه لمن المباهج الغريبة التي نتحسس بها .

لم يكن المكان مقفرا من السكان . كان يسكنه ، ويمكننا ان نقول يديره ، تانكيتا ، الذي قدم فيما بعد تصحبه زوجته ـ بانشيتا . بانشيتا في السادسة والثلاثين ، في نظرة حزينة جدا، يظهر عليها العذاب، هدم جسمها حبل متكرر وتغذية ليست دوما ما يجب ان تأخذ منها .

اتوا الينا بطعام عشاء من الكانتين المجاور . قدمت الينا في صحن صغير ـ كما سنظل على ذلك منذ الآن ـ فاصولياء حمراء ونصف قرص ذرة ، مضافا اليها ثلاث قطع لحم صغيرة غير ناضجة ، وشيئا من الارز او ... كنا نمضغ لثلاث دقائق ونتفكه بلذةلثلاث دقائق اخرى .

الساعة ٢٠ ـ اقف عند عتبة الباب في هدوء المساء . الرشقات المتواترة الصادرة عن مقر القيادة تمزق وحدها هدوء ضوء القمر. ليس هنالك كهرباء ولا ماء . هنالك الترقب وتنفس الناس المنبعث ببطء اشد وعمق أشد .

الوقت يمضي والثرثرات والاحلام ، والحياة تنشر تاريخها، والحرب اشبه بقصة .

ليس لدينا ما نعمل . المناقشات السياسية قليلة ، ترجع في الاغلب الى منعكساتها او اساسها اكثر منها الى التحليل . بعيدا ، الرصاص الخطاط يدمي الليل .

بانشيتا راسها يؤلمها . راسها يؤلمها دوما . لا تؤثر فيها اية حبة اسبرين . بانشيتا في نظرة ثقيلة تحت الم راس لا ينتهي . حياتها خانقة . راحت فجأة تهجي ، ولربما لانها لا تستطيع غير ذلك ، قصة حياتها تهجية اكثر مما ترويها رواية : ولد ، ولدان ، ثم ثلاثة ، ثم اربعة ، ثم رحل اهالي ايستيلي عن المدينة خوفا ، رحلوا حاملين معهم خوفهم .

ـ هذا الرجل ليس له قلب . انه حيوان دموي ، حيوان متوحش. لم يبق لنا غير حل واحد : نندفع الى الشارع ونقاتل بما تقع عليه يدنا .

لم تبك . انها تشعر بما تقول كل الشعور ، وتستمع الى صوت العقل في نواحي ، فرغبتها الوحيدة تكمل بالسلام .

ـ تحجر قلبنا لكثرة ما تألمنا .

لم تبك ، حتى حين اخذت تتحدث عن اولادها . اعمارهم احدى عشر ، خمسة عشر ، ثمانية عشر ، عشرون . لم تبك . قتل اثنان منهم. قتلا في العشرين عاما والخمسة عشر عاما . لم تبك . توصلت الى ان ترسل ، بالقوة ، البالغ احدى عشر عاما ، الى مزرعة تبعد كيلو مترات قليلة عن المدينة . مأمونة تقريبا . حتى انه امكنها ، بالامس، ان توصل اليه ثلاث كيلو غرامات سكر . لكن الآخر ؟ بدرت حركة بسيطة من حنكها في هدوء المساء ، وترقرق شيء من الدموع في عينيها . « اذهب الى هنالك » انه في مكان ما فوق المتاريس قرب خط النار . لم يأت ابدا لرؤيتها . انه لا يريد ان يبكي حين تقول له انه كل ما بقي لها . لم يعد ابدا لرؤيتها . قريبا ، سنهتدي الى الطريق التي جاءت بها الى العالم . وراسها ، راسها الذي يؤلمها جدا .

ـ سوف تكون نهايتنا جميعا في ملاجىء العجزة لانهم سوف يقتلون ابناءنا ولن يبقى لنا واحد يعني بنا .

لن يرجع احد اليها ابناءها الميتين ، اولادها الذين ربتهم وحدها، والتي تود لو تنتزعهم من الغيب . لكنهم يظلون هنالك ، في الماضي السحيق . ليسوا هذا الاليف الذين تلتقي بهم في الحرب ، هؤلاء الشباب الذين تضيفهم وتعني بهم بحنان ينسيها الم راسها . تتمسك بماركو مثلما تتمسك بالمسيح . تريد كيلوغرامات من الادوية ليمضي كل شيء وتنسى كل شيء .

وصل تانكيتا لفوره في الساعة التاسعة يقود سيارة جيب ويللس حمراء ، واقية ريحها مرتدة فوق الغطاء . كان شخصية مهيبة .طوله متر وثمانون ، وزنه مائة كيلوغرام ، في بزة مبقعة بشكل جلد الفهد كانت من الغنائم ، تشيع البسمة في شفتيه ، يغير سيماءه بكثرة ويبرز بجلال لطف السمان الخالد . اسمه الحقيقي ماكاريو لكن اهالي ايستيلي ينادونه عن تحبب مرة « تانكيتا » واخرى « شيرمان »، تشبيها. تجاوز الى حد واسع الثلاثين ، يظهر وجهه وجه كهل في هذه الحرب لكنه يسيطر سيدا ، كما في مستواه .

كوربو (الغراب) ، في العشرين ، في وجه شاحب الى الابد كمن ابلّ من مرض ، وقميص في مربعات ، وبنطال جين ، وقبعة كاوبوي سوداء ومسدس طاحون في سبطانة تلمع . تبع تانكيتا كأنه اقرب الى ظله من غير ان ينبس ببنت شفة . واقتدى به سيرجيو لئون بلا ابطاء .

اتجهوا فورا نحو زاوية المطبخ حيث راحت بانشيتا تناولهم باستمرار طعاما ناضجا للغاية ووفيرا اكثر من عادة المحيط ، من قهوة ولحم فخم وحتى فاكهة ثمرة المحامي (نوع من الاثمار الاستوائية) امكننا أكلها مع حز ليمون اخضر . كانت مأدبة بادر تانكيتا بمشاركتنا اياها. وصحنه بيده ، يستفسر عن حاجاتنا ويبذل جهده كله ليعد كل شيء لنكون على احسن حال بقدر المستطاع ، حتى انه اخرج سيغارات خلصها من مصنع التبغ المجاور قبل ان يحترق . قال متذكرا بلذة : «لقد قمنا بحيلة كبيرة على المناهضين للثورة الكوبية . كانوا كثيرين في بلدنا وقد تعاونوا مع الحرس الوطني والشبه عسكريين . كانت علاقاتهم بسوموزا رائعة دوما ، كما توجه من بلدنا قسم كبير من المرتزقة الذين جردوا من سراويلهم في عملية الانزال في خليج الخنازير » .

« هيا سر ! » ما كدنا نبتلع آخر لقمة ونضع في فمنا سيجار هافانا من الانتاج المحلي في انبوب ، حتى دعانا رب الجلسة الى جولة ليلية بين انقاض ايستيلي . لم يكن ثمة مجال لاستخدام المصابيح الكهربائية، فهي موضع رصد بسرعة . كانت السيارة تتقدم اذا على ضوء انوار توقف السيارة . كانت هالة نور خيالية تقفز وتداعب بقايا الجدران التي ما زالت قائمة من غير ان تنير الطريق . لا شيء في خطوط مستقيمة ايضا . كانت الظلال المحطمة تنفجر في الحفر السوداء، تقفز فوق

الانقاض ، تتلاشى بعيدا حين لم يعد هنالك من مجموعة بيوت غير ارض يباب . مدينة في هلوسة ، مقفرة ، تعيش في رعب . الرعب فحسب . لا يتجاوز الالف عدد المدنيين الذين ظلوا في فترة المعارك الضارية جدا . كانوا مئات قليلة من اولئك البؤساء الذين لم يمكنهم ان يفعلوا غير ذلك . لقد شهدوا ثلاث حروب في ثلاثة اشهر .

خلف باب يتسرب منه خيط من ضوء ، كانت عائلة بكاملها تتلو صلاتها بصوت مرتفع : « خلصنا من المحنة ، آمين ... »

تناهى صوت خفيض اقرب الى العدم : ـ « من القادم ؟ »

ـ آلة !

ـ ادخل !! Adelante كرتون .

صدرت من يد شارة خفيفة في الضوء الخافت .

قال مرشدنا ناصحا : ـ لا تخرجوا ليلا ابدا من غير كلمة السر . الرفاق الحرس في الاغلب هم متطوعة قليلو الخبرة . هم خائفون ويطلقون النار بسهولة .

تسجلت جولتنا ، من بعيد فأبعد ، بظهور اشباح مسلحة ، نراها على ضوء شمعة، تبرز من زاوية باب او تخرج من حفرة وسط الشارع. كان الجميع يعرفون تانكيتا وسيارته الجيب .

فرضت علينا الخنادق والمتاريس ، البطلات الحقيقية لهذه الثورة، جيمخانة (سباق سيارات تعترضها ممرات متعرجة وحواجز ، الخ). لا تصدق. كانت الاولى مجرد خنادق صغيرة ، ليست لاعتراض دبابةوانما لينبطح المرء فيها ممرغا انفه بالطين حين يقع قصف بالقنابل . اما الثانية فقد اقيمت من الحجارة المنتزعة من الشوراع ، بشكل صلبان مربعة ومسطحة نضدت في ثلاث او اربع صفوف اشبه بصحون في خزانة مطبخ بورجوازي . يكمل اللوحة في اماكن شيء من حطام هياكل اطر أسرة او كراسي وسيارات محترقة وسط الشارع ... روى تانكيتا :

ـ في ايلول ، وقفنا وسط المتاريس غير انه حين جاءت مدرعة واطلقت النار وقع بيننا جرحى كثيرون . ومنذ نيسان ، اخذ المقاتلون يتنحون قريبا من زوايا البيوت فتم ذلك بوجه افضل بكثير . يجب دوما ان نتعلم ، ان نتكيف .

ايستيلي المدينة الشهيدة ، ايستيلي الثورة ، ايستيلي الساندينية. فيها ولدت اولى النقابات . منذ الخمسينات، نظم اهلها انفسهم ضد

الديكتاتور كما ان العديد من قادة الثورة هم من مواطني هذه المدينة . اصبحت منذ عام اطار اشد المقاتلين عنفا وقتلا وضراوة في البلاد. تحمل لوحا ت تسجيل سيارات محافضتها حرفي E S وهما مختصر الحرفين الاوليين من كلمتي ECOL SANDINISTE المدرسة الساندينية .

ليس ثمة مجموعة منازل او مبنى الا وكان مسرحا لشر الحرس الوطني او مقاومة بطولية للمغاوير . قص علينا تانكيتا ذلك كله. كل دمار في المدينة ، حتى كل جبل ، بعيدا ، يبرز اسود في عميق الليل المنجم ، له قصته . في ايلول من السنة الماضية ، لم يكن الشباب غير خمسة عشر عند فجر اول طلقة نار لكن الشعب حمل السلاح ، حرق الجيش نصف المدينة لينتقم ، ولم يكن ذلك اثناء المعارك وانما خلال عملية التنظيف Limpieza الدامية التي تمت بعد ان انسحب الساندينيون . واسرع الى ماناغوا ابناء chiguines مدرسة التدريب الاساسي للمشاة بقيادة ابن سوموزا . القوا بالعائلات خارج بيوتها وقتلوا تبعا لمزاجهم . كان اشدهم معرفة يتحقق اول من رضفات ضحاياهم . كان اقل خدش فيها يعني انهم جثوا على ركبهم ارضا ليطلقوا النار او يزحفوا ، فيعدمونهم فورا . وبأية حال ، كان الجنود ، بعد ان يأكلوا في المطبخ ، ينهبون خزائنه واثاث منزله ويحملونها في شاحنات يلحقون بها فيما بعد ، بعد ان يضرموا النار في المنازل ، منزلا منزلا ، في شوارع بكاملها .

ـ ... هنا ذبحوا اطفالا بالسكاكين ... في المبنى الذي على يميننا ، اغتصبوا راهبات ... وهنالك صرعوا طبيبا .. الضباط يوزعون مخدرات على الجنود . وجدنا في حقائب ظهرهم ماريهوانا وكوكائين.. واخيرا ، شيئا لا أعرفه ، مسحوقا ابيض ... حينئذ يصبحون مجانين ، يطيعون بلا تفكير ، يقفون تحت الرصاص ويطلقون في كل الاتجاهات... هل تعرف ان ايشانيس ، مأجورا امريكيا ، جعلهم ينبحون عشرات المرات يوميا : « من انتم ؟ » « نمور ! » « ماذا تأكل النمور ؟ » «لحما ! » فيجيبهم : « نحن متوجهون لنأكل لحم الشعب ! » غير ان ذلك لم يمنعهم من الخوف بعد شهر . كانوا يبكون حين يرسلونهم للقتال ضدنا .

« في نيسان ، في هذا الشارع ، حفرنا خندقا . ذات يوم انقضت فوقنا طائرة مباشرة. اقسم لك لو سقطت لسقطت فوق حفرتنا.عندئذ

اطلقت عليها النار من رشاش ف.أ.ل. انه بطارية حقيقية مضادة للطائرات . ثم اخرجنا رؤوسنا من بين اكتافنا ، حين التفتنا بعد مرورها ، شاهدنا الدخان يخرج من محركها .. يا له من عيد ! »

قص علينا تانكيتا حياته ايضا . كيف عاش ثماني سنوات في شيكاغو يتعاطى فيها التجارة . وقصصه مع النساء هنالك وقصص حبه وماله . ثم انتقل فجأة الى ما الحقه بالعدو من هزيمة في زاوية من شارع .

ـ بعد ظهر من ايام نيسان ، نصبت زمرتي كمينا وسوت حسابها مع اثني عشر كلبا ـ كنت مسرورا ، لكني حين عدت الى البيت ، كانت عائلتي تبكي . قالوا لي : « قتلوا اخاك » . أجبتهم « لا تبكوا ، انتقمنا له . قتلنا منهم اثني عشر الآن » . ثم سألتهم اين وجد قتيلا وفي اية ساعة . كان بين ايدينا قتلته وهم ينسحبون ، من غير ان ادري . »

عدنا الى الفندق . أرسل كورفو ليأتي بزجاجات كحول صغيرة جدا غنمها من سوموزي . كانت كحولا من علامة : يانسون وماري بريزار وكونياك ، الخ . كانت كلها لا تثير العربدة . كان الرجل اسفا هاويا اكثر منه سكيرا .

« طلب مني الرفاق مرة ان اقتص من « اذن » ـ اي واش ـ هندي للحرس . فأجبت : « اعطوه بندقية فنتقاتل ، لاني لا استطيع ان اصرعه وهو اعزل . يمكنكم ان تلومونني ، لكني لم اخلق لذلك » . البعض يفعل ذلك بسرور . ليسوا كثيرين ، لكني اعرف حالة او حالتين . شاب ، مثلا ، رأيته يقترب من جلاد . غرز السكين في اضلاعه وسأله : « اتشعر بها ؟ قل لي . هل تعتقد انه يمكنها ان تدخل اعمق قليلا ؟ هل بقي من موضع ؟ قل لي » . كان هذا الشخص قد عذبه ، ثم قتل اخين له . فاضطررنا لفصلهما . هنالك ايضا حالة فتاة قتلوا رفيقها في العشية . قتلت الهندي برصاصة من عيار ٣٨ في ام رأسه بينما كان مرتميا بين قدميها يسألها الرحمة . ليس بأيدينا حلول لمنعهم من العودة الى مثل هذه الاعمال . ان الشعب الذي تعذب من جراء الوشايات بعد ايلول ونيسان يطالب بجلودهم . على الجيش السانديني ان يقوم بهذا العمل بنفسه لتجنب كل روح انتقامية . لكني لا اريد ان اشترك في ذلك مباشرة . اقبل ، كأقصى حد ، ان اكون في مفرزة اعدام لانني اعرف ان احدى البنادق ليس فيها رصاصة حقيقية . انتظر بفارغ صبر

ان تتيح لنا الشروط الشطر الثاني من شعارنا : « اشداء في الحرب ، كرماء في النصر » .

ـ ما هو شعورك حين قتلت اول حرس ؟

ـ لم اشعر بشيء وقلت في نفسي اني ربما لم اقتل احدا .. هنالك كثيرون من يطلقون النار في وقت واحد . من يعرف فيما اذا كانت رصاصاتي لم تصل بعد رصاصات الآخرين ؟

فرقة العمل السياسي والعسكري

حديث القائد يواكيم كوادرا

اول من تحدث بيننا عن الستراتيجية الثورية هو مؤسس الجبهة الساندينية كارلوس فونزيكا امادور. جرت مناقشات جدية في كانون الاول ١٩٧٤ في لاهافانا في مقر القيادة التي نفذت منذ وقت العملية ضد بيت شيما كاستيلو. تجابه مفهومان بوضوح. اراد البعض الاستمرار في تجميع القوات وتاليف جيش مغاوير في الجبال الشمالية، وفقا لفكرة عامة عن الحرب الاهلية المستمرة. واراد اخرون، يلتفون بصفة رئيسية حول كارلوس فونزيكا وهو مبيرتو اورتيغا وجيم ويلوك، الانتقال الى الهجوم والاقتراب من المناطق الماهولة بالسكان. وتم تبني خط هجين، حفاظا على التلاحم، يقول : «في النضال من اجل الاشتراكية ، من الصحيح التمسك بالحرب الشعبية المستمرة، غير انه «في مكافحة الديكتاتورية»، يسمح بالحديث عن عملية ثورية. كان خطا يعاني الكثير من عدم الوضوح ولا يمكن من تحديد عملية حقيقية لتجميع القوات في هدف واضح ومحدد .

عامي ١٩٧٥-١٩٧٦، انطلق سوموزا في عملية قمع دام تعذب منه البلدُ كله ومكن الديكتاتور من توجيه ضربات قاسية لمنظمتنا. ولاقى الكثير من الرفاق مصرعهم في هذه الحقبة، وبينهم كارلوس فونزيكا. عندئذ افرغ جهده احد قطاعات الجبهة «الثالثي» في حشد الاطر التي ظلت حية والاسلحة المتوفرة للانتقال الى الهجوم بهدف الاستيلاء على اسلحة العدو وتوزيعها على الاهالي واعلان الثورة. كان ذلك في تشرين الاول ١٩٧٧ .

كان فشلا عسكريا لكنه نجاح سياسي. يجب ان نعترف اليوم ان مواقعنا الذاتية ، وضرورة الاتجاه في الاتجاه الاخر لنتخلص من العقلية الدفاعية والتشتت والانزواء، ابعدتنا كثيرا عن الحقيقة. لم تكن كافية لاعلان الثورة بعض العمليات العسكرية، التي حدثت في اوج مد حركة جماهيرية، يوم ان كانت الديكتاتورية ما تزال شديدة القوة. ومع هذا، مكننا

هـذا الخطأ من ان نجد فيما بعد الخط الوسيط الذي نتبعه اليوم .

اندفعت الديكتاتورية منذ هذا التاريـخ (تشرين الاول ١٩٧٧) فـي سباق تسلح جامح. وتبنينا من جانبنا خطا سياسيا لينا مكننا من توسيع قاعدة استنادنا. اخذ الذين كان عليهـم بيننا ان يعملوا سرا وقتذاك يتمكنون من التنقل بمرونة شديدة للغاية بقدر مـــا كـانـت البورجوازية الصغيرة تساعدنا به لتنمية اسيتنا بتقديمها لنا النقود والبيوت والسيارات. رأت الجماهير بوضوح اشد ان الهدف هو الاطاحة بالديكتاتورية بقوة السلاح، وانها ممكنـة، فخرجت من سباتها. ودخلنا مرحلة صاعدة رغم ان الضربات الرهيبة التي انصبت علينا فيما بعـد لم تتوقـف .

بعد تشرين الاول ١٩٧٧، ظهر الانقسام بين قطاعات الجبهة الثلاثة بشكل اوضح. اصبحت الاتهامات علنية وخطيرة والشتائم مألوفة. وتكفلت كل نزعة بشخصيتها وتحديد اهـدافهـا وتنمية أسياتها السياسية ودفع منظماتها الجماهيرية وشعاراتها التي اخذ الشعب يعتـرف بهـــا كمـا هـي .

ولحسن الحظ ان النشاط السياسي اخذ ايضا يعم البلاد فشب فيها الهياج وراحـت الاجتماعات تعقد في الاحياء في كل الليالي، الخ. واشتد القمع. وسمعنا احاديث عن كمائن «تلقائية» ضد وحدات صغيرة من الحرس الوطني. وبدأنا نلتقي في اطار هذه النشاطـــات الجماهير . في الاجتماعات، مثلا، حيث نتكلم دوريا قبل ان نتبدد ثانية في ظل السريـــة، كـل من ناحيته. ونتبع حتى هنالك سير النزعات الاخرى عن طريق الناطقين بلســـانها او العمليات التي تحققها. ومع هذا التقت طرقنا ثانية في هذه الحركة العسكرية ـ السياسيـة واخذنا نشعر بأدنى حد من التنسيق . فتم في مناسبات محدودة منذ اواســط عام ١٩٧٨ وتوصلنا في الوقت ذاته الى اتفاق مبني على المبدأ التالي : «الثورة غدا فيجب ان نستعد».

لكن «الثالثيين» اعلنوا وحدهم ثورة ايلول ١٩٧٨ التي اخرت عملية التقـارب بيـن النزعات الثلاث. فماذا حدث ؟

اصبح القمع يتزايد وحشية فلم يكن امام الجماهير من خيار لمجابهته غير اللجوء الى العنف، وفي وقت لم تكن فيه «الوسائل» متوفرة. وحدثت ثورات بسيطة تلقائية دلت عـلى قتالية كبيرة وصلابة خارقة لدى الجماهير، في حين ان لبنات الطليعة السياسية والعسكرية كانت متخلفة. فتوقعنا انه ان لم نقم بعمليات هامة فلسوف تمنى الحركة الجماهيريـة فـي مجموعها بهزائم رهيبة ان ظلت تخوض القتال وحدها بلا قيادة وتلاحم على المستوى الوطني. كنـا واعين كل الوعي لضعفنا المادي والتنظيمي، ومع هذا قررنا دفع الحركة وتولي قيـادة ثـورة اصبحت حقائق تتقدم . كان علينا في وقت واحد ان نحافظ على موقـع الطليعـة، والقيادة، والجبهة الساندينية وتجميد مناورات البورجوازية المعارضة التي بدأت ايضـا تندفع في النشاط السياسي .

كانت النتائج السياسية لثورة ايلول ملائمة الى حد خارق. جسرت الديكتاتورية عـن

بهيميتها في قتل الجنس البشري، التي لم تكن معروفة لدى الجميع حتى ذلك الوقت. وما انفكت نسبة القوى تتحسن لصالحنا. راح المقاتلون يتطوعون بالمئات وازدادت قوة نارنا ونمت اسية نشاطاتنا السرية وتغيرت العقليات. وشهد تنظيمنا قفزة حاسمة كما وكيفا وانشأنا في الوقت ذاته منظمة حركة الشعب المتحد ، الضرورية لتهيئة الثورة النهائية .

غير ان شن الهجوم من جانب واحد في ايلول عزز احجام النزعات الاخرى وفقدان ثقتها. خشيت من تكرار هذه الاعمال واستئنافنا الهجوم وحدنا اذا دل تحليلنا على ان الوقت قد حان. ورغم ذلك، توصلنا ببطء الى وضع مقترحات مختلفة للتنسيق على المستوى المحلي والاقليمي والوطني. بيد اننا جميعا فوجئنا ـ وكان البعض يعتقد ان الوقت لم يحن بعد ـ حينما قرر المسؤولون، في اذار ١٩٧٩، تشكيل قيادة وطنية مشتركة تضم ثلاثة ممثلين عن كل نزعة. وتحتفظ كل نزعة باستقلالها العضوي . غير انه سرعان ما انشئت هيئة اركان عامة مشتركة، قومية، في ماناغوا، ثم في كل من مناطق البلاد . وبذلك تلاقت قوانا كلها اخيرا.

وهكذا كانت الجبهة الساندينية المثال الوحيد في التاريخ عن «الانقسام المقوي». وبواقع التقائنا، كان اثر هذا الانقسام «توزيعا حقيقيا للعمل» العسكري ـ السياسي، الذي لم يكن ليستغنى عنه لتهيئة الثورة !

الجمعـــة ٦ تـمـوز

اقسم سوموزا ان يحول المدينة مطـارا

وحداتنا كلها تراودها احلام الحرب .

رأى جاري نفسه يهاجم الثكنة ويستولي عليها، ويخرج من هـــذا الهجوم بجرح في ربلة ساقه . قال اخر : «انا اصبت برصاصة فـــي ام جبيني ثم نهضت لاتابع القتال». وحلم اصغرهم ان ثلاث طائرات دمـــرت موقعه، ثم خرج راكضا ليختفي خلف شجرة قبل ان يهرب فـــي الاتجـاه المعاكس لخط النار. وحلم ماركو احلاما اكثر تمثلا : قطعت يده ، ولم يكن بمستطاعه ان يصبح جراحا فاستغل ذلك ليسافر الى كوبا ويتعلم كـــل **اسرار الطب الشعبي .**

المدينة نهارا لا تقل تأثيرا في النفس ايضا عما رأيناها عليه ليـلا كمـا لا تقل مسرحية تقريبا. الدمار أسوأ ايضا مما لا يمكن ان تتصوره العـاب الظل . خلف الواجهات السليمة، ان كانت قائمة، لا شيء ابدا .

كان الهول يظهر للعيان صفحة صفحة .

البيوت المدمرة في ايلول كشطها سوموزا بالبلدوز «لتكون انظف» ، ونبت فيها الشعب. هنالك الكثير من الارض قاعا صفصفا. جمعت الانقاض من البيوت المتهدمة في شهر نيسان وكدست ونظمت. لكن انقاض الشهر الاخير تنتشر وسط الشوارع. الاسلاك الكهربائية في كل مكان تقريبـــا، تتدلى من الاعمدة وتلتف اشبه بأفاعي حول الشارات الضوئية الميتـــة . وسيارات جمدتها الى الابد طلقات سلاح ثقيل. ومفارق شوارع اقتلعـــت حجارتها ومتاريس في كل الاتجاهات في ثغرة الى جانبها لمرور شخص.

ثوب ازرق متوحد اشبه بشبح، تهزه الريح، علق بعناية في حبل في زاويـة من صحن الدار المقفر، يظهر وكأن صرخات الاموات كلها تهزه.

الجدران تملؤها شعارات مختلفة، احدثها : «السلب ممنوع» التوقيع «الجبهة السانديـنية للتحرر الوطني». واشدها اثرا في النفس : «تعيش الثورة المسلحة...» كانت سن اخر حرف فيها (وهي باللغـة الاسبانيـة الاصلية التي كتبت بها : M) واسعة تنحدر الى الارض. كان كاتبها قـد فاجأته دورية عسكرية فاغتالته وهو يكتبها .

امام الكنيسة، كلب خجل ينهي جثة حرس نصف محترقة. عانـى مشقة من الجمجمة حين رفضت الخوذة ان تنفصل. رائحة الموت تفـوح. فـي كل مكان تفوح رائحة الموت .

فوق باب واسع كتنساوي ، سمّر اعلان صغير في كتابـة رديئـة : «!انتبه ! شيوخ واطفال». كانت تشير الى قلق من لم يمكنهم الهرب فآثروا التحفظ من طلقات نار طائشة .

ـ فقدنا كل شيء. ليس لدينا اي مكان نأوي اليه ونحن الان لاجئون عنـد هذا الصديق الذي بيته قوي». كانت العجوز تقف عند عتبة البـاب وتشير بيأس الى قطيعها من الاطفال الصغار الذين هم بحاجة الى الحليب.

ـ هنا خمسة عشر طفلا ونحن خمس عجائز . مجموعنا اربع عائلات. حالتنا تسوء من سيء الى أسوأ. هذا الصباح اعطاني قائد «ورقة» لاتـي بالطعام. غير انه عند اول مركز حرس، قال لي قذر في لحيـة انـه ليس هنالك من «ورقة» لها قيمتها. لبعضهم رأس مخيف. لا نجرؤ على الحركة ابـدا وليس لدينا ما نأكل .

ثم نظرت باتجاه مقر القيادة .

ـ هذه الحرب رهيبة، لا سيما حين يهاجمون. الدبابة «ماشي الحال» ايضا، يكفي ان ننبطح ارضا. اقسم لك انهم لا يتورعون رغم سننا. امـا عندمـا تكون الطائرة، يا الهي، ماذا نستطيع ان نعمل ؟ يستحيل الاحتماء. انهـا اتية من السماء في حين اننا نظل واقفين .

اقسم سوموزا ان يحول المدينة بكاملها مطارا. وافرغ جهـده كله بضراوة في سبيل ذلك، فعندما تتوقف مدافع الهاون للثكنة المحصنة عـن لفظ الموت، تصبه الطائرات او الهيليكوبتـرات برشاشاتهـا وصواريخها وقنابلها من زنة ٢٠٠ او ٥٠٠ ليبرة .

الساعة ١١ ـ السجن . بيت كغيره من البيوت انما محروس جدا . قـال المسؤول : «لحماية نزلائنا ومنعهم من الهرب». مدخله مربع تحتلـة

ثلـة من المقاتلين المسلحين في شعر اشعث اكثر من الاخرين غير انهم ربما يكونون اكثر مراسا في الحرب واشد جدية. يلي ذلك باحة ضيقة جـدا وطويلة توجد في كل من جانبيها والحجرات الضيقة ـ سيلول» في ابواب مفتوحة. كانت غرفا قديمة. كان الجميع يتجولون بحرية .

دخلت وحدي كيفما اتفق في حجرة يحتلها نحو اثني عشر رجلا مـن كـل الاعمار وفي اعمار من يحرسونهم بالضبط لولا الخوف فـي نظرتهـم المتوترة، بدلا من الحزم. كانوا يقولون لهم دوما ان يقتلوا بعضهم بعضا فـي أسوأ الشروط ان اوقعهم سوء الطالع بيد الساندينيين . يرتدون كلهـم الثياب المدنية، قميصا وبنطالا، اغلبهم حفاة .

اصغرهم في السادسة عشرة، جنده الحرس الوطني قبل ستة ايـام من اسره .

صرح رجل في سن ناضجة بعد ان تقدم خطوة ليتكلم باسم المجموعة: «نحن جميعا من قرية واحدة. ذات يوم، في نهاية ايار، جاءت دورية مـن «مدرسة التدريب الاساسي للمشاة» وحملتنا. منذ طلقات النار الاولـى ، القينا بنادقنا وهربنا، مستغلين فرصة شرود الضابط الشيلي الذي كـان يصرخ بلا انقطاع : «ان استسلمتم قتلتكم». نحن لم نعتد على ذلك، لـم نخلق من اجل ذلك ، انت تعرف ..

أطل مقاتل برأسه : «لماذا تكذب؟»

ـ سكان قريتنا يمكنهم ان يقولوا فيما اذا كنا قد امضينا وقتا طويـلا فـي الحرس. كان لدينا اسلحة. هذا صحيح. لكنا لم نستخدمها .

ـ اذا قاتلتم الجدران ؟

ـ لا علاقة لنا بذلك. الحرس الحقيقيون هم الذين اطلقوا النـار . وهـم الذين ظلـوا .

قال شاب بحدود العشرين عاما، في نظرة حزينة خاصـة ... : ـ تعاونت مع الجبهة لكنهم ساقوني بالقوة .

كان تحقيق يجري في الحجرة المجاورة . كان الظنين ـ ولربما يكـون اجنبيا ـ يجلس ارضا وظهره الى الجدار . في قميص وبنطال ليسـا حديثين، ولفة تناسب القدم اليسرى. في لحية صغيرة . في عينيه الخوف او بالاحرى انها تقول انها تعرف ان الموت وشيك. كانت الجبهةالساندينية تصرح دوما ان كل اسير يثبت انه مرتزق يعدم فورا. كان المحققون ثلاثـة: مونيكو، في الثامنة عشرة، كان يجلس هو ايضا ارضا، وبومبيليو، الاكبر، في الحادية والثلاثين، يجلس فوق كرسي مدور (تابوره) في زاوية مـن

الحجرة، وايفاريستو، في الثانية والعشرين ، الرئيس، ويجلس خلف طاولة تسودها فوضى لا تصدق من دفاتر وفناجين قهوة وكتب وعلب معلبات بمثابة نفضات سيكائر. كان يتربع فوق عرش هذا المستودع من الحاجيات ومسدس ورشيش «اسرائيلي» في متنال يد الاسير .

طرحوا اسئلتهم دوريا بصوت مرتفع احيانا او يجرونه جرا بلهجة صاحب اثير .

ـ هل انت هندوراسي ؟

ـ كلا . والدي هندوراسي لكن والدتي نيكاراغوية وامضيت حياتي كلها في مدينة سوموتو (في نيكاراغوا) .

ـ منذ عام واحد . ادخلني فيه صديق من عائلتي وكنت يومها ابحث عن عمل . لم أشأ في البداية ، لكن لم يكن امامي حل آخر .

ـ كم عمرك ؟

ـ ثلاثون عاما . غير اني لم اشترك كثيرا في عمليات حربية لان كبدي مريض .

ثارت اعصاب الآخران فعلق ايفاريستو : ـ اذا صدقناهم ، كلهم لم يفعلوا شيئا . هؤلاء الذين يظهر على سيمائهم التواضع يضللوننا. ليس من السهل على ثوري ان يحقق مع رجل من الشعب حمل السلاح ضدنا .

دخل رفيق الحجرة ليأخذ الرشيش . حين اقترب من الطاولة ، تعلق نظر الاسير بقبضة الخنجر البارزة من جزمته ... والتي كادت ان تصطدم بأنفه، واصبحت في متناول يده . اخذت عيناه تتنقلان مرارا عديدة بين ايفاريستو والسلاح . سولت له نفسه وأمل ، لكن الخوف يسيطر عليه . كان الآخرون يثرثرون من غير ان يدركوا شيئا . استؤنف التحقيق بعد ان سدوا الباب بوزنه كيلوغرامين من النوع المستخدم في وزن الخضروات في الاسواق . كان هو القفل الوحيد.

ـ هل يوجد اجانب اخرون في الوحدات التي خدمت فيها ؟

ـ رأيت شيليا في ايستيلي وكوبيا في سيباكو . كنت ايضا في الشمال مع سيلفادوريين . رحلوا كلهم عندما اخذت الاحوال تسوء. كانوا جميعا رؤساء .

ـ والاسلحة ؟ ماذا فعلتم بالاسلحة ؟

ـ ... لا اعرف ... ذهبوا بشاحنات معها .

ـ اذكر لنا كافة المقرات التي خدمت فيها .

ـ كنت في سوموتو واوكوتال وماتاغالبا وايضا في الجنوب مع القائد برافو ...

ـ آه صحيح ؟ هل تعرف سابوا ؟

ـ نعم .

ـ صف ما رايت ...

كان يعرف بوضوح المكان. اخذ التحقيق يدور بشكل حلقة . لم يناقض الرجل نفسه ابدا رغم اللعبة الكلاسيكية في الاسئلة المتقاطعة والعودة الى الاخير .

لم اعد اتحمل ، ورضي المحققون ان اطرح عليهم اسئلة ، فخرج الاسير من الجلسة مستاء .

ايفاريستو هو المسؤول عن قطاع « التحريات » لمدينة ايستيلي. مناضل عنيف منذ عام ١٩٧٧ ، واشترك اولا في العمل السياسي فيالمدينة وهو يدرس في الوقت ذاته « العلاقات الدولية » .

ـ المسؤوليات تتوزع . اعتقد انني اخترت لهذا لمعرفتي القليلة بعلم النفس ولانني سجنت وعذبت . انا بوجه خاص واحد من اولئك الذين يعرفون لماذا يقاتلون واين يذهبون . اخترت بنفسي معاوني تبعا لهذا المعيار ولاني اعرفهم منذ الطفولة ولي ثقة تامة بهم .

درس مونيكو شهرا الهندسة الزراعية ثم انتقل الى النشاط السري . اما بومبيليو فمجاز في الكيمياء الحيوية ، المادة التي يدرسها في كليات المدينة ، قام بنشاط واسع في التوعية في الحي قبل ومطلع ايلول ويعد بين المحرضين في لجنة الدفاع المدني. قال ايفاريستو :

ـ لا اشعر ابدا باني متخصص وانا اقوم بهذا العمل . اهتم كثيرا بالشكل الذي استطيع به ان انتزع من كل اسير اقصى حد من المعلومات ارسلها بعد ذلك الى الاركان العامة . ولتحقيق ذلك ، اجهد باقامة علاقة مباشرة معهم احصل منها على معلومات حول وضع مواقع حرسهم وعدد رجالهم في كل النقاط التي ما يزالون يسيطرون عليها ، وتسلحهم ومعنوياتهم . واولي اهمية شديدة الى ما يلحق بنا اشد اذى في هذا الوقت اي الوشاة orejas الذين ما يزالون بيننا وارسالهم فيما بعد المعطيات التي يشنون بنتيجتها هجمات قاتلة ضد مقاتلي الجبهة والاهالي .

ـ هل تسيء معاملتهم ؟

رد بومبيليو : ـ انها الحرب ، لكنهـا حرب نفسية . ليس كل شيء جميـلا لكننا لا نسيء معاملـة الاسرى ابدا . لدينـا اوامر صارمة للغايـة حول هـذه النقطـة والعقوبات خطيرة جدا ان لم نحترمهـا . مبدؤنـا الاساسي ان نكـون دومـا خلافـا للحرس الوطني ، فلا نستطيع ان نسلك سلوكهم الرهيب . التقنيـة الاساسية ان نقودهم الى مناقضة انفسهم . وليتم ذلـك ، نطرح كثيرا من الاسئلة نعـود اليهـا بلا انقطاع . نسـأل عـن التواريخ والاماكـن واسماء الاشخاص فتنتهي ، شيئا فشيئا ، الى اكتشاف الحقيقـة حتى وان حاولوا اخفاءها ، ومثل هـذا الوضع ليس دومـا . نعزلهم احيانا مؤقتا لنقودهم الى الصواب لكـن ذلـك لا يطول. اطلقنـا سراح الكثيريـن من الحرس اعتبرناهم ابرياء اي انهم لم يرتكبوا جرائم وحشيـة خاصة . مثلا ، الذيـن رأيتهم الآن في القاعـة المشتركة ربمـا لـم يكونوا جددا كما قالوا لكنهم ليسوا في الجيش منذ زمن طويل. لن نتوانى عـن تأكيـد ذلـك ، فضـلا عـن هـذا ، في اطـار ما ارسلنـا مقاتلا الى قريتهم ليتحقق مما قالوه لنـا .

هل قتل او عذب الحرس الوطني بعض افراد عائلاتهم . ان ايفاريستو لـم يقتل احد من افراد عائلته لكـن بينهم اسرى ومعذبين . وعذب بعض اعمام وابناء اعمام مونيكـو حتى ان بينهم من قتل . وبينهم واحـد غرست الابـر في خصيتيه . ولم ينقذه سوى هجوم ٢٢ آب الماضي علـى القصر الوطنـي . اما بومبيليو فليس لديه مـا يشكوه من هذا النوع بالنسبـة لعائلته ، لكن كثيريـن من الناس الذيـن حوله عرفوا هذا النـوع مـن المعاملة، ممـا اسهم في ايقاظ ضميره ووعيه لهول النظام .

ـ هل ترغب احيانا ان تكيل ضربات ، وتحقق رغبات الانتقام ؟

قال بومبيليو : ـ لا استطيع الاساءة الى شخص اعزل .

قال مونيكو : ـ ليست لـي روح الانتقام لكني اكره .

قال ايفاريتسو :ـ غالبا مـا نضطـر الى استخدام العنف الثوري في هذه الحرب. غيـر انه هنـا اناس عزل . واكرر لـك اننا تربينا على عدم استخدام اساليب الحرس نفسها . لسنا بحاجة للوحشية .

لهؤلاء الفتيـة الثلاث هدوء لا يتزعزع . لا يقومون بعملهم بلذة وانمـا عن وعـي لا يكرسـون لتحقيقاتهم غيـر نصف وقتهم ، وينصرفون الـى نشاطات مختلفـة الانواع بعـد الظهـر والمساء . ترى هل يحلمون بأسراهم؟ ردوا بالاجماع « ابدا » ، انمـا بالعكس ، لياليهم تراودهـا صور الحرب الشبيهـة بالضبط بمـا يراود الاخريـن جميعـا من صور . اضافة الى ان

لديهم القدرة على الحكم ، وذلك اخطر امر .

قال ايفاريستو موضحا : ـ تلك ضرورة . الشعب يريد ان نسلمه بعض الجلادين . في اليوم الماضي ، وقف العديد من الاشخاص صفا طويلا مطالبيننا بالرجل الذي قتل بادره شيكو (من المدرسة الزراعية) . فاضطررنا لمنع الدخول الى هذا المكان على بعض الرفاق الذين لا يعرفون ان المسألة مسألة سياسية . يودون لو يسطيعون ان يعنوا مباشرة بمن عذبوهم او قتلوا افرادا من عائلاتهم . الشعب يطالب بالانتقام لكننا لا نستطيع ان نحقق له هذه الرغبة . وبالمقابل ، اذا كان لدى الاهالي شكايات يتقدمون بها ضد فرد ، ندرس جديا حالته . وبالعكس ، ها هي ذي كلمة (كانت مخربشة فوق نصف ورقة دفتر) اوصلتها الينا لجنة قرية مجاورة لتقول لنا فيها ان اهاليها ليست لديهم شكاية ضد اسير ارسلنا بشأنه نطلب « تكملة لمعلومات عنه » . اذا توصلوا في نهاية التحقيق الى قرائن قوية عن الجريمة ، يمثلون امام محكمة بالاتفاق مع الاركان العامة التي يقدمون اليها الملف مسبقا . ثم يكون القرار . في الاسبوع الماضي ، مثلا ، طبقت هذه الطريقة على شبه عسكري وجد ومعه صورة لمقاتل يباهي بها في المدينة بانه شخصيا قطع رأسه بحربة البندقية . وشوهدت في الصورة جثة رأسها متورم لكثرة الضرب ، وقد وضع في أعلى عضوه التناسلي . حكم عليه بالاعدام ونفذ الحكم بلا الم بطلقة نار مسدس في رقبته .

كان دفتر مدرسي يستخدم لتسجيل مثل هذه الحالات القصوى . اظهره لي . كان يحمل ثلاثة اسماء .

يريد مونيكو ان يستأنف دراسته بعد النصر . ويفكر ايفاريستو بوجوب تمضية سنة ايضا في الجيش ولكنه يتمنى العودة الى الجامعة بأقرب وقت ممكن . وينوي بومبيليو ان يستمر في عمله كمدرس ويكرس في الوقت ذاته طاقته بقدر المستطاع لمهام تنظيم الشعب ، التي لن تنتهي .

★ ★ ★

في يوم اخر ، في مكان من المنطقة المحررة .

دخل مقاتل :

ـ أنت الصحفي ؟

ـ بلا ريب ..

ـ تعال ..

ـ « س » ارسلنـــي .

كانت سيارة تنتظـر خارجا ، وضعتنا امام مدرسة حولت سجنـا مؤقتـــا .

كان لهب بضع شمعات وضعت في زوايـا متفرقة على ارض الباحة، تعطـي ، وهـي تتراقص على الريـح الليلي ، سيمـاء مرعبة للحـــرس الجالسين فوق كراسي مستديرة وظهورهم الى الجدار وبنـادقهم فـوق الركب . ادخلني الرجل الذي ارسـل في طلبي ، والذي صرت اناديـــه اندريس ، مكتبه ، وهـو قاعـة صغيرة لمراقب المدرسة المؤثثة بطاولـــة وكرسييـن .

قدم لي بينوليو ، المشروع التقليدي واساسه الذرة الصفراء ،واذهلني بمجموعته من الرصاص من كل عيار استخدمت في هذه الحرب . كانـت متعددة من عيار « ٢٢ » الى الرشاش من عيار خمسين . رتبهـا في علبة ثم نظـر الي مباشرة :

ـ لدي أمر بتنفيذ ثلاثة احكام بالاقتصاص ...

اخرج الملفات من درج اغلق بمفتاح وفتحها واخذ يوضح :

ـ اعلنت الاحكام محكمـة ثوريـة بعـد الاستماع الى المتهميـــن والعديـد من الشهود لكل حالة . وهي لا تنفذ الا اذا مهرت بتوقيـع ثلاثة اعضاء مـن الاركـان العامة للمدينة . وها هي ذي في اسفل كل ورقـة من المحضر . اثنـان من المحكوميـن همـا شبه عسكريين وقد ارتكبـــا الكثير من عمليـات التعذيب والقتل . حتى ان واحدا منهمـا احتفـظ بسلسلة من البرقيـات والمذكرات تلقاهـا مـن ماناغوا تأمره بازالة هذا وذاك والانضمـام الى عمليـة تنظيف تحت امرة الرقيب اونتل . والشبه عسكري الآخـر ، قتل سبعـة اشخاص بينهـم اربعة اخوة . وهو منـذ زمن طويل في قائمة الجبهـة ونحـن نبحث عنه . والثالث في الحـرس الوطني منذ اعوام عديدة واشترك في اعمال منحطة . واحـد ضحايـاه الذي ظل حيـا بعـد ان قطع خصيتيه ، مثل امام المحكمة وعرفه صراحة. وشهـد حريس آخـر على حماسته في هذا العمل . ووحشيتـه مشهورة بين جمهور المنطقـة .

كان رجل في سن متقدمة ينتظـر في البهو ويداه معقودتـان خلف ظهـــره .

عدنا في السيارة نفسها حتى وصلنـا بيتا في حي فقير . كان مخزنا يـوم السلام بلا ريب ، فمكتب يحتل الغرفة المدخل ، اما الغرف الداخلية،

فتظهر على ضوء خافت ان من الممكن ان تستخدم مستودعا . كان رجلان وامرأة يحرسون ، يظهرون بوضوح اكبر سنا واشد مراسا في الحرب واصلب مما هو عليه وسطي المقاتلين. اخرجوا شابين بالكاد ان يتجاوزا العشرين .

وضع اندريس سلاحه واخرج من جيبه قطع خيوط رديئة منسلة. وربط بعناية يدي كل من السجناء وراء ظهره .

ران سكون مطبق اثناء نصف الساعة التي استغرقتها العملية . كان احد الشابين فقط قلقا : « ألن تقتلوني ؟ » ، فأجيب بهدوء : «كلا»، سألت بصوت منخفض جاري عما اذا كان المحكومون قد أبلغوا الحكم . فأجاب بدهشة غير مصطنعة : « كلا » .

استمر الاعداد لنقص في خيط والقماش الضروري لتعصيب العينين. فاضطر لقطع منديل شقين بموس وفك ضفائر حبل رفيع .

انطلقنا ثانية في شاحنة هذه المرة . اضطر السجناء الى التلوي للصعود الى المؤخرة . وساعدهما مغواران في الاستناد الى دعائم صندوق الشاحنة . الجو ماطر . اجتزنا المدينة واضطررنا لمرتين ان نعطي كلمة السر لهذا المساء وكانت : « كتاب ومدرسة » ..

توقفنا عند تجمع مساكن . اخذت كلاب الاماكن المجاورة تنبح.

كان هنود يقفون صفا خلف مصباح كهربائي واهن النور . اصبح المقاتلون خمسة الآن . انفتح باب على ضوء يرتجف في الداخل اطل منه رأس قلق لرجل في سن ناضجة .

ـ هذا رفيق . قتلا له اناسا في هذا المكان بالذات .

اتبعنا دربا عبر حقل الى ان بلغنا طرف حفرة مستقيمة .

هنا ايضا نحن لا نفعل فعلهم . نحن الذين نحفر قبرهم .

كان غناء صراصير الليل ونقيق الضفادع وخوار الجاموس موسيقى جنائزية .

عاين اندريس الحفرة ـ كانت لاقل من ثلاثة بالضبط ، لكن فات الاوان ـ ثم جمع رجاله وقال لهم بصوت خفيض وقد امسك بهم من اكتافهم:

ـ انتم الآن ستنفذون امرا . انتم لستم قتلة . قررت الاركان العامة، بعد محاكمة ، ان هؤلاء الافراد الثلاثة يجب ان يقتص منهم للجرائم التي ارتكبوها ضد الشعب في ظل ديكتاتورية سوموزا . عاملناهم حتى النهاية بمنتهى الاحترام وبنبالة فارس Chaballerosidad

فصل اول محكوم عليه وقاده ممسكا به من كتفه الى طرف

الحفرة وقدم بندقيـة لاكبر المقاتليـن سنـا الذي ظهر على سيمائـه الرفض . الح عليه اندريس بصمت . أسند الرجل بندقيته على بعد خمسين سنتميترا من رقبة الحارس ، الذي لـم يقل شيئا . استعصى السـلاح فأخرج اندريس مسدسا عيار ٩ مم . صدر صوت بلا صدى في هذه الليلة الخاليـة من القمـر . صعدت الرصاصة الى السبطانة . قدح المصبـاح الكهربائي فوق رقبة المحكوم ليرى من يطلق النار ما يفعل . انطلقـت الرصاصة ، وانهارت الجثة الى الخلف بلا صرخة . تكررت العمليـة من غير ان يأتـي بأقل تعليق ، السجين او الحرس . كان رجل اخر يطلق النار في كل مرة . ووضعت الجثث الآن في الحفـرة وغطيت بالتراب . فتـكدس ودبس فوقه ، مثلمـا يضغط العنب . انبجس شجيء من الدم فـوق العشـب المجاور المغطـى بالتراب .

عدنـا ورحت اوجه الاسئلة . لم يشعـر السائق بغرابة في الامر . « انهـا مهمة كغيرهـا » . ان اندريس لا يحب ابدا هذا النوع من المهمات. غيـر انـه قال : « انـا انفذ الاوامر التي تصدرهـا الى منظمتي التـي تختار دومـا لتنفيذ القصاص اناسا موثوقين ، لديهم تربية ايديولوجية ، ومن واجبـي ان اقبل لانه مـن الخطورة ان يعهـد بمثل هذا العمل الـى مقاتلين اكبر سنـا واقل وضوحا .. »

قال الرجل الذي لم يشأ ان يطلق النار ، وهو يداعـب الصليـب المتدلـي من عنقه : ـ لا أحب عمل ذلـك ابدا لاننا في الواقع جميعا اخوة. لكنهم آذوا شعبنـا كثيرا واعتقـد ان اعدامهم ضروري . لقـد تعذبنـا كثيرا لنجازف برؤيتهم يستأنفون عملهم .

ـ هل سقط ضحايـا بيـن عائلاتهم ؟

اجاب ثلاثة بالايجاب .

قال اندريس : ـ هذه حال الكثير من النيكاراغويين ، وذلك لا يدخل في حظ الحساب . تتألف مفرزة خاصة لكل تنفيذ اعدام من مقاتليـن مختلفيـن كي لا يتعودا على ذلـك . والمعايير الوحيدة في اختيارنـا هـي الصلابة الايديولوجيـة والماضي القتالي . انهم جنود ويطيعون ، وهذه نقطة كـل شـيء .

كان النوم صعبا . فطلقات الاسلحة الآليـة المتواترة التي تهدهـد ليالينـا تقطع المشاهـد التي عشتهـا منذ وقت . الدم ارضا .. شمعات البـهو ... الكلاب العاوية ... المصبـاح الكهربائـي ... الخيـط ... موت رجـال ... العدالة ... « الدفاع عن الثورة ... » « لا نفعـل

فعلهم ... »

★★★

ايستيلي ، الساعة الثانية عشرة ، ٦ تموز

جمع غاتو افراد الرتل الذي دخلنا معه نيكاراغوا . ادخل فيه شابا اشقر في شعر مقصف وعينين هنديتين اقرب الى مغوليتين ، في قبعة واسعة تعلو رأسه وبنطال جين رمادي مغبر وقميص أزرق في ازهار على كتفيه .

ـ اقدم اليكم القائد فابيان ، المسؤول عن ايستيلي .

كانت دلائل لا تخدع بالنسبة لاهميته . كان يحمل في وقت واحد مسدسا عيار ٩ ملم وبندقية « الجليل » ، وهو سلاح « اسرائيلي » كان غنيمة من جنود النخبة السوموزا . قال في ابتسامة طفل ونظرة مباشرة وصوت هادىء هذه الكلمات البسيطة :

ـ لن اضجركم بالكلام وقتا طويلا غير اني اريد ان اقول لكم اننا جميعا مسرورين بالتحاقكم بنا . جئتم لتقاتلوا غير انه ليس لدينا سلاح للجميع . أحب ان اساعدكم بأن تفهموا ان « هذا » (وطبطب على بندقيته « الجليل ») ليس الشكل الوحيد للكفاح . ان كون المرء ساندينيا هو ان يقاتل اينما وجد . انتم حتى وان كنتم لستم في خط النار هذا المساء فأنتم الآن في خندق من هذه الحرب . عليكم عدم التجمع في الشارع بسبب مدافع الهاون والطيران . ارتكبنا اخطاء كثيرة في الماضي . والآن ليس لنا عذر . الانضباط في المؤخرة يسهم كثيرا في النصر . ان نقم باستعراضات فقط بدلا من ان نساعد فنحن نفسد الوضع ونعيش عالة على الثورة . ان زمن اللامبالاة قد ولى . ان الشعب يساند معركتنا . الوضع العام ايجابي بما يكفي ، لكننا اذا ارتكبنا حماقات فمن الممكن ان نخسره . سنجري نقاشا سياسيا في هذا الموضوع خلال ايام .

ثم نظر الى ماركو وهندوراسي دخل الرتل ، وكان في مثل سنهما .

ـ أحب اخيرا ان اطلب اليكم ان تبرهنوا على روح الرفقة بأسمى معانيها تجاه اولئك الذين قدموا من البلدان الاجنبية . انهم يستحقون تقديرنا . وعلينا ان نبذل اقصى جهد لاعلامهم . ان نضالنا هو

نضال جميع شعوب العالم ولربما في غد نتوجه نحن الى القتال في بلدان اخرى .

رد قبعته الى الخلف بحركة من يده .

اذا كانت لديكم مسائل فلا تنسوا انها تسوى مع العدو بحد البندقية ، اما بيننا فيجب ان تسوى سياسيا .

تحدث ، قبل ان يفارقنا ، مع بعض رفاق يعرفهم منذ زمن بعيد، وتعانقوا وراح يربت على اكتافهم ويسألهم عن اعمالهم منذ آخر لقاءلهم. واهتم بمعرفة فيما اذا كان كل منا قد عين بوحدة خاصة وفيما اذا كنا قد حللنا مسائل الطعام والمأوى .

الساعة ١٦ ـ اخذني غاتو باتجاه خط النار . قدم لي نصائح لاحترس . كان في كل مرة يشير الى الشوارع التي يجب اجتيازها ركضا والشبابيك التي يجب الزحف تحتها والابواب التي يجب اجتيازها قفزا والاشياء التي يجب الاحاطة بها فقد تكون ملغومة ، الخ .

في نطاق قرابة ثمنمائة متر حول مقر القيادة ، لا نجد عمليا غير مقاتلين يختفون حول متاريس او يلتجئون في بيوت يعسكرون فيها بما توفر لديهم من وسائل . ومع هذا لم يهرب جميع المدنيين .

كانت امرأة بلا عمر تقف في العتبة الضيقة لكوخ من الواح .نظرت الينا في سيماء متلبدة ودمدمت باعياء .

ـ بقيت بسبب حيواناتي . لدي قليل من الدجاج وثلاثة ارانب ،لو ذهبت لماتوا .

صمتت .

ـ ثم انهم قتلوا ابني الذي التجأ في آخر حديقتي الصغيرة .

تعلق صبيان قذران بثوبها الرمادي . تناهت طلقات متواترة لا تنقطع كانت قريبة وصفير حاد لرصاص « الجليل » . هل كانت خائفة؟

ـ آه ، افوض امري الى الله وهو الحكم .

كان البيت المجاور لحذاء لافتته الرائعة سلمت بمعجزة . نفذنا الى حجرة واسعة عالية السقف ، وحيث تسود فوضى مخترع فقير يستولي على كل شيء ليحول كل شيء . كانت حواجز مزعزعة تفصل الغرفة عن حجرة الجلوس ، تغطيها قصاصات صحف وتقاويم قديمة رخيصة الثمن وصور دينية . كانت امرأة مشلولة تجلس في مقعد دوار . كانت تبدو بلا عمر ككل اولئك الذين لا يسجل ذهنهم الزمن . استقبل

غاتـو ، وكأنه فرد من العائلة ، سيدة عجوز وصبي في الرابعة عشرة ورجل يتزنـر بوزة من جلدة . كـان لطفهم حلوا . قدموا اخر كيس شاي لديهم .

تحدثت العاجزة كثيرا ، سعيدة باستقبالهـا زوارا . لم يكـن في حديثهـا ما له علاقـة بحديث اجتمـاعي ... ابن عمها الذي قطعوه اربا اربا واضطروا لدفنه ليـلا ، والطائرات التي جعلتهـا مهسترة ، والحرس الذيـن سخروا من عاهتها ، وخوفهـا من عودتهم لانها لا تستطيع المشي. قال لهـا غاتـو مطمئنـا :

ـ قتلناهم جميعـا .

تحدث الرجل بدوره عـن تعاونه مع الجبهـة وعمله الراهن بصنـع خزانات رصاص واحزمة للمقاتليـن . أطاحت بزوجته شاحنة يوم الاحـد اثناء الانتخابات المزعومة كـان سائقها ، وهـو شبه عسكري ، قد أسرع ، ومسدس فـي حزامه ، ليأتـي بمجموعـة مـن الفلاحيـن لـم يقوموا بواجبهم المدني . كـان يدفع لـه بقدر الاصوات التي يجمعهـا ، فكـان يسوق كالمجنـون من غيـر ان يهتم بامرأة مسكينـة تجتاز الشارع .

خنقته العبـرة .

صوت اطلاق النار يسمع الآن في الحديقة . لـم تبدر منهم فرصة حقد ولا مايدل على يأسهم ضـد الظلم بتسمرهم في هذا الفخ . انهم لـن يستسلموا ابدا . ثم صف الحذاء بهدوء جعب الرصاص والجزمـات التـي يصنعهـا للشبـاب .

كان خط النار حلقة مترجرجة غير تامة . لا يكفـون عن القول انهم يطوقونهـا . غير ان الارض المحررة حيث يوجـد حقـل الطيـران خلف الثكنـة ليست كلهـا تحت نارهم .

اما من ناحية المدينة ، فقد استولوا على منازل صلبة البناء قـرب مقـر القيادة ، تاركين منطقة بكاملها غير محتلة ، تملؤهـا اكواخ خشبية لا تمثل اي حمايـة جديـة .

اما الحرس الوطني فيحتمون جيدا ، اذ ينعمون بأفضل موقع محصن في البلاد كلهـا لانه احدثها ، ثم بمراقب يمكنهم ارتفاعهـا من رصـد معظم تحركات الساندينيين . كان الحرس يخرجون ليـلا ليستعيدوا بيوتـا احتلهـا الشباب نهارا ، فيسقط قتيل او قتيلان . كان عملهم عمـل اخصائي بالسكين ، ينهونه بحمل الجثث لا يتركون وراءهـم غير اثار دم طويلة . كان اختفاء رفيق يؤثـر مباشرة اكثر بخصومهم كمـا انه افضل محفـز لدفعـهم لارتكاب حماقات .

كان متراس جبار يقطع طريق « بان اميريكان » نصفين على بعد ٥٠٠ متر من مقر القيادة ، من تراب اسود لامع ارتفاعه اربعة امتار وعرضه قرابة خمسين مترا . وبيت صغير مضحك يحرس آخره المتصل بالمدينة، في حين يتيه طرفه الاخر بين بيوت الصفيح المهدمة قليلا ، اذ لم تجر فيها اية معركة لنقص في الحماية .

كان في البيت الصغير اشخاص كأنهم في جزيرة يمضون الوقت، احدهم فتى مقاتل يغسل ثيابه بينما كان رفيقه ينظف صحنا مطليا بالميناء ، ويقف وقد استند الى اطار الباب تحت مباركة ببغاء رائع يجثم فوق شرفة الطابق الاول .

كانت محطتنا التالية ، عند قوس دائرة سرنا فيها لندور حول المقر العام ، بيتا بورجوازيا غنيا خدشه قليلا رصاص رشاش ، وحفره بدقة رشاش م ١٦ او « الجليل » . لم يكن لدى محتليه اية حيطة واكتفوا بالاسراع لدى مرورهم امام النافذة . كانت الفرش على الارض مباشرة ، تحتل الزوايا الميتة بفطنة .

علق رئيس الزمرة بلا مبالاة ، وهو مثقف في شعر متوسط الطول، كان يقرأ كتابا قديما ويحتسى قهوة : ـ نحن هنا منذ ثمانية ايام . يستحيل التقدم اكثر من ذلك لان البيوت التي امامنا من الخشب ولا تعطي اية حماية . نحن على بعد اربعمائة متر منهم ولا نكف عن ارهاقهم ولن يستمروا في المقاومة وقتا طويلا .

ـ لماذا لا تقيمون خنادق لتقتربوا اكثر ؟

ـ هذا مستحيل في الارض المكشوفة . ثم اننا جئنا ببلدوزر لنرى ، لكن الارض متحركة جدا وتغور .

على بعد ٥٠٠ متر من هنا ، وجد رفاقه الارض اكثر صلابة فحفروها بالرفش .

كان مطبخ البيت المحتل سليما . كانت لديهم ايضا كتب ، ويتمتعون بلعب الشطرنج ويستمعون الى راديو هندوراس الذي يبث موسيقى ديسكو رائعة .

ذلك مهم لمن هم في سن العشرين .

انهم ينهكونهم .

في زاوية من شارع كغيره من الشوارع لكنها خالية من اي متراس لان احد المراقب يمكن ان يرميها بنيرانه بشكل منتظم تماما . كان

على بعـد ٢٠٠ متر .

كانت الصرخات بقدر طلقات النار .

ـ يا ابناء اكبر عاهرة ! استسلموا !

تنطلق اصوات الاسلحة الناريـة .

ـ ايها الكلاب ! امامكم خمس ساعات . لن تمس شعرة واحدة فيكم!

وتنطلق اصوات الاسلحة الناريـة .

ـ الآن اخـر ساعات السوموزيـة !

تنطلق اصوات الاسلحة الناريـة .

ـ عاش ساندينو !

تنطلق اصوات الاسلحة الناريـة .

ـ وطن او موت ..

يردد الجميع صيحة واحدة :

ـ ... لنا النصر ...

تنطلق اصوات الاسلحة الناريـة .

كان مهرجانا استعراضيا . كانوا ينبطحون ارضا من جانب لآخـر من الشارع راكضين ، يصيحون ، يضحكون ، يفرغون في مرورهـم نصف مخزن سلاح آلي تضيع رصاصاته في كل مكـان تقريبا من الجدران .المهم انهـا في الجدران ! كانوا متحمسين بحيث ان سبطانـات اسلحتهم كانت باستمرار بارتفاع صدر صديق . لـم يكـن اي أحـد محميـا فـي اي مكـان . كـان شاب اشقـر في نظرة حنونـة وبسمة تشيع في شفتيـه وشعـر تضمه عصابة ، يختفي خلف برميل صدىء فـارغ . كان الرئيس يضحك ساخرا في مجرى ماء الشارع حيـن لا يفرغ مسدسه في موقـع ضابط ارتباط لمكتب المخابرات الاتحاديـة الامريكية ، وقـد باعد ساقيـه ويداه في اخمص البندقية . كـان في وسط تقاطع الشوارع ، لكـي يفهم الغريب انه ليس خائفا . مر شاب رائع في شوارع وهو يتلفت حوله ، راح يضغط على زنـاد سلاحه فـي محور مقـر القيادة ، او قريبا منه . كـان الجميع يضحكـون شأنهم ابدا ، لا يكفـون عـن التساؤل :« ارأيت مـا فعلـت ! ارأيت ! »

عند ثلاثة بيوت متجمعـة غير بعيدة من هنا ، ليست محمية تمامـا من الرصاص الطائش ، كـان صبيـان وصبيـة يتسكعون ، ان لم يكونـوا يتسلون . كـان تمثال يفقد وسط الشارع . جلسوا خلف متراس فوق مقعـد مدرسـي يحمل حتـى درج الكتابة ، فجهـدوا مرارا لتحطيمه ،

حطموا اولا رأسه ثم جناحيه ... ثم ... كان تمثالا لملاك في لون ذهبي ...

كان عيدا جوالا مستمرا ، من قياس طبيعي ، اضافة الى الانطباع المرنح عن الخطر .

اي انطباع ؟

الساعة ٢٠ ـ الليل حالك . توقفت شاحنة امام « فندقنا الحربي » . انزل منها عشرة رفاق نعشا ازرق واعينهم تدمع . كان مقاتلا قد قتل الآن على بعد خمسين مترا تقريبا من البرميل . حدث ذلك بعد اقل من نصف ساعة لمرورنا ، خلال عملية الانهاك هذه التي شهدت جانبا بسيطا منها .

كانت الرغبة في الصياح والتشهير بالديكتاتورية ظاهرة لان الضحك في مثل هذه الحال غير مسموح به .

استقر النعش الازرق الآن فوق حاملين في سيارة تانكيتا آلويللس. كانت نافذة صغيرة مكسورة تتيح رؤية الرأس ... انهم لا يعرفون حتى اسمه . أهو اوريليانو ؟ جوليان ؟ ان اسمه مستعار على اية حال . ان احدا لا يعرف من أين اين اتى . كان قد تقدم قليلا ليعاين العدو عن كثب في ارض لا يعرفها ، ولم يعرف امر الانسحاب فوقع في الفخ بكل جهل ، كان رأس هندي مجهول في جسم فتى البس لتوه بدلة خضراء زيتية . وضعت فتيات مقاتلات بشكل صليب ، على الارض مباشرة شمعات كانت كل ما في هذا المساء من ضوء ، حول كل جهة من النعش الذي غطي الآن بالعلم الاحمر والاسود .

جاء الرفاق من كل صوب تقريبا ، يسهرون على الجثة ، كالعادة . كان السهر لساعة او ساعتين ، لكن ذلك لم يمنع المجموعات الصغيرة من المناقشة بصوت منخفض .

كان بيدريتو ، المسؤول عن الزمرة التي نقلت الجثة ، غاضبا، في الخامسة والعشرين ، صغيرا ، جافا ، يرتدي طقما كله ازرق ، وبيريه باسكية ، ويعلن بخيوط حقيبة في ظهره . كانت الاطر الوسيطة هي المسؤولة في نظره .

ـ انت تعرف ، انهم لا يفعلون شيئا . ان ما يقتلنا هو الخمول . نحن لا نقاتل بعقلنا بما يكفي وينقصنا التنسيق .

توقف لحظة ليأتي الى بانشيتا التي حملت انجيلا وضعته مفتوحا في آخر النعش فوق الجزء الاحمر من العلم بالضبط . امسك بيدريتو

بالكتاب ، تصفحه وحدتهـا ببضع كلمـات ثم عاد الينا :

ـ ما رأيكم في هذا الترتيل ؟ « لكم تحملت من اضطهادات ، فأنقذني الرب منها جميعا . هكذا شأن جميع الذيـن يريدون ان يعيشوا بتقـوى مع عيسى المسيـح يضطهدون . اما الاشرار والمشعوذون فيتمادون نحـو الاسـوأ ، خادعون ومخدوعون . .

« اناشدك امام الله وعيسى المسيح ، الذي لا بد وان يحاكـم الاحياء والاموات ، وبتجليه وملكوته ، اكرر ، والح في مناسبة وغير مناسبـة ، واقنع وعد وحث بكل صبر وهمك ان تعلم . .

« اما انـا ، فهـا أناذا قـد قدمت نفسي مثل خمـر مراق ووقت رحيلي قريب . لقـد قاتلت خير قتال وانهيت الجولـة وحافظـت علـى ايماني : منذ الآن احتفظ بتـاج العدالة . الرب توجني به في هذا اليوم ، الحكم العدل ، ليس بالنسبة لـي وحـدي فحسب ، انمـا لكافـة اولئك الذيـن ينتظرون تجليه بحب » .

ـ هذا جميل ، أليس كذلك ؟ أنا ثائر مسيحي وأردت شيئا يتحدث عـن الفقـر والحريـة والنضال . اعرف خيرا منهـا لكني لم اجـد الآن غيـر تلـك الكلمـات . هـذا مقاتل ، مع هذا . لا يمكننا دفنه ونحن نتلو نفس الترتيـل الذي يتلى لكلب .

كـان احد الهندوراسيين الذيـن جاؤوا يقاتلون كجوار ، كمـا فـي عهـد ساندينو ، يظهـر وقـد مغنطسه النعش . يقف في يديـن مكتوفتين وسط الحجرة وينشب فيه انظاره مـن غيـر ان يتحرك منذ نصف ساعة. كانت بانشيتا متنحيـة تبكـي فـي زاويـة تفكـر في ابنائها ، ولربمـا كـان هذا هـو القتيل الوحيـد الذي لم تتحدث عنه بشيء وتسهـر عليه حقيقـة .

ـ هل انت خائف من رؤيـة رفيق ميت ؟

ـ كلا ، لكـن هذا يسخطني .

ـ لماذا جئت هنـا ؟

ـ لان هذه حرب تعنيني ، حربـا اريـد ان اعرفها . النيكاراغويون يخوضـون حربـا مشروعـة وهم أهل لها . هنالـك الكثيـر من الفقـراء في بلـدي ايضا . اذا لـم تمطـر الدنيـا ، والفلاح بلا مصادر ، يضطـر لطلب الحبوب من الغني ، فيستوفيهـا منه الضعف بعد الحصاد . حبوبـا جيدة فقط . وكل فاسـد لـه هـو . هذا ليس عدلا . اعتقـد انه اذا كـان نصف المحصول فاسدا يجب ان يعطي نصف الحبوب الفاسدة . لكن

الغني يسخر منه . ان ما يهم لديه هو ان يحصل كل يوم على مزيد من المال . لهذا يكافح الفلاحون . ليس لدينا حل آخر . أسفا، نحن لسنا مثلما هو الوضع هنا . ان الساندينيين يقومون بعمل مقدس . عمل يكلف غاليا جدا ـ قال ذلك وهو يلتفت نحو النعش. ان وطنهم لفخور بهم .

((الساندينية لا تقتصر على فلسفة خاصة))

حديث القائد هومبيرتو اورتيغا

انطلقت تجربة الجبهة ، من وجهة النظر العسكرية ، من الجبال بسبب الحدود السياسية والتنظيمية التي فرضها على العمال استمرار القمع السوموزي . كنا مضطرين للبحث عن نقاط مأمونة جغرافيا لنفجر نشاطنا ، مع علمنا التام انه كان ضروريا ، لكي ننتصر ، ان نجعله ينفذ ذات يوم الى المناطق المأهولة بالسكان ، في القطاعات الحاسمة من حيث وجهة النظر الاقتصادية والاجتماعية .

والثورة الراهنة ، في هذا الاتجاه ، هي اوج فترة لعملية بدأت منذ مولد الجبهة في عامي ١٩٦٠ ـ ١٩٦١ الى اليوم الذي مكنتها في حينه القوى المتجمعة من النزول الى مناطق المحيط الهادىء . واضطرت لان تنمو في فترة زمنية طويلة بحد ، وذلك بلا ريب احد اصالات ثورتنا .

لقد فتحت مرحلة جديدة الهجمات الموجهة ضد سان كارلوس ، ومازايا ومدن نويفا سيغوفيا في تشرين الاول ١٩٧٧، اذ مكنت من خلق شروط ثورة شعبية مسلحة ، قاعدتها الاساسية المناطق المأهولة بكل وضوح .

غير ان هذه الثورة ما كان لها ان تنطلق لولا النفوذ المعنوي الذي جمعته الجبهة اثناء حروب المغاوير المختلفة وكفاحها في المدن وفي محاولاتها تنظيم الطبقة العاملة واحياء المدن ، ونجاحاتها التي حصلت عليها لتقديم طليعة للشباب ولا سيما الى الحركة الطلابية ، والاعمال الجماهيرية الكبيرة التي حققتها الجبهة الساندينية طوال هذه الاعوام . غيرت الجبهة الساندينية فقط نمط الكفاح منذ تشرين الاول ١٩٧٧ ، فانتقلت من الاسلوب الدفاعي الى الاسلوب الهجومي في الحقل العسكري . وبالتوازن الى ذلك ، ولاول مرة ، عقدت احلافا سياسية تكتيكية ، فكان ذلك خطوة

جريئة في تلك الحقبة . برزت هذه الجراة وسط ازمة النظام السوموزي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية ، فكانت بذلك مفيدة . غير ان ضرباتنا ليست هي التي خلقت الازمة ، انما تطور تناقضات الديكتاتورية هي التي جعلت الجراة الثورية ممكنة . فاتاحت بدورها تعميق الازمة .

هذا المنظور التاريخي يمكننا من ان ندرك ان الثورة الراهنة هي ثمرة نضج طويل لعمل اجتمعت فيه الجبهة الساندينية والقيادة القومية . حملناه ، رغم الانقسامات، في اطار ما توصلنا به الى مفهوم ثوري وحيد ، يجب ان نضيف الى ذلك ان قواتنا العسكرية كانت ستراتيجيا في موقف الدفاع ، فتوصلنا ، بسلسلة من الهجمات التكتيكية المتواصلة ، لاحلالها بستراتيجية هجومية مكنتنا من الاطاحة بالحرس.

هذه الوحدة الثورية والطابع الهجومي المستمر في اعمالنا السياسية والعسكرية هي في نظري النقطتان الاساسيتان اللتين يجب ان تتمثلهما الشعوب المهتمة بتجربتنا. غير اننا لا نفكر باعطاء اي درس لاي كان .

لقد كرسنا ، نحن من جهتنا ، معظم جهدنا لمفهوم عمليتنا التاريخية ، وبحثنا، انطلاقا من هنا ، عن العناصر النظرية وتجارب الشعوب الاخرى التي مكنتنا من ان نرى بوضوح اشد الدروس المستخلصة من تاريخنا القومي . الجراة الثورية ، مثلا، جاءتنا من التاريخ الكوبي الذي ألف دوما احدى الميزات . غير اننا جهدنا في ان نستخلص معلومات من غير ان نستنسخ ابدا ما مضى . وهكذا جمعنا اشكال حرب المغاوير النموذجية في الجبال مع انماط اصيلة في الكفاح في المدينة والارياف. يمكننا ان نؤكد ، احتمالا ، انه ليس لاننا لم نستنسخ ابدا ، أمكننا ان ننتج حصيلتنا في حقل الكفاح المسلح ، وهو بناء قوات متحركة ذات أهمية ستراتيجية في المدن . ان اية تجربة من هذا النوع لم تقم لدينا في امريكا اللاتينية . حتى ان بعضهم كان يؤكد انها مستحيلة .

أخذنا عن الثورة البلشفية بعضا من المعلومات المتعلقة ببعض انماط الكفاح العسكري وضرورة قيادة حازمة في كل عملية .

اما الثورة الصينية فتختلف ايضا في اطار ما تمفصلت به حول اشكال كفاح امكن تنميته في الارياف . اما عندنا ، فقد ترابطت كلها ، غير انه ، في اخر الوقت ، كانت الحركة العسكرية ـ السياسية في المراكز المأهولة هي الحاسمة في النصر . في هذا الاتجاه ، تصعدت حرب مغاوير الارياف حول المدينة بدلا من العكس. كانت لدينا، ، تقريبا ، «تحركات مغاويرية ثورية » .

ارتكبنا ايضا سلسلة من الاخطاء اكبرها ربما يكون تمسكنا وقتا طويلا بعملية تجميع القوى من مواقع دفاعية . وكشفت لنا الحقيقة فيما بعد ان تجميع القوى يجب ان يكون من مواقع سياسية وعسكرية هجومية .

يمكننا ايضا ان نشير الى احدى تجاربنا السلبية ، التي نرجع الى روح المحافظة بالذات ، وهي الا نتدخل في اهم ظروف البلد بانتظار حصولنا على السلاح والرجال وبلوغنا تنظيما افضل . وبتعبير اخر ، كنا ننتظر ، لكي نتدخل، تجميع القوى ، لكننا لم نتوصل الى ذلك لاننا لم نتدخل فلم نقو . فيوم ان برزنا ، ورغم ان ذلك لم يكن بغير رجلين ومسدس واحد فقط ، في كافة الاوضاع التي اتاحت لنا ، امكننا ان نؤثر على مختلف الاوضاع ، فلم يكن ذلك بلا فائدة ، اذ تقوينا. كان الكثير من الحركات الثورية ينزع الى النمو خارج الحياة الاجتماعية والسياسية القومية والدولية . فكان هذا الموقف يؤدي الى العزلة في الاغلب .

يتساءلون في البلدان الاجنبية عن العلاقة بين الساندينية والماركسية . اذا كان ثمة علاقة واحدة ، فاعتقد انها تمر بالعلاقة بين القيادة الساندينية وتاريخ بلدنا . ولكي نفهم ذلك ، كان لا بد من بذل جهد لمعرفتها . فلبثنا في ترجمتها. عندئذ لجات القيادة الساندينية الى كافة الوسائل العلمية المبتكرة لاستخدام ذلك . قيمت الماركسية فعلا بعضا منها ، غير اننا وجدنا وسائل اخرى حملتها الثقافة عموما وتاريخ الانسانية ، افادتنا كثيرا . فالفلسفة الساندينية لا تتوقف على اية فلسفة خاصة . تتصل قبل كل شيء بما يتيح لها دفاعا افضل وتمثيلا افضل لمصالح اشد المضطهدين والمحرومين والمستغلين .

السبت ٧ تموز

الساعة ١٠ ـ يقع مقر قيادة فابيان في بيت سلم بمعجزة في حي ال كالفاريو ، افظع حي تدميرا في ايستيلي . كان سليما بالتأكيد لكنه غير تام . كانت الاعمال فيه قد توقفت في بداية الحرب . جدرانه الرمادية لم تطين بعد ، فقدان كل اثاث فيه يعطيه مظهرا صارما ونظيفا متمايزا عن مستودع الحاجيات المجاور . كان ثلاثة رفاق يحرسون باستمرار في صحن الدار ، ورسل يروحون ويجيئون . في الحجرة الخلفية ، حيث يتسرب نحو سقفها سلك هوائي ضخم ، كان يسمع صوت فابيان يتصل باستمرار مع القيادة القومية للجبهة الساندينية .

انتظرت .

كان نابليون ، « القائد رقم ٢٢ » ، وافرايم ، واحيانا ميريام ، الطباخة ، يتناقشون . كان شاغلهم الى حد رهيب وجود مرتزقة في صفوف الجرس الوطني .

ـ هل تعرف انهم يقومون الآن باغارات مفاجئة مثلنا . في الليلة الماضية ، اقتربوا زحفا حتى مسافة ٥٠ مترا من خطوطنا .

ليس « للقائد رقم ٢٢ » خبرة عسكرية كبيرة ، ورغم ظروف نيكاراغوا الاستثنائية الخارقة كان يفهم رأيه بسهولة كافية ، هذا اذا عرفنا ان عمره لا بد وان يكون اقل بقليل من ستة عشر عاما . لقبه الرنان يرجع الى بندقية الصيد (الكربينه) من عيار « ٢٢ » التي لا تفارقه ابدا . كان صبيا بائسا زعزعته الحرب وتشرد فالتقطه فابيان . كان يسوي سلسلة تامة من المسائل المادية ويقوم بدور

الحرس الخاص بسلاح غير صالح للاستعمال ، ليس لـه ذخيرة ولـم يستخدمه ابدا . دمدم أفرايم :« لكنه يقول انه قوي جداً لصيد العصافير الدوريـة » . تابع رقـم « ٢٢ » يقول : ـ عندهم كثيـر مـن الكوريين الجنوبيين والفيتناميين الجنوبيين ، وهم أرهبهم . ويمنعون الكلاب مـن الهرب ولهذا نلاقي منهم مصاعب كثيرة . حتى انـه في اليوم الماضي،كان رفيق في الخامسة عشرة من عمره ، لم يحمل سلاحا قط ، فوجد نفسه وجهـا لوجه امام فيتنامي فأطلق عليه رصاصة بين عينيه .

ـ كيف عرفت انه كـان فيتناميا ؟ وليس كوريـا ؟

ـ يا هذا عيونهم مغوليـة .

ـ أيهم ؟

ـ ... اوه ... عيون بعضهم اصغـر من عيون الاخرين .

ـ أيهم ؟

ـ الفيتناميون ... ان لم يكونوا الكوريين ... واعتقد علـى الارجح انهم الفيتناميـون الجنوبيون لانهم خسروا الحرب !

نابليـون هندي ، ينبعث عنه انطباع خارق لقوة جسدية .وشخصية لا يمكـن الا يفطـن اليهـا أحد ، حتى بدون البزة والعدة العسكريـة التي يباهـي بهـا ، من جزمة برتقاليـة وبنطال وردي وقميص ازرق وخـوذة احتفالات لضابط في الحرس الوطني . كـان يتناقش كثيـرا مـع افرايم حـول النساء .

ـ ما لا احب في النساء هو جريهن وراء الكلاب

ـ ليس النساء الشريفات .

ـ ربما ... لست ادري ... الآن يطاوعننا جيدا .. غير انه حين يكون عدد الساندين قليـلا .. يتدبرن امرهـن بقدر ما يستطعن .

ـ النساء لا يمكنهـن أن يعجبن بدموي .

افرايم صغير ، صلب العود متوتر الاعصاب ، جدي . لا يفـارق بندقيته « م ٣ » ابدا والتي ليس لديه ذخيرة لهـا غير خزان رصاص واحد اصلح بقدر المستطاع بشريط لاصق . كان بريء القلب .

استأنف نابليـون كلامه قائلا : ـ المرأة تعجب بالشجاعة .

ـ التي يستخدمهـا الانسان لعمل الخير .

تدخل « رقم ٢٢ » الذي كانت لديه آراء حتى حول هذا الموضوع :

ـ انها تقف بجانب الاقوى لتبلـغ غاياتها ، لكـن ذلـك لا يعنـي بالضرورة اتفاقهـا معه .

استخلص افرايم ان هذا النقاش بدأ يتعكر : ـ يجب الا نعمم .

وحينئذ ، التفت الي وراح يروي قصة حياته ومعاركه واسره ثلاث مـــرات .

ـ انضممت الى صفوف الجبهة الساندينية عن مبدأ لانه يجب تغيير ذلـك كله وجعله خيرا . اريـد نيكاراغوا حرة ،تبني ثانية وفق مبـادىء الاشتراكيـة .

ثم تساءل : « لكن كيف نتوصـل الى ذلـك ؟ باحترامنا خاصيـات ومميزات شعبنـا » .

ـ لماذا قررت الكفاح بالسلاح ؟

ـ لان مـا فعله سوموزا طال النيكاراغويين جميعا . غير ان شيئـا واحدا صعقنـي منذ زمـن طويل ، ان الديكتاتور كـان الرائد الاول لمكافحة الشيوعيـة في امريكـا اللاتينيـة والعالم قاطبة يعرف ذلـك . في حين انني كنت اقول فـي نفسي بعكسه انهـا لا بد وان تكـون جيدة فأخذت اقرأ نصوص ماركس ولينين .

ـ كيف ترى المستقبل ؟

ـ كنـا قد ناضلنـا زمنـا طويـلا لنرجع الى الخلف ونقتصر على الفتات . ثم ان التوقف قبل بلوغ الاشتراكيـة يعنـي خيانة لذكرى القائد كارلوس فونزيكـا امادور وجميع الرفاق الذيـن ماتوا في سبيلها .

جاء نابليـون في طلبي . قال لـي حيـن فتح باب الحجرة التي كان يقف فيهـا فابيان :

ـ انت تعرف ان الحرس اذا ارادوا اخذه ، فلا بد وان يمروا فوق جثث جميع المقاتلين الذين رأيتهم فـي المدينـة . انهم جميعا مثلي علـى استعداد لان يقاتلوا بأسنانهم واظافرهم الى ان يموتوا فـي سبيـل الا يقع ذلـك .

كانت حجرة صغيرة لـم تكمل ، كبقيـة حجر البيت . كان ثمـة خشايـا في كل مكـان ، مسندة الى السقف والجدران وفوق الارض لتحمي من قصف القنابل ... وبطاريـة سيارة وراديـو لا يتوقف عن الازيز اثناء المحادثة . وبندقية « الجليل » في زاويـة ، بمتناول اليد ، مسندة الـى الجدار ، وقد استخدمهـا حمالة قبعة ايضا . لم يكن لدى فابيـان غيـر مسدسه عند خاصرته ، في قميص مفتوح الازرار يرى منه صليب بلاستيكي ضارب الى الخضرة . كانت ابتسامته واسعة ونظرته مرحبة .

ـ اجلس هنا فوق الخشبة فليس لدينـا غيرها .

طلب قهوة وسيكائر ثم التفت نحو رئيسي الزمرة العاملين معه :

ـ افضل ان تخرجا لاني اخجل من الحديث امام اناس . هذا امر لا اتقنه جدا .. بدرت من يديه حركة متحيرة ، في ابتسامة مرتبكة .

ـ أعذرني ايها القائد ، اريد اولا ان اعرف الى من اتحدث . حين غادرت هندوراس كنت افكر ان اجد في ايستيلي القائد روبن الذي يتحدث عنه الجميع قائلين انه احد اولئك الذين يتمتعون باكبر شعبية في الجيش الساندينى . غير انه منذ وجودي هنا يقول كثير من الناس ان روبن قد مات ويقول غيرهم انه أنت ...

أنفجر ضاحكا . فابيان ؟ روبن ؟

ـ انها خدعة مسلية جدا اوقعت بها سوموزا انما لاسباب امنية. كانت لي اسماء مستعارة كثيرة . في ايلول الماضي ، كانوا ينادونني ميغل انجل اوروبن .. حين انسحبنا بعد الثورة ، عثر الحرس على اوراقي فوق جثة رفيق . حينئذ قاموا بدعاية كبيرة لما عثروا عليه قائلين اني كنت احد كبار القادة السياسيين والعسكريين وانهم لحقوا بي بينما كنت اهرب تاركا المقاتلين . فاضطررت لاسجل شريطا ارسلناه الى ماناغوا لتكذيبهم . لكن سوموزا قال انه لا يصدق ذلك الا اذا شاهدني حيا في التلفزيون . عندئذ انتهزت ذلك لاغير اسمي وفي الواقع يعرفني معظم الناس في المدينة باسم فابيان فقط ، الاسم المستعار الجديد الذي اتخذه الآن . علينا ان نتقصى آثارهم من وقت لاخر ..

ـ هل يمكنك ان تتحدث قليلا عن حياتك الشخصية ؟

ـ ولدت في هذا الحي منذ ٢٤ عاما من عائلة فلاحية. لبثت في المدرسة خمس سنوات فقط . وذلك ما آسف عليه الآن . كان لشروط عائلتي الاقتصادية دور في ذلك ، وكذلك لانني كنت كبقية الصبية ولا اعرف اهمية الدراسة . ثم انه ليس لها قيمة كبيرة عندنا . ففضلت ان اسيح والاحق الفتيات ... كانت امور صبي ما .

« كانت والدتي تغسل ثياب عائلات كثيرة من الطبقة المتوسطة وتشتغل في فندق قريب جدا من هنا مر به القائد ارنيستو تشي غيفارا عام ١٩٥٦ . تعلمت النجارة مع والدي ، ثم عملت بصناعة الاحذية، واشتغلت عامل بناء ، كانت سلسلة من المهن . غير ان الايام كانت صعبة جدا وحين لا اجد عملا في المدينة ، اتوجه الى الريف للعمل في المزارع . كنت في الاغلب لا اجد عملا هنالك ابدا ، عندئذ اجوب الجبل بحثا عن اثمار وسمك وحطب نأتي بها الى هنا . كنا نعيش

علـى مثل هـذه الحال .

«اشتركت عائلتـي في النضال السياسي في وقت مبكر جدا. عام ١٩٢٦ ، كـان اخـي احـد اوائل الذيـن انشؤوا نقابات . كان اسمـه فليميون ريبيرا والرتل الذي اقوده اليوم اسمه . كانت نشاطاته السريـة منذ ان كان فـي الثانيـة عشرة مـن عمره ورحت اساعده بحملي الرسائل. الى ان طلبت منه ذات يـوم ان يتخلى عـن السرية نهائيـا ليناضل مـع الاخريـن والسلاح بيده . كـان ذلـك عام ١٩٧٢ . قال لي : « هذا مـن شـأن الرجـال . انتظر » .

ـ ما الذي دفعـك الى الرغبة فـي الدخول مباشرة في المنظمة ؟

ـ اقول بكـل تواضع ان ما حدث لي حدث لكثيـر من الصبية في هذه المنطقة كنا منذ طفولتنـا مطلعيـن على كل مـا يجري من مثل هذه الامور . كنـا قـد تربينـا تربية مهذبة فـي محيط متطرف . كان ابوانا واعمامنـا يعلموننـا ان نلتزم الصمت ولا نقاتل بعضنـا بعضا والا نـأخذ مـا للاخريـن لانهم بحاجـة اليه . لم يكـن ذلـك يعنـي في حالـة الاضطهاد وانمـا يعنـي البناء الاخلاقـي . كـان هنالـك ايضا اشتراك اخـي ، الصدمة التـي احسست بها حيـن عاد بعـد سنة ونصف السنة من السجن . كـان شبه مجنون ، لا يرى على بعـد خمسة عشر مترا . ومع ذلـك لـم يبق خمسة عشر يومـا بالكاد حتى عـاد الى الجبل . ثم هنالك المسؤول الذي كنت اعمل تحت امرته . قبض عليه وعذب حتى الموت . ومع هذا لم يقـل شيئا ، رغم انـه كـان يعرف كل شـيء عنا . قبض علـى والدي عدة مرات ايضا . كسروا اضلاعه . وحين خرج ، عاد الى عملـه مستمرا فيه . كان هـذا شأن الجميع في الحي . وقع بيننا قتلى كثيرون. ولهذا، الحي مقاتـل عنيف. لسان حال الناس هنـا : « وطـن او موت!» الخوف لم يحطمنـا ، وبالعكس . ثم جاء وقت ورغبت في ان اتـدرب عسكريـا ، ليس لمصلحتي الخاصة انمـا في سبيل الثورة . هذه العوامل كلهـا ، وهؤلاء القتلى كلهم قاموا بدور مـا.. عجبا ! ولهذا قررت ان اشترك فـي النضال اكثر وحدثت بذلـك الرفيق فيليمون ، اخي .

دخلت الجبهة الساندينية كعضو سري . تدربت سياسيا وايديولوجيا وعسكريا تدريبا كثيفا بما يكفي مع مجموعة فتية كانوا قرابة عشرين. تدربنا تدريبا خاصا حقا. غير اني اعتقد ان من ظل منهم حيا اليوم ٤ او ٥ فقط، اذ قتل الاخرون. في الخط الاول. هنالك حيث تحل المسائل . بعد ذلـك، كرست نفسي للكفاح في الجبال والارياف لانه لا يمكنني ان اكـون مغـوارا

مدنيا الا بصعوبة. اخذت فيها اقوي معلوماتي. ولما كنت من اصل متواضع جدا فقد مكنني هذا الكفاح من ان اتعمق في وضع الفلاح النيكاراغوي البائس. عشنا معهم، شاطرناهم كل شيء واكتشفنا اخيرا ان حياتهم حياة حيوانات غابة. الناس يعيشون شبه عراة، اراضيهم صغيرة جدا يبذرونها كيفما اتفق بقليل من الذرة الصفراء والفاصولياء يأكلونها ليعيشوا. يعيشون الحياة ليعيشوا ولا شيء غير ذلك. بعيدون عن طرق المواصلات ، بعيدون عن الشعب، بعيدون عن العالم كله، غارقون تماما في عالم من الجهل . مشاطرتنا معيشتهم هذه ساعدتنا على ان ندرك بوجه مادي اكثر ضرورة الكفاح، وضرورة حمل السلاح للاطاحة بسوموزا والنظام السوموزي. عرفت الكثير من الامور الرهيبة حول الحياة في ايستيلي، فاكتشفت ما هو اسوأ منها في الجبال فعززت افكاري وتصميمي على قتال العدو . امضيت في الجبال اربعة اعوام، اشتركت بعدها في تدريب المقاتلين الذين شنوا هجمات تشرين الاول ١٩٧٧، وتشكيل جبهة كارلوس فونزيكا امادور الشمالية. واشتغلت مع فيكتور تيرادو لوبس ودانيل اورتيغا ولا سيما «ال فييخو»، والقائد جيرمان بومارس الذي كنت مساعده اثناء ثورة ايلول.

ـ متى عينت قائدا ؟

ـ بعد ايلول ١٩٧٨، غير ان هذا امر معقد. هنالك الكثير من الناس من يسمون انفسهم «قائدا» في نيكاراغوا كما في اي مكان اخر. وكلهم ليسوا اهلا لذلك .

راح روبن يخربش فوق حشية، بقلم كرية، الاحرف الاولى من جملة: «وطن حر او موت Patria Libre o Morir »، يضيف اليها، كما يفعل جميع المقاتلين، حرف «O» ، فيصبح مجموع احرفها «PLOMO» وهي تعني في الاسبانية : « رصاص » .

ـ ما هي الصفات التي يجب ان يتمتع بها القائد الثوري ؟

ـ ذلك يستتبع امورا جسيمة في رأيي. يجب ان يتمتع اولا من الناحية العسكرية باستعداد نظري وعملي. ويجب ان يتمتع بخط توجيه جيد حقيقة، ايجابي حقيقة، ويجب ان يتمتع خاصة بخبرة قتالية تمكنه من العمل كمسؤول حقيقي. ويجب ان يتمتع على الصعيد السياسي بروح الرفقة الواضحة حقيقة حول مسألة «سبب» الثورة. ويجب ان يكون واضحا حول معنى المنظمة، اي الجبهة الساندينية للتحرر الوطني، والاهداف التي يجب ان تتبعها الحركة الثورية، ومعنى امبريالية اليانكي. ثم يجب ان يكون واضحا حول مسائل سياسية عديدة كما يجب ان يكون

منسجما مع مثله العليا. وبالايجاز، رجلا يتمتع بسمعة اخلاقيـــة وثورية حقيقية لدى رفاقه،وبشكل اوسع لدى الشعب بوجه عام.وانا لا اعني طبعا بذلك كله ما يجب ان يتمتع به رجل واضح في كل الحقول، كامل الصفات تحت كل الزوايا. لكنما يجب ان يكون، اضافة الى استعداده التقنـــي ، شريفا، مخلصا، متواضعا. واعتقد ان كون المرء قائدا ثوريا حقيقيا ليـس بالامر البسيط ولا السهل .

«الشعب، الفلاح، العامل والناس يدركون كل شيء ويعرفون تمامـا كيف يستدلون على من يتمتع بنفوذ معنوي اشد في الحقيقة. ذلك كله لـه علاقة بالتخلف والجهل غير ان الجماهير الشعبية هي التي بدأت تعرفـه «بقائد». بعض الرفاق هنا، وانا منهم، الصبية والطرازانات والالهة وكـل هذه الامور. وضعنا الشعب في مرتبة عالية لا تصدق. يرانا عظماء جـدا ويعجب بنا اعجابا لا نعتقد نحن انفسنا من جرائه بأننا نستحق مثـل هـذه الميزة. ولنكون اكثر وضوحا، نعتقد بأنه ينقصنا الكثير لنكون كما يعتقـده الشعـب بنـا .

ـ كيف اثر هذا في سلوكك ؟

ـ نعتبر ان في الكفاح فخا لنا : فبقدر ما نسهم فيه، نقدم البراهين، فيدرك الشعب ذلك ويشرع في القول : «هذا رئيسنا، هذا رئيسنا العظيم، هذا زعيم قبيلتنا Casique ،هذا موجهنا، هذا راسنا، هذا قائدنـا، الخ.» حينئذ نكاد ان ننخدع سياسيا ولا نقدر جيدا اسباب حديث الشعب عنـا على هذا النحو. ونتعرض لخطر الانتفاخ بحد ونشعر بأننـــا رؤساء فنستغل ذلك. البعض يقول في نفسه في النهاية : «هم يعتقدون بأننـــي قائدهم، جنرالهم، موجههم. وتسير الامور على ما يرام، فضلا عن انـي استحق هذه السلفة، استحق ان ينادونني قائدا .

«هنا يكمن الخطر. يمكنني ان اقول لك بكل شرف ان الشعب يمكنـه ان يسمينا قادة او جنرالات لكن ذلك لا يعني ان علينا الا نعمل المزيد ونسلك خير سلوك في كافة الحقول لنستحق هذه التسمية والمسؤولية التي حملنا اياهـا الشعب واوكلها لنا. ان التأثير الذي اثر بي وبكثير مـــن الرفـاق الاخرين هو ان تعريف الشعب لنا بقادة كان لنا حافزا معنويا، ليس لنعتقد بأننا كاملي الصفات وانما ليكون سلوكنا افضل للغاية.

«اذا كان الشعب يعتقد بأنني شخص متفوق في الحقـل العسكري، شخص متفوق في الحقل السياسي، شخص متفوق هنا، شخص متفـوق هنالك، شخص متفوق في كل شيء، فعلي ان احاول ان ابلغ ما يريـــده

الشعب لي او ما يعتقده في. علي ان اكون خير عسكري واشد تأثيرا في الحقل التنظيمي واقوى اقناعا في الحقل السياسي واكثر انضباطا وانسجاما مع مثلي العليا. يجب ان اظهر للشعب انه ليس مخطئا. ويجب ان يكون ذلك لي حافزا معنويا يمكنني من مضاعفة جهودي وارضاء طموحات الشعب بأفضل وجه. حتى اذا توصلنا الى ذلك، يصبح الامر ايجابيا، غير انه علينا الا ننسى، بصرف النظر عن خبرة كل منا وخط توجيهه ، ان نتعلم طوال الايام بأننا لسنا كاملين ونحن بحاجة لامور كبيرة كثيرة وفي كل الحقول .

ـ كيف تحدد موقعك الايديولوجي ؟

ـ اريد ان اكون ثوريا حقيقيا، اريد ان اكون ماركسيا ـ لينينيا حقيقيا، وطموحي الاخير او الشامل ان اكون شيوعيا حقيقيا. اعتقد في المرحلة الراهنة انه ينقصني الكثير ايضا قبل ان اكون ثوريا حقيقيا، ماركسيا ـ لينينيا حقيقيا وبكل وضوح ان اكون شيوعيا حقيقيا .

ـ لك اذا ثلاث مستويات ...

ـ نعم، يمكننا القول ان هنالك ثلاث مراحل، غير انها كلها مركبة وموحدة. ان كون المرء ثوريا يستتبع صفات محددة لكن الشيوعي الحقيقي هو من يمكنه ان يتمتع بأفضل الصفات الانسانية، الافضلها سلوكا في كافة الحقول. بالنسبة لي، ان اكون شيوعيا حقيقيا يعني ان اكون انسانا منسجما مع مثلي الثورية وادافع في اي موقف كان عن مصالح البروليتاريا الوطنية والعالمية. ان اكون شيوعيا ذلك يعني بالنسبة لي ان اكون انسانا شريفا بكل ما في الكلمة من معنى. ان اكون انسانا عاملا، انسانا مخلصا، انسانا مستقيما ، انسانا شجاعا ، حازما ، انسانا متواضعا ، انسانا لينا مع الجماهير الشعبية. فعالا حين يجب، حازما في مواقفه التي يتخذها كلها، وفي جميع اعماله. ان اكون شيوعيا بالنسبة لي يستتبع مجموعة من الصفات لان كوني شريفا فحسب ليس سهلا، ان كوني انسانا شريفا ليس امرا بسيطا. والاخلاص ايضا ليس امرا بسيطا سهلا، ايها الاخ ـ لا بد من تخطي الصعاب لنتوصل الى ان نكون مخلصين وشجعانا. اما التواضع فصفة اخرى لا يمكن ان يعرفها الجميع .

ـ كيف تحدده ؟

ـ انظر، حين اتحدث عن التواضع، اتحدث بشكل ما عن السلوك

مـع الرفاق، اتحدث عن السلوك الاخوي، اللين ، عن السلوك الصافـي حقا، ذلك هو التواضع بالنسبة لي. اعتقد انه يجب ان نكون متواضعين مع المتواضعين، مع الشعب، مع الجماهير. واعني بقولـي ان نحتـرم مـن يستحقون الاحترام، هو ان نساعد من يستحقون المساعدة ونحب اشـد المحرومين. انا اؤمن بالحنان الثوري. واخيرا، ان التواضع بالنسبة لـي يعني الا نكون متكبرين ولا متبجحين. ذلك ما يعنيه التواضع في رايي.

ـ هل انت مسيحي ؟

ـ انظر، اعرف الكثير من الامور المتعلقة بالدين، وفي الوقت ذاتـه ليس لدي وضوح حول بعض منها غيرها. اعتقد انه يمكنني ان اقول لـك انـي مسيحي وافضل مثال عن المسيحية في رأيي هو ما نقدمه نحـن. وبصرف النظر عن كوننا اننا لا نرسم شارة الصليب ولا نصلي ولا نذهـب الـى القداس ولا نأتي امورا كثيرة يأتيها من يقولـون عن انفسهم انهـم مسيحيين. فواقع اننا نناضل في سبيل الشعب لدليل على عطفنا وحبنـا للشعب واعتقد ان ذلك خير صورة عن كوننا مسيحيين حقيقيين .

ـ ماذا حملت لك اذا الماركسية ـ اللينينية ؟

ـ ان العقيدة الماركسية ـ اللينينية هي التي ساعدتنا على ان نـرى بوضوح اشد المسائل صعوبـة . واعتقـد انها المرشـد للعاملين جميعا . فهي التي ساعدتنا على ان نجلي عقليتنا ونفهم ظاهرة الشيء. ساعدتنا مثلا علـى ان نعرف النظام الرأسمالي وندرك مركب تسلط الرأسمـاليـة علـى البروليتاريا العالمية . واعتقد ان كل ما نعمله انما هو نتيجة ذلك .

ـ تحدثت عن الشيوعية والماركسية ـ اللينينية. ماذا يعني اذا «كون المـرء ثوريـا » ؟

ـ كون المرء ثوريا هو اول مرحلة في طريق التكوين التي تمكنك ذات يوم من ان تكون شيوعيا حقيقيا. واعتقد ان اكتساب تلك الصفات التـي حدثتك عنها قبلا، كالاستقامة والشرف والاخلاص، تؤلف اول خطوة فـي التكوين. مثلا هنا، حولنا، هنالك الكثير من الثوريين. نحن جميعا ثوريون. غيـر انه ما يزال ينقصنا الكثير من الامور . نحن لسنا مستقيمين حقا في كثير من الامور . نحن لسنا مخلصين بما يكفي، حازمين بما يكفي في كثير من المسائل. نحن في مرحلة تعلم هذه المبادىء وتكوينها وجعلها صلبة .

ـ بهذا الوجه افهم جيدا ان كون المرء ثوريا هو طموحه لكل ذلـك وكـون المرء شيوعيا هو اكتساب شطر كبير من تلـك الصفات التي تحدثت عنهـا ؟

ـ تماما، تماما، نعم، نعم، هذا هو، هذا هو، . واليك مشكلة الكثيرين منا، انت ترى اني اعرف وشديد الوضوح، بيد ان تخلفي الثقافي الثوري، يجعل تحديد او شرح مسألة صعبا بالنسبة لي. فلكي اقول ما اعتقد به او افكر به اضطر في الاغلب لان ادور والف كثيرا. في حين ان البعض يتمتعون بتربية ثقافية وسياسية شديدة الوضوح.

«لكن هذا الامر ليس بمثل بساطة ذلك الامر. فبين جميع الرفاق الثوريين ، الذين يساعدون ويساهمون ويتمتعون بجوانب طيبة،اذا نظرنا قليلا خفية نجد ايضا افكارا سيئة كثيرة، وانانية، وتفضيلا لقطاع لعزل الاخرين الخ. ان الثوري يحمل معه ذلك كله، الايجابي والسلبي، وهنا يمكننا ان نرى اهمية عملية التقوية والتصفية. حتى اذا نظف الثوري نفسه اخيرا وتخلص من عبء عدد كبير من قذارات صغار البورجوازيين، حينئذ يمكننا ان نبدأ بالحديث عن ثوري حقيقي .

ـ كيف تفسر وجود «قذارات صغار البورجوازيين» تلك لدى البروليتاريا ايضا ؟

ـ هذا صحيح. افهم ان مسألة البروليتاريا هي الطبقة التي تنتمي اليها وان مسألة البروليتاريا تكمن في التربية السياسية والوضوح السياسي لكل منا. ان غالبية الجماهير الشعبية، الشعب، العمال، الفلاحون، فينا سلسلة تامة من عيوب البورجوازية الصغيرة. لنأخذ مثلا وضع الفلاحين. من الممكن ان يتأثروا بالكفاح من اجل ارضهم فقط ومشيئتهم ان تكون عائلتهم بأحسن حال بقدر ما يمكن على حساب الاخرين. والعامل مثلا يمكنه ان يقول في نفسه : « لا مجال لان اخرج بهذا البنطال الممزق. ثم انه مقصر في هذا المكان. يلزمني بنطالا صغيرا جديدا، نظيفا. لا مجال لان اوسخ نفسي اثناء العمل» .

ـ لكن كيف توصلت البورجوازية ان تجعل البروليتاريا تتبنى افكارها؟

ـ هذا نوع من الامور يمكننا نحن البروليتاريا ان نفهمه بسهولة كبيرة. اولا، ولنكن واضحين، ان المسألة مسألة تاريخية، كما ترى، على المستوى العالمي والامريكي. ونحن هنا لسنا غير مواطنين ابناء البلد الاصليين يمكننا ان نقول ان عائلتنا كانت عائلة مواطنة اصلية تماما، مثلا الجماعية، العائلية، الخ. بعد ذلك، كانت الدول الاجنبية التي غزتنا حافزا لنا على الاستيلاء على الارض وتملك بعض ادوات العمل، ونحظى بثروات امريكا الطبيعية. جاءت انذاك مرحلة اخذت خلالها بعض قطاعات متسلطة بين مخالبها قطاعات اخرى من الشعب. اخذت تتثقف وتسلك سلوكا سلبيا،

وبرجوازيا، اثر اخيرا بالاخرين. لنأخذ مثلا : لديك بيت في هذه المدينة، انت اذا شخص مهم، لديك بيت بورجوازي جميل، ومجموعة من العمال والشحاذين. عمالك يرونك تتطور ، تقول لهم : «التلفزيون معطل ، بنطالي قذر، صحني قذر، ارموا بها! واتوني بصحن جديد» الخ . انذاك يرى الناس ذلك من غير ان يدركوا انهم قد تأثروا. وكذلك بالنسبة لجميع الفتيات اللاتي يشتغلن في بيوت البورجوازيين، فهن يأتين من احياء عمالية. يعدن الى بيوتهن في ثياب جميلة احيانا، في ثوب اعطاه اياهن سيدهن. وعلى الاغلب، يستغللن هذا المظهر الجديد فيأخذن بالتحدث بلهجة جافة. يحاولن ان يتحدثن بما يجب عن احذيتهن الصغيرة الجميلة وصدارهن الصغير الانيق ذي الالوان الصارخة. لديهن سوار، وعيونهن مصبوغة الخ. ذلك هو احد الاشكال التي يؤثرون بها فينا .

«بيد انه بالاضافة الى هذا الشكل غير المباشر، لديهم اشكال نوعية ليبسطوا نفوذهم على البروليتاريا. فهنالك التربية والدين ووسائل الاتصال. ففي حقل التربية، يجب ان ندرك جيدا ان امبريالية اليانكي والدول الرأسمالية والناس الاشد رجعية هم الذين ينهجون برامجنا في التربية الثقافية. ولهم من وراء ذلك اهداف محددة : « سنظهر لهم ان عليهم ان يحصلوا على شهادة. سوف نعلمهم تاريخ نيكاراغوا بالشكل الذي يرضينا. سوف نبرز قيمة سوموزا. سوف نبرز قيمة «س» او «ع»، اما ساندينو، فلا يظهرونه الا بشكل قاطع طريق . والشخص الذي قتله، يظهرونه فلاحا التقط حجرا ورشقه به. لا شيء غير ذلك .

«حتى اننا نجد بين المقاتلين من يعتقدون ان ساندينو كان قاطع طريق. العدو يستغل التربية. يجهد في تعليمنا ان نكون سكرتيري تجار، نكافح في الحياة لنحصل على شهادة، ونصارع في سبيل ان نرتدي ثيابا جيدة مع ربطة عنق. ومن يلبسون ربطة عنق يجب ان يتميزوا عمن لا يلبسونها. «يجب ان ندخل في اذهانهم هذه الحماقات: يجب ان تكون المدينة في جانب والريف او الجبل في جانب اخر». وتبدأ تربيتهم بمعلم المدرسة الذي يخدعك ويقص عليك ان كريستوف كولومبس جاء الى امريكا ليمدنها ويوعيها، وانه جاء حاملا الينا المدنية لاننا كنا هنودا. وهنا يضعون في ذهنك قذارتهم. او ايضا حين قرروا تسمية العملة النيكاراغوية «قرطبة» لان«فرانسيسكو هيرناندس قرطبة كان وجها اسطوريا ساعد في كثير من الحقول». تكريما له، لانه استحق مثل هذه القذارة. لكن الحقيقة تختلف كلية. كان فرانسيسكو هيرناندس قرطبة ابن زنا من عاهرة جاء ليستعبد

هـذا الشيء القذر هنا، جاء ليسلب قارة امريكا. جاء هنا ليقوم بأعمـال مخزيـة . بتلك الصورة يقدمون التاريخ . ساندينو في نظرهم ليس غيـر قاطع طريق في حين ان ساندينو هو بلا ريب احد خيرة الرجال الذيـن انجبتهم نيكاراغوا لا بل القارة الامريكية كلها. تلك هي تربيتهم .

«الى جانب هذا هنالك وسائل الاتصال. رأيت منذ زمن ليس بالبعيد فيلما بالتلفزيون حول كيفية الحياة في الولايات المتحدة ومناظـر البيـوت بمصاريعها الخارجية وما تضمه في داخلها من فرش وكل ما يملك الانسـان من مال ولباس. يعرضون علينا ايضا افلام طرزان وباتمان. قذارتهم كلهـا يدخلونها في رأسنا على هذا النحو .

«هنالك اخيرا الكنيسة وكافة الرجال الذين يعالجون الدين الكاثوليكي. يدخلون في رأسك انه محرم على العامل ان يعارض سيده، وان الله هـو الذي اراد ان يكون في الدنيا اغنياء وفقراء. وان القدر هو بذلـك الشكل وان الاغنياء جميعا الذين يسلكون شرا هنا سوف يذهبون الى جهنم واننـا نحـن الفقراء، اذا متنا هنا، سوف نذهب الى الجنة .

«وهكذا، على هذا النحو او ذاك، يدخلـون في رأسـك كل هذه المؤثرات الايديولوجية. يبدأ ذلك منذ سن الطفولة، منذ السنـة الخامسـة او السابعة، بحيث انه اذا بلغت الخامسة عشرة او العشرين ربيعا تتكـون لديك عقلية مشوهة تماما، وبعد ان يكلفك ذلك الكثير من العمل ، يصبـح من الصعب عليك ان ترى الامور كما هي وتفهم من كان ساندينو مثـلا : «وحينئذ اما كان ساندينو قاطع طريق ابدا؟ ألم يقطع رؤوسنا اتفاقـا؟» «وكريستوف كولومبس ربما كان وجها اسطوريا؟» «ولان قرطبة كـان شخصية اسطورية لهذا اعطي اسمه للعملة النيكاراغوية.» ذلك ما يقولـه الناس. لهذا تتوجب اذا عملية اعادة التربية السياسية والايديولوجية . يجب وضع تربية ثقافية جديدة كلية. يجب ان نظهر للرفيق كيف يستخدم الراديو. يجب اظهار ذلك له لانه كلما زاد تعليمه، امكنه ان يعلم الشعـب اكثـر ايضـا .

«غير انه حين تدرس هذا الشخص هذه الدراسات العلمية يجب ان تظهر له في الوقت ذاته كيف يشتغل بالارض. وان يتعلم كثيرا . ويعلـم كـم يكلفه هذا بذر الذرة وما يمثله مردوده اليه من فاصولياء وذرة. يجب ان يتعلم كيف يحلب بقرة ويمتطي حصانا. يجب ان نقدم تربية كاملـة للرفاق، تربية تشمل كافة الحقول. ان يتعلم انه في المدينة في سبيـل التعايش الجماعي، ولاسباب اقتضتها الضرورة. غير انه يجب ان يعـرف

ان الريف والمدينة سواء. والاكثر ثقافة عليه ان يعرف ان عليه ان يكـــون المثل لغيره من الرفاق الفلاحين. وان يعرف ان عليهم هم ايضا ان يتعلموا ذلك. وان عليه الا يستغل ثقافته لمصلحته الخاصة وانما ان يتعلم بما يكفي كي يتمكن في غد من تعليم بقية الشعب. وعليه ان يفهم الشعب ان عـــلى كل ان يكون لديه الطموح الى المعرفة قليلا كل يوم ليتمتع الشعب بأفضـــل مردود ويتعلم اكثر ويمنح اكثر. وعلينا نحن ان نضع ذلك في ذهننا. علينا ان نكافح في سبيل الشعب اكثر من كفاحنا في سبيل انفسنا .

«من الواضح ان علينا ان ندخل هذه الثقافة الثورية شيئا فشيئـــا . ومن الممكن ان تعطيها مجموعة من الرفاق والاساتذة والقادة الذين يعرفون هذه المسائل كلها التي يمكن ان تصبح مثالا وتلبي بحد ذاتها هذه الحاجات. ولا ثقافة سياسية من غير ذلك ولا تربية ثقافية ثورية. وليست الثقافـــة التي نريدها، كلا، لا يمكن ان يكون فيها شيء منها. ليست الثقافة التـــي نريدهـــا .

ـ انت، بالرغم من عمرك، واحد من «شيوخ» المقاتلين فـــي الجبهـــة الساندينية والذين خلقوا النزعة الثالثية او الثورية المسلحة. كيف عشت، وكيف تفسر انقســـام الجبهة ؟

ـ عامي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ كانت منظمتنا في موقف حرج حقيقة في كل المستويات. اخترنا ان نركز جهودنا فـــي الجبال لنكتسب فيهـــا الصلابة العسكرية التي لا غنى عنها ونحصل على السلاح والذخيرة ونهاجم من هناك طـــرق المواصلات ثم المدن. كانت عملية كلاسيكية ترتبط بحرب المغاويـــر، حرب الحركة ثم حرب المواقع. وذلك ما يسمى في كـــل مكـــان بالحرب الشعبيـــة المستمرة .

«كنـــا اذا نعمل بهذه العقلية بحد متوسط، غير اننا انشأنـــا اخيـــرا منظمة عسكرية ـ سياسية للغاية بين الفلاحين. وحدثت امور رهيبة بدءا من ولاية ماتاغالبا حتى ولاية زيلايا. واقول بكل شرف، ايها الاخ ، انهـــا كانت ارضا محررة من وجهة النظر السياسية، وليس من وجهـــــة النظر العسكرية، كانت الاوضاع تسوء في المدن لاننا وضعنا قواتنا كلها تقريبا في الجبـــال، في وقت شنت فيه الديكتاتورية علينا هجوما وحشيا، التقـــى فيه الجيش السوموزي كله. يضاف الى ذلك وجود تناقضـــات بسيطـــة منذ نشوءالمنظمة اخذت تتطور فيما بيننا. لكن انتبه : ليست تناقضـــات عميقة، ليست تناقضات منصبة على المسائل الايديولوجية ـ السياسيـــة الاساسية. كان ذلك موقفا ايدته طوال حياتي مع رفاق القيادة لانه مسألـــة

انطلقت منهم. كانوا يتشاتمون حول مسائل عسكرية وحتى حول هذه العملية التكتيكية او تلك . «لننسحب ابعد في الجبل. لنجر اليه العدو ونحطمه هنالك». فيجب الاخر «كلا ايها الرجل . فلنكمن في طرق المواصلات وهنالك نسحقهم. ثم نزحف بسهولة على المدن. والافضل ترك الجبل للمؤخرة». فمن ناحية، لديك اشخاص كانوا من « الخط الصلب — de limed durd » من وجهة النظر العسكرية والقتالية. ومن ناحية ثانية، رفاق كانوا اقل حيوية. بعضهم يقول « ان التوجه الى المعركة خير شكل للدفاع عن الفلاحين»، ويقول اخرون : «لننظم الشعب وندخل السلاح، وعندما نكون على استعداد في كافة الحقول ننتقل الى الهجوم». كان ذلك هو الجدل. غير ان الجميع كانوا مع هذا يقاتلون .

«ثم، ذات يوم، جاء امر من القيادة يقول : «توقفوا. لا عمليات عسكرية. يجب ان نستعد». كان البعض موافقا والاخر غير موافق.غير ان الجميع قالوا «حسنا» في سبيل الانضباط. واستمر تجنيد الناس والتجهز بالاغذية والسلاح والذخيرة وتنظيم الفلاحين. وبدأ هجوم الحرس واصدرنا امرا بتجنب المعركة. كان قسم موافقا وقسم غير موافق. غير انهم كمنوا في سبيل الانضباط.. ومع هذا فقد وقعت المعارك. حدث مثل هذا الموت، مثل هذا الموت ... فكان قمع الفلاحين. راحوا يسألوننا من كل الجهات : «ماذا يجري؟ لماذا لا تقاتلون؟ حان الوقت!» كان وضعا لا يطاق. لم نكن في شيء حين كنا نعيشه في الجبل والمدينة. كان الحرس يعتقل الناس ويعتقل. كنا مطوقين في الجبل وكتمت انفاس الناس في المدن .. والشتائم مستمرة داخل المنظمة : «سنقاتل!» «كلا! هذه ردة فعل يأس بورجوازي صغير. ليس هنالك ما يوجب فقدان توازننا. ليس هذا هو الوقت . العدو يستفزنا » .

«وحدث ان اتخذت قرارا مجموعة صغيرة تلتف حول فيكتور تيرادو لوبس الذي هو اليوم عضو في القيادة القومية، وفيليمون ريفيرا وغيرهما: «تبا! وتبا! سننطلق الى المعركة! وليكن هذا او ذاك غير موافق، نحن لا نبالي بهم. سنتوجه الى المعركة، سنحارب».نصبوا كمينا ونجح. غير ان احد القادة، وهو ياسينتو هيرناندس، قتل في العملية. واستمر ذلك. كانت ارادتهم الخروج للدفاع عن الشعب والاستيلاء على الاسلحة لتسليح الفلاحين واعلام الحرس انهم انما يجابهون رجالا دونهم خرق القتال، فقتل عدد من الاطر وبقي تيرادو لوبس وحده. وبعد وقت، وجد الذين لم يشاؤوا ان يتبعونا انفسهم وسط الجبل برتل تعداده ٨٠ رجلا واصبحنا نحن في

محيطه مجموعات صغيرة منعزلة قوامها خمسة الى ستة اشخاص. طوقونا، كنا نتجابه هنا ونصطدم هنالك، سحقونا واصبحت حالتنا كما يقول التعبير الشعبي «مشرشحة تماما». امضيت ستة اشهر وحيدا ، حتى انني تهت شهرين وحيدا، وحيدا في الجبل. وفيه اصبت بهذه القذارة التي تركت في ندبات لن تذهب ابدا، جذام الجبال .

«انتهينا مع هذا باعادة علاقاتنا مع الاخوة اورتيغا الذين كانوا في المنطقة المدنية. كانت لديهم مشاكل ولدينا مشاكل ولم يكن احد يعرف ما يجري للاخرين لفقدان الاتصال. عقدنا اجتماعا لتحليل الموقف فتأكدنا من ان الحرس قد ركز قواته في المنطقة الجبلية وان الرفاق الذين فيها يوشكون ان يسحقوا ويبادوا او يعزلوا تماما على الاقل. كا نلا بد من عمل ما. لا يمكن تركهم يموتون.

«كان لدينا حلان : ايجاد السلاح وتدريب الاشخاص ووضعهم بالجبل ومحاولة الاتصال بالرفاق. بيد ان اقل تحليل كان يظهر لنا ان الحرس موجود هنالك في كل الجهات وانه يلتقطنا لدى انطلاقنا قبل ان نتمكن من عمل اي شيء. ولكي نأمل بالنجاح، كان لا بد من وسائل لم تكن متوفرة لدينا. «ماذا يمكننا عمل غير ذلك؟ لا يمكننا تركهم وحدهم». «فلنشكل جبهة مغاوير جديدة وننطلق الى قتال العدو عند باب بيته. هيا نسعى اليه حتى داخل معاقله. فلنهاجم اوكوتال، فلنأخذ الطرق. فلنستولي على الثكنات حيث يلتجيء هؤلاء الملاعين. يعتقدون انهم سوف يتمركزون في الجبل الى الابد، فلنباغتهم هنالك حيث لا يتوقعوننا. ما دام عدد من الجنود قد توجهوا بحثا عنا هنالك، فلنهاجم اذا الاماكن التي اخلوها». كان يراد انطلاقا من ذلك تشكيل رتل يلحق بالرفاق المعزولين ، وفي الوقت ذاته اظهار هجوم عسكري فيه بعض من مميزات الثورة المسلحة. ومن هنا بدأنا بهذه الثورة الملعونة التي لا يعرف احد عنها شيئا كثيرا، باستثناء البعض .

ـ لاية دوافع سعيت لتطوير كفاحك نحو الاتجاه الثوري المسلح؟

ـ انظر، يجب ان تعرف اولا ان مشروع الثورة المسلحة كان قائما منذ زمن طويل عند بعض قادتنا، منهم كارلوس فونزيكا امادور وهومبيرتو اورتيغا بوجه خاص. ثم انه متصل ايضا ببعض تقاليد بلدنا . منذ ايام ساندينو وحتى قبلها، منذ ايام الثورات في سبيل الاستقلال او كفاح الهنود. ولطالما استولى الاهالي على مدن واقاليم بشكل ثورة مسلحة ليكافحوا العدو القائم والطاغية والمستعمر. يتعلق ذلك بالنسبة لنا بأسئلة

بسيطة : اين هي مراكز الانتاج في نيكاراغوا؟ اين يتركز اكبر عدد من العمال؟ اين يمكن ان يكون لعمل عسكري اكبر ردة فعل؟ الجواب : في طرق المواصلات، قرب المدن، اي في ساحل المحيط الهادىء بصفة اساسية. وهذا صحيح. ما هو الاهم اليوم؟ نصب كمين في الجبل حيث لا يوجد غير فلاحين، حيث لا وجود لراديو ولا صحف، الخ. ام القيام بعملية عسكرية في مكان كثير بالناس ليكون لها صدى سياسيا ضخما ، وليعرف الفلاحون والعمال ان هنالك مقاتلين في نيكاراغوا وان الجبهة الساندينية لم تتحطم، وليشعر الاهالي ثانية بتحفيزهم وينظموا الى صفوف الجبهة. وذلك ما مكننا من ان نكسب المزيد من المقاتلين والمزيد من الدعم الشعبي ووسائل خوض الحرب، الخ. نعتقد من ناحية ثانية انه يستحيل قلب الديكتاتورية بزج القوات العسكرية والثورية الساندينية وحده. كنا مقتنعين بوجوب انطلاقة عامة للقوى الشعبية والفلاحين والعمال ومجموع الشعب. نحن رأس الحربة، نحن طليعة، مرشد، غير ان الكلمة الاخيرة ترجع الى انطلاقة الجماهير. ولكي تتجلى هذه الانطلاقة، يجب ان نكون وسط الجماهير، قربها، ونكون على علاقة معها لنتمكن من تحفيزها. وذلك ما لا يمكننا بلوغه ونحن منغلقون على انفسنا بعيدين عنها في الجبل. ذلك ما كنا عليه .

«ابلغنا نتيجة هذا الاجتماع الى القيادة القومية وبقية الرفاق. غير اننا اصطدمنا بمشاكل التنسيق فظل كل من ناحيته يتصرف وفقا لخطة عمله البسيطة. ثم اضطررنا لطرح هذه المسألة : اما ان ننفذ ما نعتقده صحيحا من غير ان ننتظر ان نتكتل مع بقية الرفاق، واما ان ننتظرهم ونتبنى الخطط التي يقدرون انها صحيحة. كانت اوقاتا يجب ان نقرر اثناءها، تبعا لمصالح الثورة دوما ومصالح الشعب دوما، ايها الاخ. وليس تبعا لهذا الزعيم او ذاك، لهومبيرتو اورتيغا او موديستو، وليس تبعا لاننا اصبحنا فيما بعد «ثالثيين» ولاننا انشأنا منظمة جديدة. ليس من ذلك شيء وانما هي ارادة شد الحركة الثورية الى الامام وقلب الاوضاع. فاذا كان موقفنا في غاية الحرج سياسيا وعسكريا فانما نبحث عن كيفية تدبير الامور لتغيير هذا الموقف الحرج لنتمكن من القفز، واذا كان ذلك يكلفنا تضحيات ودماء وحزنا، الخ. الخ.، فذلك في رأيي هو الثمن الذي يجب ان ندفعه لننطلق الى الامام، والا فاننا لم نعمل على تحسين الوضع الذي كنا فيه. ولما لم يكن انذاك مثل هذا التنسيق، اندفعنا الى المعركة في نسق مشتت .

«وشن هجوم تشرين الاول. لم يكن مسألة نزعة ولا مسألة وصولية. كان نتيجة لتحليل الموقف الذي كانت عليه الحركة الثورية وارادة تخليصها منه في الحقيقة. كانت الحماسة وضرورة عمل شيء لتغيير الموقف، وفقا لارادة الشعب والجماهير. قلنا منذ البداية : اذا اخطأنا وفشلنا، فمن الصحيح ان علينا ان نبحث عن اسباب فشلنا. ان اي شخص لم يفكر في اي وقت ابدا : « سأشكل مجموعتي للتلذذ واقوم بعمل تخريبي» .

ـ لماذا سموكم «ثالثيين» ؟

ـ لانه، بعد هجوم تشرين الاول، كانت يومذاك الحرب الشعبية المستمرة في الجبال من ناحية، والبروليتاريا في المدن من ناحية ثانية، وحينئذ اطلق علينا «الثالثيون» .

ـ كيف نفسر، بعد كل ما قلت الان، بعض الاتجاهات الى التشيع في النزعات الثلاث ؟

ـ بعضهم متشيعون وغيرهم اقل تشيعا. اخذ كل يدخل شيئا من التربية السياسية والثورية في ذهن اطره، وفي ذهن كل رفيق طبقا لما يعتقده صحيحا، من غير ان يلح على ذلك كثيرا. مما ادى الى تكوين مقاتلين صلبين ودخول مواقف سلبية بين الرفاق. وذلك ما بذر الشقاق. ثم ادرك الجميع بعد وقت الاهمية التاريخية لاعادة الوحدة السانديينية فتحتم علينا ان نجابه هذه المسألة التي دفعتنا لوضع عملية اعادة التربية السياسية للجماهير ومقاتلينا وجميع المقاتلين الذين تلقوا ثقافة متشيعة وجميع الذين ادخلت في اذهانهم هذه الامور المحرجة .

كانت المسألة قبل كل شيء هي ان نوضح للرفاق ان الانقسام ليس هو الامر الجيد ابدا وانما الاتحاد وانا لسنا من دعاة الحرب الشعبية المستمرة ابدا واننا لسنا «بروليتاريين» ابدا ولسنا «ثالثيين» ابدا وانما نحن جميعا سانديينيين. واننا جمعا واحد وشيء واحد. كان ايضاح ذلك ايضاحا جيدا صعبا بالنسبة للمتشيعين جدا. فمن لم يكن لديهم شرف ولا استقامة ثورية كانوا لا يفسرون ذلك جيدا وحينئذ لا يفهم بقية الرفاق ذلك جيدا. من هنا نشأت بعض التناقضات في مستوى القاعدة : ان هذا ثالثي، مغامر ، وذلك من دعاة الحرب الشعبية المستمرة، لا يفكر الا بالجبل او ان ذلك الاخر هنالك هو «بروليتاري»، يتحدث في كل شيء ولا يفعل شيئا .

ـ بأية عمليات اشتركت منذ عمليات تشرين الاول ؟

ـ في كمينين وفي الهجوم على مركز جمارك في اقليم اوكوتال،

واحرقنا ايضا ثكنة صغيرة واشتركنا في الاستيلاء على العديد من مزارع القهوة في محافظة نويفا سيغوفيا، ثم في الشمال .

ـ ماذا فعلت بعد ذلك ؟

ـ بعد فشلنا العسكري النسبي، واتحدث عن الاتجاه، لم يبق لنا اما ان ننزوي في هندوراس او نقيم في الاقليم لا نبرحه علما بأن خطنا الوحيد لمواصلة القتال هو الهجوم المتواصل، وهذا ما اخترنا تنفيذه طبعا في وقت كان اثناءه معظم الرفاق متجهزين لمعارك المدن، لا سيما من اشتراكوا في العملية ضد اوكوتال. كانوا يرتدون احذية تينيس وصنادل، بلا مطرات ماء، وكان من سوء حظهم ان غامروا خارج الطريق الوحيدة التي كانوا يعرفونها، طريق هندوراس، وكانوا واثقين من ضياعهم. رغم هذه الشروط الصعبة امكننا، بقيامنا بهجمات لا تنقطع نجح معظمها، ان نشكل قرابة اربعين اطارا سياسيا وعسكريا من نوعية متفوقة. وهذا ما نسميه اليوم : «جبهة كارلوس فونزيكا امادور الاولى الشمالية» .

«ثم كان مقتل بيدرو يواكيم شامورو والعمليات التي نفذت ضد ريفاس وغرناطة التي استولينا عليهما في شباط ١٩٧٨. واضطررنا لان نعيد التفكير من جديد ايضا. كان بامكاننا ان نقوم بعمليات جيدة حقا ضد جيوش النخبة ونستولي على المزيد من الاسلحة ولربما اسلحة غيرها حين نستولي على مدينة. غير ان المشكلة ظلت هي نفسها، ايها الاخ، اذ لم يكن لعملياتنا اي صدى على المستوى القومي، وكانت عدما سياسيا. كان لدينا في الجبهة الشمالية الكثير من الشباب الجيدين حقا، واطر قامت بعمل رائع غير انه لم يفد شيئا او انه لم يأت بالشيء الكثير في حين كان اتجاهنا يتمتع بامكانيات كبيرة في بقية البلاد بفضل الخط العسكري ـ السياسي الذي كنا نتبعه والذي لم نكن لنجني منه كل الفائدة الممكنة. حينئذ بدأنا بارسالهم الى ليون وايستيلي وماناغوا ومازايا، الخ. ومع ذلك فقد تركنا قوة منخفضة في اقليم اوكوتال تحت قيادة جيرمان بوماريس. فبدأت تأخذ اهمية بعد ثورة ايلول بفضل انسحاب مقاتلي ايستيلي. غير اننا لم نقتصر على الاقامة في الجبل على بعد عشرات من الكيلومترات من كل فلاح ونهبط منه لنقوم بعمليات دقيقة، منتظمة. فقد امكننا ان نظل منذ هذا التاريخ حول المدن التي رحنا نضغط عليها باستمرار. وامكن للجبهة الداخلية التي كانت تشمل منطقة المحيط الهادىء كلها ان تنمو بشكل متسارع طوال هذه الحقبة .

ـ ما هو الدور الذي قمت به في ذلك كله ؟

ـ حين تفجرت الجبهة الشمالية، ارسلت الى ايستيلي حيث وصلتها في حزيران ١٩٧٨، مع تعليمات تقضي باعداد الثورة وعلما بأن كل استسلام وكل عزلة سياسية انما تعتبر خيانة لقضية الشعب. لم اكن بحاجة للتخفي لانني كنت قد غادرت المدينة قبل ستة اعوام، وكنت صبيا صغيرا، ولن يتعرف على احد، حتى والدي. عملت خلال شهرين ونصف الشهر معتمدا في البداية على الناس الذين كنت اعرفهم وافراد عائلتي. قمنا بعمل تنظيمي سياسي واعداد عسكري للثورة. واستطعنا ان نتصل برفاق «الحرب الشعبية المستمرة» الذين يعملون في المدينة منذ زمن طويل وننسق معهم عددا من العمليات المشتركة .

«قبل ايلول بالضبط، كانت في المدينة درجة من التنظيم جيدة جدا الى حد خارق. كانت الاحياء جميعا تتمتع ببنية سياسية ودينية. كان كل شيء يتم بتطابق تام نتيجة للعمل المنجز منذ سنوات والذي تسارع في الاشهر الاخيرة. ازدادت المظاهرات وتضاعفت التعبئة الثورية وعظم الهياج. راح الناس ينزلون الى الشارع صارخين بشعارات، يحرقون اطر السيارات، حتى انهم يقيمون المتاريس ويرشقون بالحجارة مدرعات البيكات وسيارات الجيب الزرقاء للكتائب الخاصة المكلفة بقمع الارهاب المضاد. يحرقون منازل الاغنياء. وكل ما يمكنك تصوره. غير ان هذه المعارك في الشارع طرحت علينا مسألة. اجبرتنا هذه القتالية التي تجلت بالحجارة والعصي، بلا سلاح، على مضاعفة جهودنا في حقل التنظيم والاستعدادات العسكرية. بدأنا بتدريب المقاتلين وتشكيل متطوعة شعبية وجمع المعلومات عن الاهداف التي اردنا مهاجمتها. بدأنا بالحصول على مواد لصناعة قنابل يدوية تنفجر بفتيل Miples وقنابل، كل ذلك بالاعتماد على الناس والصناعة اليدوية. حتى اننا تمكنا ان نخفي في مكان ثلاثة وعشرين سلاحا طويلا، بنادق حربية وبنادق صيد (كربينات) من كل الانواع بينها ثلاث بنادق «فال» فقط، فجرنا بها ثورة ايلول المسلحة .

ـ في اي تاريخ بالضبط ؟

ـ في ٩ ايلول . اعددنا خطة عمل تتناسب مع تقسيم المدينة الى ثلاثة قطاعات. ارسلنا خمسة اسلحة الى الطريق الشمالية لايقاف كل هجوم يأتي من نويفا سيغوفيا، وخمسة اسلحة الى الطريق الجنوبية لايقاف كل تقدم للحرس المرسل من ماناغوا. وفي الوسط، كان لدينا اربعة عشر سلاحا بينها اثني عشر حربيا قسمناها الى قوتين، ستة منها تحت امرة رونيه وثمانية منها قدتها انا لمهاجمة مقر القيادة. انطلقنا وحرضنا الناس

على النزول الى الشارع فراحوا بعد نصف ساعة يحفرون الخنادق ويقيمون المتاريس ويبحثون عن مسدسات «٢٢» او بنادق صيد. عند منتصف الليل اصبحت المدينة تحت سيطرتنا. راحوا في الغداة يخرجون الدبابات ليقصفونا. قاومنا حتى اننا شرعنا بتحطيم الحرس. كان تنظيمنا جيدا وتنسيقنا جيدا بعد ثلاثة ايام. واستطعنا، بالاعتماد على الاهالي والمتطوعة ان نخوض عمليات هجومية ودفاعية وندرب مقاتلين فيما بعد، الخ. وصمدنا على هذه الحال ثلاثة عشر يوما ...

«كانت ثقتنا بالنصر مئة بالمئة. غر اننا اضطررنا للانسحاب بعد اسبوعين. كان وضعنا في غاية الحرج. لا سيما انه كان ينقصنا ما نسميه «بالوسائل التقنية العسكرية» من راديوات ومدافع هاون وبازكوا، الخ. لم يكن لدينا شيء من هذا. ماذا تجدي هذه البنادق «الفال» الثلاثة ؟ لاشيء. وهؤلاء الفتية، زمرة الفتية الذين تراهم الان في المدينة بأسلحة عفوية، والذين هم الان مغاوير حقيقيون، كانوا مجرد متطوعة (ميليشيا) في ذلك الوقت ولم يكن لديهم اي تدريب عمليا. لقد تدربوا اثناء الثورة وبعد الانسحاب الى الجبل .

ـ كم شخصا انسحب معكم ؟

ـ خمسمئة دخلنا المعركة بثلاث بنادق فال وخرجنا منها بالخمسمئة. حين اصبحنا في مأمن، بدأنا بتنظيم هؤلاء الناس جميعا. من خرج منهم خوفا، من ناحية، ومن خرج منهم عن شعور ثوري ووطني ومن كان على استعداد ليقاتل حتى النهاية، من ناحية ثانية. كانت مثل هذه الحال تشكل النصف تقريبا لدى كل فريق. اخرجنا الفريق الاول وثقفنا الفرقاء الثانيين ثقافة جدية سياسية وعسكرية. كان علينا ان نعد البقية ومنحها اساسا ايديولوجيا اكثر ضمانا. ثم بدأنا بفصل اثنين الى ماتاغالبا واثنين الى خينوتيغا، الخ. كانت أطرا صغيرة جيدة امكنها ان تقوم بعمل رائع في تنظيم واعداد الاهالي في القرى والمدن في الاقليم كله. وبالايجاز، اعددنا الشروط التي كان لها ان قادتنا الى الهجوم النهائي ضد الديكتاتورية السوموزية، الذي نخوضه في هذا الوقت.

ـ لماذا، خلال ذلك الوقت، قمتم بهجوم نيسان او ما يسمى بالاسبوع المقدس كما يقول اهالي المنطقة ؟

ـ اثرت في ذلك عوامل كثيرة. فمن ناحية، كان جواسيس للحرس قد هربوا مستفيدين من الانسحاب ليندسوا في صفوفنا. فبفضل معلوماتهم، كان العدو في سبيله لابادتنا مخيما بعد مخيم في المناطق الريفية

وحيا بعد حي في المدينة. فكان الشكل الوحيد لخروجنا من ذلك هو الانتقال الى مهاجمة طرق المواصلات بأسرع مما كان مقررا ومضاعفة الضغط على العدو . وكان ذلك مقررا في خطتنا العامة ان يكون تدريجيا. ومن ناحية ثانية، كان جيرمان بوماريس، في محافظة نويفاسيغوفيا، يعاني من متاعب مع الحرس الذين حشدوا اشخاصا كثيرين هنالك. وفي ماناغوا، بلغ القمع نسبا مأساوية. ففي مثل هذه الحال الحرجة للغاية، كان لا بد من القتال. وفوق ذلك، ان سوموزا ذهب في اجازة الى فلوريدا، فقررنا وضع خطة عاجلة تتضمن الانتقال الى الهجوم مباشرة لمنع كل مناورة سياسية من جانب الامبريالية او بعض قطاعات البورجوازية او السوموزية. واخيرا كانت لدينا مشاكل الاتصال بالراديو مع القيادة القومية والجبهة الداخلية وكنا حينذاك نتناقش في هذه المسائل كلها. قالوا لي : «هيا، نحن ايضا سنضاعف الضغط». غير انهم لم يفكرا بأن الاهالي اصبحوا يتمتعون بقتالية شديدة. كانوا يعتقدون انه يقتضيهم مزيدا من الوقت. كنا قد بدأنا بعمليات ضد طرق المواصلات حول المدينة غير ان العدو لم يشأ الخروج منها عندئذ دخلنا ايستيلي ثانية في ٩ نيسان لملاقاته . دخلت المجموعة الاولى وقوامها ثلاثون رفيقا، مجهزة بأسلحة حربية ، ثم دخلت المجموعة الثانية في اليوم الثاني وقوامها عشرون، ثم المجموعة الثالثة في اليوم الثالث وقوامها ثلاثون. أجلينا العدو حتى وسط المدينة . عندما رأى الشعب ذلك كله، وهؤلاء المقاتلين المسلحين جيدا، اندفع الى الشارع بحماسة لا تصدق. كان الوضع اسوأ من ايلول. راح يقيم المتاريس ويحفر الخنادق ويلقي بالحجارة ويقذف بالعصي. كان كلهم يفعلون ذلك وببهجة غريبة . كان الناس يصيحون : «هذه هي الثورة الصحيحة، هذه هي المرة الاخيرة. هذه هي النهاية. هؤلاء ابناء العاهرة لن يخرجونا من هنا الى الى الابد!» حسنا. كنا في غمرة معارك، بالعصي ـ كنا في هذا الوقت نتناقش مع رفاق الجبهات الاخرى : «هل تسيطرون على الموقف؟» «نعم الامر بسيط.» وتستمر المعركة بالعصي، معركة العصي. في اليوم الرابع، اتصال جديد «نعم ايها الرجل، الوضع جيد!» ويقول لي الرفاق : «هنا ماناغوا نحن نستعد. لا تهتم ايها الاخ لن ندعك وحدك». وفي ليون « نحن نستعد، لن ندعك وحدك» وامثال ذلك في الجبهة الجنوبية او الشمالية. وقامت ماناغوا في الواقع ببعض العمليات بفعالية لكنها لم تكن عامة ، كانت بداية فحسب. وحدث مثل ذلك في الجنوب. بيد اننا في هذا الوقت كنا نهاجم كل مدن الاقليم : ليماي وكونديغا وال سوس وران رافائل وفي كل مرة بمجموعات من اربعين مقاتلا جيدي التسلح. كانت قوة رهيبة ايها

الاخ، حتى اننا اخذنا نشد على نويفا سيغوفيا حيث كان جيرمان بوماريس في ذلك الوقت بعيدا في الجبل، بعيدا عن الاهداف الهامة .

«كنا نهاجم اذا في كل مكان، لكنا ما لبثنا وحدنا في الواقع . ولما رأى العدو انه لم يهاجم بشكل حاسم وادرك الخطر الحقيقي الذي نمثله له ، راح يركز قواته ويطوق المدينة بأكثر من ٢٥٠٠ جندي، بينهم وحدات من جنود النخبة، بهدف ابادتنا. كان تعليلهم بسيطا : «اذا توصلنا الى هدم كوخ اولئك، تنهار خطط كل ابناء العاهرة اولئك. وسوف تتدنى معنوياتهم في الشمال كله ويكون لذلك وقع حاسم في المستوى الوطني». وخاضوا المعركة. استمرت سبعة ايام. وقاتل رفاقنا ببطولة، ايها الاخ. عليك ان تدرك اننا عدنا الى المعركة بـ ١٢٠ رصاصة لكل بندقية فال. وببنادق رشاشة! ١٢٠ رصاصة، لا رصاصة واحدة اكثر. بعد سبعة ايام كان ما يزال لدينا ٦٠ رصاصة. كان انضباطا في اطلاق النار لا يصدق. لم يقع بين صفوف مقاتلينا سوى عشرة قتلى .

ـ وكيف امكنكم الخروج من الطوق ؟

ـ بفتح ثغرة امامية مباشرة. خرجنا ومعنا ١٥٠ سلاحا حربيا لاننا استولينا على عدد لا بأس به منه اثناء المعارك. غير انه، اضافة الى ذلك، خرج في هذه المرة ٢٥٠٠ شخص من ايستيلي حين خرجنا . ٢٥٠٠ شخص مع الجرحى المنقولين فوق حمالات، والصبية والعجزة. ايها الاخ، لو ان اولهم توقف لاقتضى اخر من في الرتل اربعين دقيقة ليلحق به. وضعنا في المقدمة قرابة خمسة عشر سلاحا حربيا. حين رآنا الحرس، الذين كانوا يطوقوننا، قادمين ولوا الادبار. رأيناهم يهربون امامنا، حتى ان العجائز رحن يضحكن منهم .

« خرجنا اذا وبدأنا نفرز . أمكننا ان نحتفظ بنصف الناس . كانوا على استعداد للقتال . بيد انه لم يكن لدينا اسلحة كافية للجميع. تشتت معظمهم في الاقليم او في هندوراس . عدنا وجمعنا قواتنا في ثلاثة ارتال ، ثم طوقنا العدو لنضغط بشكل متواصل على ايستيلي . وبدهي اننا استفدنا من ذلك لنتصل بالارتال الاخرى . رتل جيرمان بوماريس الذي كان في اقليم خينوتيغا ومفرزة العقيد سانتوس لويس من « الحرب الشعبية المستمرة » قرب ماتاغالبا ، الخ . كانت احدى المشاكل الكبيرة للجبهة الشمالية ، التي لم تكن موجودة في الجبهة الجنوبية ، هي اننا لم نعقد سوى اجتماع واحد بين ايلول ١٩٨٧ ونيسان ١٩٧٩ . كان التنسيق صعبا جدا في مثل هذه الشروط . ولم

يكن الراديو ليمكن من حل كل شيء . وكان يستحيل عمليا تبادل الخبرات . فاضطررنا لاعادة النظر في تفعيل خطة الانطلاق تبعا للوضع الجديد . فبدأنا نتمكن من ان نحرك في نهاية ايار ما لا امكننا تحقيقه في نيسان . اما من ناحيتنا ، فقد عدنا ونصبنا كمائن بين ايستيلي وليون وايستيلي وماناغوا ، الخ . قمنا بمحاصرة بدأت بعيدة بحد ثم اخذت تقترب تدريجيا لتخنق الحامية . وطرأ تحسن اكثر فاكثر على تسلح مقاتلينا وتدريبهم ، غير ان ما هو خارق الى حد عجيب، ايها الاخ ، هو روحهم القتالية . ما يكادون يخرجون حتى يباغتونهم وتدوي الانفجارات والطلقات ! فيعودون من المعركة والجميع ، جميع الشباب ، بمعنوية رهيبة .

« واضطررنا لدخول المدينة للمرة الثالثة بحدود ١٢ حزيران. كان للحرس ، اضافة الى مقره العام ، ستة مراكز ثانوية هاجمناها فورا واستولينا عليها واحدا بعد آخر . واختاروا اماكن محصنة جدا في مباني صلبة . ولكي نستولي عليها ، لم يكن لدينا غير الديناميت والبنادق . ومع هذا توصلنا الى ذلك . غير ان المقر العام شيء آخر . انه احدث ما بني ومن هذا الواقع افضل ما بني في نيكاراغوا. يحتل موقعا ستراتيجيا فوق طريق « بان اميريكان » بالاضافة الى انه يقع في مكان منفتح عمليا لا يمكننا من الاقتراب منه . فلو كان لدينا مدفع هاون لسوينا المسألة في ساعات قليلة . وذلك ما كان يلزمنا، فلو نظفت المدينة تماما ، لامكننا ان نبدأ بالتحرك نحو ماناغوا ونطوقها مع الرفاق القادمين من بقية البلاد .

ـ كيف ترى الموقف القومي بتاريخ ٧ تموز ؟

ـ عمليا ، من الواضح ان الامور تجري بصورة جيدة في كل المستويات ، القومية والدولية . تناور بعض قطاعات من البورجوازية والغرينغو بقدر ما تستطيع لتحول دون انتصارنا او حده . غير ان وضعنا جيد . حشد العدو جنوده في ثلاثة اماكن اساسية هي شيناديغا وماناغوا والجبهة الجنوبية . وتشير معلوماتنا كلها الى ان معنويات جنوده في مستوى الارض ، صفر . في حين ان رجالنا حاقدون عليهم ، وقد اخذوا يكتسبون الخبرة ، ونحسن تسلحهم . واخذ كل يدرك دوره في المخطط العام ونشعر جميعا بأن النصر اصبح في متناول يدنا .

« ان وسائل الاتصال التي بين ايدينا الآن تمكنا من القيام بأفضل

تنسيق بين الجنوب والشمال والغرب والوسط ، وذلك امر حاسم في الايام القادمة . ومدينة شينانديغا مطوقة عمليا ، ويزداد الاندفاع في الجبهة الجنوبية ولن يطول كثيرا تنظيف ماتاغالبا وايستيلي . واخيرا ، ان الرفاق الذين قاموا بعملية الانسحاب التكتيكي للقوات الثائرة في ماناغوا، يحتفظون بقوة سليمة تماما جيدة التسلح والخبرة. وقد عاودوا الهجوم في جنوب العاصمة . كان مستواهم في البداية متواضعا ، لكن خططهم ذات مدى واسع تدخل في الحركة الشاملة ولا بد وان تمكننا من النصر قبل وقت طويل. ثم ، على الصعيد السياسي، سنشكل قريبا اعضاء حكومة اعادة البناء الوطني الذين سيأتون الى البلد حيث سينصرفون الى اولى مهامهم السياسية والادارية . وذلك امر هام .

ـ بدهي جدا انه ليس اوان سؤالك عن المستقبل ولكن ماذا تعتقد بموقف غالبية الناس وحتى المقاتلين من الماركسية والاشتراكية والشيوعية ؟

ـ انظر ، ذلك كله من الدعاية الامبريالية والدعاية السوموزية ، وغسل الادمغة وكل هذه القذارات . هنا الناس يخافون الى حد الجنون من كلمة « الشيوعية » . كما حدث في كوبا بالضبط يوم ان انتصرت الثورة . تسأل الناس :« هل تريد طرد الغرينغو ؟ » « نعم ! » ، « هل تريد تأميم مراكز السكر ؟ « نعم ! » ، الخ . ولكن حين تسألهم عما اذا كانوا موافقين على الشيوعية او الاشتراكية يأخذون في العويل « انها شر انها بشعة ، شر جدا ، انا مسيحي ايها السيد !» وفي الواقع ان الناس جميعا موافقين على سلسلة تامة من الاجراءات ذات الطابع الاشتراكي . وليس لك الا ان تنظر حولك لتجدهم يريدون امورا ثورية تماما لكنهم يخافون من الكلمات .يجب اذا ان ننتبه جيدا في تثقيفهم فلا نستخدم او نحاول ان ندخل في اذهانهم مفاهيم او كلمات مجردة . يجب ان نأخذ امثلة عملية وافعالا حقيقية ونقارنها باوضاع مختلفة . يجب ان ننطلق من مسائلهم وحاجاتهم لنقودهم الى التساؤل . فالقول : « انت ترى هذا الشيء الذي نعمله الآن لحل مشكلتك ، حسنا ، انه اجراء ذو طابع اشتراكي » . غير انه يجب ان تتحدث عنه بعد تحقيقه . وحينئذ ، وشيئا فشيئا ، يأخذون من ذاتهم بتفهمه . وأعتقد ان معظم اطرنا قد ادركوا ذلك جيدا .

ـ ذهلت لكثرة عدد المقاتلين الذين يقولون بلا انقطاع :« بعد هذا

سوف نستمر في الحرب في بلد آخر ! » ما هو رايك في ذلك ؟

ـ بعضهم يقول ذلك لمجرد القول . لكن غيرهم لديهم وضوح كاف حول هذه المسألة . ان احدى قواعد منظمتنا هي ان نؤكد على الدولية. وهي احد مبادئنا الاخلاقية في تربية رفاقنا في هذا الاتجاه . يجب ان يكونوا واعين اننا اليوم نقاتل هنا غير انه في غد، لاسباب اخلاقية وتاريخية ، يمكن ان نكون في اي مكان من العالم ، وفي امريكا اللاتينية او امريكا الوسطى . بين صفوفنا الكثير من المقاتلين الدوليين ومثل هذا الوضع كان موجودا ايام سانديتو . اشتركنا في القتال الى جانب الكوبيين في خليج الخنازير حيث كان احد الطيارين الثلاثة للقوات الجوية الثورية نيكاراغويا . وقاتل بعض رفاقنا الى جانب الفلسطينيين . اعتقد ان الاوروبيين يصعب عليهم جدا ان يفهموا ما هي مسألة المبدأ بالنسبة لنا . بيد انني ان اعترف ان فيه جانبا من الرومانتيكية ويمكنني القول ان بعض الرفاق يحلمون بمواصلة القتال في مكان آخر ، لانه لم تتكون لديهم بعد ثقافة سياسية كافية فيسهل عليهم القتال . الا ان عددا كبيرا بيننا واعين ايضا انه تنتظرنا، بعد هذه المرحلة الاولى من المعارك المادية والعسكرية ، مهام كبيرة في الحقل السياسي والتنظيم والتوعية والاقتصاد ، لا تقل ثورية ايضا .

« وبصرف النظر عن كوننا اننا نستطيع ان نكون قلعة عسكرية ـ سياسية ، يجب الا ننسى ان هذا شعب . أليس كذلك ؟ ان هذه الثورة هي ثمرة شعب عاش سنوات طويلة غارقا في الجهل والتخلف السياسي والثقافي والايديولوجي وحتى العسكري . انت ترى . الى حد كانت امبريالية اليانكي تتصرف بشؤوننا مباشرة فاكتسبنا من هذا الواقع سلسلة تامة من العادات البورجوازية الصغيرة السيئة . نحن اذا في عملية تعليم ونتقدم بمصاعب كبيرة . يجب أن نكون واعين لذلك ولا ننساه ابدا لان الشعب هو الذي في هذا الوضع ولان تقويتنا حديثة جدا في الحقل السياسي والانساني والعسكري . نحن في اوج صلابتنا، حتى ايديولوجيا . ويعرف ذلك الكثير من رفاقنا الاطر . وعيهم حاد لذلك ويستشفون نواقصنا ويجهدون لسد هذه الثغرة . وذلك نعمة ، لاننا من ناحية ثانية نعتقد بحزم اننا سننتصر ، ونعتقد بحزم ان العدو لا يمكنه ان يتصدى لسيرنا ونصرنا . ونعتقد ان بمستطاعنا ان نقود هذا الامر من غير ان نخدع الشعب ولا حتى

الرأي العـام العالمـي .

« رغم مشاكلنـا كلهـا وعجزنـا كله وتواقصنا كلها ، قطعنـا شوطا كبيرا من الطريـق .

« بيـد اننـا نعرف ان نجـاح الثورة النيكاراغويـة لا يتعلق فحسب بالشعـب النيكاراغوي ولا بالمنظمـة الساندينيـة وحدها ، يتعلق ايضـا بالمساعدة المعنويـة والمادية والثوريـة التي يمكـن ان يقدمهـا لنـا اخواننا فـي بقيـة العالم ، ان لـم يساعدونا ، يعزلونا . نجـد انفسنا وحيدين. نستطيع الربح ، لكـن النصر سيكلفنا اربعـة اضعاف ايضا . حتـى انـه لن الممكـن الا تستطيع ان نحتفظ بالسلطة . تلـك هي مسؤولية شعـوب العالم الاخرى التاريخيـة . اترى ؟ لان هذا الشيء ، هذه الثورة ، كلفت شعبنـا .. كثيرا من الدمـاء والوسائل الماديـة . ان مـا يهـم ، ايهـا الاخ ، من ناحيـة ، استعدادنـا لمواصلة الكفاح حتى النهايـة ، حتى يكون لنـا « وطـن حر او الموت » . ومـن ناحيـة ثانية ، ان نقيس ، نقيس، نقيس كـل مـا كلفنـا ذلـك » .

اشكـــال عديـــدة للحـــرب

حديث القائـــد لويس كاريـــون

كان الجيش الساندينى الذي حقق النصر يتألف في الواقع من جيوش عديدة ، ذلك اننا كنا مضطرين لان نخوض في وقت واحد اشكالا عديدة من الحرب فيها خبرات مختلفة . ولكي نفهم ذلك بأبسط شكل ، لنستعرض الجبهات التي قاتلت فيها قواتنا. كانت الحرب في الجبهة الجنوبية تجمع كافة العناصر التي تحدد الحرب النظامية، من جبهة قتال وخنادق ومدفعية . حتى انها كانت متلائمة مع واقع، نادر للغاية في الحروب الثورية ، وهو ان عدد المقاتلين كان الى حد محسوس هو نفسه في كلا الجانبين : ١٢٠٠ رجل . غير ان جيشنا ، حتى هنالك ، كان يضم نوى شديدة الانضباط وقوية البنية الى جانب كتلة كبيرة من المقاتلين ضعيفي التدريب ، تنظيمهم سيىء في الاغلب . ومع هذا برهنت دوما على قتالية كبيرة جدا وعرفت كيف تحتفظ بمواقعها في الخنادق مهما حدث . كان جيشا غير نظامي اذا ، لكنه ليس جيش مغاوير لهذا السبب ، لانه يتغذى بنوع من التجنيد الجماهيري المنفتح جدا . واخر ميزة في الجبهة الجنوبية : كانت المساندة السوقية هامة جدا . وفي اخر يوم من الحرب ، تجاوز حجم نار المدفعية الساندينية حجم نار مدفعية الحرس الوطني .

اتبعنا على التوالي نموذجين من الحرب في مدن المحيط الهادىء . تمفصلت الثورة في البداية حول عمليات مجموعات صغيرة جدا من المقاتلين بنيتهم جيدة ، وتسلحهم وتدريبهم جيد نسبيا ، تعمل الى جانبهم قطاعات هامة منظمة من الاهالي وعدد اكبر ايضا من اشخاص اشتركوا تلقائيا في الحرب . وذلك ما احدث ، مثلا ، ثورة ماناغوا الشعبية . استمرت ١٩ يوما في شروط لا تصدق بفضل المشاركة التلقائية تقريبا

من الجماهير وتدخل المتطوعة الحاسم .

بعد الانسحاب فوق مازايا ، برهن جيدا مسؤولو هذه الجبهة على قدرة كبيرة في التكيف . استفادوا من الاسلحة التي أمكننا ايصالها لهم ، بفضل الطيران ، والطاقة البشرية ، والمادية التي نجمت عن الثورة ، فالفوا وحدات اكثر تنظيما وقوات تدخل متحركة حقيقية . وأمكنها الاستيلاء على خينوتيبه ، مثلا ، في ساعات قليلة، بشكل عسكري بحت ، بينما كان يلزم الكثير من الوقت لو اننا شرعنا بعمل ذلك بالوسائل الثورية . وحدث شيء من هذا بالذات في ليون .

في ايستيلي وماناغالبا، اضطررنا لنخوض ايضا نموذجا اخر من الحرب. كانت ارتال من المغاوير تعمل في الجبال فهبطت في وقت الي المدن حيث دمجت قواتها بالثورة الشعبية . غير ان الطابع المسيطر في هاتين المدينتين كان الثورة الجماهيرية لسبب رئيسي هو مصاعب تسلح المغاوير . كان الحرس قد تبنوا موقفا دفاعيا بحتا معتصمين في مواقع محصنة اقتصروا فيها على المقاومة . لم يكن لدى رفاقنا ذخيرة ولا تسلح كاف لانتزاع هذه المواقع ، فاضطروا ان يختاروا محاصرتها بانتظار الاستيلاء عليها .

كان الغالب في حربنا هي الثورة المسلحة اذا . وكانت مشاركة الجماهير اكبر بكثير مما كانت عليه في معظم العمليات الثورية التي عرفناها . بيد انه ، في هذا السياق ، كانت القوات الساندينية النواة والمفجر والموجه لهذه الثورة قبل ان تكون العامل الحاسم في النصر . ولكي نفهم ذلك ، يكفي ان نقارن بما حدث في ايلول من العام الماضي . كانت لدينا ثورة ، قاومت ايستيلي ١٠ ايام ، وشيناندیغا اسبوعا اوحدا ، غير ان قواتنا المسلحة لم تكن لديها ، من وجهة النظر التنظيمية ووجهة نظر الوسائل التقنية او التسلح ، القدرة على تحويل هذه المقاومة ، هذه الثورة الى نصر . كانت لدينا ، مثلا ، عند هجوم حزيران – تموز ، وسائل اتصال بالراديو بين قواتنا الرئيسية. وليس في ايلول . مما اتاح لانسحابنا من ماناغوا، الذي اعتقد حوله سوموزا بانه انتصار له ، ان يعرف ويفهم من قبل مختلف جبهاتنا بانه مناورة لا بد وان يكون لها وقع حاسم على نهاية الحرب . هكذا أمكننا ، بفضل هذه الاتصالات بالراديو ، ان ننقل كلا من قواتنا في اطار ستراتيجية موحدة . واصبح بامكاننا ان نعمل مع معرفتنا بكل ما كان يجري في بقية البلاد ، في حين، انه في ايلول ، كانت كل مدينة منعزلة عن بقية المدن الاخرى .

الاحـد ٨ تمـوز

((هل فكـرت بطبيب الاسنـان للاطفال ؟))

كانت يقظتنـا قاسيـة على طريقـة سوموزا . مـا كادت الساعة تبلغ الخامسـة حتى سمعنـا صوت دوي ضخم هز المدينة .

ـ الهيليكوبتر ! الهيليكوبتر ! القذرة تقصفنا !

ـ بم ! ثم انفجاريـن .

وكان التشتت . نهض الجميع راكضيـن واندفعوا ، مـن كـان منهم فـي الحديقـة او الشارع .

بعد هاتيـن الطلقتين المنذرتين ، اخذت القذرة تتسلى . لـم يكـن ارهب شيء في هذه الحرب مثل هذا الطائر المميت الذي يظل معلقا فوق رؤوسنـا ... لا يتحرك ... خلال دقائق لا تنتهي ... قبل ان يلقـي ببيضه : قنابل زنتها ٥٠٠ ليبرة تحدث حفرا ضخمة لا يقل قطرهـا عـن عشرة امتار وعمقهـا عشرة امتار . كان الطيار يتمتع بحصانـة تامة مـن كل عقاب فوق مدينـة ليس فيهـا اي سلاح مضاد للطائرات ، فراح يتسلى . كـان جامدا كلية ، يختار هدفه ويقدر سرعـة الريح . ومكنتـه المعلومات المرسلة اليه من مقـر القيادة من تعليم متراس عدواني بحد ، مسلح بحد . الـى الغرب قليـلا ، الى الشمـال قليلا . ها هوذا ، ليس امامه غير ان يضغط علـى الزر .

من الارض ، كانت رهيبة . فوق قرابة ثلاثة الاف متـر منـا ، كان انطباعـي دومـا ان القنبلـة بحـد ذاتهـا تقع في مدى مائتي متر .

ما كدت انهض حتى تملكني مغاص رهيب . كان نتيجـة حتمية للماء

الذي نشربه ، والاسهال المسيطر في مدينة ايستيلي . لم يحسن اختيار وقته ليضرينـي . يستحيل ان انتظـر . حقا يستحيل الانتظار .

اخذت الهيليكوبتر تدور .

بالصحن الدار ! انه اكثر حرزا من الشارع لكنـه منكشف ايضا . كززت على اسنانـي . دارت الهيليكوبتر ، اصبحت فوقنـا ، انا متأكـد من ذلـك . ابطأت سرعتهـا ... واستمرت ... حان وقتهـا ! لـدي عشرون ثانيـة .

قفز كل شيء ! فـي كل مكـان ، الارض ترتجف . تولد لدي الانطباع بانني محاط بالانفجارات .

بانشيتا خائفة ، كالجميع . انتهى الانذار ، فراحت تعبر عن سخطها ناظـرة الى السماء ، ربمـا باتجاه ماناغوا .

ـ ولكن متى سيرحل رئيس الكلاب هذا؟ خسر ومع هـذا يتشبـث كأنه مريض . والغرينغـو الذيـن مـا يزالون يساعدونه ...

ـ لن يساعدوه اطلاقـا لانهم عرفوا ان ذلـك ليس من مصلحتهم ...

ـ ولكنهم يساعدونه ، لاول مرة رأيت فيهـا جيمي كارتر بالتلفزيون كـان بيده توراة ـ يقال انه معمدائي ـ حينئذ اعتقدت انه طبيب لانـه عموما الناس الذين يقرأون الكتابات هم اقل شرا .

مسحت يديهـا في بنطالهـا .

ـ ولكني الان رأيت كيف يدعم سوموزا ومجازره . لسـت ادري بأن شـيء اعتقـد ...

مرت صبية من الجوار تركب دراجة كبيرة جدا عليها ، تدعى غلاديس ، في الحاديـة عشرة ربيعـا . جميلة ، كيسة ، عرف عنهـا انها ثرثارة . لا يعرف الناس كيف ينظرون اليهـا .

ـ ذهبت الى لجنة الدفاع المدني . ثمة رؤساء يوزعـون الغذاء ، هنالك .

ـ هل انت ذهبت لتأتيـن به ؟

ـ نعم ، لان والدي جريحين . دخلت شظيـة قذيفـة مدفـع هاون مسننة في والدي ، في عموده الفقري . هـو بلا حراك تماما . والدتي تستطيع المشـي لكـن من الافضل الا تخرج كثيرا . لا تستطيع الركض حيـن تأتـي طائـرة .

تطاولت فوق اطراف قدميهـا لتتمكـن من وضـع مرفقيهـا فـوق المقود وراحـت تغنـي : الى الامـام ، ايها الرفاق ، نشيـد الجبهـة

الساندينيـة .

ـ بيتي يسهل التعرف عليه ، كما تعرف . يكاد يكون سليما . لـم تصبه غير قذيفتين . خلف هذا البيت بالضبط . تدخل رأسك في النافذة المكسورة فترى السقف المنفتح . ومـع هذا لم يكن لوالدي حظ ، كانـت هذ هي الحرب الاولـى التي شهدها . لما كان سائق شاحنة ، لا يكـون هنـا في الاغلب . اما نحـن فقـد شهدنـا الحرب الثالثة .

ـ كيف ترين ذلـك ؟

ـ فليذهب هذا الكلب لان بذهابه يستطيـع العودة اعمامي الذيـن يعملون سرا . لقـد ارتكب بحق عائلتنا اكثر من فعل قذر ، اكثر من فعل قذر ونصف . والدتي مثلا كانت مسجونة . لم يخبرني بذلك احـد غيـر انـي ادركت انهـا لن تعود ، وذات مساء ، سمعت من عمة تقول انهـا في « الامن » . فعرفت انهـا لن تذكـر لي شيئا حول ذلـك ابدا ، حينئذ سألت جدتي ما هـو هذا « الامن » .. قالت لي انتظري حتى افكر ...

حكت غلاديس رأسها بدقة .

ـ ... آه نعم ! قالت لي بالضبط : « انـه المكـان الذي يحتجز فيه السجنـاء » . حينئذ ادركت . لبثت فيه اسبوعا . كانت مع هذا حبلى بأخي الصغير الذي يعاني الآن من اضطراب فـي الغدة الدرقية .

بدا لها غريبا هذا الشخص الذي يطرح عليهـا اسئلة . ان لهجته ضعيفـة . لا بـد وانه ليس من هنا . يبدو على بانشيتا انها تعرفه . لكن احـدا لا يعرف عنـه شيئا ابدا .

ـ هنا لا يوجد غريب كمـا قال ذلك الحيوان. ليس هنـا غير اناس يقاتلون في سبيل الحرية . انت ماذا تعمل ؟

ـ أوه ... انا صحفـي .

ـ اما انت مجنون او انـك تربح نقودا كثيرة حتى جئت هنا .

راحت طائرة تقوم بدورات واسعـة فوق المدينة .

ـ اعمل الآن في بيتـي كل شـيء . في اليوم الماضي توجهت الى بيت نصف متهدم لآتـي بالخشب والصفيـح لاصلاح السقف . وسأذهب لاتـي بالحليب لاخـي اذا لـم يكـن موجودا . والطعام ايضا . ومن ناحية ثانية يجب ان اذهب الى بيتـي .

نظـرت الى الطائرة المدومة .

ـ هل تعتقد ان هذا المغفل سيطلق علي النار ؟

اختفى المقاتلون الذيـن حولنا في البيوت كي لا يشدوا اليهم الانتباه.

ـ لا استطيع ان انتظر طوال حياتي .. على اية حال القنابل المخصصة لنا قد جاءت ولم تعمل لنا شيئا . اذا ...

انصرفت راقصة ، تتأرجح خلفيتها الصغيرة فوق أعلى السرج الذي لا تستطيع ان تمتطيه .

الساعة ١١ ـ الاجتماع الاول للجنة المركز للجان الدفاع المدني لمدينة ايستيلي . كان مقرهم قرب قيادة فابيان العامة ، يستقطب الانتباه بنظافته كان منظفا بشدة ، حديقته تعلوها اعشاب برية مشذبة ، مما يتباين مع الفوضى والاهمال القائم في هذا المحيط . في الداخل ، قاعة مستطيلة فيها ثلاثة مكاتب تعلوها آلات كاتبة وسكرتيريون منكبون على الضرب بها ، رجالا ونساء . كتبت بعض جمل مخلصة ، ، قوية التعبير وبفطنة فوق اوراق ، ثبتت فيما بعد فوق الجدار بمسامير كابسة . كانت مثل هذه الجمل : « أتقول ان الثورة مؤلمة ؟ .. انها السكر الذي نحلي به مرارة هذا الشراب الذي هو التاريخ » .

كانت خلية ينهمك فيها اشخاص من سن ناضجة فقط ، بلا سلاح في معظم الوقت .

بدأ الاجتماع التاريخي منذ دقائق بالكاد . كانوا سبعة اعمارهم بين خمس وعشرين الى خمسين سنة . ثلاثة منهم يجلسون فوق كراسي واربعة يجلسون ارضا ، متراصين في غرفة صغيرة جدرانها زرقاء وكأن زمن التداول سرا لم يول بعد . كانت بندقية واحدة في الغرفة. تكلم كل بدوره ، وتحدث معظمهم برعونة . لم يكن من السهل طرح « لجنة مركزية للجان الدفاع المدني » . ان ما يمثله هذا العنوان الرنان ليس في شيء امام هؤلاء الفلاحين الذين لا يعرفون جيدا اين يضعون احذيتهم المليئة بالطين ، وهذا العامل الاشعث الشعر وهذا المراهق بأزرة بزته الكثيرة . هذا ان لم يكن العكس على الاقل ..

فوق كرسي ، يجلس بومبيليو ، استاذ البيولوجيا واحد المحققين في اليوم الماضي ، والرئيس ، تعلو رأسه طاقية صوفية كستناوية .

كان النقاش فوضويا تماما .

ـ يجب ان ينصرف احدهم الى الدعاية . نحن بحاجة لان يعرف الناس وجود لجان الدفاع المدني وما تعمل ، ذلك هو الشكل الوحيد لتسوية مسألة الذباب والنظافة .

ـ الناس يتذمرون من فقدان حلاق .

ـ يوجد واحد في مركز التموين رقم ٣ . عنده مقص ولسوف

يسنه . وهكذا يستطيع الجميع ان يذهب اليه .

شق على مثقفي المجموعة ان يتمالكوا انفسهم .

ـ علينا حتما ان نقيم ورشة ميكانيكية يمكننا بها اصلاح السيارات المتضررة . وهكذا عندما نستطيع ان ننظف ايستيلي نهائيا يمكننا ان نرسل بسهولة امدادات الى اماكن اخرى .

ـ اعود الى ما قاله الرفيق . يمكننا وضع بيت تحت تصرفهم . يمكنكم ان تقولوا الى المسؤول عن مركز التموين رقم ٣ ان ينضم اليهم وهكذا نحصل على صالون حلاقة حقيقي للجميع .

ـ حسنا ـ انتم تتكفلون بذلك ـ قال هذا حامل البندقية للذي تكلم الآن .

كان التخاطب بصيغة الجمع كثيرا جدا في هذا الاجتماع ، لا سيما بين المدنيين ، من لم يبلغوا العشرين عاما بأية حال . كان المسؤولون الساندينيون منتبهين جدا لذلك .

ـ اخطر مشكلة يجب ان نجابهها ، عدا عن مهمة توزيع الغذاء، هي مشلكة الصحة .

تكلم بومبيليو من كرسيه بهدوء شديد ، من غير ان يحرك يديه تقريبا ، حتى وان كان السؤال يغيظه .

ـ الذباب اجتذبته الجثث التي لم تحرق جيدا . الوسيلة الوحيدة لتجنب الوباء هي دفن الاموات. اعرف جيدا انها تكون كثيرة جدا احيانا ولكن يجب بذل جهد . هل من الممكن ان يتوجب علينا ان ننظم فرقة خاصة بالتعاون مع الصليب الاحمر للقيام بهذا العمل ؟ انه ضروري .

الاسهال اخذ يدمر المدينة كلها . وضع الاطفال مأساوي . يزداد عددهم يوميا عند باب مشفى الاسعاف المخصص نظريا للجرحى فقط .

ـ نصف المدينة الغربي يشرب من ماء النهر . غير ان فيه جثث حيوانات ، حتى انه في اعلاه ، في ناحية « س » .. جثة حارس تتفسخ . بعض النساء يغسلن ثيابهن فيه ، والناس يقضون حاجاتهم فيه في كل مكان منه تقريبا . مما سيؤدي بسرعة ، اضافة الى الذباب ،الى انتشار وباء الديزانتريا الرهيب .

قاطعه خوان ، الاقدم، بصوت بسيط هادىء اصغى اليه الجميع بانتباه . وهو عامل بناء : ـ عمري في الخمسين . كنا قبلا نعمل حفرا بجانب النهر ونسهر عليها . مما يمكننا ان نحصل على ماء نظيف

دومـا . غيـر ان الناس الآن فقدوا عادات الزمـن القديم الطيبة . مثـلا، لما لـم تكـن هنالـك طاحونة ابدا لاعداد العجين لصنع اقراص الـذرة، ولا بـد ان تتذكـر النساء العصريـات انه في زمـن امهاتنا ، كانوا يطحنون الذرة بالحجارة . اما الناس الآن ، فـلا يعرفون عمل شـيء ابدا مـن غير آلـة ...

اجال نظره فـي الحضور .

ـ ... واذا طالت الحرب ؟ أنا ، حيـن لا تكون لدي اداة عمل ،اعمله بأظافري .

كـان ايستبان ، حامـل البندقيـة واصغرهم (٢١ عامـا) ورئيس الجلسة ، متحيرا تجاه « القديم » بيـن الاعجاب والتفكـه ، ثم استحسنه مجيبا بمقترحات ملموسـة .

ـ يجب منع الاستحمام والغسيل وقضاء الحاجات في أعلى المدينة. ولربمـا يمكننا تنظيم مفرزة تتكفل بتنظيف اطراف النهر وتبيـن للاهالي كيف تقيـم حفرا فـي حوافي النهـر . يستحيل تجديد الكهرباء (كانت المحطـة قد دمرهـا الطيران حيـن سيطر الساندينيون على المدينـة) لان اسلاكـا تتدلـى فـي كل مكان وذلك خطـر جدا . بيـد انـه ربمـا يمكننـا تركيـب خط مباشر لنسير فقط المحرك الذي يغذي خـزان ميـاه المدينـة . يأخذ منه الناس الماء الصالح للشرب لان الاقنية المتفجرة تمنعنـا مـن توزيعه بشكل طبيعي . على الذيـن سينصرفون الى الدعايـة ان يبذلوا جهدا خاصـا لاعلام كـل شـيء يمس الصحـة .

انطلقت رشقات اسلحة ناريـة من ناحيـة مقر القيـادة . غيـر ان الجـو ظـل هادئـا رصينـا الى حـد لا يصدق . كان الجميع تقريبـا يدونون ملاحظات . ما ان يبقى على مسألة حتى يخصص واحد لدراستها، ويتخذ قـرار حتـى يكلف احـد المشتركين بتأميـن تنفيذه . كانـت الجمل قصيرة . لا يظهـر اي تسلط من انسان واحد .

لم يتطرقوا الا الى مسائل ملموسة ولم يتحدثوا الا عن امور بسيطـة جـدا ، الاهم ما تكـون .

تم كل شيء . كـان مطلبـا عظيمـا جديدا عليهم . انهم يتعلمـون ويرتجلون فـي هذه الحرب اي شيء يجب عمله .

يجب تنظيمهم اولا .

ـ يجب اعداد اعمال اللجنـة المركزية .

ـ اقترح تعيين عضـو متكرس يمكنه ان يرد على مسائل الناس التي

يطرحونها نهارا ويعلم اللجنة .

ـ هل توافقون على عقد اجتماع كل صباح؟ لم يحن الوقت بعد !

ارتفعت الايدي . الجميع يحملون افكارا لكن خبرتهم قليلة . والامر يتم بسرعة .

ـ يجب ان يكون لدينا سجل وسكرتير يشترك في جميع الاجتماعات ويسجل عنها ملاحظات . نحن ننسى كل شيء .

ـ دارت عقارب الساعة . العمل خارجا كبير . افترقوا وتواعدوا على اللقاء غدا صباحا في الساعة نفسها .

خصص خوان وايستبان وبومبيليو دقائق من وقتهم للرد على اسئلتي. كيف يفسرون ان المقاتلين صبية في معظمهم بينما هنا اشخاص اكبر سنا ؟

اجاب خوان وهو ينظر في عيني مباشرة ، وكان بدهيا ان شعر انه اكثر من اعنيهم .

ـ الفتية ، الذين هم في خط النار ، التحقوا منذ معارك ايلول الاولى . تدربوا واعدوا . ذهب كثيرون منهم الى الجبل . لديهم خبرة بالقتال رغم سنهم . ثم ... ان العظام ليست واحدة .

فرك ركبتيه .

ـ نعيش في رعب منذ مصرع ساندينو ، في نظام قمع مسلح. منذ وقت طويل ، انتزع منا رئيس الكلاب كل حرية وحق في الكلام . لم نعرف غير السجن والضرب والموت . ولدى الفتية نظرة جيدة الى الحرية . انا وشي بي مرارا كثيرة . كنت خائفا دوما من ان يترصدني سوموزي يتسكع في زاوية . رضوض الجروح التي حلت بي ما تزال قائمة . لا استطيع ان اتمالك نفسي من الحذر . كنت آنئذ شديد الانتباه . اصبحنا مع السنين في قالب يكاد يستحيل ان نخرج منه .

تحولت عيناه الى ايستبان باعجاب وغبطة .

ـ منذ ثلاثة او اربعة اعوام تركز القمع على الشباب في وقت كان اثناءه ينتظم الكفاح وينمو . اخذ الشباب يطرحون اسئلة اكثر حرية .كان الشعار في المدارس :« في سبيل تربية متحررة » . وثقوا بأنفسهم وزال عنهم الخوف . لم يكن لديهم في الاغلب حل للنجاة من الموت غير الالتحاق بالجبهة . بيد انه لا نخدع انفسنا ، فبين جميع الذين يقاتلون اليوم عن وعي ، وغيرهم بسبب القمع ، وما تبقى ، لانه هذه

هي الدرجة الشائعة بكل بساطة .

تدخل البروفيسور بومبيليو : ـ لم نستطع الرد على كافة الاسئلة التي كانوا يطرحونها علينا ، لا عن جهل ، انما لاننا اذا اجبنا يدخل المدير بعد خمس دقائق بالكاد الى الصف ويخلق لنا جميعا متاعب . مع هذا، في الاعوام الاخيرة ولا سيما منذ ايلول ، تأكد الاساتذة كلهم ان الطلاب يطرحون اسئلة عامة وسياسية اكثر فأكثر . وبقدر ما كان يتعاظم قمعهم ، كانوا يضطرون اكثر الى التساؤل عن كافة مسائل مجتمعنا .

استأنف خوان الكلام : ـ ليس للشباب مشاكل الكبير . ليس له عائلة ، لا اولاد ولا امرأة . يستطيع ان يتكرس كلية للكفاح . وكنا جميعا قبلا نأمل بتغيير البلد بالمساهمة بنشاطات الاحزاب السياسية . بيد اننا اضطررنا للاعتراف بأن ذلك عبثا تماما . لا نستطيع تحرير بلدنا الا والسلاح بيدنا . نتيجة قاسية يستخلصها الكبار الخائفين من ترك عائلاتهم بلا شيء . ولانهم ايضا يوشكون ان يبادوا في كفاح مسلح ضد مثل هذا العدو . وبثورة ايلول فقط وتنظيم لجان الدفاع المدني او الجمعيات النسائية حتى امكن الاشخاص في سن ما ان يجدوا شكلا جديدا للمساهمة في الكفاح . الثورة ليست البندقية فحسب ، انها قلب الوضع .

جاء ايستبان من الجبل كما يدل على ذلك سلاحه وعمره معا. اوفده فابيان ليأخذ بيده تنظيم لجان الدفاع المدني . وهدفه الاول اراحته من كل ما ليس عسكريا بحتا . لم تطرح في الايام الاولى امامه مشاكل في هذا الحقل لان غالبية السكان تقريبا هربوا من المدينة. غير انه بقدر ما كانوا يعودون كان ضروريا ان يلبي حاجاتهم وينظمهم. اصبح المدنيون الآن سبعة آلاف . ولحسن الحظ ان لجانا تنظمت منذ ايلول بتوجيهات من اللجنة . كان يكفي اذا الانطلاق من بنية جزئية ، لكنها قائمة ، مهامها الاولى اعداد الثورة (الاتصال بكل مجموعة بيوت وحي وانشاء صيدليات للجرحى وتخزين مؤن الغذاء الشخصية والجماعية) . غير ان القمع اشتد كثيرا بعد حرب نيسان بحيث ضعف عمل اللجان فعلا في الفترة التي سبقت الهجوم النهائي .

ـ ان المشاكل الرئيسية التي يجب علينا ان نجابهها هي الغذاء والصحة . اما الصحة فقد سمعتنا نتناقش حولها قليلا. واضيف فقط اننا سننشيء فرقا عديدة لتنظيف المحيط ، ينصب عملها

الرئيسي على التعليم ومراعاة الشروط الصحية . ان اغلب الناس ليس لديهم اقل مفهوم حول ذلك . يقضون حاجاتهم ويلقون قماماتهم في باحات دورهم بالذات ، لا سيما في ايام هذه الحرب .

كان ايستبان شديد الايجاز ، واضحا وحازما ، الاثر المزدوج من الكفاح والخبرة العسكرية . يجلس فوق كرسي ممسكا ببندقيته بين ركبتيه اشبه قليلا بصغير رأسه يستقر فوق كتفه . لم يمنعه ذلك من ان يقول كل خمس دقائق : « من يحملون السلاح ليسوا هم الساندنيون وحدهم » .

ـ كانت اول مهمة بالنسبة للغذاء اجراء احصاء للسكان الموجودين في المدينة . غير انه يتغير طوال الايام . وانطلاقا من مركبات ايلول ، قسمنا المدينة الى سبعة قطاعات ، يتناسب كل قطاع مع حي . ثم انشأنا لكل لجنة مركز تموين نرسل اليه الغذاء توزعه بعد ذلك على السكان الذين تم احصاؤهم . لكن اناسا يأتون كل يوم من الناحية ، فيحتجون اذا رفض المسؤولون اعطاءهم الاغذية لانهم غير مسجلين في القوائم . والمشكلة الحقيقية هي قلة المؤن لكن الاحتجاجات لا تخلو من التذمر من أمر آخر ...

مرر ايستبان يده في شعره دليلا على الاعياء لدى هذا الفتى الذي لا تنضب حيويته .

ـ ... ليس سهلا ان يبرهن على انضباط ومرونة معا هؤلاء المتطوعة الذين اوكلنا اليهم بمسؤوليات جديدة عليهم طبعا . انهم يتعلمون ميدانيا .

« هكذا توزع اللجنة المركزية الطعام تبعا لسكان كل قطاع . لدينا شاحنة صغيرة عتيقة تحمله الى مخزن في كل حي حيث يأتي الاهالي لاخذه . لم يعد لدى العائلات نقود بعد شهر ونصف الشهر من اضراب عام وحرب . كان ذلك هو النظام الوحيد الذين مكن من ان نوزع بعدل مصادرنا الهزيلة لتجنب المجاعة . حتى انه كان يصعب علينا ان نحصل على الاغذية البدائية جدا التي يتغذى بها شعبنا وهي الفاصوليا والذرة والارز .

« كان الفلاحون يقدمون الينا الفاصوليا من الاقليم الاكثر انتاجا لها . وكانوا في الاغلب يأتون من انفسهم ويعرضونها علينا . بيد اننا كنا نضطر ايضا لنبحث عنها في الارياف التي ما تزال غير مأمونة . وكنا نتزود بها ايضا من اصحاب المزارع الكبيرة الذين لديهم

احتياطات هائلة منها على الاغلب . غير انها ما تلبث ان تنضب » .

لم يستطيع ان يتمالك نفسه من التبسم واشار خوان بطرف عينه حين تحدث عن مصادراتها من كبار الملاكين . ومن السوموزيين الذين تفاهم معهم لان معظم المعارضين بما فيهم الاغنياء كانوا يساهمون في ذلك من انفسهم كما ذكر . كان الفارق واضحا بقدر ما يمكن.

ـ ان غلتينا هي الارز والفاصولياء ولهذا اتصلنا بليون وبادلنا سكرا بأرز وزيتا بفاصولياء .

هنا ايضا راح يتفكه . ان المشاكل التي يجب حلها كبيرة غير ان ممارسة هذه المقايضة، التي فرضتها الظروف، سرتهم كثيرا. كانوا احيانا يتناقشون مع بعض مسؤولي المدن حول «المعدلات». هل يجب ان تكون زنة ليبرة مقابل ليبرة واحدة مثلها؟ ام يجب ان تكون ثلاثة امثالها كقاعدة باعتبار اسعار ما قبل الحرب ؟ ان ارهب شيء في هذا النوع من التجارة ان كلا يجادل دفاعا عن السكان المسؤول عنهم. وهم شعب نيكاراغوا في كل الاحوال .

ـ ان اللجوء الى تنظيم من نموذج اشتراكي، فرضته الحرب، قد عزز من الروح الجماعية القوية جدا في مدينتنا من قبل . بيد ان ذلك لم يخل من ان يفرض مشاكل سياسية مع بعض حلفائنا ...

فتح الباب .

وطرحت مشاكل مادية . دخلت امراة تطلب تحكيم خوان وايستبان في مصير عشرة اكياس ارز مطروحة للبحث. فهل هناك شيء اهم منها اليوم ؟

بقي بومبيليو .

ـ لست متأكدا من انه يمكننا ان نحافظ على نموذج هذا التنظيم بعد النصر. ومع هذا فقد تعود الناس عليه . كانت لدينا بعض المشاكل في ايلول، انما مع السياسيين فقط لانهم يقولون اننا انتزعنا منهم القيادة، مصدر ثرائهم ايضا. الاهالي يتوجهون الينا وليس اليهم. شعروا انهم يفقدون مواقعهم .

ـ سكت لحظة، فقد قاطعته رشقة طلقات نارية استمرت قليلا. مرر يديه بين فخذيه الملتفتين فوق بعضهما بعض وراح يوضح ببطء كأنما يسائل نفسه وهو يتحدث .

ـ الوعي الجماعي قوي جدا بيننا. كان للحروب والالم دور في ذلك.

ففي توزيع الاغذية، حين نعرض على احدهم ناتجا ليس بحاجة له، يرفضه دوما تقريبا. وذلك امر مذهل في حقبة فاقة ...

صمت .

ـ ... اجد في ذلك المثالية اذا اقر الشعب هذا التنظيم لانني اعتقد انه لا يمكننا ان نجد افضل من شكل جماعي لاعادة البناء .

ـ رغم الوعي الجماعي الذي تتحدث عنه والانضباط، تأكدت من وجود بعض من السلابين . كيف ترى هذه المشكلة انطلاقا من مسؤوليتك المزدوجة ؟

ـ يجب ان نعرف كيف نميز بين السلابين . نجد اسبابا كثيرة مختلفة بينها الجوع . لا يمكننا ان نحكم بقسوة على الذين يبحثون عن الطعام بين الانقاض ، كما نرى مثل ذلك حتى الان، او يبحثون عن بعض اعمدة لإصلاح كوخ متهدم. والاهالي يعرفون ذلك ونحن ايضا ولا احد يقول شيئا. غير اننا نفاجيء غيرهم حاملا تلفزيونا على ظهره او برادا، والاسوأ من ذلك كله، جهاز مكيف هواء، في حين انه لا يوجد تيار كهربائي في المدينة . اوافقك على امثال هؤلاء، نحن على استعداد لمعاقبتهم بقسوة. نحن ما نزال في حالتنا الراهنة بلا محاكم ولا شرطة ولا سجن عام، فليس ذلك بالامر السهل .

ـ الان وقد اخذت لجان الدفاع تنتظم ويكثر عملها، هل تعتقد ان بامكانك الاستمرار بعملك تجاه السجناء ؟

ـ نعم، لان ذلك واجب. ولكن ربما ليس في الاغلب. مهمتان مختلفتان تماما : مساعدة المدنيين في اطعامهم وانتزاع ما استطيع من فرد . بيد انني لا انسى انهما تلتقيان في مكان ما، ان لم احصل من اسير على ما لديه من معلومات حول العدو فلربما يمنعني هذا العدو من انجاح مهامي الاخرى، بمهاجمته الشاحنة التي تأتي بالمؤن او مهاجمة المدينة مثلا.

ـ ماذا تفضل في ذلك كله ؟

ـ افضل طبعا عمل لجنة الحي لان لدي بها خبرة اكثر. بدأت هذا العمل في ايلول من السنة الماضية بالاشتراك مع منظمة مجموعة بيوتي ـ وحيي . تعاونت في الواقع مع الجبهة الساندينية منذ زمن طويل ولكنني لم اعمل ابدا سرا. يعتقد في الاغلب الناس الخارجيون ان المعيار الوحيد للثوري هو العمل السري ...

اهتاج وراحت يداه تتحدث اخيرا .

ـ ... نحن بالعكس كنا نلح دوما على ان يلتزم اطول وقت ممكن

المناضلون والمتعاطفون حدود القانون لان في ذلك افضل عمل في الاغلب. مثلا انا، كنت مدرسا في ثلاث كليات مختلفة مما ضمن لي الاتصالات بثلاثة احياء من المدينة. وذلك امر ثمين في وضع قمع رهيب كنا نعانيه. جندت خلال عامين شبابا للمعركة واحتفظت بأسلحة وادوية في بيتي. وتوجهت مرارا عديدة لاتي بطبيب يعني بجرح مخطر. واتوجه كل يوم احد الى الارياف المجاورة اتناقش مع الناس. كان مني عملا بسيطا لاثارة الهياج السياسي كان يقوم به جميع المتعاطفين بانتظام. ومن الغرابة الشديدة انهم سرعان ما استغربوا جدا طريقة معاملتي للطلاب. فهل لانها كانت اكثر احتراما؟ او لانني كنت اقبل بقدر المستطاع ان احدثهم عن مسائل عامة، ام لانني كنت اجيب على اسئلتهم بكل بساطة؟ رغم هذه الشكوك كلها، لم يحاولوا ترصدي. بيد انهم مع هذا اعتقلوني في مطلع تشرين الاول غير انه تجمع بعد ساعات قليلة قرابة خمسين امرأة وصبيا امام السجن صارخين: «اذا تعتقلونه فاعتقلونا نحن ايضا». فاضطروا لاخلاء سبيلي لانه ليس لديهم اي دليل ولان ذلك قد يؤدي الى خلق مشاكل بينهم والاهالي. وفي بداية هذا الهجوم، كانت اولى اعمالهم ان سلبوا بيتي واحرقوه انتقاما مني.

الساعة ١٦ ـ اجتماع في كنيسة كالفاريو. عفوا، في ما تبقى من كنيسة كالفاريو. جدرانها تكاد تكون سليما باستثناء بعض الثقوب هنا وهنالك. غير ان سقفها المصنوع من الصفيح دمرته قذيفة مدفع هاون.

كانت كنيسة من الطراز غير الباروكي، ومن العصور الحديثة، كان رجال الدين يتقربون فيها من الشعب احيانا. جدرانها الاربعة العالية البيضاء تخترقها فتحات هزيلة. وثمة مقاعد ومنبر يرتفع عشرين سنتمترا بالكاد وحاملتي شموع كبيرتين هزيلتين هزال دون كيشوت وطاولة خشبية تستخدم هيكلا، وهذا كل شيء.

جلس المسؤولون السبعة، عن اللجنة المركزية في هذا الصباح، فوق مرقاة المنبر وكأنهم فوق مدرج معهد. كما جلس فوق المقاعد، وكأنهم في مدرسة او كنيسة، مائة وخمسون الى مائتي شخص من الحي، معظمهم نساء وشيوخ واطفال، جاء كثيرون منهم مع عائلاتهم.

قدم ايستبان نفسه:

ـ عينتني الجبهة الساندينية للتحرر الوطني لتنسيق عمل لجان الدفاع المدني. لقد نظمتم سبعا منها. غير اننا نعقد في كالفاريو الاجتماع الثاني العام لاوضح لكم بعض المسائل الملموسة واسألكم رأيكم حولها

ومشاركتكم فيها .

ترك بندقيته فوق الهيكل ولبث بلا حراك في زاوية المنبر من غير ان يجرؤ على التحرك. أخجلا ؟ ام متهيبا الجمهور ؟

ـ كنا قد اضطرونا، بسبب الضرورة الملحة، لتعيين لجنة مؤقتة المسؤول عنها هو الاستاذ ميغل قرطبة الذي تعرفونه جميعكم والذي اتيح لكم تقدير اخلاصه اثناء ثورتي ايلول ونيسان . (لم يكن الاستاذ المذكور غير بومبيليو برأسه الهندي وقبعته الكبيرة الصوفية الكستناوية والذي يمضي نصف وقته في التحقيق) .

ـ ... هذه اللجنة، كما يشير اليها اسمها، لم تنتخب لتظل الى الابد. ما ان تحرر المدينة حتى تنتخبوا المسؤولين عنها. نطلب اليكم في الوقت الراهن ان تأتوا بكثرة الى الاجتماعات لمناقشة القرارات الضرورية وتقريرها معا. اذا اراد بعضكم المشاركة بعملنا فنحن ندعوهم الى الانضمام اليه منذ اليوم .

«اعطي الكلمة الان للاستاذ ميغل قرطبة الذي سيشرح لكم الوضع ويحدثكم عن المهام الاولية وادق المشاكل .

نهض ميغل ووقف، كأستاذ مجيد، في أول الممر المركزي. راح يبتسم ويهز رأسه، ثم تبادل جملا قصيرة بصوت منخفض مع الحضور . كان الاستاذ مقبولا .

همس في اذني احد القدماء كان قد «شاهد كل شيء عن فضاعات هذه العائلة» والمسرور جدا لانهم انتهوا منها «بفضل هؤلاء الفتية الذين هم اكثر شجاعة وذكاء منا » :

ـ «انه لطيف جدا مع الاولاد وساعدنا في ايلول على تنظيم انفسنا كي لا نموت جوعا .

قال ميغل : ـ ابدأ بمشكلة الامن. نحن في احد الاحياء الاكثر تدميرا في المدينة فعلينا ان نبني ملاجيء. الغارات الجوية كثيرة وقد تستمر حتى بعد الاستيلاء على مقر القيادة. لا يحق لنا ان ننسى اننا نكافح حيوانا متوحشا لا يستشري ضد المقاتلين فحسب وانما ضد اهالي بلده ايضا.

«يتردد بعضنا بالتصدي لذلك. يظن كثيرون ان ذلك عبثا. ولكن علينا ان نستوحي تجربة الفيتناميين. كسبوا جانبا من الحرب بحفر حفر عددها لا يمكن تصوره. علينا ان نستعد للتصدي لاي احتمال كان . يمكن للكبار ان يأملوا بالهرب راكضين، لكن الاطفال ؟ . علينا ان نحفر ملاجيء لهم خاصة .

صدر سؤال عن القاعة :

ـ نحن نوافقك، يجب حفر ملاجيء. غير اننا لا نعرف كيفية حفرها. بعضهم يقول بهذا الشكل وغيرهم يقول بذلك الشكل. كيف تريد ان نهتدي اليهـــا ؟

ـ يجب عدم الخلط فعلا بين خنادق المقاتلين وملاجيء الاهالي. يجب ان يكون عمق الاخير مترا ونصف المتر على الاقل. تغطى بعد ذلك بألـواح يوضع فوقها التراب، وان امكن، وضع صفائح بلاستيك كي لا يتسرب اليها المـاء. ويفضل بناؤها في انحاء صحن الدار وينصح باستدراك سلالـم صغيرة للنزول اليها براحة .

اقترب ميغل قليلا من المرأة التي طرحت السؤال . كانت تقـارب الاربعين عاما، في سيماء حازمة اشبه بسيماء اولئك اللواتي يتحملن اعالـة عائلـة بكاملها وحدهن .

قال وهو يلتفت نحو الاخرين : ـ يحسن ايضا ان تدرسوا مسـألـة الملاجيء الجماعية. ربما يكون حفر ملجيء لكل بيت غير مفيد. فضلا عـن ان بعض البيوت ليست متوفرة. اذا تناقشوا حولها فيما بينكم. على اية حال، سننشيء فرقة تمر عليكم وتقدم اليكـم الارشادات التقنية التـي تحتاجونهـا .

«النقطة الثانية الصحة : انشأنا لجنة صحية للمحيط ستزوركـم بالتأكيد ومن الاهمية الشديدة ان يتعاون معها الجميع .

القى الاستاذ درسه، مستعيدا المشاكل التي تم التصدي لهـا هـذا الصباح في اللجنة المركزية، وهي الاسهال والنهر والجثث. واسهب في كل نقطة وضرب امثلة ملموسة وقدم ارشادات :

ـ من ليس لديهم مراحيض، عليهم ان يتدبروها. اما مـن ناحيـة الفضلات، فيجب حرقها اولا ثم طمرها. والا فان الذباب الذي ينتقل مـن الاقذار الى الطعام الذي نأكله، ينقل الينا ميكروبات في غاية الخطورة .

كانت امهات العائلات اشد انتباها من اي وقت مضى. امـا الرجـال القليلون الحاضرون فكانوا يفكرون بجميع هذه الحفر التي يجب عليهـم حفرهـا قريبـا .

ـ اريد الان ان اتحدث عن توزيع الطعام. ليس لدينا مجاعة حتـى الان غير انه يجب الا تحدث. فعلينا ان نبذل جهدا كبيرا مـن اجـل ذلك. لكـل حي مركز تموين. ومركزنا، كما تعرفون، على بعد مجموعتي بيوت من هنـا خلف بيت خوان بالضبط .

ان الموضوع خطير. والوقايات عديدة . كان صمت مؤلم يرافق كلمات بومبيليو .

ـ علينا ان نعرف في وضع هذه الازمة كيف نتحمل بطريقة مختلفة. الغذاء يقدم مجانا ونحن نوزعه بالعدل. من العبث الحصول على اضافي منه من مركز التموين المركزي ـ لم يأخذ منه اي فرد ـ او من مخزن حي اخر. لدى كل لجنة امر بألا تعطي الا للعائلات التي احصتها هي ..

سألت عجوز لم تستطع ان تنهض من مقعدها : ماذا يحدث اذا التجأ احد بعيدا عن بيته ؟

ـ سؤال رائع. لا توزع الاغذية تبعا للمكان الذي يسكن فيه المرء عادة انما تبعا للمكان اللاجيء اليه . وعمل اللجان هو بالضبط التحقق بوساطة القوائم من عدم وجود اساءة استعمال في هذا الحقل. وهكذا نعطي طعاما لعائلات غريبة عن المدينة لكنها موجودة بيننا الان، وليس لاهالي ايستيلي الراحلين. ومن الواضح جدا مع هذا ان كل شخص يعود له الحق يأخذ ما يحتاجه بعد احصائه منذ عودته .

«يوزع الغذاء كل يوم اثنين وخميس لتجنب تكرار تجمع الاشخاص، لان ذلك يمكن ان يشد انتباه الطيارين. ونطلب اليكم، للاسباب نفسها ، ان تأتوا حالا بقدر المستطاع لاخذ ما يتوجب لكم .

«الان عليكم الا تحلموا .. ليس لدينا اشياء كثيرة نعطيها لكم ... انها الحرب ... صدرت ضحكات من الحضور وكأنما امكنهم ان ينسوا كل شيء !

ـ لدينا فاصوليا لثلاثة ايام، لا تملأ البطن ولا تسمن . المهم ان ندوم. يجب ان نشد الحزام على بطوننا .

تهلل الجو . كان وضعا كلاسيكيا. اخفت صبية فمها بيدها كي تضحك من غير ان يراها الاستاذ .

ـ ... وغدا لن يكون لدينا ذرة.

وبوضوح : ليس من اقراص ذرة .

توقف الاستاذ لحظة واجال نظره في القاعة .

ـ اعتقد ان البعض يصعب ارضاؤهم ويتقبلون على مضض التقنينات الراهنة . نقص الزيت مثلا. الا تفكرون اننا نستطيع ان نعمل فاصولياء مطبوخة من غير تطريتها بالزيت ؟

ردت بعض النساء باستحياء : ـ نعم .

ـ اذا لم يكن لدينا صابون وانتم تطلبونه فمن اين تعتقدون اننا

نخرجه ؟ لا نستطيع ان نعطيكم الا ما نستطيع ان نتدبر امرنا لنحصل عليه. والان اذا كانت لديكم افكار فلا حرج عليكم ان تبدوها .

قال رجل في ريعان شبابه جاء مع زوجته وبناته الست، كانت ثلاثة منهن، الاصغرهن، يركضن بين صفوف المقاعد : ـ هل يمكننا ان نذهب لنأتي بالسكر من شيناديغا فنبادله بالفاصولياء ؟

ـ فكرة رائعة . حصلنا قبلا على الزيت والسكر بالطريقة نفسها . بيد انه ليس لدينا سيارة في الوقت الراهن .

سألت صبية في الخامسة عشرة ربيعا، جاءت مع جدها : ـ الا يمكن تقديم الحليب للشيوخ ؟

ـ ان الاربعين ليترا من الحليب التي نتوجه طوال الايام لاخذها من المزارع المجاورة هي للصغار حصرا. انهم بحاجة اليه اكثر من غيرهم. هذا شيء يعرفه الجميع .

كشر بعض الشيوخ وجوههم قليلا خفية. ان اطيب ارادة بين الناس تنهار امام كأس او صحن فارغ .

ـ في اليوم الماضي اعطوا ثلاث ليبرات ذرة للاسبوع في حي اخر في حين اننا لم نأخذ منها سوى ليبرتين ..

ـ يمكن ان يحدث ذلك غير انه سيكون لدينا ليبرة واحدة من الذرة غدا، وهم لن يكون لديهم منها. ليس من الممكن دوما ان نعطي الكمية نفسها بالضبط وفي اليوم نفسه للجميع غير انه اجمالا تحصل العائلات على الشيء نفسه بالضبط ..

رفع صوته قليلا .

ـ ... جميع الاشخاص الموجودين في ايستيلي يعاملون بالشكل نفسه بالضبط . ليس هنالك اي امتياز . لا نستطيع الخلاص من غير ذلك. ان كنتم في ريب من ذلك فتعالوا من غير تردد واعملوا مع اللجنة . سترون كيف نعمل . آن لكم ان تنسوا القتال فيما بينكم كما علمنا سوموزا على ذلك. علينا بالعكس ان ننمي روح الجماعة، ونتعلم افضل كيف نهب لمساعدة بعضنا بعض. ان القليل الذي حصلنا عليه هو بفضل تعاون عدد كبير منكم. كلما كنا اكثر سهل علينا اكثر اتقان عملنا وحل عدد كبير من المسائل. افهموا جيدا ان اللجنة هنا لكي تنسق. على كافة اهالي الحي والمدينة ان يساهموا بالمهام الماثلة .

«آمل ان تأتوا اكثر عددا في الاجتماع القادم. يجب ان تحدثوا جيرانكم واصدقاءكم وتقولوا لهم ان يأتوا. نعتمد كثيرا على المشافهة

لمعرفة ساعات واماكن الاجتماع.

«قبل ان انهي كلمتي اريد ان اذكركم بما قلناه حول الصحة، في البداية، انها هامة جدا، لا سيما للاطفال. نحن نكافح من اجلهم، ليعرفوا مجتمعا اكثر عدلا، وعلينا ان نعمل كل شيء لنحفظهم في هذه الحرب ! لا تدعوهم يخرجون من غير طائل، وان كانوا خارجا فظلوا دوما على مقربة منهم لمراقبتهم. الطائرة تأتي بسرعة شديدة.

توقف لحظة.

– هل هنالك اسئلة؟

نهضت امرأة بين ذراعيها طفل. ما ان تحركت حتى تعلق بثوبها ثلاثة اطفال غيره.

– وطبيب الاسنان هل فكرتم به؟ انه هام جدا ايضا لصحة الاطفال.

□□□

على بعد ثلاثة مجمعات بيوت من الكنيسة، في جوف الوادي، وفي كوخ من الطين المجفف، ككل الاكواخ الاخرى، كان يعيش.. دون ماركو، والد روبن، وعائلته. وكان هنالك الكثير من النساء وبضع اطفال. كان قرميد والواح تتكدس في زاوية، واعمدة سقف ما تزال تتدلى منها حبال تشير الى ان المكان قد استخدم حديثا مكانا للعمل. كان دون ماركو نجارا، اقام ورشته منذ ايلول فقط ليجابه الحرب بأفضل وجه. ان مكافحة سوموزا تقليد قديم لدى العائلة، ويعرف الديكتاتور ذلك، ولهذا اطلق يد جلاوزته لمهاجمة عائلة ريفيرا بكل الوسائل.

نحن جلوس في مقاعد هزازة من خشب بلون أخضر، ترتج تحت الارض الترابية غير المتساوية. ودون ماركو ينظر من الباب المفتوح على سعته الى السماء الزرقاء، وعلى بعد أمتار قليلة من هنا، يقف الشباب في متراس يدافع عن طرف المدينة ضد هجمات محتملة تأتي من الغرب. اشتركت اختان من إخوات روبن بالحديث. لم تخرج الام غير لحظة لتحمل الينا القهوة. كان الاطفال يلعبون فيما حولنا، لا يتوقفون غير هنيهة لينظروا الى «الغرينغو».

– يمكنني ان اقول اني لم اكن سوموزيا ابدا.

– ربما يكون ذلك مفخرتك الاساسية، يا بابا.

– نعم، بلا ريب. منذ الثامنة عشرة من عمري اخذت طريقي

متوجها لارى ساندينو الذي سمعت عنه انه يروي التاريخ . غير انني مع الاسف حين وصلت هنالك كان في ماناغوا ولم استطع ان اتحدث الا الى زوجته . لا يمكنني ان اتذكر فيما اذا كانت تلك هي المرة التي اغتيل اثناءها . عدت الى ايستيلي وانتسبت الى الحزب الليبرالي المستقل لانني اردت حتما ان اعمل شيئا لبلدي .

كانت مقدمتا ذراعي دون ماركو تستندان بفطنة فوق مسندي كرسيه ، ويتأرجح بوتيرة بطيئة لذكرياته . لم يكن طويل القامة جدا، في بنية قوية ورأس فلاح ينتصب باستقامة شديدة لم يشأ ان ينحني ابدا . نظرة عينه الزرقاء تفصح عن كل ما تلمس . لا ترف عيناه ابدا. لا يمكن ان نتصور انهما تنمان وان خلسة عن ادنى شعور شائع ولا حتى عن ادنى خوف . ان الجواسيس والحرس والجلادين الذين طاردوه طوال هذه الاعوام لم يجدوا قتله سهلا بلا ريب . ان شاربه الرمادي وشعرات لحيته الثلاث الملتصقة بذقنه تشير الى قوة وجهه كفلاح « قديس » .

ـ اصبحت نجارا فيما بعد . وهنا انشأت اولى النقابات في المدينة. غير انني طوال حياتي كرست جانبا هاما من وقتي لعمل التوعية مع الكنيسة . كانت لدينا فرق تجتمع باستمرار في هذا الحي والاحياء الاخرى . والفنا لجان احياء خاضت كفاحا مدنيا نشيطا جدا . لهذا اردت ايستيلي بحيوية شديدة يوم الحرب . كان عندنا ، في السنوات الاخيرة ، رجل اكليروس كولومبي طرده الحرس . رغبتنا الاولى ان يعود بعد النصر . وكان هنالك اسباني ايضا يطالب سوموزا برأسه . فيا له من اب ثوري .

لقد علمونا اننا بقراءتنا الكتاب المقدس ندرك ما يجب علينا ان نعمل . كنا نساعد دوما الجبهة الساندينية . كنا نقدم لهم ما لدينا من قليل .

منذ ان اصبح ابنه أحد كبار قادة الثورة ، ضاعف الحرس الوطني هجماته على العائلة . واخذ هو الى ماناغوا حيث سجن سبعة عشر يوما ترك خلالها بلا طعام وارهق ضربا . وكان الحي بأجمعه معروفا بمعارضته للنظام ، فكان هو ضحية كل انواع التنكيل . كانت اقسى ايام في ايلول ونيسان في اعقاب حربين تخللهما انسحابان للساندينيين .

قالت البنت الكبيرة : ـ امضينا ليالي بكاملها جلوسا في زاوية

من السرير نرتجف لاقل صوت . نحن اكثر من تألم لاننا بتنا دوما مع بابا . وانا اليوم خائفة جدا من ان يخسروا الحرب .

ـ كان يستحيل ترحيل العائلة كلها وقد قررنا ان نموت جميعا. حتى الصغار هنا سانديينيون .

داعب الجد بحنان شعر احد احفاده الذي جاء ووضع حنكه فوق ركبته ينظر اليه بكل ما في الدنيا من اعجاب .

ـ أعماتا طوال سنوات عمل الجواسيس لكن الشعب أخذ ينتظم شيئا فشيئا وينسى الخوف . قضينا على جميع الذين سمموا حياة هذا الحي والذين كانوا يعيشون على نفقتنا لان الطاغية كان ، بدلا من ان يدفع لهم ، قد سمح لهم ان يتصرفوا بلا عقاب وينفذوا كل ما يمكنهم تصوره .

صاحت احدى بناته الصغيرات من غير ان تتمكن من ان تحتبس كل ما عقد حلقها من غم : ـ ماذا يظنون في البلدان الاجنبية بهذا النيرون الذي يحكمنا ؟ كيف امكنكم ان تدعوه يعمل ؟ كيف امكنكم الا تدركونه ؟

ران صمت مرهق من المتكلم اثار التعاطف .

لحسن الحظ ان للضيافة قوانينها ، يعرف الاقدمون احترامها .

قال الوالد بابتسامة واسعة : ـ يسرني ان ارى هؤلاء الشباب كلهم تقريبا في بزات . أشعر بأننا نرى نهاية المرحلة القاسية وستعود حياتنا اخيرا .

وروبن وفيلمون ؟ ولداه .

ـ لم أقل لهما ابدا ان يفعلا ذلك . هما اللذان اختارا ذلك . فيلمون احد مؤسسي الجبهة السانديينية في ايستيلي . تنازع مع الحرس وهو ما يزال صغيرا جدا . كان ذلك قاسيا جدا عليه. ثم قتلوه واحرقوا جثته . ولكن لماذا البكاء ، آه ، بعد ان فات الاوان ؟

« أراد روبن ان يقتدي به بعد ذلك . لكنه لم يحدثني بذلك ابدا . أعرف فقط انه لا يحب الظلم . واختفى ذات يوم .

وعلمته مهنتي وظننت انه سيصبح نجارا ماهرا . لم نكن نتناقش في السياسة . بيد انه ، رغم فقره ، كنت احاول دوما ان القنه مبادىء طيبة ، والمثال ايضا . لم احاول ابدا ان اخزي مساعدي . كنت بالعكس ، حين يكون عندي واحد كنت اقول له دوما : « تعلم لتتمكن من ان تكون اكثر معرفة فيما بعد » .

العائلة كلها فخورة بروبن . حين تحدثت عنه ، جاءت والدته بعد

لحظات واستندت الى اطار باب الحجرات الداخلية ، ومسحت يديها بمئزرها ، في عينين مبتلتين ، من غير ان تتفوه بكلمة .

قالت احدى اخواته : ـ لكم هو جميل !

ـ هذا شرف لي ، لكنني لا اتغير لان ولدي هو الزعيم الكبير . أطلب الا يقتلوه لي ، وهذا كل شيء . بيد اني اريد ان يظل مساويا للآخرين . يجب ان ينتبه لان حركة بلا زعيم هي بلا رأس ، لا تعرف ما تفعل . لكن ذلك ليس سببا لمعاملته بوجه مختلف . ومن ناحية ثانية، انه لا يأكل اذا لم يكن هنالك ما يكفي الجميع .

ـ كان في نظره حنان للغاية وفخر . أخرج من جيبه ورقة أراني اياها . كانت بطاقة صغيرة بيضاء كتبت عليها بالآلة الكاتبة الكلمات الاتية : « الرفيق ماركو ريفيرا بينافيدس هو والد الرفيق فابيان . مسموح له بالتجول . الاركان العامة للجبهة الشمالية ، ريغوبيرتو لوبس بيريس ، رتل فيلمون ريفيرا . وطن حر او موت !»

ـ يعرفني اهالي المدينة كلهم غير انه هنالك مقاتلون يأتون من جهة اخرى ، حينئذ اضطر احيانا لاستخدامها . لا اظهر ابدا بطاقة السماح لي بالتجول الا لمسؤول . ليس مهما ان يعرف ذلك الجميع .

ـ اي نوع من الاطفال كان روبن؟

ـ متمرد دوما وشديد البهجة ، وما يزال كذلك . كان طيبا مع الجميع ولديه اليوم الكثير من الخطيبات . لم أعرفه حين عاد بعد ستة اعوام من الحرب .

يستحيل معرفة المزيد عن الابن المعطاء . انها مسألة لباقة . ان ما يهم هي الحرب التي يحتل فيها مكانا بين الآخرين . منذ بداية الهجوم النهائي ، جاء ليلا مرتين او ثلاث مرات ليتحدث مع والده ،لكنه لم ينم عنده ابدا . كانت العائلة كلها تصغي الى الراديو كي تحاول معرفة ما يجري . صفقوا حين ايدت منظمة الدول الامريكية مذكرة حلف آندان بمعارضة التدخل العسكري الامريكي في نيكاراغوا . واقشعرت جلودهم حين سمعوا من راديو فانسيريموس (لنا النصر) ان حصن ليون قد تم الاستيلاء عليه .

ـ نحن نعيش في البؤس لكنا واثقون من النصر . ان المشكلة الوحيدة هي خطورة تدخل اليانكي . نحن مستعدون لمجابهة نتائج كفاحنا الحاسمة . من الافضل ان يتخلى اليانكي عن استغلال بلدي ! ان جاؤوا ، احمل انا بنفسي البندقية . ولهذا يتدرب الجميع الان توقيا

مـن ذلـك .

أشار حنكه الى مجموعـة من ثلاث فتيات وخمسة رجال يتمرنون بعصي كبنادق في أسفل المتراس .

ـ كنا قبلا نخاف من ادنى صوت واقل سيارة . نشعـر الآن ان هؤلاء الشباب كلهم يحموننـا . ننـام والباب مفتوح . الان لدينا ناس يدافعون عنـا . انـه جيش الشعـب . سيكون لدينـا عمل لكنه لـن يكـون شيئا لانه لن يكـون ابدا لانسان واحد .

كـان اكبر أحفاده صبيـا في الثانية عشرة ربيعا ، فتوقف لحظـة الى جانبه ، واضعـا يده فوق كتفه ، فسأله مستفـلا هنيهة صمت :

ـ في اي عمر ذهب اعمامي الى الحرب ؟ أريـد ان اذهب اليهـا ايضـا .

نظر الجد الي . كانت عيناه جامدتين اكثر من عيني .

ـ الآن اريـد ان اموت . أعتقـد ان احفادي لن يكونوا عبيدا .

الساعـة ٢١،٣٠ ـ عدنا الى «الفندق» . كـان لئونيل ، الصبـي الذي دخل معـه الرتل ، متمددا فوق أطـر شاحنـة ويثرثر مع رفيق. لم يكـن ثمة قمر . لم أكـن أبصر شيئا . عرفته من جواربـه البيضاء الخارجـة من جزمته . تحرك لاتمكـن من الجلوس وقال لجاره :

ـ قص عليه حياتـك !

تعودت عيناي على الظلام . كـان الرفيق المعني نوعـا مـن عمـلاق تزين رأسه قبعـة كاوبوي ، يلعب ببندقيته «الجليل» وكأنهـا غيتـار. يمضغ على مهل شيئا من العشب وينظر الى النجـوم . كمـا ان بزتـه الكاملة تعـزز الانطبـاع بأنـه محارب محتـرف ، الشـيء النـادر مع هذا بيـن مقاتلي الجبهـة . كان يدعى بيدرون ، بطرس الاكبر .

ـ حيـن كنت صغيرا ، كان عندي في كونديغا ، عـلى بعـد ٢٠ كيلومترا من هنا ، عصابة . كانت كلهـا من صبيـة القرية . كنت رئيسها. لا نتوقف عن الضرب، ضربات تستحق الشنق. ها ! ها ! ها !

تلوى هو ولئونيل ضحكـا ظانيـن انني لا اعرف ان ذلـك ضربا من قصص الخيـال . من تلـك القصص التي يحدث بهـا أحدهم نفسه ليـلا بانتظار المعارك والتي لا يعرف ابدا جانبها من الحقيقة .

ـ مثلا ، ذات يوم قررنـا ان نسرق دجاجات تاجر كبيـر فـي المدينـة كـان قـد شتـم احدنـا . تسللت الى حظيرة الدجاج واخرجت

منهـا الطيـور واحدا بعـد الآخر . أعطيتها لرفيق خلفي كـان يعطيهـا لغيري ، وهكذا دواليك بامتداد سلسلة تؤدي الى الشارع حيث باعهـا الاخيـر للماريـن ، مباشرة من المنتج الى المستهلك .

« ثم تقاسمنـا النقود . ولما كنت صاحب فكرة العمليـة ، أرادوا ان يعطوني اكثر . لكني رفضت لانني لست بحاجـة اليهـا . والدي يربح جيدا . كنـت دومـا نصيـر المعاملة عـلى قـدم المساواة. سرني، بعـد ايام، ان رأيتهم يأتون الى المدرسـة في ثيـاب او احذية جديـدة لانهـم جميعـا افقـر مني . كانت أهدافنـا الرئيسيـة الدجـاج والمانغـا وثمرة المحامـي . انـي أعبد ثمرة المحامي .

توقف لحظـة اذ سمعنـا في الريف ، بالاتجاه المعارض لمقر القيادة، طلقات أسلحة آليـة ربما تعلن عن محاولة غارة يقوم بها الحـرس مـن الخلف .

ـ ذات يوم عدت الى الثكنـة التي يهاجمونهـا الآن . كان عمـري الثانية عشرة تقريبا . مررت امام الحارس وقلت وانـا مستمر في طريقي: «مع سماحك « Con permisso » «ماذا تريد؟» « Con permisso ! » قلت ذلـك بكل بساطـة وواصلت طريقي وكأن شيئا لم يكـن . تركنـي أمر . كنـا خارجـا قـد لاحظنـا شجرة مانغـا ضخمة . توجهت اليهـا وتسلقت اغصانهـا ، ورحت منهـا القي بالاثمار الى رفاقي المنتظرين فـي الجهـة الثانيـة من الجدار . ثم خرجت مصفرا . كانت مانغـا ضخمة. لم أر مثلهـا ابدا .

رفع خزان سلاحه بعد ان وضـع فـي السبطانة رصاصة واحدة. انبعث صوت بلا صدى في الليـل الذي عاد هادئا . كان لعبا خطرا . كان من عادتهم المستهجنـة ان يسوحوا ورصاصة في سبطانـة البندقية مـن غير احكام مفتاح الامـان .

ـ أصبحت الامور جدية فيما بعد . كنت طالبا وكنا بحاجة لآلـة ناسخـة لاستنساخ مناشير . ولما كنت أعبد القيام بخطط عمليـة ، قمت بعملية سطو مع ثلاثة من رفاقي السابقين . وفي ثـلاث دقائق ونصف الدقيقـة بالضبط ، أخرجنـا الآلـة من المدرسـة وحملناهـا الى بيـت لدينـا فـي الجهـة الثانيـة من الشارع .

« العشرون رفيقـا من عصابتي هم اليوم في جيش المغاوير . غيـر انـي أرفض ان أكـون رئيسا لانـي أحب ان اقاتل حيث يشتد القتال . أعمل ما أطمح اليه ولا ابالي بمـا يقولون . لست أدري فيمـا اذا كانـوا

سيبقونني فـي الجيش في مثل هذه العقلية ...
ان المرء ليشعـر وكأنه يحارب لكي يضحك .
ـ ... لا تخطىء . لقـد تعذبت من هذا الكلب . ليس مباشرة وانما بيـن عائلتي ضحايـا كثيريـن على يده . ابنة عمي ، مثلا ، ضلت الطريق اثناء انسحاب ايلول . امسك بهـا ثمانيـة حرس . ربطوهـا الى اربعـة اوتاد غرست في الارض واغتصبوهـا قبل ان يقطعوا رأسهـا ويديهـا . اذا رحل رئيس الكلاب الى الولايات المتحدة ، سألحقه الى هنالـك . يسرني جدا ان اقوم بعمليـة ضده . هل تعتقـد انهم يقتلونني ان قتلته ؟

« ادخـال قطاعات ، ليست في الثورة ، متناقضة مع السلطـة الراهنـة » ..

حديث القائد هومبيرتو اورتيغـا

ان الاحلاف فـي ثورة ، وبوجه اعم في تطور سياسي ، هـي نتاج تحليل صحيح لنسب القوى . ويؤدي بالضرورة تفهم هذه النسب ، في الداخل والخارج ، الى طرح سياسـة تاخذ باعتبارهـا كافـة القوى . أعتقـد اذا ان القضيـة قضيـة « مناورات ذكيـة » اكثر مـن « احلاف » . ونحـن لـم نتوصل الى اي « تحالف » مع اي احـد . ان استخـدام هذا المفهـوم خاضـع لسهولة « الكليشة » . وساوضح قصدي آخذا المسالة على المستوى الدولي . ان بلدا اصبح تطوره صلبا جديا ، ككوبا مثلا ، يجب ان ياخذ باعتباره نسبـة القوى الخارجيـة ليتمكـن مـن تنميـة نفسه . عليه ان يحافظ على علاقاته مع المكسيك ويوسعهـا مع امريكـا اللاتينيـة والبلدان غيـر الاشتراكية . والامر نفسه بالنسبة للبلدان الاكثر قوة . والامر نفسه بالنسبة للعالم كله . لقـد انتهجنـا سياسـة تتيـح لنـا ان ننمـي نفسنـا فحسب . ولكي نتوصل الى ذلـك ، عقدنـا احلافـا بحكم الواقع .

كانت مسالتنـا هي الاطاحـة بالسوموزيـة وتولـي السلطة ، ومن هنـا صنع الثورة. في هـذا النموذج من الموقف ، ابتعدت بعض قطاعات اجتماعيـة عـن التبعيـة الثورية، كمـا ان الشعب ، الذي تستنـد اليه الثورة ، كـان يعاني بوضوح من تاثير الهيمنـة الرجعيـة . فكـان ضروريـا ، في هذا الاتجاه ، ممارسـة سياسـة واسعـة الوحدة جدا

حول قاعدة مبرمجة منفتحة ، تدخل فيها قطاعات ليست « في الثورة » ، متناقضة مع السلطة الراهنة .

ولجعل الثورة ممكنة ، كان لا بد من تجاوز التخلف الايديولوجي الموجود في الشعب. كما توجب علينا ان نكف عن الالحاح ، كما فعلنا في الماضي ، على المسألة الدينية مثلا ، ومحتوى المادية الديالكتيكية والمواقف الملحدة . وترتب علينا ، كي نجمع الشعب، ان ننطلق من المسائل التي يشعر بها اكثر . ولكي نحرك الامة كلها ، كان ضروريا ان نترجم الى مقترحات ملموسة مفهوما واسعا يتيح المحافظة على محتوى سياستنا الثورية تجاه الجماهير ، جارين ، على القاعدة المبرمجة نفسها ، القطاعات غير الثورية .

وبذلك حصلنا على تأييد البورجوازية . بيد انه توجب علينا ، لكي ينخرط ارباب العمل في الكفاح ضد السوموزية ، ان ننتهج سياسة تمكنهم من ان يروا ، في مرحلة أخرى ، ان الحظ واتاهم واستعادوا الهيمنة ، التي هي هيمنتنا . مسألة معقدة . لولا هذه السياسة « الواسعة » لكان « صعبا » ان نتوصل الى الثورة الوطنية التي مكنتنا من تولي السلطة .

ان السلاح ومساهمة الشعب الكثيفة ، التي احرزنا بفضلها النصر ، أتاحت لنا ان نكون واثقين من انجاز البرنامج الواسع الذي ندافع عنه . وأضيف ان هذا التطور ثوري حقا في اطار ما ساهم به الشعب كله بالاطاحة بالديكتاتورية . من هذا الواقع ، ان النصر هو نصره . غير ان ذلك لا يمنع من ان نرى ان الساندينية هي التي قادته اليه . وان الروابط بينهما تشتد قوة اكثر فاكثر ، مما يمنحنا قاعدة صلبة لتعميق الثورة انطلاقا ، او حول ، من همينة ساندينية نحن طليعتها .

الاثنيـــن ٩ تـــموز

((يا امي ، اذهب معـــك ، الافضل ان يقتلونـــا نحـــن الاثنيـــن)) .

الساعـــة ٦ ـ ((هل تعتقـــد انه تحمل السفر جيدا ؟))

همس واصوات غريبة وقعقعة سلاح وخطوات تروح وتجيء . فتحت عينـــا واحدة . كان ثلاثة لا اعرفهم منشغلين وسط القاعـــة الكبيرة . ايقظني سلوكهم اخيرا .

ـ .. كـــلا ؟

قال ماركو : ـ نعم ، مدفع عيار ٧٥ مم عديم الارتداد . كان حدثا عجيبا . جاء بـــه الرفاق من شيناديغا امس ليقضوا على الحصن .

كان حاضن المدفع انبوبا طوله قرابة مترين واسع الفوهة عند القاعدة، ركب فوق عجلتيـــن ذات ثلاثة دواليب تعطيه شكل لعبـــة . يكاد يكـــون مضحكـــا . جرّده القادمون الجدد بشغف ، فرفعـــوا عنه الاغطيـــة التي احاطوه بهـــا اثناء السفـــر . كانت المقابض المدورة الصغيرة المستخدمـــة في مختلف عمليات احكام الرمايـــة ، تظهـــر انهـــا تعمل . كانت اشعـــة الشمس المتسللة من ثقوب السقف تعطي الفولاذ انعكاســـا صقيلا . راح الرفاق الحاضرون كلهم يداعبونه بابتسامة واسعـــة . انهم يشعرون بأنهم

اقل تجردا .

بقي لهم ان يتحققوا من ان المحور لم يصب بأي عطب بسبب النقل. تقاطع خيطان مثبتان بشريط لاصق شفاف عند الدرجة ٩٠ في مدخل ومخرج المدفع . وصوب الى علامة في الجدار وتم التحقق ، بوساطة علامة التسديد البصرية ومحور الصلبان ، من دقة التحديد .

اعلن الخبير والبسمة في شفتيه : « لا توجد اية مشكلة » .

« سأدمر لهم بهذا مرقبا في كل ضربة » . أعاد السندة ، الذين يتمتعون بتقدير خارق ، لبس طفلهم وأخذوه الى زاوية . سنتغدى معا في حين ان ثلاثة مقاتلين يحرسون مدخل « الفندق » الذي لم يعرف ضيفا ، مثل هذا السحر العجيب .

كان لون الحديث الذي جرى مباشرة سياسيا ، خلافا لما يجري هنا عادة . كان ارماندو هو المسؤول عن المجموعة . كان رجلا قويا جدا في قسمات مواطن أصلي متميزة ، يشير الى سطوته حمل مسدس عيار ٤٥ مغنوم سميث وويسون فضي ، لا يدع فرصة الى ووعي كل من يمر تحت يده . كان زعيم نقابة سابق فاضطر الى التخفي ليفلت من القمع . اختار الانضمام الى حزب « البروليتاريا » الذين وجدهم اكثر سياسة وماركسية ، والمخلصون وحدهم . لا يتمالك نفسه من الحكم على النزعات الاخرى بشيء من الاحتقار ، لم يمنعه ابدا من التعاون معها . كبرياء نزعته سرعان ما تحول كبرياء حزب يمكن ان يدمر .

الساعة ١١ ـ رونيه هو الرجل السانديني الثاني في مدينة ايستيلي. ثيابه الزرقاء اصبحت رمادية لكثرة ما اتسخت . يتلقى ، وهو يتقبب تحت قبعته الواسعة ، كل من يأتون ليجتمعوا به ، بلطف يعززه بطء صوته ولهجته الرصينة ، الذي لا يرفعه ابدا . هذا الطائر الكبير الحزين كان يحيط به حارسان مرافقان خرجا مباشرة من بيت مليء باللصوص ، احدهما اشقر طوله متر وثمانون ، يرتدي طقما مبقعا لحارس من مدرسة التدريب الاساسي للمشاة ، وبيريه سوداء ، وبندقية م ١٦ وقفازي سباق سيارات ونظارات سوداء . كان صورة هزلية لمأجور غرينغو لا بد وانه شرد من ناحية الفقراء . لكنه ولد على بعد اقل من عشرة كيلومترات من هنا ، والآخر صغير منحني الظهر يعزف بشكل عجيب غيتارا بانتظار ان يكون قائده بحاجة اليه .

كان مقر قيادة رونيه بيتا من طابق واحد مجاور « للفندق » . أرضه ترابية ، جدرانه مخرمة على « طراز » البيوت المجاورة كلها . كان يقف في الحجرة الخلفية وسط فوضى لا توصف من أكياس من كل نوع وحقائب مثقوبة واسلحة ممددة فوق الارض مباشرة . كان يتوقف مرارا كثيرة ليحل مسائل بسيطة . انه يريد ان يتكلم وبحاجة لأن يتكلم وقتا طويلا . لكنه يشعر بمصاعب كثيرة ليركز فكره . انه زعيم مرهق ، حزين ، لم يتوصل الى النهوض من الصدمة التي سببها له مقتل رفيقته مؤخرا ، التي يحمل اسمها « يوهانا » ، المكتوب الى جانب اسمه فوق فردة كف لا تفارقه ابدا .

ـ عمري اربعة وعشرون . ولدت في بواكو في وسط البلاد حيث كان والدي يراقب ألعاب القمار . فكانت له ، بالضرورة ، علاقات مع السوموزيين . لكنه كان يجنبنا اياهم دوما وربانا جميعا تربية مسيحية. حتى انه تاجر بالسلاح ، كما أظن . لكنه كان يستنكر تعسف الحرس .

«لم يكن وجود الجبهة مؤثرا في هذه المنطقة ، لا سياسيا ولا عسكريا . سمعت عنها لاول مرة اثناء اضراب في كليتي احتجاجا على اغتيال زعيم .

قرع الباب . نهض للمرة الثالثة ليتوجه ويفتح الباب لشخص ملتح . ادخله رونيه وسحب من تحت الطاولة حقيبة كبيرة مبتلة اخرج منها حزما ضخمة من أوراق مصرفية مبتلة ايضا . أخذ بعضا منها واعطاها الى الرفيق من غير ان يسجل اية ملاحظة حولها . كان تعليقه الوحيد : « انتبه اليها » . جلس ثانية على الفراش الذي جلسنا فوقه ، وتقبل القهوة التي حملتها رفيقة . لم يمد يده اليها ، فتساءلت عما اذا كان يأكل وينام . كل شيء يبدو له غريبا ، غير حقيقي .

ـ بدأت اناضل في المدرسة عامي ١٩٧١ ـ ١٩٧٢ . واشتركت في عمل التنظيم . عام ١٩٧٣ ، فقدت الاتصال بالجبهة واعتقد اني امضيت آنذاك اشد سنوات حياتي حزنا . آلمني ذلك كما آلمني موت رفيقتي . عملت كل شيء لالتقي بالرفاق . كان ذلك صعبا جدا في مدينتي . ذهبت الى كوستاريكا ، حتى انني اردت ان اتوجه الى الشيلي. ثم وصلت الى المكسيك اخيرا عام ١٩٧٥ حيث انضممت الى لجنة التضامن .

توقف عن الحديث ايضا . كان في هذه المرة مدفع هاون من صنع يدوي أخرجه من احد الاكداس العجيبة التي تغص بها الحجرة .

ـ عام ١٩٧٧ ، سمح لي اخيرا بالذهاب الى نيكاراغوا . امضيت اشهرا في الجبل مع بوماريس وتيرادو لوبس وأورتيغا ، اشتركت بعدها بالعملية ضد اكوتال اثناء هجوم تشرين الاول . في مطلع عام ١٩٧٨، اوكل الي الزعماء قيادة زمرة . ثم اشتركت مع فابيان في الاعداد لهجوم ايلول على ايستيلي . منذ هذا الوقت وأنا ساعده الايمن .

كان متمددا حتى نصفه فوق الفراش ، يتحدث عن حياته وكأنها لا تعنيه . كان من المفيد له ان يتحدث بذلك لكن ما يقوله لا يعتمد كثيرا على انتباه الآخر . كان يعبر عن افكاره في الاغلب وكأنه امام محطة راديو عسكرية لا تستقبل « ٥ على ٥ » . يكرر تتفا من جمل بكاملها .

« في ايلول ، ايلول ، ايلول ، دخلنا ثانية بأربعة عشر سلاحا عضويا ، سلاحا عضويا . هاجم روبن مقر القيادة من المقدمة ، من المقدمة ، من المقدمة وانا من الخلف ، من الخلف » .

كانت الصخرة التي لم يتوصل الى رفعها والهروب منها وتجنبها هي موت يوهانا .

ـ عرفتها في أيلول ١٩٧٨ . كانت متطوعة بين غيرها من المتطوعين. بعد الانسحاب الذي قمنا به معا ، تزوجنا في الجبل .

يعرف الجميع قصتها في ايستيلي . اسم يوهانا مكتوب في الاغلب فوق الجدران وسط شعارات . يتحدث عنها الجميع . حتى ان بعضهم يروي انها قتلت قرب الكنيسة لانها شاهدت أخاها ، الملازم الاول في الحرس الوطني ، فترددت في اطلاق النار ، اما هو، فحصدها برشقة من بندقيته « الجليل » .

ـ من الصعب القول على هذا النحو . تحدثت عن أخيها قبل ان تموت لكنها كانت تحتضر . كنا قد تناقشنا حوله مرارا كثيرة . كانت تتساءل كيف تكون ردة فعلها فيما اذا جابهته يوما في المعركة. لا اظن انها رأته . وما تحدثت به كان بالاحرى من هذيان الموت .

لم ينهض ابدا . رسم خارطة للمدينة فوق صفحات من دفتر لا يفتأ يمزقه ليحرر أذونات مرور او رسائل .

ـ سقطت في ٢٥ حزيران . كنت أتناقش مع أوكو احد رؤساء زمرة الرتل ، قرب مكاتب تنيلكور . كانت معي فقد كانت مقاتلة محنكة

destacada اذ اشتركت في اربع عشرة عملية حربية . غابت عن نظري في وقت ثم عادت والعرق ينزف منها قائلة لي : « لقد طوقتنا الدبابة » . طلبت في الحال خمسة عشر رجلا من فابيان وبدأنا باعداد العملية . أمرتها بالتوجه واحضار برميل وقود استولينا عليه لنعمل قنابل مولوتوف . تركناه على بعد مجمع بيوت من هنالك . لكنه كان قد نقل من مكانه من غير ان اعلم . ذهبت اذا لتأتي به من ناحية الكنيسة التي نظفناها من الحرس لكن ما يحيط بها كان ما يزال تحت نار الحرس المختبئين بين البيوت المتهدمة .

كرر لا يقل عن عشر مرات انه لا يعرف انها نقلت الوقود الى هذه المنطقة الخطرة .

ـ لم اعرف . لم أستطع ان أعرف .

شك لا يمكن تجنبه . أهي المسؤولية ؟ الخطأ ؟ هول غير معقول لا يحتمل .

ـ تقدمت وسط الشارع مع رفيق يحمل بندقية فال . أدرك فجأة شيئا غير طبيعي وارتمى أرضا دافعا اياها من كتفها لتفعل مثله. تلقت في سقطتها اول رشقة رصاص . أرادت ان تنهض لانها كانت وسط الشارع في حين كان الرفيق يحميها . غير ان الحرس اتيح لهم رشقها ثانية . حين وصلت كانت قد ماتت .

رصاص « الجليل » رهيب لانه لا يخرج ابدا . حين يلاقي عظما ، يصعد ليستقر قرب المفاصل . لقد أضر بنا كثيرا . كان يستحيل انقاذها .

سكت . كانت نظرته هي التي تتكلم . يوهانا . رونيه . يوهانا ورونيه . ان حياتهما قد توقفت في ذلك اليوم . لكنه هو لم يمت. انه ما يزال يستطيع ... فيما بعد . ببطء . ببطء شديد . بعد النصر.

افادته القصة . انه اكثر هدوءا قليلا ، يكرر اقواله بحدة اقل. يمكنه ان يصف الوضع الراهن بشكل أدق واكثر ترتيبا وعمومية .

ـ نحن في هجومنا الثالث على مقر القيادة منذ ايلول ، لم نستطع من قبل ان نقترب ابدا مثل هذا القرب ، لم نحصل من قبل ابدا على مثل هذه المعدات ، لم يكن لدينا من قبل ابدا مثل هذا العدد من المقاتلين ، ذلك ما يبعث الثقة بالشباب المتأكدين من انهم سيستولون عليه .

« ربما يكون ذلك بسبب بعض الاخطاء التي تأكدت منها . لكن لا تنس ابدا التوتر في الايام الاخيرة والتعب . يبدو الوضع الآن مستقرا واعتقد اننا نشهد نوعا من الفتور مضرا بالتأكيد ، لكنه يدرك . كان الصراع قاسيا خاصة لان الكلاب هرّبوا جميع السكان . فوجدنا انفسنا وحيدين مع الحرس في المدينة التي هي أقرب الينا . القي الصراع كله على كواهلنا في حين ان جيشنا، الذي يوجد فيه الكثير من المتطوعة ، قد انشىء لينتصر في اطار ثورة مسلحة . اي بالاشتراك الفعلي لجميع السكان . ولم نستطع ان ننظم لجان احياء قبل هذه الايام وبكل بساطة لانه لم يكن هنالك اي أحد » .

كان الحرس قد طردوا الاهالي امام المغاوير ، فوجد السمك نفسه بلا ماء . كانت تلك ستراتيجية في الارياف كلفت الكثير من الدماء والبؤس . ويمكننا ان نتصور بسهولة كل ما يحتمله ذلك من هول وضراوة في مستوى مدينة تعدادها خمسون الف نسمة .

وبالاضافة الى ما حل بايستيلي من دمار ، فقد خلق خلوها من السكان جو مزاج متوعك مرهق ، وكأن الحياة اصبحت فيها مستحيلة، ملعونة . انما ما فيها من دمار لا يعطي الانطباع بأنها كانت مأهولة، ككل مدينة اخرى في نيكاراغوا ، انما تراودها الاشباح ولم يتلاش هذا الجو حتى بعد شهر من النصر رغم الجهود لتنظيف المدينة واعادة بنائها ورصف الشوارع . وكأن الجنون السوموزي قد قتل الحياة . قتل المدينة .

الساعة ١٥ ـ المستشفى . انهت فارينها تنظيف جرح عمقه لا يقل عن خمسة سنتيمترات . كانت فتحة واسعة احدثتها في الفخذ رصاصة « غاراند » . لكنه كان نظيفا جدا بفضل معالجتها . هزىء الضحية مما أصابني من دوار ، ويده موضوعة بلا مبالاة فوق ساق ممرضة .

كان ريكاردو ، أحد اعضاء الاركان العامة ، يجلس في زاوية فوق الكرسي الهزاز الوحيد في المكان ، ويغازل بلا حياء احدى المقاتلات ،كانت تضع بكل توازن بندقية « الجليل » فوق ركبتيها وتطلي أظافرها. ارادت تصريحا لرؤية عائلتها التي تبعد عشرة كيلومترات من هنا. كأن ريكاردو مفترا بسلطته ، فأتهمها « بنزعات انحرافية برجوازية صغيرة » وابتسامة هامة وغنجة معا تشيع في زاوية من شفتيه. كان

طلاء الاظافر والتصريح ، ثم ماذا ؟ كان ذلك مستمرا منذ عشر دقائق ومن الممكن ان يستمر بقدر ما يروق له ان يلعب لعبة القط والفار. كان اكتشافا منه لمتممات القوة . راح يعالج مقولة سياسية ، ليضحك طبعا . لكن هذا الضحك ادنى براءة من اي ضحك آخر .

حدثت فجأة حركة في ناحية الباب . كان مجمع الحكماء الخالد من المتطفلين والفضوليين والمتمارضين او الاصدقاء الحقيقيين متجمهرا ، فابتعد ليفسح المجال لمرور محطة ضخمة .

كان انطباعي خاطئا ، فقد كان الجسم الممدد قامة صغيرة لطفل في رأس حليق ، تنشب عيناه بكل الانظار ، تبدوان وكأنهما ، ما وراء الوعي والالم والخوف ، تريان كل شيء وتدركانه حتى من غير الم .

أرقدته فارينها فوق ما تستخدمه طاولة عمليات . صمت الجميع . شخصت اصابتين لرصاصة واحدة ، احدى الاصابتين في الذراع والثانية في الكبد . كلا ! انها رصاصة واحدة لبندقية « الجليل » ، دخلت اولا في الذراع لتتوقف بعد ذلك في الكبد الذي ليس له من وجود . لم توقف عظام الطفل ، التي لم تتصلب بعد ، كالعادة رصاص مثل هذا السلاح . نقل اليه الدم واستدعيت شاحنة صغيرة لنقله عاجلا الى ليون . ان حظه من النجاة قليل .

كانت والدته تبكي عند عتبة الباب وتروي قصته . تمسك بيدها اليمنى حذاء ابنها الرخيص الثمن والمثقب .

ـ كان علي ان اتوجه لاشعر جارة ، ليست بعيدة عن خط النار ، كي تحضر اجتماع اللجنة . كان ولدي يلعب . يدعى بسمارك أنتونيو . قال لي : « اذهب معك » . « كلا ، المكان خطر هنالك ، ان قتلوني ، فليقتلوني وحدي » . « اذهب معك يا امي . الافضل ان يقتلونا نحن الاثنين » .

« لاحظنا قناص حين وصلنا الى الجارة ، فجرحه بينما كان يلعب مع ابنة حارتي .

امتلأت عيون الجميع دموعا . وان صمت . ان سخطهم واشمئزازهم لا يعرفان كيف يتجليان . الا بسمارك وحده الذي كان هادىء الاعصاب ، لا يبدو عليه الم ، وكأنه غريب ، رغم انه يعرف .

مسح رجل ضخم في سن ناضجة عينه بطرف يده القذرة .

ـ ما دمت افكر انهم بجانب يعتنون بالاسرى . بالكلاب . كلهم كلاب . يضاف الى ذلك انه ليس لدينا ما نأكل . وحين نتمكن من اغالة

اطفالنـا يقتلونهم . يجب ان تنتهي منهم الى الابد .

روى ماركـو ان بالامس قال له مقاتل انه اقترب على بعـد اقل من مائة متر من مقر القيادة . كان في ساحته حـرس يثرثرون مع نساء واطفال يلهـون . كـاد ان يطلق النار حيـن قـال له قائـده : (قـف ! أمنعك من ذلـك . ان تصب امراة او صبيـا اصرعك في مكانك » .

الساعة ١٦ ـ في احـد الشوارع المؤديـة من الكنسيـة الى مقـر القيـادة . دخلت . كـان اجتماعـا نظمته زمـرة . كانـوا قرابـة خمسة عشر ، يجلسون حلقـة في الحجرة الرئيسيـة لبيت بورجوازي جميل. جدرانهـا صفراء وسقوفهـا مرتفعـة ، تضم بيانو وبضعة صور، مستنسخـة من طراز حجرة فندق رخيص . اضيفت الـى الديكور صورة لساندينو ، وتدل على مرور الرجال والزمن ، وتشيـر الـى أن تغيرا لا رجعـة فيه قـد حدث .

كان المقاتلون كلهم يضعون اسلحتهم فوق ركبهم . لم يكن هنالـك موضوع محدد . كان كل يتفوه قليـلا بما يدور في ذهنه . لا يرد احدهم على الثاني فـي الحقيقـة . يكتفي الاكثر منهم تسيسا بالقاء جمل وترك بعض الافكار لتفكيـر الرفاق الآخريـن .

ـ يجب ان نكون جديين مع الاسلحة . بالامس وجدت بندقيـة «غاراند» . كانت مركبة من غير نابضها. انها سيئة .

ـ علينا ان ننتبه في سلوكنـا مع الشعب . لا نسلك ابدا سلـوك الحرس الوطني . علينـا ان نحترمه ونبرهن علـى اننا نستخدم عقلنا .

كان رئيس الزمرة في لحيـة وعيني طفل . شجع مقاتلا فتى كـان يتلوى منذ خمس دقائق فوق كرسيه لكنه لا يجرؤ على الكلام حقا .

ـ هيا ، تكلـم .

ـ ... انا لا اعرف لكـن ... كيف سنعمل لاعادة بناء البلد بعـد هذه الحرب ؟

ـ أنت تعرف اننا بلد غني . ثم اننا سوف نتلقى مساعدة دوليـة ضخمة . وعدتنا بلدان كثيرة أن ترسل الينـا نقـودا وتقنييـن وبترولا وطعامـا . وعلينـا ان نعمل بكـد ولكني لا أعتقـد ان ذلـك سيستمر طويـلا . سوف نصل الى مستوى ما قبل الحرب بعد خمس سنـوات ، يضاف الى ذلك انه سوف يكـون لدينـا نظام اكثر عدلا .

استأنف الفتى كلامه قائلا : ـ اني لاتساءل عما اذا كـان ممكنـا

استخدام بحيرة ماناغوا لاجتذاب السياح . ذلك احد افكاري . السياح يجلبون نقودا كثيرة . فنحن لدينا البحيرة الوحيدة في العالم التي يوجد فيها سمك القرش الذي يعيش في المياه الحلوة . يمكننا ان ننظم نزهات في المركب وتبني فنادق ، ومن المؤكد ان ذلك سوف يساعدنا على الحصول على النقد النادر .

ـ لم يكن سوموزا يهتم بتنمية حقيقية للبلد . تذكروا ما فعله بعد الزلزال . كانت فلسفته الوحيدة : « انا اولا . انا بعد ذلك . واخيرا انا ! » «Primo yo , despues yo y por ultimo yo !»

ـ يتهمنا بعض الصحفيين بالشيوعية لاننا ضده ولكنهم لم يقرأوا كراساتنا .

كانت فتاة في السادسة عشرة ، يشد نهديها قميص اصفر، تلعب بمسدس صغير تضعه عادة الى بطنها . انتزعت منه الرصاص وادارت طاحونه . راحت تصوب باهمال الى صورة زواج في لون ذابل .

ـ اتذكر ، حين وقع الزلزال، انهم ارسلوا الينا قهوة رائعة، قهوة في طعم الشوكولاتة. قهوة انكليزية. حسنا، ان اي احد لم ير لونها. حظيت بها نساء الحرس وحدهن .

قال شاب في شارب وهو ينظر بطرف عينه تحت لصقة الضماد الذي يحمله بيده اليسرى : ـ نحن نقاتل من اجل تغيير ذلك كله. ومن اجل ذلك يجب ان يكون لدينا جيش انضباطي. يجب ان يفخر الشعب بنا. عليه ان يشعر بأنه محمي .

ـ تعرفون ان هذا الكلب سوموزا قد وضع صورته على اكياس الطحين التي ارسلها اليه الغرينغو! لقد استخدمها لمصالحه الخاصة.

ـ لقد آن لنا ان نرى في ذلك بوضوح في السياسة الخنزيرية ـ Prolitica Cochina التي ينتهجها جيمي كارتر الذي يتحدث عن حقوق الانسان ليصل الى السلطة ومن تحت، يساعد عسكريا الذين لا يحترمون حقوق الانسان .

نظر الرئيس الى ساعته ثم نهض .

ـ يمكننا ان نعود الى عملنا. لا تنسوا اننا هنا لندافع عن الشعب المضطهد. ليدافع عن مصالحه . واذا جاء اليانكي، فتذكروا انهم ليسوا حديدا، لكنهم لحم ودم. اشار الى ذلك ساندينو .

مرت رشقة رصاص رشاش فوق السقف تماما. لم ينتبه اليها اي احد في الشارع. انه لشعب رهيب لا ينتفض ابدا من اول رشقة سلاح

آلـي. يكتفي بالتقدير. أهو م١٦؟ كلا! انه «الجليل». سلاح ثلاثـون؟ كلا! انه سلاح خمسون !

الساعة ٢١ ـ في بيت بانشيتا. راديو هندوراس يذيع الانباء. قررت واشنطن تسليم سوموزا احتياطيا من الذخيرة المختزنة لنيكاراغوا، اذا لم تقبل الحكومة العسكرية عضوين جديدين، احدهما عسكري اشترك فـي عمليـة الانـزال فـي جمهوريـة الدومينيكـان . وقد ارسـل الغرينغو بعض البحارة الى كوستاريكا لدعم تهديداتهم. فهل كانوا الطليعة؟

وارتجف الناس خوفا لما شاع ان القمر الصناعي سكالاب سيخترق اجـواء الارض. واعترفت حكومة الولايات المتحدة بمسؤوليتها القانونيـة وقالت انها على استعداد لارسال فريق طبي عاجل اذا سببت قطع القمر الصناعي ضحايا .

سأل احدهم : « ونحن ؟ »

راح ارماندو ، « البروليتاري » الذي جاء بالمدفع ، يدمدم وهو ينام:

ـ اتقلب يمينا تفوح رائحة قوية ، اتقلب شمالا تفـوح رائحة قويـة آه! كـم ادفع من اجل امرأة صغيرة تفوح رائحة طيبة !

لماذا ننشىء جيشا ؟

حديث القائد لويس كاريون

بعد ان ناضلنا والسلاح بيدنا للاطاحة بالديكتاتورية، يجب ان نمنح انفسنا وسائل مجابهة اخطار يمكن ان تطرح يوما مسالة وجود ثورتنا نفسه. ليس لدى السوموزيين وسائل عدوان مباشر على مستوى واسع. انهار جيشهم كلية ووهنت عزيمته واصبحت شروط حياته في البلدان الاجنبية صعبة وتشتد في داخله الضغائن والبغضاء . لكن ذلك لا يمنع قيام هجمات من جانب مجموعات صغيرة او حتى افراد مكلفين بالتخريب والاغتيال. وقد بدأوا . ولا يمكننا، من ناحية ثانية، ان ننسى ان لدى سوموزا من الوسائل ما تجعله خطرا حقيقيا لاجل متوسط. لديه حلفاء لهم اهميتهم في نطاق كونغرس الولايات المتحدة نفسه. ويمكنه ان يعتمد على مستعمرة المنفيين الكوبيين وبعض حكومات امريكا اللاتينية التي يمكن ان تقدم له ارضية يستطيع بها ان يعيد تنظيم قوات لا بل ويضيف اليها عناصر رجعية قادمة من نقاط مختلفة من القارة ليهاجمنا. واضيف انه ما تزال لديه قوة اقتصادية هائلة رغم الخسائر التي كلفه اياها نصرنا. لديه مثلا الحق باختيار احد مناصب مدراء احدى كبريات المصارف الامريكية، «مورغان غرانتي»، ولا ريب لانه احد اهم المساهمين فيه .

بيد ان هنالك اخطارا اخرى : فقد اقر برنامجنا المباشر استعادة مصادرنا الطبيعية وجزءا من الاموال الموجودة بايدي الشركات الاجنبية. والاستقلال السياسي الشامل والبحث عن اسواق جديدة هي في صلب مشروعنا. هذه التغيرات كلها تتناقض بوضوح مع المصالح التقليدية السائدة في نيكاراغوا. والمسار الذي تتبعه الامبريالية في هذه المنطقة من العالم

يتيح لنا ان نتاهب، بالاضافة الى الاعتداءات السوموزية، لمجابهة التحركات المباشرة التي تقوم بها المخابرات اليانكية .

تتجنب الولايات المتحدة في الوقت الراهن مجابهتنا مباشرة وتفضل محاولة حرف تطورنا. وتدعي انها تفكر باقراضنا مبالغ هامة من النقود. غير انه يجب اولا ان نتحدث عن قواعد المعاملة وقيامها لتاتي الدولارات التي تنقصنا بكل يأس. وتعرض علينا اسلحة. غير انه ... يجب اولا ان نتفق على مسائل التاطير والتدريب والجيش عموما. وتحاول ان تتدخل في الوقت الراهن، بصفة اساسية، عن طريق الضغط الاقتصادي والابتزاز بالتهديد العسكري. لهذه السياسة حدودها وسنجهد للاستفادة منها كي نستمر في تجميد مخاطر عدوان مباشر. ومن الافضل مجابهة الامبريالية من هذه الارضية، بدلا من ارضية الحصار الاقتصادي او المؤامرات. بيد انه من الواضح ان هذا الوضع لن يستمر غير وقت، لان التطور الثوري سوف يستمر في تقدمه وعمقه، فينتهي الاثنان بالتناقض. تنتقل الامبريالية آنذاك الى موقف عدوان معلن. والتجربة العالمية واضحة في هذا الموضوع. لسنا بحاجة لان ننظر بعيدا، وليس في اتجاه واحد فقط لكي نقتنع من ذلك. ومن واجبنا ان نستعد .

اريد الان ان اتطرق الى موضوع يشغل بعضهم حول استخدامنا الراهن للجيش الشعبي الساندينى تجاه هذا الشعب. ان تطورنا، لكي يتقدم، بحاجة لوحدة الثوريين جميعا والنيكاراغويين الشرفاء جميعا والوطنيين جميعا. علينا ان نجابه محاولات الانشقاق من جانب اليمين واليساريين المتطرفين. يحاول الاول ان ينتزع منا تاييد البورجوازية الصغيرة، مخيفا اياها بقوله ان هذه الثورة شيوعية، ستاخذ كل اموالها، الخ. وتحاول الفئات اليسارية، من جانبها، ان تخلط في رؤوس العمال مختلف مراحل التطور. تقول ان الجبهة خانت الثورة باقامتها حكومة بورجوازية، وتوعز الى العمال ان يطلبوا زيادة كبيرة جدا في الاجور، او احتلال المصانع التي لم تقرر مصادرتها في البرنامج. ويدفعون الفلاحين لاحتلال الاراضي كلها. ربما يسحر هذا النوع من الشعارات بعض قطاعات متخلفة من شعبنا المستغل والمضطهد منذ زمن طويل، والذي يعادي بفطرته البورجوازية لهذه الاسباب. يمكن لمثل هذه الحملات ان تجر الى انشقاقات وتبعد بعض الطبقات الشعبية عن القيادة الساندينية، ان اية من الحالات التي طرات حتى الان لم تكن لها نتائج خطيرة في اطار ما كانت به سلطة الجبهة ليست موضع جدل، فكان يكفي ان نتوجه مباشرة لاجراء حوار مع العمال ليدركوا بسرعة شديدة. كل ذلك لنقول اننا نبحث عن حل سياسي لهذا النوع من المسالة. غير انه من الواضح اننا اذا لم نجده، في حالة محددة، فلن نستخدم ابدا، لهذا السبب، القوة ضد الفلاحين والعمال. سيكون قرارنا ملائما لهم دوما، حتى وان توجب علينا، من اجل ذلك، ان نبتعد عن البرنامج ونجد، بالمقابل، شكلا ما لتعويض البورجوازية وتهدئتها. ولن نستخدم ابدا هذا الجيش ضد الشعب .

الثلاثاء ١٠ تموز ، ماتا غالبـــا

لن نربح اذا لم تكن لدينـــا طائرة

قمت بزيارة قصيرة، قبل مغادرتي المدينة، لاول ورشة اقامتهـــا اللجنة. كان ستة رجال يطرقون ويلصقون ويخيطون ويقطعـــون الجـلد مثرثرين. كان اربعة منهم حول طاولة منخفضة وضعوا فوقها مساميـــر وادوات . كانت المادة ملصقة في اسفل طاولات مستديرة . كانوا يصنعون جزمات، يصنع كل واحد جزمة مجموعها ثمانية ازواج يوميا. كان رجـل ضامر في مكان متراجع يقطع، فوق طاولة طويلة، تبعا للنمـــاذج التـــي استطاع تخليصها من انقاض بيته .

كانوا يعلقون على الحرب وامور اخرى. جاؤوا من ثلاث ورشـــات مختلفة، لا يتمتعون بالتقنيات نفسها ولا العادات نفسها. يشتغل اربعـــة منهم متعاونين، مما يعطيهم شيئا من التلاحم في مجموعهم .

كان العمل الطوعي شيئا جديدا بالنسبة للجميع. قال اشدهم نضالا:

ـ نشعر وكأننا مسلحون .

لكن الاخرين صمتوا. غمغم رجل في الثلاثين عاما، لم تدعه هادئـا همومه كوالد عائلة :

ـ لم يكن لنا خيار. كان صعبا ان نفعل غير ذلك. يعطوننا الطعـــام مجانا في الوقت الراهن. اذا ... لا يمكن ان يستمر ذلك الى الابد. والمكافـأة ...

ـ كنا نشتغل قبلا من الساعة ٧ صباحا حتى الساعة ١٧ . ولما كان يدفع لنا بالنسبة للجهد، كنا ننتج احيانا اقل وعلى الاغلب اكثر. لم يكن من السهل ان نكسب قوتنا من مهنتنا. والان نتوقف بعد خمس ساعات ونعود الى بيتنا .

انطلقنا فكان وداعنا مؤثرا ، يفتت القلب. تم كل شيء بسرعة.

ايستيلي ترينيداد. اعارتني فارينها الشاحنة الصغيرة المستخدمة سيارة اسعاف مقابل عشر قرطبات لادفع ثمن اصلاح اطار مثقوب. كانت اول نفقة مني. ان للنقود قيمة اكثر في الجنوب حين تكون الحرب اقل قساوة .

كانت المراقبات كثيرة ، تجري اثناها تحقيقات وتدقيقات في اذون المرور. كانت اللعبة المفضلة لدى المتطوعة هي طلب السيكائر : «هل لديك سيكارة ايها الرفيق؟ فتتسع الابتسامات. انهم يكادون ينسون انهم يحتمون خلف السلطة التي منحت لهم حديثا .

ترينيداد ـ سان ايزيدور . رحلة متراصة في سيارة امريكية رائعة كتب فوقها على عجل بمسدس الدهان الاحرف الاولى من : الجبهة الساندينية للتحرر الوطني، و : وطن حر او موت. كان اربعة فتيان مبتهجين، بلا هموم، مدججين بالاسلحة ورفيقة جميلة يمزحون كأنهم طلاب كلية. يستمعون الى الموسيقى ويأتون بأشرطة تسجيل من رفيق. هل ذلك لعيد؟ كلا. لقد بدأوا بجمع اغاني ثورية تأهبا للوقت الذي يستطيعون فيه تشغيل «راديو ايستيلي الحر»، الذي لم يوجد اسمه بعد .

كانت تسود بطالة في اماكن ليس فيها جدل. لم يستطع الناس العمل في فترة الاضراب العام والحرب. يمضون نهاراتهم في محلات «السمانة ـ حانة» التي ليس فيها ما يباع ابدا، فيثرثروا ويعلقوا ويتشجعوا ويقتنعوا .

سان ايزيدور ـ سيباكو. كان الرجل في حيوية ناشطة، متعاظما. يرتدي بيريه سوداء ويقود سيارته اليابانية الصغيرة الاشبه بنموذج (١). وبدلا من أن يترك بندقيته مثبتة بجانبه، كمعظم سواق الجبهة الذين يتعجلون، كان يضعها فوق ركبتيه وسبطانتها خارجة من باب السيارة . ولم تكن القنابل اليدوية التي في عدته مثبتة بشريط لاصق، خلافا لما يفعله كافة الجنود، خشية سقوطها. كانت ساعته المعدنية بخلاف ذلك يغطيها شريط لاصق اسود لتجنب لمعانها. بالكاد ان بدرت منه جمل قليلة متحفظة. كان الحديث تقريبا عن المطر والجو الجميل، لا عن مهمته، في

كـل الاحوال. كان تلميذا ضابطا هندوراسيا فر من الجيش مع العديد من رفاقه منذ اشهر ليلتحق بالساندينيين. وهو يحلم بتأسيس مجلس الدفاع الثوري لامريكا الوسطى. وفي ذهنه ايضا ان يقاتل في السلفادور غدا.

سمعت لاول مرة حديثا عن القوة الجوية الساندينية، التـي انشئت منذ اشهر، كانت قصة لم اسمع بها الا مؤخرا .

★ ★ ★

هدير في سماء هندوراس الثقيلة. رفع توينو عينيه، ويسميـــه الجميع «الخوري» بسبب قمة راسه الحليقة بشكل دائرة . ظهرت طائـرة «BC3» تتمايل بهدوء وتهبط. كشر توينو بابتسامة راضية وهو يلاحـظ الطائرة التي تقترب وقد فوجيء بتمتمة جملة سمعها كثيرا مـن فم رفاق اخرين : «لن نربح النضال ضد سوموزا ابدا ما لم تكن لدينا طائرة.لا نصر بـلا طائرة». دمدم توينو : «انهم لعلى صواب»، ثم تقدم خطوات. كان قد خرج من نيكاراغوا بفاجعة منذ وقت قليل وغير اسمه المستعـار كارلوس باسـم توينو. كان قد احترق هنالك نهائيا . رفع عينيه ثانية وتوقف عند السيارات المتوقفة عند حافة المدرج ومحركاتها تدور ببطء. لامست طائرة الداكوتا القديمة الارض وقفزت ثانية وتدحرجت ومرت امام الفريـــق المتجمد، وخففت سرعتها شيئا فشيئا، ليس بما يكفي مع هذا. اخـــذت تدور نصف دورة في نهاية الطريق الترابية. انفجرت سلسلة مـن دلائـل التعجب، ثم قسم : «يا الهي، ماذا تعمل؟ لكن ماذا تعمـــل؟». خرجـت الطائرة من المدرج وارتجت وحمحمت وانتفضت وتوقفت فجأة بعنف. قال صوت مخنوق : تبا لها! اصطفقت ابواب واندفعت الشاحنات مثيـــرة سحابة من الغبار وتوقفت في الحال امام الطائرة.كان الطيارون في اسفلها كانوا اجانب. صاح توينو وهو يهرع : «ماذا حدث؟» هز احدهم كتفيـه. قـال بسيماء عصبية «كسر دولاب!» هز توينو رأسه ثم كشر وجهه . على بعـد اقل من خمسة عشر كيلو مترا تقع تونكونتينغو والقـــوة الجويـــة الهندوراسية. سأل الطيار مشيرا الى الطائرة بباهمه : «كم؟» قال الاخر: «طنان ونصف الطن من الاسلحة والذخيرة. التفت توينو قائـلا : « عجلوا بتفريغها!» كاد الامر يكون من العبث. نشط الاخرون من غير كـــلام . ووزعت الخمسة الاف ليبرة على السيارات خلال وقت قصير جدا، بيـن الصمت والعرق الناضح من الرجال. لم يكن هنالك شيء، بعد ست دقائق فوق المدرج غير طائرة محطمة، تميل قليلا، وثلاثة طيارين يفكرون ، فـــي

غايــة الانزعاج .

ذهبوا بسرعة تاركين الطائرة خلفهم. كان تونيو فــي الحجــرة قرب السائق يفكر في حين كانت تمر النباتات الاستوائية. قطب حاجبيه .

ـ انه لمجهود جبار لتغذية جبهات نيكاراغوا كلها بالاسلحة !

وافق الاخر بهز رأسه، وبدا صمته طويلا .

اصدر السائق صوتا من فمه وهز رأسه شمالا ويمينا : ـ كان يجب القيام بانزال جوي .

ـ انظره ، حتى الفرينغو، الذين لديهم جيش في غاية التنظيــم ، يفقدون الجزء الاعظم مما يسقطون جوا. كلا، ان ما يلزم هي طــائــرات الهيليكوبتــر !

فكر تونيو ومسح بحركة واسعة جبينه المبتل، والتفت نصف التفاتة.

ـ ليس للهيليكوبتر استقلال ذاتي لتصل الى اقاليم نيكاراغوا كلهــا. عليهــا ان تقوم بمراحل وتتزود بالوقود ـ هنيهة صمت ـ ثم انها ليست سريعة بما يكفي لتفلت من طائرات «ت ٣٣» .

صاح الاخر مدمدما، صمت بعدها مستغرقا بقيادة سيارته : يا لها مــن قذرة طائرات ت٣٣.

عاد يفكر بطائرة «BC3» وهز رأسه دلالة على النفي. ان طائرات صغيرة سريعة يمكنها ان تهبط في اي مكان. ثم مدد ساقيه واستنــد الى المقعد المحدب. سيعود بعد ايام ، ـ متى يكون ذلك بالضبط؟ ـ فــي ٢٠ نيسان، ٢٢ ، ٢٤ منه، انه لا يعرف. انه يعود الى البــلد وسيلتحــق «بالقاعدة، في مكان ما من نيكاراغوا». سيطلبون اليه تنظيم الجبهــة السوقي. تنهد ووضع كوعه فوق حافة باب السيــارة. تمتــم بهدوء: «طائرات، هكذا، طائرات!» .

كان ذلك بعد وقت قليل من مولد سرب «كارلوس اولوا»، الذي جاء من اسم الطيار النيكاراغوي الذي قاتل مع القوة الجوية الكوبية اثناء غزو خليج الخنازير. كان لدى الطيران الكوبي ثلاث طائرات انذاك. وكان اولوا يقــود واحدة منها. قتل اثناء المعركة، في اليوم الثاني من العملية . كــان اول طيار سانديني . فحمل السرب اسمه. بدأ بكل تواضع بطــائــرات قليلة صغيرة من نوع «ازتيكا» و «نافاجو»، وهبها وقادها متعاطفــون اجانب. وكانت مشكلة، فهؤلاء لا يعرفون مناطق التحليق، فكان عليهم ان

يرافقهم احد من ابناء المنطقة في كل عملية. كانت تحمل على متنها في كل مرة خمسة وسبعين كيلو غراما على الاقل من البنادق والذخيرة. كانت كمية قليلة وضخمة. لم تكن الطائرات تحمل غير ٦٠٠، ٧٠٠، ٩٠٠ كيلوغرام، تحمل اضخمها طنا واحدا كحد اقصى .

كانت اول عملية فوق ليون، كان مدرج كاونتري ـ كلوب ـ دي يونيلويا قد نسف كي لا يستخدمه الساندينيون. لا اهمية لذلك. في الليل الحالك في ليلة، كان اكثر من ٢٠٠ شخص يتحركون في الظلام، وتراكتورات تروح وتجيء، تردم الحفر وتكدس التراب وتضغطه وتسوي الارض. وفيما حولهم، كان قرابة خمسون رجلا يسألون الظلام، وبنادق واسلحة مضادة للطائرة مصوبة الى الاعلى. اضرمت نار واعطيت شارات . هبطت الطائرة وافرغت خمسين بندقية فال وطنا من الاسلحة والذخيرة، ثم عادت واقلعت متكتمة وبسرعة .

الساندينيون يتجهزون وينتظمون . وتغتني «قاعدتهم الجوية» بالعناصر على مر الايام. كان بانكاسان اول طيار نيكاراغوي يجند. التحق به، بعد وقت قليل، روديستو روخاس الذي استولى على طائرة من مطار لوس برازيلس. كان قد شهر مسدسه وحمل معه بهذه المناسبة المراقب الجوي، الذي سلم فيما بعد الى الجيش البانامي، ليعاد الى وطنه. وكان الخاطف الثالث لارا الذي استولى على «بوش ـ بول» من القوة الجوية واطلق صاروخين على طائرات «ت٣٣» ثم هرب مرتحلا الى كوستاريكا، التحق منها بعد ذلك بالقاعدة. وبعد ايام قليلة، استولى بورا اي كامبو وروماس، من القوة الجوية النيكاراغوية، على طائرة نفاثة نظامية كانت تسير في خط ماناغوا ـ ميامي ـ مانغوا . اتصلا بالساندينيين، ونزلا بأسلحة وحقائب لكن من غير الطائرة النفاثة. لا اهمية لذلك. شعرت الجبهة بعد ذلك ان لديها قوة جوية حقيقية بالطيارين النيكاراغويين الخمسة، اضافة الى الاجانب. واشترت طائرة ومنحت لها طائرة اخرى : «ايلفارون»، واصبحت سرب كارلوس اولوا رسميا القوة الجوية الساندينية. وراح يقوم بتحليقات عديدة وعمليات كثيرة. كانت الطائرات تهبط في شروط لا تصدق. كانت تهبط في مدارج في غاية القصر، كما تطرأ الظروف، وفي شقق من الطرقات احيانا وطرقات بسيطة في الاغلب. كانت المعدات تسقط من الجو حين يتبين ان الهبوط مستحيل. كانت الصناديق المعدنية من الذخيرة او البنادق تغلف باسفنج من البوليستر بسماكة بوصتين، محصور في كيس من الجوت مضغوط ايضا بصفائح من الاسفنج. يتحطم ٢٥ بالمئة

منهـا لدى وصولها الى الارض، تهبط الى ١٠ بالمئة مع التجربة. هذا مـا كـان يفكر به الطيارون، لكن الرفاق، على الارض، يقولون ان ٧٥ بالمئـة منهـا كـان يتحطم لدى وصوله الى الارض، هبط تدريجيا الى ٢٥ بالمئة. كانت الجبهتان الجنوبية والشمالية تتزودان بها بانتظام. ومع هذا امكنهم ان يقوموا بعمل افضل. اذا سيقومون بعمل افضل .

كان في القاعدة قرابة مائة قنبلة من زنة ٢٠ ليبرة، هي عدة اسلحـة حقيقية. ادخلت ترتيبات على طائرة «فارون». ثبت في مقدمتها رشاشان، وخرقت سلسلة من الثقوب في ارضيتها ركزت فيها انابيب بلاستيـك ضخمة وتحولت بذلك الى قاذفة قنابل. يمكنها ، بوساطة سلسلة مـن الحبال والاسلاك الحديدية، ان تسقط عشر قنابل في مرور واحد. غيـر انـه تبين بالممارسة ان هذه العملية غير ملائمة. كان يجب نزع صمامـات الامان بسلك حديدي وقطع سلك اخر لاطلاق القنابل... هذه العمليـة طويلة جدا ! راح الساندينيون يسقطون القنابل بأيديهم .

بأيديهم! حين تصل الطائرة على مرأى من هدفها ، تنتزع صمامـات أمـان جميع القنابل المختزنة في حجرة الطيار. ثم يسود القلق، اذ لايمكن تجنب الانفجار لدى اقل صدمة. يسود القلق حتى يبدأ الاسقاط. عندئذ، يؤرجحون بارتياح شديد جميع القنابل بأسرع وقت ممكن في مرور واحد. ثم يمسحون عرقهم الذي يغرقهم .. اسموهم «الحزوز الصفراء». لم يكن اي منهم قد صعد الى طائرة قبل تجنيده، كان خوفهم شديدا لدى عودتهم من اول عملية قصف. لقبهم الرفاق «الحزوز الصفـراء» وهم يتفجرون ضحكـا كلهـم .

ان ما فعلوه قد فعلوه، اكانوا خائفين ام لم يكونوا كذلك .

أين تعلم ؟ لا احد يدري حقا. تعلم وحده. لكن حين حط كوتي فوق القاعدة، سرعان ما ادرك تونيو كل الفائدة التي يمكنه ان يأخذهـا منـه. لا سبيل لاطلاقه وتركه يعود الى الجبهة الشمالية حيث يصنع مع هـذا القنابل الشهيرة «ك.هـ ١» (من كوتي هيرناندس، اسمه). ان الرجل فنان وابـن ساعاتي وحرفية، ليس له نظير في صنع المتفجرات العجيبة جدا. يجهز فروعه بأسلاك وساعات منبهة ومبطئات، وبالضوء، والراديو، وكل مـا تقع عليه يـده .

تعلم من والديه الدقة والذوق في العمل المتقن. وبسبب الحرب التي يأنف فيها من قتل «الحرس الابرياء»، شغف بالكيمياء التي درسها وحـده. وبدأ يعمل بحرفة المتعددة. حتى ان لكوتي نظرية بكاملها: «يجب ان نشتري

الذخيرة، وهي تكلف غاليا. ورصاصة تقتل او تخطيء هدفها . لكننا نستطيع ان نعمل افضل بكثير بالقنابل. ان موجة الصدمة ترهق من يقعون تحت مرورها. فهي سلاح نفسي رائع. وحين نريد ان نقتل او ندمر يمكننا ذلك ..» حلمه نسف القصر الوطني كله. هذا المعقل الذي يلتجيء فيه الاوغاد . لكن رؤساءه لا يدعونه يعمل. حتى انهم يترددون بمنحه الوسيلة ليندفع الى الانتاج بالسلسلة. ان قصة القنابل حديثة. يتعارض خجله ولطفه مع الية الكثير من غيره، جاء اسمه من كلمة كونيس « صفة الجلد» . يعرف تونيو ان كوتي يستطيع ان يعمل افضل ايضا . اسرع الى هومبيرتو اورتيغا .

ـ لا تدع هذا الشخص يذهب ! نحن بحاجة اليه .

سمح له بشراء كل المعدات الضرورية. كانت القائمة طويلة. ثم اختار فريقه وبدأ يعمل. صنع ما لا يقل عن ٤٠٠ قنبلة و ١٣٠ قنبلة حارقة . لم يكن في القذائف الاولى غير صاعق وتطرح احيانا مشكلة. صنعت من انابيب ضخمة ثبت في نهايتها انبوب بجنيحات، جيدة التوازن لكنها لا تنفجر الا اذا سقطت فوق رأسها بالضبط. ظهرت التالية اكثر قابلية للعمل. زودها كوتي بصواعق تحت كل الزوايا وفي كل الانحاء. زنة صغارها ليبرة واحدة. وغيرها، اخطر بكثير، تزن ٦٠ ليبرة. ولديه، بين الاثنين، نموذج من ٢٥ ليبرة، صنعة من اسطوانة غاز بوتان زخرفها بالضرورة بجنيحات توازن. اما القنابل الحارقة فهي خزانات بلاستيكية من كل الاحجام بحسب المادة التي فيها، مليئة بالوقود وحامض السولفوريك، لم تخطيء ابدا. ومما يلفت النظر اكثر ان قذائف مدفع هاون «حقيقية» تستخدم قنابل ويفترض انها تتمتع بتقنية عالية، لم تصنع. ولو صنعوها، اثناء هجوم القوة الجوية الساندينية على مطار لاس ميرسيديس في ماناغوا، لانخفضت القوة الجوية السوموزية الى حد مفرد. في ذلك اليوم، اسقط الساندينيون ١٢٠ قنبلة، انفجرت اربع وعشرون قنبلة من مخزون اولي، هي قنابل حارقة وقذائف من صنع يدوي. غير ان قنبلة صناعية من زنة ١٢٠ ليبرة اخترقت سقفا واصطدمت بالارض وقفزت ثانية وعطبت جناح طائرة وقفزت ثانية وضربت طائرة ... ولم تنفجر . وسقطت غيرها وسط اربع طائرات «ت ٣٣»، الطائرات الوحيدة التي يرهبها الطيارون الساندينيون لسرعتها، ولم تنفجر! كانت عمليات غيرها رابحة بشكل مباشر اكثر، بسبب دويها ووقعها النفسي في الراي العام الوطني والدولي.

يوم الاربعاء ٢٠ حزيران، اقلعت طائرة في الساعة ١١٫٢٦ من

قاعدتها. وصلت في الساعة ١٣ر١٢ الى هدفها. اسقطت على ارتفاع ٤٠٠ قدم ٣٩ قنبلة في مرور واحد، فكانت عملية متزامنة مع اطلاق قذائف هاون عنيف صادر من المنطقة الثائرة في ماناغوا. انفجر سيل رهيب من القذائف المضادة للطائرات فوق العاصمة. لقد فات الاوان. كانت النتيجة الملحوظة، ان السوموزيين، وهم يحاولون اصابة الطائرة وهم يطلقون النار، اصابوا مصفاة البترول. عادت الطائرة في الساعة ٣٦ر١٣، ممزقة في ثلاثة اماكن، لكنها صالحة للعمل ، هبط منها هومبيرتو ميندوزا وكارلوس سانيو ورفيق اجنبي ضاع اسمه في مكان ما من سماء نيكاراغوا انفجر بعد قليل فرح خيالي في القاعدة، غزا البلاد التي علمت بالنبأ وبهتت له : الساندينيون قصفوا الان معقل سوموزا المحصن .

اشتدت الاغارات فوق مازايا وسوموتيلو وكويوتب وماتاغالبا، ولم يحزن الطيارون الساندينيون على اية خسارة من عمل العدو . غير ان اضرارا فادحة حلت بالمدرجات التي اضطروا لاستخدامها. كان الهبوط صعبا، ينتهي احيانا بشكل فاجع. صدمت طائرة «كوين اير» الاشجار قرب تقاطع طرقات مازايا وغرناطة. وصدمت اخرى بجناحها الاعمدة الواقعة في حافة الطريق. وفي دريامبا، اصطدمت طائرة بأحجار ولم تستطع ان تقلع ثانية. وفي ريفاس، اصيبت طائرة «بوش ـ بول» الوحيدة بحادث خطير . واثناء التحليق الثالث فوق ليون، كانت طائرة « بوش ـ بول» و «BC3» سوموزيتان تهاجمان اثناء تفريغ حمولة اسلحة، كان الحنق يملأ قلوب الثائرين، فأشعلوا النار في طائرتهم لانهم لم يستطيعوا معرفة هويتها، وكانت طائرة مقدمة منحة. ومع هذا، كانت طواقم الطائرات تخرج سليمة في جميع الحالات، ويستعيدها رفاقها فيما بعد وتعود الى القاعدة .

كانت وتيرة العمل في القاعدة هائلة جدا اثناء الاسابيع السبعة الاخيرة من الحرب. كانت الايام تستمر ثمانية واربعين ساعة. كان يجب تلقي الاسلحة والقيام بالنقل وفك الحزم والتحقق والحزم والنقل ثانية كيلومترات وكيلومترات والعمل ساعات وساعات واعداد العمليات لليلة التالية. كانوا ينامون ساعة او ساعتين في اليوم، لم يكن ذلك عبثا. كان الساندينيون في ماتاغالبا بلا ذخيرة لا يستطيعون شن الهجوم النهائي. ثم استولوا على الثكنة بعد يومين من تسليمهم الرشاشات والذخيرة لبنادق الفال والبنادق وقذائف مدافع الهاون. وفي ليون، حول طريق الى مدرج فيه شارات واضواء ، فأصبح مطارا دوليا حقيقيا! ونقلت

القوة الجوية الساندينية مدافع عيار ٧٥ وقذائف هاون عيار ٨٢. واخلى العدو قلعة أكوزاسكو . كان القتال ضاريا في ماناغوا وعرف الساندينيون فجأة انهم بحاجة للذخيرة، ويتوقعون هجوما قويا يقوم به الحرس غدا. في تلك الليلة، قامت الجيوش السوموزية بعملية «ليمبيزا» في خلال اربع وعشرين ساعة ...

وفي تلك الليلة، كان روخاس وراء مقاود طائرته يمر فوق الاحياء الشرقية حيث الثائرون ، يحلق على ارتفاع ٤٠ مترا ببطء شديد. كانت سلسلة من النيران تعلم الشارع الرئيسي، حتى الشارع المار بمبنى بيلوهوريزونته المستدير. مر روخاس بالمحور، وواجه ذروة المخاطر، ونجح بالقاء المعدات، في اخر التراجع. ثم عاد ليلا، رسولا مجهولا من السماء.

سيباكو : مدينة صغيرة في اسفل المنطقة الجبلية، بنيت حول جسر وتفرع طرقات. وهي عقدة ستراتيجية للمواصلات. يقع الجسر في الجنوب ويؤدي الى داريو حيث يوجد الان احد اهم مراكز الحرس، كما يؤدي، ابعد ايضا، الى ماناغوا . وهنالك ايضا طريق «بان اميركين» . يتفرع الطريق بشكل حرف «Y» . تقع ايستيلي في الشمال الشرق وماناغالبا في الشمال الغرب . منذ ان استولى الساندينيون على سيباكو وسان ايزيدور (حيث يمكن التوجه الى ليون وشينانديغا) اصبح بامكانهم ان يعلنوا سيطرتهم على معظم الشمال. ليست الطرقات كثيرة في هذه المناطق الجبلية. وترجع الاقامة في نقاط التلاقي الى تأمين امكانية المواصلات.

يتجول مقاتلو واهالي هذه المدينة الصغيرة اكثر مما هم في ايستيلي. ليس فيها دمار ظاهر. كانت مجموعات صغيرة تجلس في الظل وتثرثر، يبدو من سيمائهم انهم يتنزهون . لكن ذلك لا ينفي اليقظة . كانت اول مفاجأة مرت عليهم ان رأوا «غرينغو» يهبط عليهم فجأة وحقيبة على ظهره، فاتجه الى ثلاثة رفاق، والسلاح بأيديهم. اظهرت لهم اذن المرور بتوقيع روبن، القائد الشهير، لكن نزعته «ثورية». اما هم، فكانوا من انصار «الحرب الشعبية المستمرة»، فكانت مناسبة رائعة لاعرف افضل معرفة. رفضوا ايوائي وارسلوني الى «الثالثيين» في سيباكو .

كان بيتا بورجوازيا في حجرة استقبال في مقدمته وصحن دار في اخره. لم يكن فيه ما هو خارق، غير انه كان يثير الدهشة بالنسبة لما حل بايستيلي من دمار. كان فيه اثاث ولوحات معلقة على الجدار. ومدورة اسطوانات تطلق موسيقى ديسكو ..اذا .. اذا ..اذا .. وكهرباء! البرهان : تقدمت رفيقة فاتنة، ومسدس في حزامها، بكأس شراب الليمون

تسبح فيه .. خمس او ست قطع جليد، كان ذلك اعجوبة .

تحتل الحجرة المركزية زمرة مكلفة بحراسة مقر القيادة ، يقوم بها بعض رفاق بين مهمتين، وسكرتيرة جميلة جدا. كان خارج البيت عشرات من النساء والرجال ينتظرون ان يعطوا اذن مرور يسمح لهم بالبحث عن عائلاتهم اللاجئة في اطراف المدينة، او عن قليل من الطعام في مزرعة مجاورة .

لقاءات ثانية. كان جينارو في الرتل الذي قاده غاتو وكوليبرا. غير انه لما كان قد قاتل قبلا، ارسل مباشرة الى سيباكو، النقطةالحساسة حيث ينقص الرجال. ان لديه الان بندقية «غاراند» رائعة لا يكف عن مداعبتها. خشب اخمصها زلجت بجانبه الواح ثبتيات قديمة. كانت جعبتا رصاص من قماش خاكي تتقاطعان فوق صدره. في خوذة وقميص اخضر زيتي، وفم موزون ولحية هندية سوداء في شعرات متباعدة ، وعينين داكنتين واسعتين لا تكفان عن التساؤل .

ـ احب ان اتحدث قليلا لاني القي على نفسي كثيرا من الاسئلة . حملت البندقية بسبب المجازر لكني اريد ان يتغير المجتمع كله. ومع هذا لست ادري جيدا كيف يكون ذلك، ما انا مقتنع به هو ان علينا ان نتخلص من هذا البؤس. لا اريد ان يكون هنالك استغلال. علينا ان نبني بلدا يتاح فيه للجميع ان يدرسوا ويشتغلوا ويعنى بصحتهم. ليتني اعرف فقط كيف يعيشون في البلدان الاشتراكية. يقول الراديو الكوبي انها حياة جيدة جدا. يقول سوموزا انها الجحيم لكني لا اثق به. الاشتراكية بالنسبة للامريكيين هي العبودية، ولما كانت صحافتهم حرة فاني لاتساءل عما اذا كانوا على حق . بيد انهم لا يعرفون شيئا عن مشاكلنا .

توقف للحظة، غارقا في افكاره. حل الراديو محل مدور الاسطوانة وراح يذيع باعلى صوته لجمعية الشبان المسيحيين القرويين . قال وهو يكاد يذهل لجملته :

ـ كان هدفي قبلا الديمقراطية.

صمت .

ـ اني اطمح لاكثر مما في كوستاريكا ـ انهم بنظامهم امتثاليون. لديهم انتخابات طبعا وسيكون ذلك تقدم لنا. غير انه ما يزال لديهم فقراء ويحل بهم البؤس. ما فائدة مثل هذا الكفاح وتضحية الشعب كله،اذا كان ذلك لنحصل على اصلاحات فقط .

ـ لماذا تعتقد ان الاشتراكية «اهم» من الديمقراطية ؟

فاجاه السؤال .

ـ ... ليس في الاشتراكية تفريق بين الطبقات ولا تنافس ابدا. ترى، مثلا، بدات دراساتي لاصبح تقنيا. لكن والدتي فقيرة ولم اشأ ان اصبح مهندسا لاستغل الشعب بدلا من ان افيده. اعتقد ان في الاشتراكية تتوفر الفرص للجميع ليصبحوا مهندسين. ان اعانة من وقت لاخر لا تحل المشاكل .

يحمل جينارو صليبا كمعظم المقاتلين .

ـ انتبه، لا اعتقد ان بامكاني ان اقول اني مسيحي حقيقي. انها عادة اكثر من اي شيء اخر. هنالك شيء من الخرافة ايضا تجاه الموت.. وان اصبح ماديا ليس سهلا .

صمت .

ـ تعرف، نحن نحزن حين يموت رفيق لنا لكننا نحزن اكثر اذا كان يحمل افكارا اشتراكية. نشعر بمزيد من الالم .

ـ من الالم ؟

ـ نعم، بمزيد من الالم. لاحظت ذلك في نفسي وفي غيري. هذا النوع من المقاتلين هم اكثر صدقا في الاغلب. انهم عموما يقاتلون منذ زمن طويل. وقدموا الكثير من الضحايا. ولهم هدف اوضح. انهم المثال للجدد. نحن نحبهم ونحترمهم. خلق ثوري كامل وواع يقتضي وقتا طويلا. يضاف الى ذلك ان في الرفاق الذين خلقوا انفسهم في الحرب شعلة .
اذا خسرنا واحدا منهم، فتلك خسارة جسيمة. سنكون بحاجة شديدة اليهم لاعادة البناء ...

شردت نظرته المستقيمة، نظرة طفل في لحية. كان كل تساؤل منه عن المستقبل مزيجا من حلم وتخوف لا يمكن فصلهما. كان واثقا من الانتصار العسكري، الانتصار على سوموزا، لكنه خائف من ان تفوته الثورة.

ـ من ناحية ثانية، لدي ما اقلق عليه. مثلا، رأيت بعض الرؤساء «الثالثيين» يفرضون فرضا . لا يدعون للشباب فرصة اخذ المبادرة وتطوير انفسهم. مع ان ذلك هدف من اهداف نضالنا. حتى انهم لا يدعونهم يفصحون عن افكارهم. ليس لاننا مقاتلين، مناضلين لا نفكر بشيء وليس لدينا ما نقول .

اصبح كلامه اسرع واكثر توترا. وضع بندقيته بين ركبتيه وراح يتكلم بيديه ايضا .

ـ في سان ماركو، كنت بانتظار الرتل، فحدثت لي قصة لم احبها

اطلاقا. قدمت لي كتابا لماركس، المرأة التي تهتم «ببيت الامن» . اخذه مني زوجها قائلا انه لا يمكن قراءة هذا النوع من الكتب في مثل هذا المكان. انه لمن الخطأ تعيين رئيس مثل هذا الرئيس. زد على ذلك اننا نحن الذين كان يتوجب علينا ان ننتخب الرؤساء.

توقف فجأة قلقا .

ـ هل تعتقد ان البورجوازية هي التي تؤثر بالثالثيين ؟ ...

تابع يقول من غير ان ينتظر جوابا :

ـ انت تدرك، اني عدت الى «الثوريين» لانهم هم الذين شنوا هجوم ايلول ولان لديهم سلاحا ومقاتلين اكثر. لكنهم يقلقوني احيانا. ومن جهة ثانية، يشغل فكري كثيرا هذا الانقسام الى نزعات. لو ان الساندينيين جميعا توحدوا حقا لشعرت بهدوء اكثر. البنادق كلها مصوبة معا وفي اتجاه واحد. واعتقد ان ذلك سيضعف نفوذ البورجوازيين الذين يحاولون حرف الثورة .

قطع الحديث فنجان قهوة يتصاعد منه البخار. اخذ يشرب منه بجرعات صغيرة ثم تحدث عن عائلته .

ـ كانت والدتي امية لكنها كانت تقول : «الشيوعية هي افضل ما هو موجود». كنت اسائل نفسي دوما، اين تعلمت ذلك. كان والدي بورجوازيا كبيرا لم اعرفه ابدا. كانت تشتغل عنده خادمة. كانت تردد منذ وقت طويل ان الجبهة هي امل الفقراء الوحيد . كانت تدرك ذلك بوضوح رغم انها لم تدرس . والان وقد ادركت افضل اريد ان اتحدث معها واتناقش .

جاء رفيق في طلبه اذ حان وقت دوره في الحراسة. نهض واخذ بندقيته .

ـ وددت لو اعرف حقا ما تعتقد هي بوجوب عمله «بعد» ...

ليس لمعظم هؤلاء المقاتلين «مستوى سياسي رفيع» ومع هذا سرعان ما يطرحون مسائل جوهرية. ولا ينطلق انضمامهم الى الثورة الى تفكير او تحليل وانما عن تجربة شخصية كانت تفضي الى طريق مسدود. فكان مخرجهم الوحيد الثورة، لا يتساءلون الا بعدها. عالمهم المغلق الذي احتبستهم فيه الديكتاتورية حرمهم من المعرفة، المباشرة او غير المباشرة، عما يكون عليه مجتمع يختلف عن مجتمعهم. وقطعت خلفهم الجسور. لكن من امكنهم ان يقيموا جسرا باتجاه المستقبل ما يزالون متشككين، مترددين. ان يقينهم الوحيد بشكل علامة استفهام : «ما فائدة ان نتعذب

الـى هذا الحد في سبيل شيء من الاصلاحات؟» كما تساءل جينارو .

انهم على استعداد لكل شيء لهجر مجتمع يعرفونه، مجتمع عذبهـم لا يريدونه ابدا. هذا الهجران يطلق رغباتهم. ان قوة اليمين، في مكـان اخر، يمكن ان يكون مصدرها في الاغلب انها قتلت حلم الاشتراكية. وقوة الساندينيين هي اذا لانها قدمتها قيادة ليس لها نظير ولانها تعهدت بـأن الامل ما يزال ممكنا على هذه الطريق . قال لي جينارو : «انا مقتنع بـأن كـل ثورة جديدة يمكن ان تنطلق ابعد من الثورات التي سبقتها. واود لو اعرف جيدا ما تصبح عليه ثورتنا. غير انه بانتظار ذلك المسألـة ، علينـا ان نصنعهـا » .

جيش الغـــــد

حديـث القائـد لويس كاريـون

نريد ان ننشيء جيشا صغيرا نسبيا لكنه سريع الحركة شديد القتالية. عليه، اخذين بعين الاعتبار تجربتنا السابقة، ان يرتبط الى حد وثيق بالقوة القادرة على التكامل مع مهام الدفاع عن الثورة في اي وقت كان. وهذا هو الدور الذي ستقوم به المتطوعة لوقت، في حين نكرس معظم جهدنا لتنظيم القوة النظامية الدائمة. ننتقل بعد ذلك، حين تصبح لدينا الوسائل ، الى نظام اكثر شمولا ونضجا، نظام القوة المدنية الاحتياطية المؤلفة من اناس يظلون مرتبطين بالبنية العسكرية الدائمة، بعد تاديتهم الخدمة العسكرية الالزامية.

ولد المتطوعة في مرحلة ثورية لمجابهة طاقة العدو المادية المتفوقة. كنا انذاك مضطرين للجوء الى الاف الرجال لنتمكن، بخمسة منهم، من تجميد بندقية عدو اقوى من بنادقنا وتتمتع بحجم نار اكبر منها. لم نعد الان بحاجة للمتطوعة بعد ان اصبحنا في وضع ليس وضع حرب وتجاوزنا هذا الضعف المادي بفضل استيلائنا على اسلحة العدو بالضبط. ان ابقاء المتطوعة يستحيل اقتصاديا وعسكريا. على المتطوعين والمتطوعات ان يندمجوا ثانية في النشاط الاقتصادي والاجتماعي والسياسي للبلد ويعبروا فيه عن قتاليتهم. لن تفقد القوة العسكرية النظامية طابعها الشعبي وهي تنتظم افضل فافضل دفاعا عن الثورة. بالعكس، تتيح لنا الخدمة العسكرية الالزامية ان ندرب الشعب في شروط طبيعية. سيكون لدينا اذا، مع الزمن، الاف المتطوعة ، لكنهم غير مسلحين باستمرار ولا مرتبطين باستمرار بحرب ليست قائمة، قادرون على حمل السلاح في اي وقت تظهر فيه الحرب فعلا.

ليس لدينا بعد ارقام صحيحة عن تاليف جيشنا. يبدو لي مع هذا ان الغالبية العظمى

من مقاتلينا هم عمال من المدن ومن الارياف وطلاب متوسط اعمارهم عشرون عاما تقريبا . وبينهم ايضا عدد كبير من النساء لكنا نتناقش في الوقت الراهن لمعرفة فيما اذا نبقيهم في الجيش النظامي الدائم. اظهرت التجارب بوضوح انه يفضل ان يعهد اليهن بمهام اخرى. قامت الرفيقات اثناء الحرب بنفس مهام الرجال، من مستوى المقاتل البسيط حتى القائد، ولكن قد يتالمن ان استمررن بوتيرة التدريب العسكري الكلاسيكي. نرتأي اذا جمع النساء ثانية في ارتال خاصة مكلفة بنماذج من الاعمال، في حين ينضم رجال فقط الى الوحدات النظامية. في مثل هذا الوضع، علينا ان نتطرق الى هذه المسالة بحذر شديد لان بعض الرفيقات لا يوافقن على ذلك ويرفضن نهائيا هذه الفكرة التي يعتبرنها ابخاسا لقدراتهن .

التسلح احد اشد مسائلنا جدية . مضطرون للبحث عنه من البلدان الاجنبية. لكننا لا ننخدع بنتائج مسعانا. مما يدفعنا لان نتاهب لطلبه من بعض البلدان الغنية المعروفة بموقفها المناهض للامبريالية، كالبلدان العربية، مثلا. نحاول في الوقت الراهن ان نتجهز من البلدان الراسمالية لاسباب سياسية واضحة. فوجود سلاح اشتراكي فوق ارضنا قد يصبح حجة رائعة لشن حملات دولية لن يتوانوا من خلالها عن اعتبارنا شيوعيين، سوفييت، الخ. لكنا منساقون، بضعف وسائلنا، الى محاولة حل المسالة، على الاكثر بقدر ما يمكن، بشكل منح، وليس ذلك بالسهل. ولحسن الحظ ان بعض قطاعات من البورجوازية النيكاراغوية ادركت منهجنا فبدا لها معقولا ان لم نجد اسلحة من الجانب الراسمالي، فنطلبه من البلدان الاشتراكية .

حظينا، بالنسبة التدريب التقني ، بمساعدة الحرس الوطني البنامي، وبنسبة اقل، من القوات المسلحة الثورية الكوبية وبعض الحركات الامريكية اللاتينية. وتلقينا مقترحات لتاطير الجيش وحتى تدريبه ـ عدا عن بناما وكوبا ـ من الشيلي والبرازيل وتايوان ، مساعدات وممولات سوموزا التقليديات. ذلك كله جزء من المخطط الامبريالي الذي يسعى ثانية للنفوذ المباشر بالابتزاز بالتهديد وتوسط الانظمة المرتبطة به مباشرة جدا .

تطرح علينا المساعدة التقنية مسائل ادق ايضا من التسلح. فهي تمكن من يقدمونها من محاولة التاثير بنا ايديولوجيا ومعرفتنا والاطلاع على اقصى حد من الامور التي تعنينا. لم نرفض كل هذه المقترحات، مع اننا لا نستطيع ان نقبلها كلها. نحن بالاحرى ، ننزع الى ان نتوجه الى بلدان كالمكسيك وفنزويلا .

الاربعـــــاء ١١ تمـــوز

الحياة هي التـــي قادتني الـــى الثـــورة

الساعة ١١ ـ لدى خروجنا من سيباكو باتجاه ماتا غالبا، كانت كومة واسعة من الرمال وسط الطريق تعيق المرور. كان مركز الحراسة يسهـر عليه قرابة عشرة متطوعين اعمارهم بين الثانية عشرة والسادسـة عشرة. بندقيتهم بلا رصاصة واحدة تغذيها. رئيسهم اكبر منهم بوضوح، يقـارب العشرين . في لحية، يرتدي قميصا اخضر دمغت فوقه الاحرف الاولـى مـن : «الحرب الشعبية المستمرة». كان مقاتلا اصيلا عرف حياة التخفي والمغاويـر .

كان التنقل ، الذي انخفض جدا ، لا يبرر انتظارا على قارعة الطريق، فقـادني الى ظل سقيفـة اقام تحتهـا مقر قيادته . قدم لي قهـــوة ساخنـة . كان سبعـة او ثمانيـة رفاق يستريحون من عناء دوريـة ليلية قاموا بهـا في الاطراف المجاورة . علق المضيف قائلا « نحن خشنون ، ننام حتى على الارض » . ثم قال انه رآني عند الثالثيين ، ولسرعـان مـا بدأ بالنقاش السياسي : « نحـن لا نقاتل طاغيـة فحسب وانما لنغير ايضـا نظاما بكاملـه يستند اليـه . ولهذا يجب اعـداد الشعـب قبـل زجـه بالمعركـة » .

ـ يظهر مع هذا ان الهجوم الراهن قد حمي ، فمـا الذي تأخـذه عليـه ؟

ـ يتقدمون بسرعة شديدة ناسين تأمين الدفاع عن المؤخرة. يمكن للعدو ان يرتكس في اي وقت . اذا كشفنا عن انفسنا كثيرا، لن تكون لدينا منطقة نلتجىء اليها لضمان استمرار الحرب . ونحن متأكدون من تدخل عسكري اجنبي وان كل شيء سوف يسوى في شمال البلاد . ولهذا نصر على شعارنا : « سوف ندفن قلب العدو في الجبل ! » واضيف ، من الناحية السياسية ، ان اعلان ثورة مبكرا يؤدي الى ضحايا بلا طائل بين المدنيين . انظر الى ايستيلي ! كان يجب اعدادها تماما كي تنجح . يجب تثقيف الشعب ليتمكن من احراز نصر سريع ثم يسير بلا عائق في طريق الاشتراكية .

هذه « الاطر الوسيطة » ، التي دخلت الجبهة في اسوأ أوقات الانقسامات ، تشعر ، اكثر ايضا من السابقين والجدد ، بكثير من العناء لتبني مواقفها من التحركات السياسية القائمة والالتقاءات والتقربات . نجد المشكلة نفسها بالضبط في كل من النزعات الثلاث .

ـ لكن كيف تجد الوحدة الساندينية ؟

ـ تحالف تكتيكي ، هذا كل شيء . قرر رؤساؤنا خوض هذه المعركة معا لكن لا بد من اعادة النظر في هذا بعد ذلك .

ـ أليس التحالف التكتيكي في مصلحة البورجوازية ؟

ـ طبعا، لكن البورجوازية وجدت مصلحتها في الثالثيين، اذا ...

قطعت النقاش نداءات من المتطوعة . توقفت شاحنة عند كومة الرمال ، ثم توجهت الى ماتاغالبا .

بينما كنت احتل مكاني في حجرة السائق المليئة من قبل، قص علي متطوع في الرابعة عشرة القصة التالية ، وهو أقرب الى مبتسم ومنسحر :

« في شاغويتيلو ، على بعد عشرة كيلومترات من هنا ، كان حارس ساحر لا يريد ان يموت . حاولوا في البداية اطلاق النار عليه بالبنادق . لكنها كلها استعصت واحدة بعد اخرى . أخذوا بعد ذلك بندقية فال لكنها لم تعمل ايضا . حينئذ خطر في بال بعض الرفاق ان يلجؤوا الى السكاكين لكنها لم تشأ ان تدخل في جسمه . وضعوه على حافة الطريق ومروا فوقه بشاحنة . لم يؤثر فيه شيء . الى ان خطر في بال رفيق ان يرسم الصليب فوق جبينه . عندئذ عملت البنادق وقتل. بعد عدة ايام من دفنهم له سمعوه يضحك ايضا في قبره . لربما

يهمك ذلك ؟ » .

اكد السائق بهز رأسه المرهق، لكنه رفض ان يتكلم حول ذلك . ران صمت في الحجرة .

شاغويتيلو . تقع بالضبط في بداية الصعود نحو ماتاغالبا . واجهتنا كومة رمال جديدة وسط الطريق ، تزينها هذه المرة خوذة حارس في رأس عصاة . كان رفيقان يجلسان في الظل فوق مقعد خشبي والسلاح فوق ركبهما ، وبيت صغير ينزوي قليلا كان يجد فيه المرء في الزمن الطبيعي البيرة والكوكا كولا . تقع القرية على بعد ٥٠٠ م. من هنا ، تخفيها كلية الاشجار . سكانها متعطلون عن العمل ، يأتون من وقت لاخر يثرثرون مع الرفاق ويستطلعون الانباء . ليس لديهم شيء آخر يعملونه .

اكد الجميع ما قص علي . قال رجل ضخم في شارب مشيرا بذراعه نحو اوراق اشجار نبتت حديثا : « ذلك هو قبره » . ان لورينزو مسؤول سانديني عن قطاع . كان يفك سلاحه ويتناقش مع جمع من المدنيين .

ـ اعذرني ان ازعجك . انا صحفي واريد فقط ان اعرف فيما اذا كنتم قد قتلتم هنا حقا حارسا ساحرا .

استمر في هدوئه وهو يمرر المسحة بعناية في قلب سلاحه ، ثم رفع رأسه غاضبا ، لكنه تمالك نفسه . قال بصوت جاف قبل ان يرشقني بابتسامة خبيثة :

ـ لست ادري . مثل هذه الامور لا تحدث ولو حدثت مثل هذه القصة لعرفتها ... نحن في اجتماع لتسوية بعض مسائل التموين والانتاج. وتلطف ودعنا نتابع .

لا جدوى من الالحاح . عيناه مع ذلك تدعوان الى التفكير بوجه خاص انه لا يريد ان يعترف بالوقائع .

ـ اتريد ان تظهر لي اوراقك وتتبعني من فضلك .

بعد عشر دقائق ظهر لورينزو بالشكل الذي يحلو له ، في حين كنت انتظر خارجا مستاءا من معتقده . جرني بعيدا عن الاذان الواشية.

ـ بأي شيء افيدك ؟ هذه القصة حقيقية ، لكنني رفضت ان اتحدث عنها كي لا تولى أهمية .

ـ مع كل تفاصيلها : البنادق والسكين والصليب فوق الجبين ؟

ـ بكل تفاصيلها . قدت الشاحنة بنفسي . مررتها عدة مرات فوق

جسمه ، بلا نتيجة .

ـ ماذا شعرت في الحال ؟

ـ بالسخط وعدم الادراك . ثم انه كان يضحك اضافة الى ذلك ، والقرية كلها تنظر اليه ..

ـ ماذا تعتقد اليوم ؟

ـ لست ادري . انا مادي ومن الطبيعي الا اعتقد بمثل هذه الامور. لكن ذلك .. اضطررنا للتوقف فيما بعد في حافة الطريق وسط جبال . كانت منطقة غنية . فيها مراع وساحات لتجفيف الحبوب وسياجات اعتني بها بدقة . أغلب بيوتها صلبة اكثر مما هي عليه في أماكن اخرى ، تحيط بأغلبها جدران من احجار رباط واسلاك شائكة. خرج من احدها شاب في لحية وصاحب مرآب و « ضابط صحة » يقارب الخمسين ، يصحبه ابنه ، ومحام . هربوا من معارك ماتاغالبا، انتهزوا الفرصة للثرثرة وتسقط شيء من الاخبار والاطمئنان واقناع الاجنبي .

لم يخش اكبرهم سنا من القول وهو يحك حنكه مفكرا، ـ المستقبل مشكوك فيه كثيرا .

ترك لحيته تنمو ، دليلا واضحا على الانتهازية .

ان المهن شبه الطبية موبوءة بعملاء سوموزا ...

تكلم صاحب المرآب بدوره ، يريد ان يطمئن نفسه :

ـ لا يمكن للشيوعية ان تنتصر هنا لان الحرب يمولها الرأسماليون.

ـ ما يضجرني بالساندينيين تكذيبهم لبعضهم بعض بلا انقطاع . لا اعرف شيئا كثيرا عن قصص نزعاتهم . لكني استطيع ان ارى الثالثيين في مستوى افضل ... لديهم بنادق م ١٦ .. وهم بيض .. مثقفون. انهم في مستوى مدرسة تجهيزية على الاقل . يضاف الى ذلك انهم نظيفون جدا وفي ثياب جيدة . بينما لورينزو ، مثلا ، رئيس كاغويتيلو ، عرفنا انه من انصار « الحرب الشعبية المستمرة » بهيأته القذرة .

تدخل المحامي ، وهو في جلد كستناوي صاف جميل يستقطب النظر : ـ يمكن ان يكون المواطنون في لون برونزي مثلي ، لكنا لسنا سودا ابدا مثلهم . يضاف الى ذلك انهم اميون ، مما لايجعل العلاقة سهلة مع السلطات الجديدة .

أوضح المحامي ، لا سيما من ناحية القضاة : ـ ثمة فساد كثير . لكن

لا يمكن تجنبه. لا يتناولون غير ٢٠٠ قرطبة شهريا وعليهم ، رغم كل شيء ، ان يبرهنوا على شيء من المنزلة . مضطرون لان يكون لديهم بيت جميل وثياب لائقة ويقيموا حفلات ... كيف تريد ان يتوصلوا الى ذلك .

استأنف والده : ـ اما فلاحونا فيعيشون في بحبوحة ، كما تعرف. يدفع اليهم دولارين يوميا . ثم سكنهم وغذاؤهم . لديهم ما يأكلون : فاصوليا وذرة ، يعيشون بهما بلا مشقة . أسفا ، لما كانوا لا يعرفون الحساب ، يصرفون نقودهم قبل ان يربحوها ، في اغلب الاوقات . يأكلون بشراهة في الكانتينات التي يقيمها معظم الاسياد فوق ارض المزارع بالذات . شعبنا هو على هذا النحو ، ماذا تريد . لكنه تعود على ذلك . لا يريد ان يغير حياته اطلاقا . والذين يحاولون التخلص منها ينتهون دوما بالوصول الى ذلك .

تدخل صاحب المرآب : ـ تحدث احيانا قصص مع دكاكين السيد، لان رؤساء العمال يستفيدون من وقت لاخر على حساب احد العمال الكادحين . تحدث هذه القصص من سيء الى اسوأ في الايام الاخيرة . غير بعيد من هنا ، صفوا رئيسا بضربة ساطور ...

توقف « ضابط الصحة » لحظة ، وكأنما ليحكم خير حكم على الصمت الذي أعقب كلماته ، يبدو شكه متضاربا : ـ ذلك كله ترهات. لم يحدث ذلك عندنا منذ وقت طويل...

ثم تابع قائلا : « واخيرا ، نحن نعيش وهذا هو الاساس» .

توقفت سيارة ويللس حمراء واخذتني على متنها حيث كان هنالك ثلاثة مدنيين ومقاتل واحد . المدنيون يعودون من ليون حيث ترتب عليهم تنظيم مشاكل التموين . يدعى الرفيق « جيمي هندريس » . سلاحه الوحيد « نيبل » يشتعل بسيكارة . يرتدي مع هذا بزة قوية ويحمل كمامة غاز يغطي بها وجهه من وقت لاخر في حالة ... القى خطبا مطولة غير مفهومة يبدو انها جزء من عمليته . يتدلى عقب سيكارة بين شفتيه باستمرار ، في حالة ...

ان الدخول الى ماتاغالبا عملية فاحشة . كان الحرس الذين طردوا من وسط المدينة منذ ايام قليلة بالكاد ، قد التجأوا الى رابية تسيطر عليها . يسيطرون منها على كل شيء تقريبا لا سيما المداخل الطبيعية، بوساطة رشاشات من عيار ثلاثين وخمسين . يجب اذا ، على بعد كيلومترات من المدينة ، أخذ طريق ترابية واجتياز نهر ماتاغالبا ، تحت

ترصد نار اسلحتهم . كان يسقط قتلى بانتظام ، لكن من هم اسرع واوفر حظا ينجحون اثناء مرورهم .

الطريق ترابية تشبه كل الطرق الترابية ، من اخاديد واحجار ضخمة ومستنقعات واسعة من الطين ، ومخاضة في نهاية الطريق . توقفنا محتمين بالاشجار لتقدير الموقف . كانت الشاحنة متوقفة وسط الطريق . راح الرفاق ، وهم يشيرون الى الحرس في الجهة الثانية ، يقدمون نصائح بأعلى صوتهم يصعب فهمها بسبب هدير السيارة والمياه. اجتزنا خمسين مترا بعمق قرابة متر واحد ومررنا بثغرة هائلة من اغصان محطمة . الى يسارنا ، كانت الروابي تطل علينا بسيماء مهددة، تشير اليها حواجب السحب السوداء .

توغلنا . اقتربت من الباب الخلفي وحقيبتي فوق بطني . كنت أتوهم . لقد رأونا . ان قصف الرشاش لا يخدع احدا . كان من عيار خمسين . كان أزيز الرصاص يظهر انه يشير الى انه يمر على ارتفاع قرابة متر من رؤوسنا . صعد الماء وبلغ رفاريف الشاحنة . نحن في وسط النهر . الرفاق أمامنا يقومون بحركات واسعة من اذرعهم ويستمرون في الصياح . أعتقد انهم يقولون ان علينا الا نمر . لكن السائق يأبى ان يعرف شيئا . توقف المحرك بعد امتار قليلة ، في اسوأ مكان طبعا . استمر الجانب الآخر ،في الاعلى ، يرشقنا رشقات قصيرة بوابل من الرصاص . راحت اوراق الاشجار الممزقة تتطاير حولنا .

لا سبيل الى التردد . بلغ الماء حزامي . حرصت جدا ان أدع سيارة الجيب بين الرشاش وبيني ، فالتجأت فوق الشاطىء . سمعت اخيرا الرفاق يصيحون : (انتبهوا ، لديهم رشاش فوق الرابية التي تقنصنا!) شكرا. حاول جيمي بكل يأس ان يعيد تشغيل السيارة . لم ينجح. انتزع لمرة ، مرتين ، اعشابا كبيرة من المحرك الذي لم يحوزق ابدا. كان مغرقا .

خرج جيمي من الجيب ورفع غطاء المحرك وهو بالكاد ان يحمي نفسه من الرصاص . كان منتفخا . راح يقلب بعناية شيئا لست اعرفه عنه كثيرا . اشتغل المحرك ثانية . أغلق غطاءه وركب ثانية . أقلع الجيب ايضا .. ثم تنحنح على بعد خمسين سنتميترا بالكاد . خرج جيمي ثانية . روض المحرك كما فعل قبلا .

غادر مسافر آخر السيارة وعادت الحياة الى المحرك . عبر الجيب

اخيرا . اوضح لنا الحراس حظنا : يظهر ان جنود الحرس قد نقلوا الان رشاشهم ولم يتخذوا معاقل لهم بعد . انتقلنا ثانية . نحن في ماتاغالبا . تقع في مكان أعلى من ايستيلي وتنحصر اكثر بين الجبال. للمدينة وجه هندي أشد . تمتد بامتداد النهر في محور شمال ـ جنوب . في غربها ، اضافة الى الرابية التي نصب فوقها الحرس اسلحتهم الثقيلة ، يحتلون ايضا مباني قليلة هي اساسا مدرسة يسمونها «المعهد» ، والمستشفى . كان شريطا يشكل امتداد المدينة كله تقريبا لكن سكانه قليلو العدد . حرر الجزء المأهول منه منذ ايام قليلة، ويقع في الغرب بين النهر وروابي اخرى ما يزال معظم بيوتها مشتبكا مع العدو .

اجتاز جيمي التجمع السكني ، وهو سفح في طوابق منخفضة ، ثم تركني على بعد تسعة تجمعات بيوت من مقر قيادة لوبه مورينو العام حيث اجتمعت بالمسؤولين الساندينيين في ماتاغالبا . اشعرني متطوع لطيف بأن تسعة تجمعات بيوت تعني ثماني تفرعات طرق (منافذ شوارع حرفيا) ، اربعة منها لا تطرح مشاكل خطيرة ، شريطة ان يركض المرء ، والاربعة الاخرى تقع مباشرة تحت نار القناصة الذين اقامهم الحرس الوطني في المعهد والمستشفى والذين يلهون بقنص كل من يتحرك . « يسقط قتلى كل الايام » . ربت فوق كتفي تربيته واسعة مشجعا وقال : « حظا سعيدا » .

لا شيء في التفرع الاول ، لا احد . رحت أركض من غير ان ادري السبب ، كالابله .

لا شيء في التفرع الثاني . هل يبالغون ؟

امام زاوية من الشارع الثالث بالضبط ، كانت وحدة من المقاتلين تتنشق الهواء خارجا وتحتمي ببيت ، يجلس افرادها فوق كراسي في الشارع . راحوا يتكهنون بمرح : « هيه ! ايها الغرينغو ! جئت تقتل نفسك لذة ؟ »

التفرع الرابع . حاول رفيقان ان ينفذا بوساطة سلم الى حديقة بيت مهجور ، مستهدفين شجرة مانغا محملة بالاثمار . كانت المشكلة حماية الثاني في قمة الجدار حيث يشبه كرة بينج بونج تمسك بها فوارة ماء كهدف متنقل .

التفرع الخامس . اصبحت الامور اشد خطورة . كانت صبيتان تجتازانه راكضتين ، تمسك كل منهما بيد الثانية . انطلق ازيز

الرصاص . حاول القذر المتمركز في الجهة الثانية ان يتمكن منهما ببندقيته « الجليل » لكنه اضطر لان يكتفي بأن يجعل البقايا الهيكلية لشارة ضوئية ترن . كانت صدمات الرصاص في جداري زاويتها تشيران الى انه قد أخطأ محاولته .

كانت امرأة في الاربعين ، في بطن حدبتها سلسلة طويلة من الحبل، تستند الى باب بيت منتظرة . تمسك بيدها اليسرى صبيتها البالغة عشرة اعوام ، وجرة معدنية بيضاء مليئة حليبا بيدها اليمنى . تقف هنا منذ العاشرة صباحا رافضة ان تجتاز الشارع . الساعة الثانية بعد الظهر . لقد صرعت فتاة امام عينيها منذ وقت . ابنها البالغ عامين ظل مع جدته على بعد نصف تجمع بيوت من هنا . سمعتها تبكي: « ليس باليد حيلة . حتى الله نفسه لن يجعلني اتحرك » .

قدم من الجهة المقابلة رجل يمسك بيده اليسرى صرة ثياب هزيلة، بالكاد ان القى نظرة باتجاه الشرق ثم اجتاز الشارع راكضا . كان اسلوبه رائعا . راحت الشارة الضوئية ترن ثانية وتطايرت بعض ادوات من سقفها مزقا .

وصل رفيقان . « لا تخافي ايتها السيدة ! سنطلق عليه النار ويمكنك ان تستفيدي من هذا الوقت لتعودي الى بيتك ! » اتخذا وضعيتهما وركبهما ارضا ، واطلقا عشرات من العيارات النارية ببندقيتهما . خرس الآخر . تهللت المرأة جذلا وهزت جرة الحليب دلالة على النصر : « آه ! لقد خاف من الشباب !» لكنها لم تجتز الشارع. ان الرفاق انفسهم لم يجعلوها تتحرك .

قبل بيتين من التفرع السادس ، كانت جدة تجلس فوق كرسي مستدير امام عتبة بابها ، اوقفتني باشارة من يدها . « آه ايها السيد لو تعرف كيف عذبنا ، لو تعرف كل المجازر التي ارتكبها . انا حبيسة منذ ثلاثة اسابيع مع أختي التي هي في سني تقريبا . عمري اثنان وسبعون . لا نجرؤ على الخروج . لحسن الحظ ان الشباب يحملون الينا طعامنا . هل تراني اركض لاجتاز شارعا مثل تلك ؟ انا التي اعاني من المشي ! » لمحت من فتحة الباب اختها التي كانت منهمكة في الظل . كان داخل البيت لبورجوازي صغير ، بيتا متواضعا يتكهن ان كل ما فيه من شباب قد هجروه منذ وقت طويل . تعيش العجوزان الصغيرتان وحدهما . « لا افهم كيف انه ما يزال هنالك اناس في العالم يؤيدون هذا المريض بعقله » .

التفرع السابع : لا أحد . كان صليب بدائي من خشب ينتصب في زاوية من جدار . از الرصاص . مر الرصاص في مستوى ردفي .

التفرع الثامن يظهر عن بعد الاخطر اذ يجب القفز في مرتفع ، مما لا يناسب عند الاقلاع . واضافة الى ذلك ، ان احد البيوت المدمر في زاوية ، يجعل بفراغه المكشوف القناصة يصوبون طوال الوقت . لبثت متجمدا خمس دقائق من غير ان اتمكن من ان اتقدم خطوة واحدة، الى ان خطر في بالي ان امر بجزء من الثانية بعد مجموعة جاءت من الاتجاه المعاكس ... يمر المقاتلون الاقل خبرة وهم يطلقون رشقة من سلاحهم . لا احد يدري فيما اذا كان ذلك يخيف العدو المتحصن جيدا ، لكن فائدة الصوت على الاقل تجعلهم هم انفسهم يطمئنون . حين يتجولون بأعداد كثيرة ، لا يمرون واحدا واحدا . من النادر ان يطرح الشارع الاول مشاكل لكن الكلاب ينتظرون في الشارع الثاني . يتركون الناس يمرون في الشارع الاول ويكون من خطهم ان يبلغوا الشارع الثاني او الثالث. يجب التقدم مجموعات صغيرة وتحطيم الوتيرة والاجتياز معا جميعا ، واذا كان أحد في سيارة ، عليه الا يتبع سرعة وحيدة الشكل .

انها حقيقة فظة تقتل من يحاول ان ينساها . لا يمكن عمل شيء آخر غير التعود . التعود لان هذه اللعبة اللعينة قد اصبحت المسلمة الاساسية للحياة في ماناغوا . يتألم منها قليلا المقاتلون الافضل اعدادا ، ويخسر فيها المدنيون ، لا سيما الاطفال .

من اعجوبة المقولة السياسية : القناصة والشوارع الواقعة تحت نار العدو والجرحى والقتلى ، لم تمنع الساندينيين من القول انهم يسيطرون ستراتيجيا على المدينة .

يقع في اخر تفرعات الشوارع الثمانية مقر القيادة لوبه مورينو، وهو نوع من ثكنة مركزية للقوات الساندينية في ماناغالبا .اقيم في مدرسة دينية حجمها مدهش . يشكل المبنى ، عند خاصرة الرابية كبقية المدينة ، نوعا من حرف «L» ضخما ، جزؤه الاكبر موازيا للنهر ، فالرابية اذا ، في حين ينحدر جزؤه الاصغر نحو الخارج فيعطي بذلك نوعا من ملجأ . طابق المبنى الارضي وباحته في مستوى ادنى ، يحميها تماما جدار وبيوت مجاورة . قلعة مثالية وضعت تحت امرة هندي من عرق نقي في جانبية وجه لنسر ، يدعى كاميلو . تحت امرته اكثر من ٢٠٠ شخص ، من مقاتلين ومتطوعة واسرى . مقر

قيادة لوبه مورينو هي المركز الحساس في ماتاغالبا ، يسيطر عليها الساندينيون ستراتيجيا .

حل محل رجال الدين الشهيرين ، الذين كانوا قبلا يسهرون على المدخل ، متطوعة فتية ، يحرسون ، جالسين بهدوء عبر الباب . اكتفى الحارس ذو اللحية ، عند وصولي ، بوضع البندقية عبر الممر واخمصها نحو الاسفل ، وهو يمضغ بلذة قرص ذرة محشوا فاصولياء كستان عشاؤه . نظرة الصبيات المحيطات به أعطته اليقين بأهميته ودفعته ليستغلها . لهذا اخضعني لرقابة صارمة .

تجاه باب المدخل ، يقع مكتب « المشرفة العامة » الصغير ، يحتله المسؤول عن الاسلحة،وقد انتهى من اصلاح مسدس على ضوء شمعة. الى اليسار ، بعض اسرى بارزين ، أبرزهم نائب سابق ، ضخم مثل سيناتور. في حجرة سلم ، امراة جريحة ، اتهمت بأنها كانت خليلة حارس ، تستريح فوق فراش على الارض مباشرة . ابنتها في العشرين متطوعة.

الى اليمين ، تمتد شرفة واسعة بشكل حرف «L» . احتفظت قاعات الصفوف بأرقامها لكن اختصاصاتها قد تغيرت فأصبحت صيدلية جمعت فيها كل الادوية التي اخذت من المدينة . ومستودعا ضم اكياس فاصولياء وذرة وسكر ، حتى ان فيه زيتا وصابونا . تتربع ثلاث زجاجات نبيذ فوق رف ، لا يدري احد كيف وصلت الى هذا المكان ، لا يمسها احد . ومخفر شرطة في مكتب صغير لمراقب المدرسة . وقاعدة متفجرات تصطف فيها بعناية « النيبل » على الارض بجوار « الالغام الفيتنامية ، وهي دلاء معدنية مليئة بالبارود والخردق. اذا احسن توجيهها يمكن ان تقضي على ثلاث سيارات جيب متتابعة. وديناميت وبارود اسود وصواعق وضعت كيفما اتفق فوق الطاولات. هنا يوجد ما ينسف المبنى كله واكثر بقليل من غير ريب .

اتخذت قاعة الصف المجاورة سجنا لقرابة ثلاثين حارسا سابقا . كانت متطوعة تجلس بهدوء فوق كرسيها ومسدس في حزامها ، ما زالت تحتفظ بيدها بخيط طويل ، لتبقي الباب مغلقا . .

في طرف الشرفة ، تقع غرفة كاميلو ، فيها سريرا ميدان وطاولة وبضع كراسي وركام عجيب يأتي الجميع ينهلون منه على هواهم ، من كتب ونشرات وقنابل يدوية وخزانات رصاص وقماقم كسكاكر وبينسات. ومفكات براغي وبطاريات كهربائية وادوية ، الى آخره . ان كاميلو لشخصية يحتاجه الرفاق لخبرته كمقاتل ولاخلاصه ، بينما هو كان

بالاحرى ان يرقد فوق سرير مشفى . كبير جدا ونحيف جدا ، لا بل مريض ، في جرح لم تتح الثورة له الوقت ليعتني به . عيناه ، في آخر مجحريهما ، كيستان ، ذكيتان ، متحمستان ، حازمتان ، يملؤهما الانفعال في وقت واحد . يرتدي اللون الازرق في كل قامته ، تعلو رأسه طاقية صوفية حمراء وسوداء ، لونا الجبهة الساندينية ، حياته كلها .

« وما جعلني ثوريا هي ضرورة الثورة » . استقبلني كاميليو في حجرته الصغيرة ، في نهاية شرفة مقر القيادة . الرجل من جنس عريق ، متصلب ، اشبه بشخصية سان ـ جوست ـ الذي خدم الثورة الفرنسية ـ . كبير جدا ، نحيف جدا ، في لون كامد وشعر اسود وأنف كبير ووجنتين بارزتين ووجه كنصل سكين ، يقارب الثلاثين . قال لي « ستة وثلاثون عاما » . من مجتمع مونيمبو في مازيا . في هذه المدينة شنق آخر هندي ثائر أيام الاستعمار . انا أحد ابناء سلالاتها وافخر بها . نحن السكان الاصليون لنا حقوق اكثر ومسؤوليات اكثر من اي احد لاننا ورثة من كانوا اول من كافح هذا النوع من الاضطهاد في هذه القارة » .

جمله ، نبرات صوته ، افكاره الحازمة ، الرقيقة ، ليس فيها ابدا ما يحتمل المبالغة ،مثل صورة قصته الرقيقة : اربعة عشر اخا من ناحية والده وست اخوات من ناحية والدته التي عاش معها . « كانت تستيقظ في الثانية صباحا لتعمل اقراص الذرة » التي تبيعها اخواته في السوق . كان في السابعة من عمره عاملا في مزرعة ، ثم اصبح عاملا في معمل جليد .

« سرعان ما أدركت ان هذا المجتمع كان فاسدا ويجب ان نتخلص من سوموزا . اعتقدت ايضا بالمساواة ، حينئذ انتسبت الى الحزب المحافظ. بيد انه كان علي ان اسألهم السماح بأن احدثهم . كانوا يمضون وقتهم بتنظيم اجتماعات وشرب الغوارو ، المشروب المحلي . لم يكن لدي نقود، وقد ربتني والدتي تربية صارمة . عندئذ قلت لهم : « هنا لا نتعلم صنع الثورة وانما الشرب وقد انتقلت الى الحزب الاشتراكي ، الذي هو عندنا الحزب الشيوعي » . هنا قلت : اريد ان اتعلم القراءة واريد بطاقة الحزب .

ـ يجب ربحها .

ـ كيف ؟

ـ بتوزيع مناشير ببيع الصحف .

ـ حسنا، اعطني منها خمسا وعشرين .

« بعت الخمسة والعشرين منذ المحاولة الاولى ، ثم خمسين، ثم خمسا وسبعين ، ثم مائة . حتى انه في يوم خمسمائة . لم يتوصل اليها اي من اعضاء حزبهم ابدا ، قالوا لي :

ـ تعال نشرب البيرة احتفالا بذلك . سيتكرر ذلك بشرب الكحول. قلت : كلا ! اذا كنتم تقيمون احتفالا لاني بعت خمسمائة صحيفة ،فماذا تفعلون من اجل الامين العام ؟ لا عبادة للشخصية . سأحاول الاتصال بالجبهة الساندينية . أجابوني :

ـ انهم مغامرون لم يفعلوا شيئا خطيرا جدا وقد وقع بينهم الكثير من القتلى .

مع هذا توجهت اليها . كانت والدتي تشتغل آنذاك عند طبيب قالت لي عنه انه ربما يكون ساندينيا . لم تكن تعرف جيدا مثل هذه الامور كلها ، لكنها رضيت بأن تجمعني به لانها ارادت ان اكون رجلا طيبا ـ buer hombre

« لم يكن الطبيب في الواقع غير عضو في اتحاد الطلاب الثوري وليس من الجبهة الساندينية للتحرر الوطني بشكل مباشر . ومع هذا ساعدني بجمعي بنقابي وعلمني القراءة والكتابة . ان كون المرء اميا لامر رهيب ، يضفي عليه مركب نقص . أردت ان اتعلم لكني لم اشأ ان اقول اني لا أعرف . ارتني صديقة يوما شيئا مكتوبا في جريدة . لم اقو على الاعتراف بجهلي حتى لها . شعرت بجهلي عاهة . ما قادني الى الثورة ليست الثقافة انما الحياة . رأيتها صوفية ، ضرورة . عرفت بعد ذلك من خلال قراءتي ان الماركسية هي الحل الوحيد . لكني كنت قبلا ماركسيا بالممارسة . لبعض الاشخاص علاقة طريفة بمثل هذه الامور . اشتغلت في وقت عند محامي متعاطف لديه كتب ماركس ولينين كلها . رغب جد ان اقرأها لكنه طلب ان احافظ حتما على ترتيبها في رفوف مكتبته . لم يحق لي ان اقرأ جديدا منها الا بعد ان اقرأ الاول كي لا اعطي الانطباع عن بعثرتها . لم يمنعني ذلك من قراءتها كلها » .

حملت اليه رفيقة عشاءا خاصا ، من خضروات مطبوخة وقليل من اللحم وثمرة المحامي وعسل . دفعه الشعور الى انني قد تضايقت ، اذ شعر بحاجته الى تبرير ما ظهر امام عيني امتيازا لقائد .

« اعذرني ، اني اكره هذا لكن القيادة هي التي أمرتني ان اتبع نظاما

خاصـــا في الاكل ... انـــا نصيـــر المساواة . ولولا هذا الطعام لما أصبحت هنـــا . فقدت احدى رئتي وتتدهور صحتي اسوأ فأسوأ في هذه الحرب المستمرة منذ شهـــر حتى الآن » .

اخذ يأكل ببطء شديد، بلقمات صغيرة. سعاله المتواصل يسبب الما لمـن يسمعه او يعرف قصته . يخاف عليه في كل وقت الا يقـوى علـى الصمـود حتى النهايـة .

« سبب لي هذا الشيء الفاحش الحرس طبعا . تنازعت ثماني مرات معهم او مع رجال أمن سوموزا . لكني كنت اخرج دوما » .

شاعت ابتسامة واسعة في وجهه، ثم تابع قائـلا :

« كانت اول مرة عام ١٩٦٤ كمـا اعتقد . يصعب علي قليـلا ان اتذكر تواريخ اعتقالاتي بالضبط . كنت آنذاك مجرد متعاون . قال مسؤول لـي ولرفيـق آخـر : « حسنـا ! ان اردتمـا ان تكونا عضويـن في الجبهة، فتدبـرا امركمـا لتستوليـا على سلاح . هذا هو الشكل الوحيد لضمكما الـى الكفـاح » .

« قلت لرفيقي ، ايهـا الاخ ، سنستولي على سلاح عسكري قديـم يقيـم قربنا ، تكرهه المدينة كلهـا » .

ورسمنـا خطـة بكاملها معقدة جدا ... وتقدمنا !

« لم يتم شيء كمـا شئنا . سألته عـن الـــوقت وسط الشارع فهاجمناه في هـذه اللحظـة نحـن الاثنين ، من الامام والخلف . كانت قصـة لا تصدق .

« كان الرجل متينا جدا ، عارك وكأنه في ريعـان الشباب . اخرج سلاحه . حاصرته . انطلقت رصاصة . اطلقت عليه بمسدسه الرصاصة في بطنـه مـن غير مشيئتي . تعلق بـي اكثر فأكثر رافضا ان يتركني . عندئذ صرخت برفيقي : اضرب رأسه بالعصاة ! تردد ، ضربه اخيرا بشدة ضربة كسرت يدا لـه . استمر العجوز في هـذا الوقت متشبثا باليـد الاخرى صارخـا : « النجدة ! أدركـوا الحرامي ! » ولست أدري ايـة طلقـة بازوكـا كانت صرخته . اخذ لناس يخرجون من المنازل المجـاورة رغم تأخـر الوقت ليـلا . كـان الوقت اكثر من منتصف الليل .

« خلصت نفسي اخيرا ، عندهـا ركلني الرجل ركلة رهيبة اطلقت رصاصـة ثانية . استقرت الرصاصـة في قدم رفيقي الذي راح يصرخ: « آي ! نفذ الامـر قتلونـي ! »

(يضحكني ذلك اليـوم ولكـن ليس لاول وهلة . ولما كنـت المسؤول

عن العملية قلت له : « هيا انصرف . سيأتي الحرس ! » لكنه لم يعتزم . يريد ان يقبضوا علينا نحن الاثنين . ثم اختفى عارجا ، من بعد نقاشي معه ، في حين كنت اغطي انسحابه مطلقا النار بالمسدس في الجو . لو اطلقت عليهم النار لقضي علي.

«ساقوني الى المقر مكبلا من يدي وقدمي وعنقي. كان من حسن حظي ان العجوز كان عاجزا عن النطق ومعرفتي . لهذا استطعت ان اروي القصة بما يحلو لي . قلت اني كنت قادما من حفلة ، وان الشخص راح يبول امامي فظنه الشرطي صبيا داعرا . حين رآني قادما ، اعتقد اني كنت معه فشهر مسدسه مهددا اياي . قلت لهم :« اذا اصبحت حياة الانسان في خطر يصبح عدوانيا . انتزعت منه المسدس وجننت فرحت اطلق في الهواء » .

« لما كان الشخص يرتدي الثياب المدنية حين هاجمناه في حينها ولا يستطيع الكلام ، اطلقوا سراحي بعد ثمانية ايام . كان ذلك عام ١٩٦٤.

« سجنت للمرة الثانية عام ١٩٦٦ . قبضوا علي وانا ادهن شعارات فوق الجدران ضد مدير شركة مياه الشرب ، وهو غرينغو يدعى غافن يكرهه جميع الاهالي . ولما كان الحرس لا يسيئون كثيرا ابدا لاعضاء الحزب الاشتراكي ، قلت انا والرفيق الذي كان معي ان الحزب الاشتراكي هو الذي امرنا بكتابة : «ارحل يا غافن» فكنا مضطرين لكتابتها . دفعونا غرامة واطلقوا سراحنا بعد اربعة ايام .

وفي المرة الثالثة التي حدثت لي فيها مزعجات ، لم يتمكنوا مني، غير انه حدث شيء قليل . كان ذلك عام ١٩٦٩ . كنت ادهن شعارات تقول : « يا شعب نيكاراغوا التحقوا بالمغاوير » ، او شيئا من هذا النوع . لم استطع ان اقول ان ذلك للحزب الاشتراكي ، حينئذ رحت اركض لافلت من الشرطة . وتوقيت لذلك باستعارة قفازي قابلة كي لا الطخ يدي بالدهان . رميتها راكضا . ثم اقتربت من بيت احد المتعاونين . تسلقت جدارين او ثلاثة وحالما وصلت اليه ، وضعت نفسي تحت الدوش .

ـ لماذا تحت الدوش ؟

ـ آه ! الامر بسيط جدا ، ايها الرفيق ، جئت والعرق ينضح مني، متعبا ، مهتاجا . ان دوشا طيبا ينظف ذلك كله . لم يشاهد شيء بعد دقائق قليلة . لو ان الحرس الذي طاردك وجدك غارقا عرقا ، لاهثا، لعرف اذا انك قد ركضت وقتا لا بأس به فلا يتوانى عن اعتقالك .

بالعكس ، لو وجدت بالكلسون وشعرك مبتل وجلدك مترطب .. لاختلف الامر ! نجحت « حيلتي » بحكم الواقع . عادوا بخفي حنين ساخطين .

« المرة الرابعة ، حين اصبت برصاصة في ظهري . حدث ذلك في ١٠ تشرين الاول ١٩٦٧ بينما كانوا يحاولون ازالة شبكة دعمنا السوقية كلها لمغاوير بانكازان . خلال العملية التي قادتها وحدة من الحرس ، اخترقت رصاصة غاراند من عيار كبير أعلى ضلعي التاسع الايمن وخرجت من الجهة نفسها بعد ان مرت بالرئة . لما كنت مسلحا ايضا ، امكنني ان اجندل من جرحني . ثم نهضت ورحت أعدو . ولسرعان ما أدركت ان البيوت أخذت تنحني وتتحرك وتدور وترقص . عرفت انها لا يمكن ان تتحرك على هذا النحو . وشيئا فشيئا ، بدأ منظر الدم ورائحته يثيران في الغثيان . كانت حرارتي مرتفعة جدا . توقفت اخيرا في ارض بور . لبثت ممددا على ظهري قرابة عشرين دقيقة لاستعيد قواي . كان من حظي ان رئتي لم تمتلىء فقد خرج الدم من الخلف . كنت قرب غدير فشربت . رحت ألعق ، شربت كثيرا اثناء هذه العشرين دقيقة اذ لم أعد اقوى على اكثر من ذلك . قال الاطباء ان ذلك ربما هو الذي انقذني . قالوا اذا كانت طبيعة المرء صلبة وليست معيبة تساعده على الاستمرار في الحياة . ومختصر القول ، نهضت وجررت نفسي الى بيت مساعد طبيب . اسعفني في عيادته ، ولما كان لا يستطيع اجراء العملية ، اخذني اخيرا الى مستشفى ريتيرو في ماناغوا حيث لبثت شهرا .

« غير ان الحرس عرفوا ان في المستشفى جريحا ، ولما كانوا يبحثون عنه ، جاؤوا لمشاهدتي . كنت مطابقا للدلائل المادية . وضعوا جنديا امام بابي .

« لم تكن الرقابة صارمة لان اي احد في المستشفى لم يفكر ان بقدرتي النهوض ، لا الطبيب ولا الممرضات . فعلت كل شيء في سبيل ذلك . كنت ابصق عمدا على كتفي وكأني لا اتمالك نفسي ، وتفاصيل اخرى كثيرة لن ارويها . يضاف الى ذلك اني وهنت فعلا لانهم اساؤوا معاملتي بدلا من اجراء عملية لي .

« توجه الحارس ذات مساء لمشاهدة التلفزيون في جناح مجاور . انتهزت ذلك لاخرج .

« اضطر الرفاق لاخذي الى مدينة مكسيكو لاجراء عملية لي . قطع نصف رئتي هنالك . لم يروا اطلاقا رجلا في مثل حالتي يتجول

طوال شهرين من غير ان تجرى العملية ، كما فعلت . كان في رأيهم ان اظل ثلاثة اعوام بلا عمل . بيد اني استعدت نشاطي حتى انني رحت امتطي الحصان بعد ثلاثة اشهر .

« اسرت في المرة الخامسة في ٦ كانون الثاني ١٩٧١. كنت مسؤولا عن مدينة غرناطة في جنوب البلاد. ارادت والدتي ان نمضي يوم عيد العذراء مريم في البيت معا، ويقع في ٧ كانون الثاني . قالت لي : «تعال الى البيت، سنذبح دجاجا، سنحتفل . اخوتك واخواتك سيكونون جميعا. لم نشاهدك منذ زمن طويل. توجهت الى البيت عشية اليوم المقرر، واحتطت لذلك بأن اختفي عند متعاون، لاني اتعرض في مدينتي لمخاطر اشد مما هي في اي مكان اخر. ضاع جهدي . نحو الساعة الخامسة بعد الظهر، عرفت ان البيت مراقب. فات الاوان لاهرب. بالكاد ان اتيح لي الوقت لاخفي، الاسلحة والمناشير السياسية التي كانت عندي، في علبة قمامة. ساقوني الى مقر قيادة ليون حيث لم يبقوني غير خمس دقائق ومنها الى ماناغوا مباشرة .

«اخضعوني خلال الايام الثمانية الاولى الى سلسلة من التعذيب يسمونه المروحة. يمررون قطعة قماش خلف عنقك وخلف ذراعيك ، كما في لقطة مصارعة حرة بالضبط. ويعلقونك بكلاب بحيث تظل ذراعاك ممتدتان افقيا. ثم يربطون قدميك باطار دراجة داخلي يشدونه بقدر ما يستطيعون ويثبتونه الى كلاب في الارض. وبينما انت على هذه الحال، يأتون ويوسعونك ضربا لساعات. كانت جلسات التعذيب ، بالنسبة لي، تستمر من العاشرة مساء حتى الثالثة صباحا. لا يعطونك ما تشرب ولا ما تأكل، وفضلا عن ذلك، يضعون في راسك قلنسوة سوداء تزيد من عزلتك وتمنعك من رؤية جلاديك » .

انهى كاميلو طعامه .رغم بسمته الدائمة وهدوئه الخارق، اصبح الان عصبيا اكثر من عادته، يجرب ما بين يديه من خزانات رصاص لبندقيته الالية، واحدا واحدا، الموسومة كلها بأشرطة لاصقة حمراء وسوداء .

«كان ذلك قاسيا بلا ريب. لكني صمدت امامهم بفضل ما اكتسبت من خبرة. نشأت عوامل كثيرة في مصلحة صمودي : اولا والدتي. احبت الثورة دوما. قالت ان مت في سبيلهافذلك خير لاني سأهب الشعب شيئا. تكرر علي دوما : «ليتهم لن يلتذوا بادراكك حيا». لانها والدتي ولا تريد ان تراهم يعذبوني. اما انا فمفهومي مختلف . ان سجنوني فربما يكون ذلك جزءا من طريقي الثوري. يقابل ذلك انهم ان قتلوني تنتهي

الثورة بالنسبة لي وانا بالنسبة لها. الاموات لا يفيدون في صنع الثورات. تأتي بعد ذلك المعايير الشخصية. الماركسيون، وانا منهم، رجال بمنطقهم وجدلهم، لانهم يعتقدون ان الماركسية قوية ينهلون منها الوضوح والصلابة التي هم بحاجة اليها. في السجن يكون المرء خارج التنظيم لكنه في الثورة، مما يشكل خندقا جديدا في المعركة. المرء وحيد بلا صديق وسلاح، لا يبقى له ابدا غير معارفه وقناعاته الثورية. على المرء ان يكون قادرا على اعطاء كل شيء وعمل كل شيء حتى المستحيل .

«بقي عامل ثالث هو التجربة . اذا قبض عليك وراحوا يجرون بحوثا على حسابك، عليك اولا ان تدعهم يعذبونك يومين او ثلاثة ايام ليتيحوا لك الوقت كي تعد افكارك وتنظم جيدا نسيج «الاكاذيب» التي ستخرجها لهم. يتيح لك ذلك طبعا ان تدرك ما عرفوه قبلا عنك وما يريدون معرفته. لنأخذ مثلا. سألوني : «ماذا فعلت في تاريخ كذا في مدينة ال سواسة ؟» لو لم يطرحوا علي هذا السؤال لما كان لدي اي مبرر لاحدثهم عن هذه المدينة. ولما كانوا يعرفون اني قد توجهت اليها، لم يكن امامي غير تضليلهم فقلت لهم، اني كنت اوزع فيها دعاية للجبهة، في حين اني نقلت اليها اسلحة! لان المناشير والدعاية السياسية اقل تهمة من الاسلحة. ان ما يهم هو انك لا تريد ان تقول لهم «الحقيقة». وذلك ليس بالسهل دوما. التجربة ـ التجربة تساعدك كثيرا .

«طوال الايام التي كانت تستغرقها التحقيقات معي كانوا، اضافة الى الضرب والحرمان من الطعام واستخدام القلنسوة، يأخذون مني دما بمحقن (سيرنبخ) قائلين : «غدا سنأخذ منك ايضا وستموت». او يطلقون رصاصة من مسدس قرب اذني. وسلسلة تامة من مثل هذه الامور النفسية لارهابي وتحطيم معنوياتي. لحسن الحظ كانت مظاهرات قائمة في الشارع تطالب باطلاق سراحي. لكني لم اعلم عنها. اخرجوني بعد تسعة ايام من مبنى الامن ووضعوا مرهما على الاماكن التي حلت بها الضربات ثم ساقوني الى مستشفى ريتيرو .

«كنت هنالك طبعا تحت رقابة طبيب وممرضة يعملان للشرطة. غير انه في ٢٣ كانون الثاني ابدلا بطبيب داخلي قلت له : «اسمعني يادكتور غدا ٢٤ الشهر واريد ان امضي ليلة عيد الميلاد مع عائلتي في ليون». سألني سبب وجودي هنا فأجبته : «لا شيء مأساوي. انا مريض وقد اوسعني ضربا حصان هائج». فمنحني اذنا بالخروج من غير ان ينظر حتى الى جروحي، واعتقد انه الى اليوم ايضا نادم على ذلك .

«ترجع حادثتي المزعجة السادسة مع الشرطة الى عام ١٩٧٣. بعثني التنظيم باسم مزيف لاعمل في راماس قرب شواطىء الاطلسي. كان سكانها فقراء جدا واشتركت بتنظيم الجمعية السكنية، وهي تعاونية ادخار وائتمان كنت خازنها . غير انه في عمل اجتماعي من هذا النوع يوجد اناس من كل حزب. حتى سوموزيين. بدأوا يتصارعون ليسرقوا النقود كعادتهم حين اصبحت المبالغ المختلسة ضخمة بما يكفي،عملت على اعتقالهم ببراهين لا تدحض : الايصالات. انت تتحدث عن نزهة !

نسي سلاحه وفرك فخذيه مرتدا الى الخلف مرحا .

«لم يطل ذلك. اتهموني بأني سانديني ورحت الى السجن. غير ان الضابط المكلف باعتقالي كان يعرف تحقيقات الجمعية . قال لي اني رجل طيب ولا يمكن ان اكون «سانديني ـ شيوعيا»، فأطلق سراحي بعد شهر.

كانت المرة الثامنة عام ١٩٧٧. اعتقلني الحرس في قلب الجبل في سانتو دومينغو دي كونتالس، لمجرد الشبهة بي. لم تكن المواصلات جيدة جدا في ذلك الفصل لحسن الحظ. فأطلق سراحي القائد اخيرا. في حين ان المحكمة العسكرية حكمت علي بالسجن ثلاثين عاما، حتى من غير ان تستمع الي. ولو ادرك ذلك في حينه لكان الان جنرالا .

ـ ما هي النتيجة التي تستخلصها من هذه التجارب كلها ؟

ـ قلتها لبعض الرفاق الذين راحوا يضحكون. ان اجمل تجربة للثوري في رأيي هي ان يجد فيما اذا كانت لديه حقا « مميزات الرجل» اذا ما سجن. وفيما اذا كان بقدرته ان يستمر في الكفاح بعد ذلك. انا، كنت دوما استأنفه منذ الغد. حتى انه يمكنني ان اقول انني كنت اكثر تصميما في كل مرة .

ـ ما رأيك بالجلادين؟

ـ لست ممن يحقد وبالاحرى ارثي لهم لانهم عولجوا بحيث اصبحوا حيوانات متوحشة. لم يكونوا غير اداة للنظام والمجتمع الاستهلاكي . لا علاقة لي بهؤلاء الناس . انا اكافح في سبيل مجتمع يختلف تماما. ليس في كفاحي هذا تفاهة. اريد جدا ان يدخن الناس ويشربون ، مثلا ، لكني لا افعل ذلك كي لا افسد. تلك هي ثمرة تربيتي الصارمة. لا سيما انه موقف انا مدين بالتمسك به احتراما لذكرى جميع الرفاق الذين ماتوا في سبيل ان يتغير ذلك .

«اقسمت ان اثور وسأظل ثائرا حتى النهاية، اي الى ان تحل الحكومة الاشتراكية محل الحكومة المؤقتة. واذا انحرف الرفاق، فليس مستحيلا

ان اعود الى حمل السلاح !

«نجد في الجبهة الساندينية افرادا من كل النزعات. أنا «ثالثي» كما يقولون في حزب «الحرب الشعبية المستمرة» كثير من الماركسيين المؤمنين، وهم اشد راديكالية في الحقل السياسي. بيد ان الاشد راديكالية في حقل الحرب هم «الثوريون». انا راديكالي مع الاثنين.

«هذه الثورة بالنسبة لي هي اكثر من زوجة واطفال وامي. وهبت كل شيء في سبيلها. شعرت بأشد بهجة في حياتي حين راح الشباب يصرخون في الشوارع، من غير ان يعرفوا جيدا معنى ذلك : «لا نريد الاصلاح، نريد الاشتراكية!» ويردد الشعب ذلك .

توقف كاميلو لحظة لاهثا ... «لم اتحدث قط وقتا طويلا كما تحدثت الان، كما تعرف ... لكني اريد ان يعرفوا في البلدان الاجنبية الحياة التي اذاقنا اياها سوموزا، ويهتموا اخيرا بشعب نيكاراغوا» .

ابتسم بعد استراحة قصيرة ونهض وبحث في كومة اوراق. «اليك هذا المنشور الذي امرت بتعليقه في المدينة واذاعته بالراديو. حتى ان سوموزا تحدث عنه لانه ينتهي بهذه الجملة : «في سبيل ثورتنا الاشتراكية وطن حر او موت» .

«اعلمت القيادة المنطقية لهيئة اركان الجبهة الساندينية شعب ماتا غالبا وضواحيها المجاورة انه لا يسمح لاي سيد ان يطلق على نفسه قائدا، ولا مولى ـ دون ـ don ولا دوننسيتو (تصغير : دون)، ولا حتى اقل من ذلك : سيد ـ سينيور ـ Senor ،اذ لا مكان لعبادة الشخصية بين الرفاق الساندينيين .

«اشد سعادة يجب ان يتمتع بها الساندينيون والمتطوعة والمقاتلون هي ان ينادوا برفيق ـ كومبا ـ Compa ، او رفيقة ـ كومبيتا ـ Compita او صاحب ـ كومبانييرو ـ Componero » .

((برنامجنا هو الاكثر ثورية لانه الاكثر واقعيـــة))

حديـــث كارلوس كاريـــون

احد الميزات الملحوظة في تطورنا هي ان العلاقات القوية جدا القائمة بين الشعـــب والطليعة لا تستند الى تنظيم سياسي شديد الاهمية. ظهرت الجبهة تدريجيا، في الاشهـــر الاخيرة، طليعة الشعب كله من غير ان نستطيع ان نقول ان ذلك قد تترجم حقا بشكـــل تنظيمي. عمل القمع، رغم جهودنا، على الا نتوصل الى انشاء منظمة جماهير يساهـم فيهـا السكان الى حد كبير. نمت الحركة مستندة الى نوى صغيرة كانت تدافـــع عن مواقـــع الساندينية السياسية في قطاعات مختلفة من السكان. لم نبدأ، مثلا، بالعمل نوعيا بيـــن البروليتاريا الا منذ عام ١٩٧٣، بممارسة بلا خبرة سابقة. اضطررنا لان نجابه فـــي هـــذا الوضع منظمات كانت مواقفها تجاه البورجوازية اكثر ترددا سرعان ما اثرت فينا الـى حـد كبير. سعينا في البداية الى وسائل معركتنا وركائزها ثم انفتحنا تدريجيا. لكن غالبية هذه الحقبة كلها ظلت نوعا من التخلف في العمل السياسي. نمت وحدها البنيات التي كرسنـا لهـــا معظم جهودنا، اي البنيات العسكرية. اشتدت هذه النزعة منذ ايلول ١٩٧٨ بفعـــل مزدوج هو القمع والطابع الصلب الذي اكتسبه الكفاح المسلح منذ هذا التاريخ. نمت النوى القائمة في الاحياء في اطار ثورة اهلية مسلحة وتضاعفت الى ان اصبحت مراكـز قيـــادة حقيقية. بيد انه كانت تنقصنا بوضوح الوسائل الضرورية لتصبح هذه القيادة الجماهيرية واضحة وتامة حقا. كـان ٩٠ بالمئة من جهدنا انذاك متجها نحو الحرب كمـا بدات اطرنـــا السياسية بالذات تقوم بدور عسكري .

ادركت الجماهير بوضوح منذ النصر ما كان عليه دورها في الاطاحة بالديكتاتورية وانها

قوى اطرنا وطاقاتها عندما كانت ما تزال في الجيش، مما جعل قيادة الحركة الجماهيرية واضحة وكانت صعبة خاصة في المرحلة الاولية. بعض التجاوزات التي شهدناها تفسر اساسا بمسالة التنظيم. لم تكن لدينا الوسائل لننقل بوضوح الى الجماهير طابع هذه الثورة والمواقف التي سنتبناها وسبب تأييدنا في المرحلة الراهنة حكومة اعادة البناء الوطني ونموذج المطالب التي نطمح اليها، الخ .

في الواقع، ان ما اتاح الاطاحة بالديكتاتورية ليس كافيا ابدا للدفاع عن هذه الثورة وتمكينها من تعميق محتواها. بنيات الجبهة لا تمكننا من الرد بحزم على المسائل الجديدة التي طرحتها علينا ممارسة السلطة، انما يمكننا ان نحاول تحديدها .

قواعد السلطة الاساسية الجيش والجماهير، ولا ننسى طبعا المسالة الاقتصادية. بيد الجبهة الساندينية اليوم كل السلطة، سواء من ناحية الجيش ام بفضل دمج الجماهير بمنظمتنا كلية. ومع ذلك تشترك في الحكومة التي هي جزء من السلطة مع البورجوازية، بالاضافة الى السيطرة على النشاط الاقتصادي. وهذا ما مكننا من عزل الديكتاتورية، وخلق الشروط الضرورية للانتقال الى مرحلة اعلى في نطاق ما نعيد به بناء البلد في اطار برنامجنا. وبالاضافة الى استفادتنا من تاميم الاموال السوموزية، نعتبر اننا نمضي اسرع نحو الاشتراكية باقترابنا منها ببطء. والا سوف نتعرض لمخاطر الانهيار التام والفوضى والتدخل، الخ .

لكن علينا ان نوضح ذلك كله للشعب، مع تنظيمنا الطليعة التي ستمكنه من استخدام طاقته موضوعيا على قدر ما تتقدم به ثورتنا. بسبب عدم نشر لبرنامج ، يعتقد الشعب في الاغلب ان عدم مصادرتنا املاك الرأسماليين يعني انه سوف يستمر بالعيش في شروط الاستغلال التي كان يعيشها في عهد الديكتاتور. في ليون مثلا، قامت مظاهرة عشية النصر تحت شعار : «لا نريد اصلاحا! نريد الاشتراكية» قام بها اساسا العمال الذين جربوا طاقتهم اثناء الحرب على ادارة المصنع من غير البورجوازيين ورب العمل وحتى الادارة . كانوا يريدون اذا مصادرة مكان عملهم. حتى شرحنا لهم كل ما ذكرت الان. حينئذ فهموا ان برنامجنا هو اكثر ثورية لانه اكثر واقعية. واضيف، انطلاقا من هذا المثال، ان الجبهة الساندينية اذا كانت قد قامت بدور الطليعة للشعب عموما، كانت ايضا على نحو نوعي اكثر طليعة البروليتاريا التي تعلمت كيف تثق بنا في نطاق ما كنا ندافع به عن مصالحها الاساسية بعملنا للاطاحة بالديكتاتور. كانت مصلحتها الاساسية في الواقع الاطاحة بالديكتاتور، اكثر من تنظيم النقابات والمطالبة بزيادة الاجور او المطالبة بشروط عمل افضل كان في غاية الصعوبة الحصول عليها في العهد السابق. نجد انفسنا بعد قليل في الوضع المعكوس الذي كان عليه سيلفادور الليندي الذي كان يقول انه كان يحكم انما بلا سلطة. غير ان ما هو جوهري هو ان ندرك اننا اذا جعلنا من وضعنا هذا مفخرة لخطأ. علينا ان نركز جهدنا في العمل على التكيف مع الوضع الراهن .

الاثنين ١٢ تموز

((يجب تغيير هذا، والا لن يفيد ذلك في شيء))

الساعة ١٨ ـ فطور عائلي خفيف وسياسة ـ دعاني انريك، المسؤول عن الصيدلية، لمشاطرته غرفته في بيت ملاصق لمقر القيادة ويقع في الاسفل. يوصل اليه عن طريق حفرة في الجدار لتجنب الشارع الذي يسيطر عليه القناصة. قدم الينا طعام مشترك مجود قليلا. كان اخو انريك وابن عمه حاضرين. كلهم بحدود الثلاثين عاما. كان كل من المهندس والعامل ورجل الاعمال يحمل علامة نجاحه حول بطنه. لكن الثورة تسير.. قدموا انفسهم معلنين اسماءهم المستعارة وحددوا ان احدهم ثالثي والاثنين الاخرين من انصار «الحرب الشعبية المستمرة» .. يعيش الثالثي في ماناغوا واسباب اختياره لهذه النزعة في رأيه بسيطة : اعضاء هذه النزعة ديمقراطيون اشتراكيون، اذ لما كان البلد رأسماليا ومسيحيا، لا بل «مسيحيا الى حد التعصب»، فلا بد من احترام «خاصيته» بتبني وتيرة تحويل واهداف لا تغير كل شيء بين عشية وضحاها. والاثنان الاخران من «الحرب الشعبية المستمرة» لانه «يجب ان يتغير هذا والا فلن يفيد ذلك في شيء». ولانه بكل بساطة كانت الخلية السريةالاساسية للساندينيين في ماتا غالبا من انصار الحرب الشعبية المستمرة . تشغلهم مسألتان خاصة : كيف توزع المساعدة التي ينتظرها الجميع غداة النصر؟ هل

سيسمحون لاحد ان يثري من اعادة البناء؟ رد الثلاثة بالاجماع : « يجب انتظار قرار الحكومة المؤقتة » ...

نهضوا في الساعة الخامسة والنصف للاشتراك في اول دورة تدريب نهارا يخضع اليها جميع المتطوعة، ثم اكلوا بشهية. كرست هذه الدورة اساسا للتمارين البدنية . تعبت افخاذهم وقصر نفسهم لكن .... تلذذوا لانهم نحفوا . كان الرقم القياسي في هذا الميدان للثالثي الذي كان، منذ كانون الثاني ١٩٧٨، يقوم بجولة على قدميه لساعة كل صباح «توقيا للحرب». فقد ٢٥ كيلوغراما من جسمه. احتل والد انريك مكانه كرب اسرة في نهاية المائدة. كان في الستين، كبيرا، مستقيم الجسم، في هيئة وجيهة، وهو المسؤول عن شركة كهرباء المدينة. سأل بكل ادب حول نشاطاتي، وعن حاجاتي المادية، ثم اخرج كتاب « **العائلة المقدسة**» لماركس وانجلز، وراح يقرأ علي منه مقاطع طويلة اضطرته لان يفكر. «ليس هؤلاء السادة على خطأ ان هم يمارون في الافكار الملتقطة حول الحرية في الولايات المتحدة، اذا تذكرت هذه المعاملة الخاصة بالزنوج اعرف جيدا هذا البلد». توقف عند فكرة مأخوذة من **روسو : «بدأ كل شيء حين شرع مزارع بتسييج الارض التي زرعها وتركه الاخرون يفعل»**..

كان يقلب صفحات الكتاب القديم المجلد ويسويها بعناية، وينتزع او يضع نظارتيه المسطحتين بحسب ما يقرأ النص او يتوجه الينا، ثم احس بما يجد ان هنالك «مع هذا شيء مهم في اولئك الناس» ..

الساعة ٩ ــ في مكاتب القيادة ، حيث يقف المسؤولون عن مركز الشرطة الجنين، الة كتابة وسكرتيرة ومقاتل سانديني وكثير من الاوراق واختام مطاطية وورق بعنوان. تلك هي اول شيء يظهرون للزائر بما يتوجب من فخر. دخل، وكأنهم فوق مسرح، متقاطرين، عشرة من سكان وساكنات ضواحي المدينة وسيماؤهم مذعورة ممن جاؤوا يتحدون السلطة. ولا يعرفون ايضا ما يحفظه لهم الجدد الصغار ... كان اختبارا هاما، فالمسألة مسألة شكاية كالتي كان بامكانهم ان يعرضوا عشرات منها ايام الحرس الوطني : ان سيلينا سولانو قد سرق منها ٣٠٠ بيزو قبل ان يغتصبها هوغو زامورا، المقاتل السانديني. لم يكن زوج الضحية قد سمح لها بالمجيء . كان جيرانها وشاهدوها يحملون بطاقة صغيرة من المسؤول عن المقر التابع له هوغو، والذي لم يجد قدومه مناسبا. صف «الرئيس» كل رجاله بامتداد الجدار الخشبي، امامه، وراح، كما في بلدان العالم، يمرر ورقة في التله الكاتبة لتسجيل الشهادات .

صدر اعلان تمهيدي : «لن تسمح الحركة الثورية بمثل هذا النوع من التعسف. انه عمل متطفلين قررنا ان نقضي عليهم. لكن حذار! نحن لم نقم مكتب تسجيل شكايات شخصية. كان ذلك جيدا ايام الفاشية لوجود فساد كبير. نحن مكتب سياسي مكلف بالسهر على مصالح الحكومة المؤقتة ومصالح الجيش الساندينى والشعب. يمكنكم ان تعبروا عن تبليغاتكم بشكل سياسي. يمكنكم ايضا ان تتشكوا من تعديات على الاخلاق على اية حال يمكنكم ان تشتركوا في العمل الذي نحن ماضون في انجازه بخلقكم انتم بأنفسكم النظام في حيكم». توقف هنيهة ونظر الى المتشكين كلا بدوره وانهى كلامه بسؤال : «ما هو نوع العقاب الذي تعتقدون ان علينا ان ننزله ؟ » .

تقدم الاكبر سنا. كان في رأس هندي متميز بحد ، في لحيته البيضاء قليل من الشعر. اخرج من جيبه ورقة راح يقرأها بصوت مرتفع. كانت شهادة سجلتها القيادة الساندينية التابع لها ، «نحن التالية اسماؤنا ـ تلا ذلك العشرة اسماء من الحاضرين ـ نشهد بأنه في قضاء سان ديونيزيو ، ان هوغو زامورا وخمسة افراد اخرين، بينهم امرأتان، قد استغلوا تسللهم الى الجبهة الساندينية للتحرر الوطني ليرتكبوا جرائم وافعالا شنيعة كالاغتصاب والسرقة والتعدي على نزاهة الاشخاص، الخ. نعلمكم، بالمناسبة نفسها، ان هوغو زامورا قد هددنا اذا ما قدمنا شكوى عن جرائمه امام القضاء» .

اتاح الرجل، الذي تلا النص، الكلام لشاهدين اخرين هما ايضا متشكيان، المراة تيريزا التي دخل هوغو بيتها بوحشية في ١٥ ايار ليطلب اسلحة، ورجل هو بيدرو، سرق منه اكياس قهوة في ١٢ كانون الثاني من السنة الماضية .

سكت «الرئيس» لا يستجيب بسهولة. لم يكتب على الآلة كل ما قيل له ، ويرجع ذلك الى رفضه «الثأرات الشخصية» ، بتفسيره ان «بعض الافراد قد تسللوا الى الحركة عن انتهازية، من غير اية قناعة لتسهل عليهم السرقة اكثر، انما هو نتاج مرض اجتماعي نكافحه». ان مشكلته ذات الحدين، كلاهما مر، قديمة قدم الثورات : الدفاع عن الشعب ام عن المنظمة التي يدافع عنها الشعب؟ تردد. ثار كيانه كله .

«لا يمكننا ان نحكم على مقاتل استنادا الى اتهامات شخصية . انه لمن الخطورة الشديدة ان نبعده عن المعركة بلا سبب مشروع في وضع كهذه الحرب التي نحن فيها . تلزمنا البراهين. الشهادات ليست كافية.

مثلا، اعتقلت ايام الديكتاتورية. اتهمني الكلاب بأن عندي كتبا ادبية ماركسية لينينية، وكان ذلك باطلا. لم يمنعهم ذلك من احضار اربعة شهود اقسموا بشرفهم انهم رأوا في بيتي كتبا لماركس ولينين. على هذه المرأة ان تأتينا ببرهانها على انها اغتصبت». استمر النقاش حول هذا الموضوع نصف ساعة. ثم انصرف المتشكون في شيء من الخيبة، وكان بينهم اثنان متعاونان مع الجبهة، رغم ما ردد عليهم مرارا بأن الثورة ستعمل كل شيء لتدافع عن الشعب. ووعد الرئيس بأن هوغو سيستدعى بعد اذن من الاركان . «سنشعركم حين نستمع اليه» .

شرح لي بعد انصرافهم ان ٣٠ بالمئة من السكان يجنح الى الجريمة خفية تقريبا وان ذلك احد مخلفات النظام السابق الاساسية. «هدفنا تنظيم الحركة الفلاحية كي لا تتكرر مثل هذه الامور. ليس لديهم نضج سياسي كاف يقعون في مشاكل شخصية . حتى المتعاونين مع الجبهة الذين لم يكونوا مضطرين لحمل شكاية من هذا النوع .

ـ ما البرهان الذي يجب على المرأة ان تأتي به لتثبت انها اغتصبت.

رد من غير ان يفكر : ـ ان تأتي بطفل بعد تسعة اشهر ... او اثار ضربات ان اقتضى الامر. انت تعرف، معروفة جدا قصة القزم الذي اتهمته امرأة طولها متران بأنه اغتصبها ... واقفا!» .

انفجر ضاحكا. كانت ميكافيليته واضحة الى حد فاضح. كنت اسأله طوال الايام، حتى مغادرتي ماتا غالبا، عما اذا كان هوغو قد وصل اخيرا ليستمع اليه ـ كان جوابه سلبيا في كل مرة .

الساعة ١٠٫٣٠ ـ نظم كاميلو في غرفته اجتماعا مع السلطة المدنية. لم يكن حتى اعضائها كما يظهر يعرفون بالضبط اسم هذه المؤسسة الثورية الجديدة : «اللجنة المركزية لاعادة البناء» او «لجنة التنسيق واعادة البناء لمدينة ماتا غالبا»، ولم يكن احد ليكترث بها .

كان ثمانية من اصل احد عشر عضوا من اللجنة حاضرين. كانوا متكدسين، بقدر ما استطاعوا، فوق السرير ـ القفص والكراسي الثلاثة التي تؤثث الحجرة. اعمارهم بين الثلاثين والخامسة والاربعين ، تظهر عليهم تعابير وحركات بورجوازية. اختارتهم الاركان لهدف في هذه الطبقة، انما كانت تأخذ باعتبارها «مسيرتهم السياسية». معروفون في المدينة باستقامتهم وعدم تواطئهم مع السوموزية. كانوا محامين وصيادلة وتجار واطباء. كان عامل نجار ومزارع وسكرتير وامرأة وخوري قد انضموا اليهم في تعاونهم السري مع الجبهة. انتماؤهم السياسي، حينما كانوا ينتمون

هو من نوع الحركة الديمقراطية الوطنية والحزب الاجتماعي المسيحي وحتى الحزب المحافظ. شهد اجتماعاتهم عضو من الاركان العامة .

انشئت هذه اللجنة في ١٢ حزيران وتقوم بمسؤولية كافة المسائل المدنية في المقاطعة . «هدفنا المباشر ان نعمل، في وضع مثل هذه الازمة، بحيث لا يكون هنالك مستغلون ولا ضحايا

ni aprovechados ni desaprovechades

نجهد في ان نؤمن توزيع ما جمعناه من طعام بالعدل والنظام. نريد، خلال اجل وسطي، وضع بنيات اقتصادية ـ اجتماعية تؤمن النظام في اطار من المحبة والعدل. ونسعى الى التقدم الحقيقي في العدل الاجتماعي. نريد تأمين عمل كريم لكل المواطنين ونتوقع اعادة توزيعه كما ينبغي». القى المحامي هذا التصريح حول غاية الاجتماع ، فضلا عن انه من الحزب المحافظ. كان خطابا سياسيا تقليديا بيد انه يحس ببروز شيء فيه مختلف .

وزع الغذاء، بعد جمعه، بالعدل كما في ايستيلي بالضبط. لكن السكان الذين هربوا من ماتا غالبا كانوا اقل عددا، لهذا كانوا بحاجة الى اغذية اكثر. ولهذا اجري تنظيم في الارياف المجاورة اكثر نضجا. اخذ اللحم من القطعان الهائلة التي كان يمتلكها شقيق سوموزا في المنطقة. واتفقوا مع مدير مصنع برولاكزا المجاور (المتفرع عن شركة نستلة). ووزع تحت مسؤولية اللجنة الحليب المتوفر ويبلغ قرابة ١٠٠٠٠ ليتر يوميا. وكان يوزع كل يوم ٣٠٠ ليتر بشكل حليب سائل على السكان. اما الـ ٧٠٠٠ ليتر المتبقية فكانت تحول الى حليب مسحوق وزبدة وجبن. كانت اما ان توزع او تدخر لايام قد تكون اصعب ايضا. وانجز عمل كبير لصالح صغار المزارعين الذين شجعوا على الاتحاد بشكل تعاونيات. ودفعوا الى احتلال اراضي غير مزروعة ووعدوا بتأطيرها تقنيا مقابل شيء من منتجاتهم. اما محصول القهوة، الذي تشكل المقاطعة احدى كبريات منتجاته، فسوف «يؤمم محليا». كانت اللجنة تعطي، مهما يحدث، وصلا مقابل كل البضائع التي تستولي عليها. فتقرر تقديم النقود لاصحاب العلاقة اذا ما اصبح الوضع طبيعيا . «انتبهوا واحكموا جيدا ايها المتحاورون معي، ليست هذه هي الشيوعية. نحن مضطرون لاتخاذ هذه التدابير بسبب الوضع الطارىء، ولن نأخذ ارض او ثروات اي شخص، طبقا لتوجيهات حكومة اعادة البناء الوطني، باستثناء اموال السوموزيين التي اخذناها». حتى انهم ذهبوا الى منع كل بيع في مدينة ماتا غالبا .

كانت ورشات احذية والبسة قد اعيد تنظيمها بشكـــل تعاونيات، بعضها تحت ادارة رب العمل السابق لتنتج اكثر. غير ان اية اجرة لا تقدم ينجز العمل كله مقابل الغذاء والصحة المجانية وما يقدم من ثيـاب واحذية. «تفهم الناس بسهولة في المدينة، لكن الفلاحين يتحذرون» .

علق على ذلك طبيب : «لم نمنع كل تداول للنقود عن لذة، انما تجنبا من ان يستفيد منها من بحوزتهم منها افضل من غيرهم. ومثل هذا التدبير موقوت طبعا».

اضاف تاجر : ـ عدم اتخاذ هذا التدبير فيه خطورة اذ يعرض الفقراء جـدا لان تساورهم انفسهم بارتكاب اعمال عنف .

حملت متطوعة قهوة، غمسنا فيها خبزا بائتا مدهونا بعسل نحـــل حقيقي. كان اعجوبة. اخذوا بشيء من الدعابة والمـرح نفض الفناجيـن والملاعق. كان احدهم يلهو بقنبلة يدوية غير مجهزة بالصاعق اخذت مـــن العدو حديثا، تركها كامليو فوق طاولته .

استغل المحامي فرصة استراحة القهوة فتطرق لانشاء محكمة ثورية مؤقتة مؤخرا ـ انشئت امس ـ مكلفة بمعالجة القضايا الجزائية العاديـة. قوانينها المطبقة هي قانون العقوبات، وليست التدابير السوموزية المتعلقة بالاعتداء على حرية الاشخاص . «لا نستطيع بدهيا ان نحكم بعقوبـــات غرامات. كما الغي الحكم بالاعدام، باستثناء القضايا العسكرية التي هـي من اختصاص الاركان العامـة» .

علق باسما طبيب شاب متخصص بأمراض النساء، لم يفارق صدارته القصيرة البيضاء، على العمل الذي انجز في حقله : « جعلنا الصحة علـى نحـو اشتراكي» . رغم سعة المسائل التي يجب حلها، كان سعيدا بالعمل فـي سبيل الاشتراكية، بجهد قليل كما اقتضى الامر، اكثر منـه لمجـرد العمل. «انشأنا مستشفى مركزيا بتجهيزات كافة العيادات المحرومة منها المدينة. ثم اقمنا في كل منطقة مراكز اسعاف. هدفنا لمدى ابعد ان نجعل الطب مجانا في نيكاراغوا كلها. يجب وضع الصحة تحت مسؤوليات الدولة كمـا في بريطانيا مثلا. آمل الا نرجع الى الخلف ».

قاطعه طبيب جراح اكبر سنا : ـ وانا آمل الا يلغوا الطـب الخاص نهائيـــا .

ـ انشأنا في الارياف مراكز لم تكن موجودة بها قبلا. غير ان الادوية تنقصنـا الى حد فاجـع .

جراح الحرب والتوليـد تستدعي معظم انتباههم . تابع الطبيـــب

المتخصص بأمراض النساء : « وحدثت اول ثورة منذ تسعة اشهر . لم يكن لدى الناس ما يعملون . كان ذلك اشبه بتعليق تلفزيون نيويورك المعروف . وما يضحك اكثر ان المواليد الجدد كلهم تقريبا اطلق عليهم اسم اوغوستو سيزار للصبية وبلانكا سيغوفيا (اسم زوجة ساندينو) للصبيات . غير اني رأيت ايضا طفلا سوف يسمى مدى الحياة : جليل فال رودريغز !»

استأنف المحامي : ـ **نهتم كثيرا بالاطفال** . نعاني كثيرا لان الوضع لا يشجع احدا على تركهم يخرجون . المهم العناية بهم . نحن لا نريديهم ان يكونوا محاربين كما يريدونهم في « اسرائيل » او فيتنام ، ان ٨٠ بالمئة من النيكاراغويين اميون اليوم . سننشىء فيما بعد التعليم المجاني فعلا لا نظرية كما في عهد سوموزا .

قطع الايضاح انفجار قهقهة كبيرة من الجميع ، فقد اخرج التاجر من جوربه الايسر علبة سيكائر . لقد فضل ان يخفيها في هذه الفترة من العوز حيث يسألونك عنها في كل زوايا الشارع . كان شحيحا قليلا ، غير مغوار جدا . كانت بادرته قد وقعت وسط مثل هذا الحطاب الكبير فخلقت ارتباكا غطاه الضحك وحده .

شعروا بارتياح ، وهم في هذه الحجرة ، لانهم لم يتطرقوا الا الى الجانب الخير من منجزاتهم . كانت فرصة رائعة ليحلموا وينسوا تعقيدا لمسائل المادية ، وينطلقوا نحو التضامن بقفزات واسعة .

لكن هل ادركوا انهم ينظمون ،بكل ما فيهم من نجاعة رجال اعمال ، اشتراكية اكثر ما تكون ملحة ، اشتراكية حرب ؟

قال المحامي ، العضو في الحزب المحافظ :« نحن واعون الى ان الامور لا يمكن ان تعود الى ما كانت عليه قبلا . فضلا عن اننا لا نرغب بذلك . نحن مع التغير ، مع شكل من اشتراكية ليست راديكالية ولا كليانية . نحن مع اشتراكية معتدلة ليست تقليدا لاحد ».

اخذتهم عاصفة الثورة ككل الشباب . شعروا بزوال ضغط عجيب وبدا لهم كل شيء ممكنا بعد خمس واربعين سنة من الديكتاتورية. مطلبهم الاول ، كبورجوازيين ، ان « يتمكنوا من العيش بكرامة » .

ـ كان الفساد السوموزي من الشدة بحيث مس كل المستويات وتناول كل القطاعات وبحيث لم يعد بامكاننا ان نعيش سواء بما كانت تسمح لنا به مهنتنا او بما لا نساهم بها .

ثم المح باسما بسيماء ملتبسة : ـ كان بامكاننا ان نثري كما تعرف.

نحن لا نريد تحررية كلية ، لا نريد استغلال الانسان للانسان . يجب ان يشترك العامل بادارة المؤسسة وتختفي طبقة الاجراء .

ـ تختفي ؟

أكد الطبيب الشاب : ـ نعم ، نعم ، تختفي . يجب ان يربح العامل نقودا تكفي ليعيش جيدا وبهذا تربح المؤسسة . على الدولة ان تسوي ذلك كله، وبضريبة تعيد توزيع جزء من الارباح بشكل اموال عامة .

تدخل طبيب اكبر سنا لديه عيادة : ـ لكن حينئذ لا تعود هنالك مبادرة خاصة .

ـ نعم ، نعم ، نحتفظ بها والا فهذه هي الشيوعية . وانا اعرف الشيوعية لاني محام . عندي شهادات جامعية وقد درستها . انا عدو المتطرفين .

كانوا كلهم متفقين حول مصير السجناء . « كيف لا يحكم على من نظم تدمير ماتاغالبا او القناص الذي يتسلى باصابة الهدف بالاطفال ؟ » ومع هذا كان البعض يعتقد بأن عقوبة الموت نوع من القصاص : «الافضل جعلهم يشتغلون ٢٠ عاما كي لا تحقد عائلتهم على الدولة» .

قال التاجر مطلقا المرح الصاخب في المجلس : « نجبرهم على الانتفاخ بالفاصولياء » . كانوا على اية حال متفقين على زوال الحرس الوطني كمنظمة « لانه جيش اجنبي . ويجب ، بكل بساطة ، عدم قتل الافراد الذين ليسوا هم مجرمين » .

ان لوحة منجزاتهم ، يضاف اليها اللوحة المكونة عن نظرتهم الى المستقبل ، يستشف منها « نموذجا » راديكاليا يصعب ان تقبله الولايات المتحدة . انه مجتمع قد يصعب على هؤلاء البورجوازيين ان يجدوا فيه مكانا لهم .

ـ لم نتعهد ان نعطي شعبنا الايديولوجية التي تناسبه اكثر. واذا كنا مضطرين لان نختار طريقا لا نريدها حتى الان بسبب التدخل الاجنبي ، فسنعمل كما عمل فيدل كاسترو. ان ما بدأنا به يجب ان ينجح مهما يحدث ـ Pase lo que pase.

استأنف المحامي قائلا : ـ علينا ان نتفاوض بأكبر قدر من المهارة حول ما سيأتي . غير اني كبورجوازي لا اخشى شيئا لان الجبهة الساندينية حافظت على عهدها دوما . وعدت باجراء انتخابات حرة وأنا واثق من انها ستجري . والآن ، اذا اختار الشعب الشيوعية من خلال هذه الانتخابات فأنا اقبلها . وان لم تعجبني فليس امامي الا ان

ارحل . لكن كوني « **محافظا** » ليس غير موقف اكثر منه خطا سياسيا. يمكنني ان اكون اليوم الى اليمين وغدا الى اليسار تماما . سأقبل قرار الشعب بأقصى نتائجه .

قال الطبيب : ـ لا أخشى شيئا اذ بقدرتي ممارسة مهنتي مهما كان النظام السياسي .

انهى المتخصص بأمراض النساء كلامه قائلا : ـ في هذا الوقت، نريد الاشتراكية ككل الناس ، غير اننا ما نزال لا نعرف جيدا بعد الى أين .

الساعة ١٢،٣٠ ـ راديو الثورة . احدى المحطات التي اقامها الساندينيون فورا في الاراضي المحررة . لم يكن بقدرتها ان تعمل على اتفاق الاراء اذا ما استمع اليها في شروط سيئة ، اذ يستحيل ان يعرف من « اللهجة » فيما اذا كان الصوت للساندينيين ام للسوموزيين ، باستثناء الموسيقى العازفة التي تشير الى الفارق . فولد هذا التماثل في « جمل » المذيعين توعك مزاج . ومن ناحية ثانية ، اذا ما سمع وهو يزعق بصوت مرتفع ،بقدر ما يمكن في الاغلب ، فان الاغاني الثورية « لراديو الثورة » والاخبار التي يعلق عليها المقاتلون فيما بينهم في اكثر الاوقات هي لراديو كوستاريكا وحتى هندوراس .لا داعي لتغيير العادات اذا كانت مقولة السلطة لا تغير شيئا .

ان معركة الاذاعة اساسية مع هذا في بلد امي الى حد واسع . لا سيما وان الثورة تأتي عن طريق الاثير في عدد من القرى التي لم تصل اليها بعد وحدات الجبهة .

على بعد ثلاثة تجمعات بيوت في شمال المقر العام لوبه مورينو، يدخل الى مبنى سري تقريبا « لراديو الثورة » بما يشبه المرآب . فيه طاولة وآلة كاتبة ، مع الاجهزة الضرورية للارسال تم الاستيلاء عليها . استقبلني صحفي وتقنيان ببرودة ووسط فوضى وقذارة استثنائية .

يرجع تاريخ اول بث على الموجة القصيرة الى ١٥ حزيران ، ولم يتم البث على الموجات المتوسطة الا في ٢٧ منه . تسمع على مدى قرابة مائة كيلومتر باتجاه الغرب والجنوب . واضعف باتجاه الشمال والشرق بسبب الجبال العديدة والمرتفعة نسبيا . تبث ثلاثة برامج في الساعة السابعة والساعة ١٧ والساعة ٢١ . معظمها موسيقى احتجاجية من امريكا اللاتينية كلها ، لا سيما الموسيقى الشيلية . حتى هنا،

حفظت بعناية قصوى بعض اسطوانات قدمها متعاطفون . مصدر الاخبار نشرات من الاركان العامة في ماتاغالبا و « راديو ساندينو » الذي يبث من الجبهة الجنوبية. هذا كل شيء . ان نقص معداتهم (لديهم جهاز تسجيل بشريط واحد فقط محمول) والوضع الخطر في المدينة والمنطقة ، منعهم من ان يستمع اليهم في كل مكان يريدونه .

على قدر ما كان يطول الحديث ، تصبح الاسئلة اكثر دقة ، ويتعكر الجو كلما تطرقت الى مسائل المفهوم . التقنيان يقارب كل منهما العشرين . احتميا خلف دورهما الثانوي . اما الصحفي فرجل ناضج اشتغل عدة سنوات في الراديو السوموزي في المدينة . اصبح وجهه شاحبا وساء صوته بحيث اختفى . طموحه الوحيد اجهزة تسجيل وبطاريات للعمل بشكل صحيح . رده الاساسي الوحيد : « اذا كان صوت اذاعتنا هو نفس صوت اذاعة سوموزا ، فلربما يكون سبب ذلك لان الاجهزة من نوع واحد ! ».

ـ ما رايك في الصحافة ؟

سكت .

ـ ربما ليس لي رأي فيها ... قبلا ، كان يحق لنا فحسب ان نذيع الاخبار ونتكلم عن الحوادث او نحلل بعض الاحكام .

ـ هل استمررت بعمل الشيء نفسه ؟

ـ سنستعد للعمل ضد النظام . نحن نقول الحقيقة ؟

ـ غير ان نقص اخباركم ، كما هو في نشراتكم باستمرار ، اليس شكلا من الكذب ؟

ـ ... انا مقاتل . تعاونت مع الجبهة منذ سنين عديدة . انا تحت اوامر المسؤول ، وعلي ان اشترك في مهام اخرى تستغرق مني وقتا، اضافة الى الاذاعة .

ثم لا شيء . حاولت ان اعرف كيف يتصرف على نحو او آخر وهو في عمله كي يعمل على تعريف سياسة الجبهة الساندينية، وما هو هامش مبادرته ، وفيما اذا كان بامكانه ان ينتقد السلطة او يحاول ان يتيح للشعب ان يتكلم وما هي رؤيته عن دوره كمثقف ... كل ذلك ولم احصل على رد . كان خائفا . انه ضحية اكثر من مأساة المراقبة الذاتية ، « حمار طروادة » هذا الذي كان يقضم عمله تحت ظل الديكتاتورية .

ان الكلمة التي قتلها فقدان الحرية لاشد رهبة على الذي يتوجب

عليه نقلها والذي يتلقاها ايضا . انها لحياة عقيمة دوما لهذا الرجل الذي اختار الثورة ولم يجد في نفسه وسائل خدمتها .

اجتمعت صدفة خارج الاذاعة بمحامي « لجنة اعادة البناء»، فأكد : « يتشكى ايضا الناس الذين نلاقيهم في المدينة او القرى المجاورة . يقولون ان الاذاعة قبلا كانت تبث موسيقى وبلاغات ، واليوم تبث موسيقى وبلاغات . أعتقد ايضا ان الخطأ يقع على كاهل الاركان العامة التي لم تعرف كيف تختار افضل رجل يشغل هذه الوظيفة، فأخذت هذا الشخص لمجرد انه كان صحفيا » .

الساعة ١٦ ـ مقر قيادة لوبه مورينو العام .. وضع احد قادة المدينة يده فوق كتفي . كان معه صحفيان من « راديو الثورة »احدهما هو الذي تحاورت معه صباحا . « تولد لدى الرفيق الانطباع بأنك لم تفهم جيدا موقفهم ومسائلهم . اعتقد من الصحيح ان يتاح لك حديث جديد ، وان يكن قصيرا » .

اكمل تدخلة بلمحة من طرف عينه وابتسامة من وجهة : « اذا اراد الصحفي ان يقوم بعمل جدي في مثل هذا الوضع ، يجب التحفظ من الحكم بسرعة » .

كان الحديث قصيرا فعلا لان البث يبدأ قريبا . ما هو اساسي في رأيهما ، التغير جذريا بين موقف اليوم والامس . « يمكننا ان نقول ما اضطررنا للسكوت عنه خلال اربعين عاما . يمكننا الآن ان نتحدث عن الشعب والمنظمات العاملة معه ومن اجله ، حتى وان كانت تنقصنا وسائل التصور . يقابل ذلك ان بامكاننا ان نكشف عما نعرفه حول سلب سوموزا واتباعه للبلد واختلاساتهم وفسادهم واغتيالاتهم للناس. كنا قبلا نستطيع عمل ذلك نقلا من الفم الى الاذن . يتغير كل شيء ان نقل ذلك بالاذاعة . ربما يكون هذا شيئا يعاني الاجنبي من فهمه .

ونشعر بمزيد من الحرية ويمكننا ان ننقل الوقائع الصحيحة. كنا مضطرين ايام الديكتاتورية ان نحمل كل يوم مواضيعنا الى قيادة الحرس الوطني قبل نشرها واليوم يسمح لنا ان ننشر انباء حول بعض الاعمال السيئة لبعض المقاتلين في الجيش الساندينى .

قالت لنا الاركان العامة :« ان سجنتم بالامس لقولكم الحقيقة اليوم ، فلكم كل الحرية في قولها » .

كان الاثنان يجلسان فوق حافة كرسيهما ، ينحني جذعهما الى الامام ليقنعا خير اقناع . واكثر ايضا من كلماتهما ، التي نجد فيها دوما وسائل الرد ، تغنيها نظراتهما وتأثر اصواتهما ، كاشفة عن سنين من الالم امضيا وقتا طويلا للتخلص منه وعن ان احدا لا يحق له ان يتخيل .

« نحن لسنا في مستوى مهمتنا . كيف لا نفهمها ؟ نتعذب منها اكثر من اي كان . لكن ذلك ليس سببا لئلا نقوم بما يطلب منا من عمل ، ونحن نتحسس .

« آخر شعاع في قرص الشمس » ـ ذلك هو الوقت المحدد للاجتماع الذي حضرته هذا المساء بصحبة جوليو . سمح للناس حضوره من غير خطر قتلهم برصاص القناصة .

ان المرور ليلا بأنقاض مدينة نصف مدمرة ، ما تزال تهزها معارك متفرقة ، لفيه ما يبعث الهلوسة ، لا سيما بالنسبة لمن لا يعرفها. لم يكن هدوء جوليو كافيا لطمأنتي تماما . مررنـي بمتاهات لا يصدقها العقل حضرت داخل البيوت . استغل المسيرة ليشرح لي اهمية الاجتماع المتوجهين اليه . ان القاء مسؤولية المدينة على كاهل البرجوازيين يتيح كسبهم في ظروف كانت فيه مشاركتهم ضرورية سياسيا وتقنيا واقتصاديا . غير ان شكل تسوية المسائل اثار استياء . حينئذ اخذ الحي التقدمي ، الذي اتجهنا اليه ، ينشىء منظمة شعبية بديلة بمبادرة من بعض سكانه . كان جوليو ينوي تشجيع قرار، وكان مكلفا في الاركان العامة بالمسائل المدنية والسياسية .

نفذنا بعد ربع ساعة من المشي الى الباحة ، ثم الى قاعة يظهر انها قاعة صف ... تكهنت ، رغم عدم رؤيتي في الظلام ، بوجود عدد كبير من الاشخاص : اربعون ، ستون او اكثر ... اصطدمت بطاولة ميزت فوقها آلة كاتبة . وضع احدهم فوقها شمعة واشعلها. اخذت شكلها حول الضوء اول حلقة من مقاعد التلاميذ . كان بقية الاشخاص الحاضرين في الخلف وقوفا ... كان مصباح كهربائي يضيىء احيانا للمحة وجه من يتكلم . كان الناس جميعا في سن ناضجة ، على قدر ما جعلتني استشف ذلك الشمعة الوحيدة . وجوههم متوترة عن رزانة او بدافع الانتباه . حملة السلاح قليلو العدد ،ليس لديهم غير بنادق صيد .

بدأ لئونيل ، وهو شخص فتي في نظارات : « هدف هذا الاجتماع

هـو ان نعرض على الرفيق جوليو بدايتنـا بالتنظيم ، الذي انشأناه في اجتمـاع سابق والذي لا بـد وان يمكننا من العمل بوجه افضل في سبيل خيـر الجميع . كنا خمسة حيـن طرحنـا الفكرة وقـد انضم الينا اليوم معظـم سكـان الحي . كانت نقطـة انطلاق عملنـا هي عدم رضانـا على العمل الذي انجزته اللجنـة المدنية . لم تتوصل حتى الى تلبية ٣٠٪ من حاجات الشعـب الضروريـة . كفى كلمـات . نريـد ثيابـا وطعامـا . لا نعتقـد ان عشرة افراد يمكنهم ان يلبوا حاجات الف . بالعكس . اذا اخذ مائة يعملون ، فلهم حظ فـي التوصل الى ذلـك » .

بورجوازيو هذا الصباح متهمون .

« لدينـا انتقادات كثيرة يمكـن توضيحهـا ضـد اعضاء اللجنـة المدنية : انهم يتخذون قراراتهم وحدهم ويبتعدون عن الشعب والمتطوعين . لا نـرى من الاحـد عشر عضوا مـن هذه اللجنـة غير خمسة يشتغلون . مندوبو السلعـة ضروريـون ، لكـن أيـا منهم لا يستحق ان يكـون « رئيسـا » .

حتى ان لدينا شكوكا خطيرة . حدث لنـا في اليوم الماضي اننا لـم نجـد غيـر كيس فاصولياء واحـد وعلبة كبريت واحدة وقليل من الملح فـي بيت بورجوازي سوموزي نعرف عنه انـه احتفظ باحتياطيـات كبيرة . كـان أحدهم قـد أخطره بلا ريـب .

« الجائع وحده هـو من يعذب نفسه حقا كي لا يجوع احد » .

توقف هنيهة لينظـر الى رفاقه الذيـن يؤيدون في رأيه بهز رؤوسهم او بكلمـة « نعـم » متروية ، لكنهـا كثيرة .

« وبنـاء علـى ذلـك وضعنا مخططا اوليـا للتنظيم يتيح للجميع ان يشتركوا بـه . هذا هـو الشكـل الوحيد لتجنب التطفل الاجتماعي . نحن بجعلنـا طاقات كـل فـرد مشتركة ، واحصائنـا المواد والمرائب والآلات جميعـا التـي امكننا ان نجدها ، انمـا ننوي تحقيق الاهداف التاليـة (اخرج ورقـة امتدت فيهـا قرابة عشريـن « مشروعـا » ، في كل منها اسماء « المندوبيـن المسؤولين » ، كلهم متطوعـون) : بناء اسطبـلات وسياجات ، اقامة قطيـع للحلب ، بناء مدجنـة وحظيرة للخنازير ، انشاء فرق عديدة لادارة بستان بقول وأخذ البقول من الاماكـن المجاورة ، وتوزيع البذار والسماد والادوات واجراء احصاء ريفي ، انشاء ورشـة خياطـة وفرقـة لتصليح الانابيب وورشة لاصلاح السيارات ، واعداد المواد الاولية لانتـاج الصابـون ، اقامة فرقـة للتنظيف ، وفرقـة لتنهيج ومراقبـة

الاستيلاء على الاغذية وشقق المنازل،انشاء زمرة متطوعة ، للاستيلاء،الخ..

« نحن نكره كلمة « لجنة » لتجربتها المرة التي وجدناها منذ وقت ، لهذا اخترنا كلمة اجمل منها : « وحدة » . نحن نسمي اذا « وحدة عمل فابيو مارتينس » . القاعدة في هذه الوحدة هي ان على كل واحد ان يكون حسيب نفسه . لن تطلق تسمية على اي مسؤول. نعامل انفسنا جميعا رفاقا » .

التفت لئونيل نحو جوليو الذي اصبحت له الكلمة . نهض ووضع بندقيته فوق درج المقعد الجالس فوقه . ران صمت أثقل ايضا . ان جوليو في العشرين وهذا أمر يحدث . بزته وتكليفه قائدا لم تنسيهم قسماته ، التي ما تزال صقيلة ، كفتى يافع في وجه نضر .

« نحن سعيدون في الاركان العامة لمعرفتنا انكم قمتم بهذا العمل. اني لمبتهج شخصيا لرؤيتي ما أرى وسماعي ما اسمع هنا هذا المساء . الثورة ليست ثمرة نزعة ولا ثمرة تنظيم او مجموعة مسلحة. الثورة من صنع الشعب كله . لولاه لما انتصرت ابدا . الرفيق على حق بقوله ان الشعب وحده يمكنه حل مسائله . عدد قليل لا يمكنه ان يتوصل الى ذلك .

« من واجبي ان اوضح لكم ما هي الحكومة واللجنة المدنية .القضية قضية اشخاص ليسوا مرتبطين بالسوموزية ولم يتدنسوا بها . اخترناهم ليقوموا في مرحلة اولية بوظيفة حشيات تخمد صدمات المسائل جميعا . لدينا في الاركان الكثير من المسائل العسكرية يجب حلها لنتمكن من ان نتحمل مباشرة مسائل السكان المدنيين جميعا . ان الشعب لم يتمكن حتى الان من اخراج ممثليه الحقيقيين . اضطر بعضهم الى الهرب من المدينة في الاشهر التي سبقت الثورة بسبب القمع . وغيرهم في الخطوط الاولى من المعركة. ليس للشعب بصريح العبارة تعبير سياسي . لهذا اخترنا اعضاء الحكومة من البورجوازية . غير اننا لن ننتزع منهم ما لديهم من جدارة . بعضهم يعمل بحيوية شديدة حتى وان كانوا بورجوازيين ،حتى وان تصرفوا من الخطوط الاولية القديمة المتكدسة في النظام السابق الذي نحن في سبيلنا الى قلبه . يمكن للجميع ان يفهموا ذلك . **يستحيل ان نطلب من شجرة دردار ان تعطي آجاصا . لنتعلم ان ننظر الى تطور الثورة بهدوء** . نحن نتقدم يوما بيوم ، تدفعنا اسباب ملموسة ومحددة في كل مرة . منذ اسابيع قليلة ، لم تكن كل العناصر

المجتمعة اليوم موجودة بعد . لم يكن لدينا ، مثلا ، التنسيق الضروري بين جميع القطاعات المهتمة .»

كان جوليو يعبر ببطء وعناية وعذوبة . قام هذا الصبي بدور اساتذة همهم خاصة ان يكونوا مفهومين . كان يعتذر احيانا لاستخدام كلمة فيها شيء من التعقيد ، مجردة ، ولحالما يشرحها بوجه أبسط وملموس اكثر دوما .

« بعد اربعين عاما من الديكتاتورية تمتع الشعب بحرية التعبير عما في نفسه ولحالما استفاد منها ليقول كيف يريد ان ينظم نفسه. تسعى الجبهة السانديبية للتحرر الوطني الى تشريك الاموال والعمل الجماعي . ان الحاجيات المادية التي يجب ان تتمتعوا بها تجعلكم تشعرون بهذه الضرورة نفسها . ان انشاءكم « وحدة » فابيو مارتينس هذه هي اجمل ثمن استطعنا تصوره لكل الاضاحي والمعارك التي عرفناها. علينا ان نمتن العلاقة بين الشعب والطليعة . لكن من هو الاكثر مسؤولية في تطورنا ؟ انه الشعب . يمكنه الان ان يأخذ زمام المبادرة حين ينوي ذلك ، وفي كل المواضيع . نحن من ناحيتنا نحاول ان نقرن بين ما يجري في المستوى الوطني وما يجري في المستوى المحلي. الثورة بحاجة الى رؤية اوسع وهي ما تزال ـ كما اننا نحن جميعا ما نزال ـ غير صوص صغير ولد لتوه ، كلما نظر ابعد كان حظه في الخلاص اكثر . هذا الاجتماع هو جنين سلطة شعبية . غير ان على السلطة الشعبية ان تكون قادرة على وزن نموها .

« هذه المسائل كلها مرتبطة فيما بينها . نحن اول من تحرر من الامبريالية فوق يابسة القارة الامريكية . هذه الامبريالية القادرة كلية على استعمال النار والدم دفاعا عن نفسها هنا . بقدرتها ان تكون هنا اشد دموية منها في فيتنام. الحصار، مثلا، الذي يحول دون العمل والانتاج، ويمكن ان يؤدي الى ضحايا كبيرة بتعريضنا للمجاعة. مثل هذا التحرك بسيط جدا : ايهام الشعب بأن منظمته الطليعية لم تف بمواعيدها بعد النصر. ويخلق هذا شعورا بالخيبة. ان الجبهة السانديبية ليست من سكان المريخ ولا من اجانب. انها اناس من الشعب...» .

توقف جوليو لحظة فاضطر احدهم للتحرك فوق كرسيه .

«اذا كنتم لا تفهمون فاوقفوني لاكرر او نغير الموضوع ... الحديث

عن الامبريالية هو الحديث عن تربية الخنازير والدجاج التي انتم في سبيلكم الى تنظيمها . نحاول في هذه اللحظة ان نعمل بحيث تكون القرارات الهامة واضحة للجميع في كل المستويات . وذلك بين الامور التي تسيء اشد اساءة الى الامبريالية وتتحملها اقل تحمل . ان مثل أجنة السلطة الشعبية هذه هي تعبير عن كفاح الشعب كله. ولن تمنع الجبهة الساندينية هذه التعابير ابدا بل ستشجعها . لكن علينا ان نعمل بانتباه بحيث لا نخسر ايا من هذه المنجزات. حتى اذا اصبح ذلك ممكنا ، ومنذ ان يكون ذلك ممكنا ، علينا ان نخطو خطوة ونمتن الوضع ثم نخطو غيرها . أخذت تظهر الثورة المضادة في أراضينا المحررة ، وانتم تعرفون أمثلة عنها . ولهذا يتوجب علينا ان نزن تقدمنا بحيث لا نضطر للرجوع الى الوراء ابدا. اي ان علينا في كل مرة ان نتقدم بحيث نعرف كيف ندافع عن أنفسنا . لكن انتبهوا ، ذلك لا يعني ان نظل جامدين . بذلك قدنا الثورة منذ بدايتها حتى اليوم . فانظروا أين نحن » .

اشد ما يذهل في جوليو انه لم يفقد ملامحه الدميوية حتى وهو يمارس وظائفه كقائد . انه ابن عشرين . يا له من خبير في العمل السياسي !

« نريد ، بصفتنا اركانا عامة ، ان نعمم ما انجزتموه . نريد ان يكون مثالكم نموذجا تقتدي به المدينة كلها في الاطار والروح اللذين ذكرتهما الآن . آخذين بعين الاعتبار التحركات الامبريالية بلا خوف منها ، بانتباهنا مع محافظتنا الشديدة على الروح الهجومية في كل الحقول ... جيد ؟ »

رد الجماعة بتزامن أخاذ : ـ نقتدي بذلك . جيد .

ـ نحافظ على الروح الهجومية في الحقلين العسكري والسياسي. يقترن الحقل الاخير مباشرة بالدور المتنامي الذي يولى للشعب . علينا ان نتوصل الى ان ننشىء في البلد كله رتلين عملاقين ، احدهما الجيش الساندينى والاخر مجموع منظمات السلطة الشعبية . يتطلب ذلك وقتا . وليس سهلا انما يستند اليه الشعب لينتصر اخيرا . يتحرك العدو بسهولة اشد في شعب امي مثل شعبنا . ان تحول كل منكم اطارا سياسيا ، يفهم اسهل ان الثورة لا تنتهي بالحرب ، فنعمل جميعا على التقدم أسرع وابعد . ليس الرأس هو الذي يجعل الانسان يفكر احيانا ، انما المعدة ...

استأنف احد المحرضين على الاجتماع : ـ نحن متفقون تماما . أردنا تنظيم هذا الحي بدافع الجوع . نستشيط غضبا تجاه عجزنا . ماذا يمكن ان يشعر به والد يرى اطفاله يموتون جوعا ويرفضون ان يقدموا اليه الطعام بلا ادنى اثر من الانسانية ، لاسباب ادارية غامضة ؟ بعضهم استسلم تجاه ذلك ، لكنا نحن اعتزمنا القتال . الشيء الوحيد الذي نطلبه منكم ، ان تدعونا نعمل . لا نريد ان نصدر اوامر انما نساعد بعضنا بعضا باحترام متبادل .

قال رجل في شارب : ـ لدي رغبة كبيرة في العمل ونسيان نفسي لمساعدة الحي . غير اني اريد ان اثير مسألة الفلاحين الذين هم بلا أرض انهم مرتبطون بالاغنياء الذين يستثمرون اراضيهم مقابل نصف المحصول . ويتردد هؤلاء بالبذر . قال لي احدهم في اليوم الماضي: « انا من يقرر ما يعمله عمالي » . غير ان عائلات بكاملها جائعة لانه ليس لديها ما تعمل منذ خمس سنين . لا يمكن ان يستمر ذلك. يجب اخذ مزارع من استغلوا الفلاحين على هذا النحو .

قالت أصوات كثيرة صادرة من الظلام : ـ موافقون .

ـ وضع الفلاح خطير . امضى حياته بأكل التراب . لا يمكن ان ينتظر نهاية الحرب ، اضافة الى اننا بحاجة اليه . يكفي الاستيلاء على الاسمدة والادوات واعطائها له حتى يشرع بفلاحة الارض المصادرة من الاغنياء . انه لا يطلب غير ذلك .

رد جوليو : ـ لا اتذكر بالضبط النقاط الخمس والعشرين من برنامج الحكومة ، لكني لا انسى ما قيل حول الاصلاح الزراعي . انه ينص ، في الوقت الراهن ، على مصادرة اراضي سوموزا والسوموزيين فقط . وهي كثيرة تكفي لحل مسائلنا المباشرة جدا . وضعنا قائمة بالمزارع السوموزية وسنذيعها قريبا بالراديو . نحن الاركان العامة نضمن لكم عسكريا ان اي أحد لن يستطيع ان يخرجكم منها ان انتم احتللتموها . تلك نقطة اولى تبدو لي واضحة . بقيت مسألة اخرى تحدثتم انتم عنها . لا أعرف لانها ثورتي الاولى ، لكني مع هذا اعتقد انه يجب الاهتمام ايضا بالمساعدة التقنية . اذ يجب ان نستنزف اقصى حد من المزرعة ولا نضيع شيئا لانها لنا . واعتقد اخيرا انه لمن الخير ان تراقبوا السكان الذين سيشتركون بالانتاج والذين احصيتموهم لهذا السبب » .

عاد لئونيل يتكلم : (عملت قائمة بثلاثين شخصا على استعداد

للتعاون ، بينهم والد وابناؤه الخمسة ، وبعض اصدقاء يمكنهم ان يتكفلوا بثلاثين مانزانا (المانزانا الواحدة = هيكتارا واحدا) من مزرعة بقول. واحصيت في الوقت ذاته الحاجيات والناس والاراضي المتوفرة. بالامس مثلا ، قال لي مالك صغير : « لدي ٨ مانزانات . احتفظ باثنين منها. اعمل ما شئت بالنسبة للمتبقية » . سنضع فيها بضعة عائلات ليس لديها ارض تزرعها . اريد ان اعود الى القائمة التي قراتها الآن ، وعلى كل مسؤول ان يوضح فكرته حول العمل الذي يجب اتخاذه ، لان مشاريعنا كلها يمكن ان تبدأ بالتحقق فورا . لا ننتظر غير اذن الاركان العامة .

سأله جوليو : ــ كيف تألفت القائمة ؟

ــ مجموعتنا الصغيرة المؤلفة من خمسة اشخاص اجرت تقديرا اوليا للحاجيات والامكانات . ثم عقدنا اجتماعا اشترك فيه قرابة خمسين شخصا . تحدثنا حول مشاريعنا وناقشناها ، ثم اتفقت آراؤنا جميعا فبدأنا بوضع القائمة الراهنة . قال احدهم : « اعرف ميكانيكيا يمكنه مساعدتنا . وقدم غيره نفسه متطوعا لمثل هذه المسؤولية لانه في شبابه اشتغل بمثل هذا الفرع ، الخ . لكن هيا: بناء الحظائر ..

ترك جملته معلقة ليثير كلام الآخرين .

اعتزم رجل ، لا تضيئه الشمعة ، ان يقترح :« عملت في البناء . يمكنني ان اساعد » .

سأل جوليو : ــ اين هي المادة الاولية ؟

ــ اعرف اين يوجد الخشب . اما بالنسبة للبقية فأعرف دكان خردوات بجانبنا بالضبط يمكننا ان نجد فيه كل الادوات التي نحتاجها.

دققت المشاريع المختلفة واحدة واحدة، اختلف احيانا منطق بعضهم حولها. اذا ارتأوا، مثلا، انشاء ثلاث حظائر كبيرة لتربية الدجاج في عشرات من المراكز العائلية عمليا الاقرب الى المدينة، يريدون ، بالعكس ، انشاء مصنع صابون في قاعة رقص لم تستخدم اطلاقا.

تدخل جوليو : ــ انتبهوا ، ليس جيدا بالضرورة تمركز الانتاج في ماتا غالبا ، بسبب الحرب. علينا الا ننقل الريف الى المدينة التي تشكل هدفا يمكن للعدو ان يركز عليها قواته بسهولة. اذا فرقنا مراكز الانتاج كثيرا، قد يجر ذلك الى مشاكل لا يمكن تخطيها في نقص الوقود. عليكم ان تطرحوا علينا المسائل تبعا لهذين الخطرين وتقرونها بشكل اكثر عقلا

بقدر ما يمكن. وهكذا يمكن النظر في حلين مختلفين، من ناحية، البيض الذي نحن بحاجة اليه في الاسبوع مرة واحدة، ومن ناحية ثانية ، الحليب الذي يجب التوجه اليه كل يوم .

قال لئونيل : ـ نعم، يجب تقريب البقر الى المدينة اكثر من الدجاج.

ـ هكـــذا .

ـ شرعنا فضلا عن ذلك باحصاء كافة المزارع الواقعة قرب ماتاغالبا مباشرة . نفكر في ان نستقدم اليها حتى ٦٠٠ بقرة حلوب ، واذا كانت هذه المزارع ابعد نقيم فيها مصانع جبن حرفية .

لم يتم شيء حتى الان لكن كل شيء يظهر جاهزا. يا لها من افكـــار! ومشاريع بسيطة واضحة سرعان ما تصبح قابلة للتجسد. الحليب والبيض انمـا ايضا اصلاح محرك ديزل يمكنه ان يدير الة تقطع ١٠٠٠٠ بنطال يوميا توزع فيما بعد على عدة ورشات يجمع فيها خياطون وخياطات. كان يجب دومـا ان يكون هنالك احد يتذكر انه كان خياطا او ميكانيكا او انه يتذكـر احـدا لديه الكفاءات المطلوبة .

كل شيء يتم طبعا على اساس التطوع. العمال والفلاحون والموظفون يأخذون ثيابا وطعاما، بقدر ما يتوفر. على اية حال، لهم الان الحق بالغذاء والصحة، وقريبا التربية المجانية مقابل هذه المساهمة في الجهد الجماعي.

سأل جوليو : ـ سيخصص هذا الانتاج بالحي وحده ام يوزع علـى المدينـــة كلهـــا ؟

ـ يجب اولا تلبية حاجات الحي. بعد ذلك، نحن واعون لوجـــوب تعميمه. نحن لسنا وحدنا من لديهم مشاكل من هذا النوع.

اخذ الوقت يتأخر ومع هذا لم يعترض احد. اضطر لتغيير الشمعـة مرتيـــن .

ـ هنالك ايضا مشاكل الصحة. لا تهتم اللجنة بتفشي امراض المعدة والامعاء لانها لا تعاني منها. من الافضل ان يكون لدينا مستشفى، انمـا يجب ايضا تشكيل فرقة تبخير وصحة تنتشر في المدينة بلا هوادة. قررنا تنظيم ذلك تحت مسؤولية رفيق كان ممرضا. اما بالنسبة للسيارات، فقد الححنا على الا تستخدم الا لغايات رسمية، خلافا لسيارات اللجنة .

التفت لئونيل نحو جوليو : ـ هكذا اذا! عرفت الان مـا يمكننـا ان نشرع به. هل ستأذن لنا الاركان العامة ببدء العمل ؟؟

ـ ان تسمح لكم هو امر، لكن ما هنالك من حيويـــة بالشكـل الذي تعرفونه جيدا، متأتية منكم. استمروا. ما حاجتكم الى قرار؟ لقد اصبحت

صريحا جدا فجأة.

ـ لكنا بحاجة الى تفتيش رسمي حين نتوجه للبحث عن الاسمنت والسماد او الوقود .

قال جوليو وهو ينهض : ـ حسنا ! سنذيع بالراديو بلاغ تأييد لوحدة عمل فابيو مارتينس .

عدنا ليلا، لكن رفاق «الحي التقدمي»، الذين انتعشوا بهذا الاتفاق راحوا ينظمون عمل الغد .

في ثكنة لوبه مورينو، اجتمعت ثانية باينريك، وكان مغتاظا من الاجتماع الذي حضره مع المتطوعة الاخرين . «تشاتم شخصان لساعتين لمعرفة فيما اذا كان يمكن ان نكون ماركسيين من غير ان نسلم مصيرنا للاتحاد السوفيتي. مسألة عميقة بلا ريب، لكنها لا تسوي مسائلنا الراهنة ! » .

اعـادة البنـــاء الوطنـــي

حديث القائد هومبيرتو اورتيغـا

ان هدف ((اعادة البناء الوطني)) بكل بساطة هو ارساء الاسس الاقتصادية التي لايمكن عمل شيء بدونهـا .

لو اقتصرنا على ما تضمنته هذه المرحلة من تحولات، لكان لهـا ان تنجـح على يـــد البورجوازية. لكنها عجزت عن ذلك بتحرك اليانكي والسوموزية. ان المسألة الان مسالة خلق الاسس الموضوعية لتنمية كل نظام اعلى مما نخرج منه. والا فلن نتمكن من ان نكون مجتمعـا اشتراكيا تقليدا، ولا مجتمعا رأسماليا ديمقراطيا تحرريا كمجتمع كوستاريكا مثـلا . لا بـد للثورة اذا من ان تمر بمرحلة ((اعادة البناء الوطني))، مرحلة يرهق خلالها الاطـار الدولـي بوطأته الشديدة. ولا بد لمساهمة البورجوازية من ان تمكننا من النجاح بسهولة اشد فـي هذا المشروع. واصر على ان البورجوازية، كالحركة الثورية الطامحة الى الاشتراكية، متفقتان عـلى ان ترسيا اولا الاسس الموضوعية التي يمكنهما تنمية مشروعهما عليها فيما بعد .

فليسمح لي ان احدد اخيرا ان اي ((نظام اعلى)) لا يمكن تصميمه تخطيطيا. اي انـه لا يمكن ان يكون شبيها باي من غيره بالضبط. اذا تحدثنا عن الاشتراكية فنحن لا ننـوي ابـدا ان نقلد يوغوسلافيا او الصين او تشيكوسلوفاكيا او الاتحاد السوفياتي او كوبـا. وبكل بساطة لان لهذه البلدان اشكالها الخاصة بالتنمية الاجتماعية ولها مسائلها الاقتصاديـة وتاريخهـا وتناقضاتها. نحاول، فيما يتعلق بنا، ان نرسي اسس نظام اجتماعـي اعلـى بهدفه المنطقي، اذا انطلقنا من المواقع الثورية، لنحظى بتحرر حقيقي وطني واجتماعي.

يخشى بعضهم من ان تجر الاطاحة بالديكتاتورية الى استغلال عام لكل التناقضات الاجتماعية؟ فيه اجحاف بالتطور نفسه. افضل شكل لتجنبه العمل على انجاح البرنامج المشترك الذي اتفقنا عليه جميعا، وايدت كلا من نقاطه الحركة الثورية والبورجوازية نجد هنا نموذجان من التباعد، اليسار المتطرف واليمين، علينا ان نكافح ضدها لنصل الى «خط وسط». ليس لنا حل اخر اليوم. اما لما تبقى، فان غدا لناظره قريب. لا نعرف كيف سيكون العالم انذاك.

ننوي ان نتغلب على معظم العقبات بقدر ما نتوصل الى شل اولئك الذين يعرقلون سير التطور خطأ. تدرك القطاعات البورجوازية الذكية ان عليها ان تحقق هذا البرنامج اولا اذا ارادت يوما ان تتمكن من تنمية نموذجها الرأسمالي طبق الاصل. نحن لا ننكر اذا بان «تكره» على التطور غصبا، حتى وان كانت تحاول الاستفادة من المرحلة الراهنة لتربح افضل المواقع .

يمكن ان تاتي بعض المصاعب ايضا من الخارج. بدات معظم البلدان الاجنبية تتفهم ما يجري في نيكاراغوا وافضل شكل لمساعدتها في هذه الطرق هي ان نعود الى الحياة الطبيعية باسرع وقت ممكن. ولن ننسى لهذا السبب مفهوم القطاعات الرجعية في الولايات المتحدة، لكنا نستطيع ان نشرع بتجميدها.. نعتمد في التوصل الى ذلك على عملنا وتقييم تطورنا من جانب شعوب امريكا اللاتينية والحكومات التقدمية والتيارات التقدمية في الولايات المتحدة بالذات. ان انجاز برنامجنا بفعالية يتيح كسب شيء من الثقة في نموذج تطورنا، ان لم يكن تجاه اشد الرجعيين رجعية، فتجاه غيرهم على الاقل .

نعتقد اضافة الى ذلك ان اهم ما يشغل ما يسمى بالقطاعات هو استقرار المنطقة . وفي الواقع، ان مفتاح هذه المسالة يمر بجعل الوضع الاقتصادي طبيعيا في نيكاراغوا، حتى وان كانت المسالة في بعض بلدان امريكا الوسطى سياسية اكثر منها اقتصادية. نحن ان لم نتمكن من عودة الحياة الطبيعية الى بلدنا، ستخلق ردة الفعل عناصر بحيث تمتد الازمة الى جيراننا وتتدهور . اذا كانوا يريدون تجنبها، طبقا لستراتيجيتهم، عليهم ان يتصدوا لها، ولا يتخلون عنا اقتصاديا. اضيف ان الاطار السياسي القاري ليس ملائما في الوقت الراهن لتدخل مباشر، لكن الامريكيين الشماليين سيكافحون بوجه اخر في محاولة لانتزاع هيمنتهم على الساندينية. فكيف ؟ بتدخلهم اقتصاديا وسياسيا وتشجيعهم على الانشقاقات الايديولوجية. نحن على استعداد للكفاح فوق هذه الارض ايضا .

الجمعـــة ١٣ تمـوز

((سأحقنك ابرة لتشعر بالقوة وتقاتـل بلا خوف))

الساعة ٨٫٣٠ – في شارع قرب المقر العام. الجو ماطر. مطـر حـار استوائي، حرارة من يستنزفون وقتهم ويتسلون بتبليلك اولا ثم يغرقونك ببطء. كانت اربعة صفوف لعشرين مقاتلا تصطف متوازية فوق الرصيف، تجـاه الاركان العامة تماما، المقيمة فوق ثلاث درجات لمنزل بابـه الخشبي مغلق. ليسوا جنودا تماما بعد، لتباينهم في لباسهم وسلاحهم ورشاقتهم ولون جلدهم وجنسهم، كما نجد كل شيء . لباس الجينز الازرق القـذر شائع اكثر من البدلة. لديهم جميعا اسلحة حربية، الالية منهـا نـادرة. بعضهم في قبعة من نوع ديفي كروكت، او شيء تافه لسائـح امريكي،او قبعة قش ، او قميص «طيار امريكي» .. بينهم فتاة في السادسة عشرة، نهداها مشدودتان الى حميلتها. وصبي في الثالثة عشرة بالكاد ، يجهد في ان يتطاول ليكون اعلى قليلا من سلاحه. وطبيب من الحكومة المدنية، فـي بطـن مرفهة، انصرف وحقيبته الجلدية الصغيرة بيده. واكياس بلاستيكية زرقاء ملقاة على الاكتاف، تكدس فيها خيط عشواء طعام وذخيرة ، ولربما جوارب احتياطية. كانوا كلهم في وقفة استراحة والسلاح عند اقدامهـم يستمعون الى اخر تعليمات المسؤولين، المنحصرين بين الجدران الصفـراء من هذا الشارع الضيق. كان الماء ينهمر فوق الوجوه الرابطة الجـأش. كانت عيونهم متوترة، يصغون بانتباه لاقل التفاصيل حول مهمتهم : طوقوا الرابيـة من الخارج ليحولوا دون اية محاولة لهروب الحرس،بينما يهاجم

من ٤٨ ساعة. توجهوا من غير طعام تقريبا ولا اي شيء يحميهم من المطر. اصيب نصف الجنود بالزكام منذ الليلة الاولى .

« هيا تفرقوا ! » انصرفوا في رتل هندي . كان باياردو آرسه، عضو القيادة القومية للجبهة الساندينية ، وقائد أحد الارتال التي دخلت ماتاغالبا . صافحهم واحدا واحدا وربت على اكتافهم .

ـ حظا سعيدا !

سميته خوان . لم يشأ ، كما هو مفهوم ، بالنظر لقصته ، ان يعطيني اسمه . لم يكن اي شيء قد تقرر حين اجتمعت به .

خوان في الثانية والعشرين ، ليس كبيرا جدا وهو احد هؤلاء الهنود ذوي الشعر الاشقر والجلد الكرميلي الحليبي . يرتدي قميصا ابيض وبنطالا فاتح اللون . كان يجلس فوق كرسي صغير مستدير في احد « سجون » المدينة . انه ليمكننا بالكاد ان نسمي هذا البيت البورجوازي « سجنا » . فمحتلوه يدخلون ويخرجون كما يشاؤون تقريبا. واذا استثنينا حراسه ، كان يستحيل تمييزهم عن الحرس الذين أسروا حين استولي على الكنيسة مؤخرا . كان هؤلاء الحرس يقفون حولنا ، يستمعون الى القصة التي يعرفونها عن ظهر قلب والتي شاركوا في بنائها قليلا ، قصة خوان الذي ترك جالسا لجرح في فخذه . كانت ساقه اليسرى تمتد متصلبة امامه . قال مشيرا الى جراحه :

«سبب لي هذا العقيد فلورس لوبو ، كنا في الكنيسة منذ عشرة ايام بلا طعام تقريبا، واردت ان استسلم لاني كنت جائعا. كنا ثلاثة ، ارتدينا الثياب المدنية وتأهبنا للخروج. قتل الاثنين الاخرين برصاصة في أم بطنيهما، عن كثب. واعتقد انه اكتفى بجرحي لانه يعرفني جيدا .

« بقيت على هذا الوضع عشرة ايام على الماء والملح فقط . ومن ناحية ، كان هنالك الضباط وحرس « مدرسة التدريب الاساسي للمشاة » الذين كان عندهم ويسكي واقراص طبية يتغذون بها . ومن ناحية ثانية ، كنا قرابة اربعين من الحرس العادي . كان لديهم ... بنادق م ١٦ او « الجليل » ، بينما نحن كان لدينا بنادق من غاراند. كان رجال مدرسة التدريب الاساسي للمشاة يدافعون عن الضباط منا . كانت معنوياتهم متدنية ، لكنا كنا نشعر بأنهم لا يبالون بأي شيء . اما نحن فمن الشعب ، لسنا مثلهم . بعد ليلتين من جرح فلورس لوبلي وقتله رفيقي ، خرج هو والضباط وحرس مدرسة التدريب

الاساسي للمشاة من غير ان يقولوا لنا شيئا والتجأوا الى الرابية . حينئذ استسلمنا » .

كان الخوف في عيني خوان . شجعه رفاقه على المضي في حديثه، لكنه سكت ، عندئذ تدخل احدهم وروى : « كان في مقر القيادة اسرى من الجبهة الساندينية . اجبرهم الضباط على ارتداء بزات الحرس وارسلوهم خارجا ليأتوا بجرحى . قتل الكثير منهم على يد رفاقهم . ونجح بعضهم في الهرب . وقطعت رؤوس الباقين على يد اخصائي بالسكين . كان عملا محكما . كان لديهم ما يتدربون به لان فلورس لوبو ، الذي كان يحكم المدينة ، كان طبيبا .

ـ متى دخلت الحرس .

رد خوان : ـ تطوعت منذ ثلاثة اعوام . لم يتح لي الفقر العيش. كنت نوعا ما متشرد . اجتمعت برجل قال لي : « تعال . انهم يطعمون ويؤون ويدفعون وليس في هذا من خطر » . لا بد من القول انه لم تكن هنالك حرب منذ ثلاثة اعوام . كنت اريد ان اعرف ماذا كان ذلك واطلع على الاسلحة الحديثة . كنت اريد خدمة بلدي .

« امضيت في البداية ثلاثة اسابيع في مدرسة التدريب الاساسي للمشاة . كانوا يدربوننا بقسوة . يضربوننا بأخمص البندقية ان لم نركض بسرعة كافية . يسقوننا ماء عفنا ، يضعون رؤوسنا في حوض المراحيض ويجعلوننا نمضي ليالي بكاملها في الركض . لكنا استطعنا ان نختبر كافة نماذج الاسلحة التي يمكن تصورها . الى ان اصبح بعض المدربين اجانب منذ عامين . جاؤوا من بناما والشيلي ومن حيث لا ادري ايضا . لكن كل شيء انتهى الآن ويعرف الضباط النيكاراغون ذلك بما يكفي . اصبحت عريفا ثم ترفعت رقيبا بعد اسابيع قليلة.. اعطوني نقودا لاتمكن من الزواج ... عندي ثلاث بنات » .

سكت خوان ثانية ، تتأرجح نظرته بين الكره والخوف . مرر يده في شعره مرتبكا ، مترددا ...

قاطعه احد رفاقه الشباب : ـ انا ، اضطررت يوما ، بأمر من ضابط ، لان اطلق النار على مدني مار بالشارع . يريدون تدريبنا على مذهبهم ويضعوننا الى جانبهم . يأمروننا بالسلب والسرقة . في بيت جئنا نفتشه ، كانت ساعة فوق طاولة . قال لي الرتيب حين خرجنا، « اذهب وخذها وسأشتريها منك » . ففعلت .

ـ لاحظ فلورس لوبو اننا كنا مجموعة من اربعة رفاق

منزعجين قليلا ـ اكثر من غيرنا . راح يدعونا الى الشراب . حتى انه ذبح دجاجة وقدم لنا الشامبانيا . كان ذلك منذ اسابيع قليلة ،عندما بدأ الهجوم بالضبط . كنا سكرانين ، طلب منا في آخر الليل فيما اذا كنا نقبل بتوقيع عقد معه . كانت قضية سرية بيننا نحن الخمسة والعقيد الاخر ، المسؤول عن المقر . « نحن هنا من اجل هذا . اذا امكننا المساعدة نفضلها طواعية . ثم اختبرني . قال لي :

ـ اتريد ان تكون ضابطا ؟» كيف يمكنني ان اتردد ؟ ظننت اني بذلك استطيع ان ادافع افضل عن عائلتي . عندئذ عرض علي : « هل تقبل بالتوجه بحثا عن قناصة سانديينيين ؟ » « نعم يا عقيدي » .

اخرج خوان القصة من اعماق نفسه :

« دعانا في صباح الغد الساعة الثامنة . قدم لنا خمرا وقال لنا « سأحقنكم بأبرة لتشعروا بقوة كافية وتقاتلوا بلا خوف . ثم سأعطيم اول مهمة لكم » .

حقننا . اصبحنا على استعداد لكل شيء بعد نصف ساعة . بعثنا لنأتي بثماني زجاجات ويسكي من بيته الواقع في منطقة يسيطر عليها الرفاق . لم استطع النوم ثلاثة ايام . لم اكن جائعا . بدأنا نقتل كقناصة . شعرت بأني عظيم بحيث لا يمكن ان ينال مني أحد. لم اكن اشعر بالالم ولا التعب . لبثنا على هذه الحال ثمانية ايام. غير اني اصبحت في النهاية عصبيا جدا لا أطيق شيئا ابدا . اعطاني قليلا من الحبوب لاهدأ . ثم بدأ من جديد » .

رفع خوان كم قميصه الابيض . كان يشاهد في طية ذراعه أثر حقن الابر في الاوردة .

« عدنا ثانية . ارسلنا مرة ايضا لنأتي بالكحول . ونقتل الشباب. اصبحنا في حالة نريد دوما ان نخرج منها . سألناه ان يفعل ذلك. قتل الاشخاص الثلاثة الذين كانوا معي واحدا واحدا . قمت بمهمة او مهمتين وحدي . ثم قلت اني لم أعد اتحمل ابدا ، أريد ان اتوقف . أعتقد اني سأطق . أعطاني حبوبا من جديد .

« ما تزال تنتابني نوبات جنون حتى اليوم . اريد ان اخرج راكضا، اريد فجأة ان ابكي ، اصبحت شديد العصبية أكاد ان ارتجف. هذا الصباح المني قلبي بلا سبب . اريد احيانا الخروج لمجرد ان اخرج . لمجرد اني اختنق . وافعل ذلك حينا اخر كي لا يتألم لي رفاقي ».

صمت . كان المطر يفرقع فوق سطح الصفيح من المرآب المجاور.

تناهى قرع طبول . لا أحد يتحرك حين يحمل الطعام الى الاسرى .

« كان كل شيء واضحا لي قبلا . اما الان فلا اعرف جيدا ابدا ... في الحرب ، المسألة مسألة دفاع شخصي . لا يمكن التسامح مع أحد ... لم اشاهد احدا قط يفعل مثل هذه الامور بمثل هذه البرودة من الدم . كنا في الاغلب نساعد المدنيين . لم اغتصب امراة قط . كنا نغازلها ، فان قبلت ... »

ـ ماذا تفكر لو انتصر سوموزا ؟

ـ يقتلني لاني استسلمت . كانوا يرددون علينا بلا هوادة في التدريب أن الموت افضل من الاستسلام للعدو . واكثر من ذلك انهم قالوا لنا ان الساندينيين سيقتلعون عيوننا واظافرنا . لكن هذا غير صحيح . ويعاملوننا معاملة حسنة هنا .

ـ وماذا تعمل ان انتصر الساندينيون ؟

ـ ... الحق بعائلتي واعود فلاحا كما كنت قبلا .

ـ الا تقبل ان تقاتل الى جانبهم ؟

ـ كلا . لم تعد لي قدرة .

ـ تصر على رفضك اعطاء اسمك لي ؟

شردت عيناه . نظر الى رفاقه الذين شجعوه . خفض رأسه وصمت.

ـ كلا . لا أريد ان اعطي اسمي ، فقد يأخذون عائلتي ليعذبوها . لا اريد ان يسيئوا الى اطفالي . عندهم اخصائيون .

الساعة ١١،٣٠ ـ لقاء في مقر قيادة شيبليون ـ بيت بورجوازي ايضا ـ يسود فيه ايضا نشاط كبير خاصة. شيبليون تصغير لاسم جوزيه ليون ، وهو اسم مستعار لاسم باياردو آرسه ، عضو القيادة القومية للجبهة الساندينية وأحد ممثلي نزعة « الحرب الشعبية المستمرة» ... انه كبير الجسم . باياردو في الثلاثين ، جلده الغامق جدا ولحيته البيضاء تقريبا تأخذان احيانا سيماء « كرائيبيا » يفصح عنها دعابة نظرته المستمرة . شيبليون مع هذا زعيم احدى النزعات الصلبة جدا في الجبهة . وهو من اولئك الذين لا يتمثلون بآفاق النصر ويروق لهم أن يذكروا بالحاح بالقوانين ، ان لم نقل عقائد الكفاح الثوري .

القيادة المسؤول عنها يمكن اتخاذها وسيلة ايضاح للفوارق التي تفصله عن رفاقه في الكفاح . رفاقه هم في اعمار واحدة ويخوضون نفس معركة كافة رفاق القيادات الاخرى في المدينة . همتهم وبشاشتهم وثقتهم ممتاثلة . لكن شيئا ما لا بد منه يظهر في نظافة الامكنة

وحسن التنظيم والانضباط الشديد . الحراس المكلفون بحراسة المبنى يمضون مساء نصف ساعة بسهولة والسلاح عند اقدامهم ، يستمعون الى التعليق السياسي للمسؤول ـ شيبليون نفسه احيانا ـ او ينصرفون ،وهم في الوضعية نفسها ، الى جلسة نقد ونقد ذاتي .

استقبلني شيبليون في زاوية من المطبخ في حين كان يمر بلا انقطاع المقاتلون الذين يجيئون ليأخذوا وجبة الغداء : فاصوليا واقراص ذرة .

ـ هل يمكنك ان تذكر شيئا من حياتك ؟

ـ بكل طيبة خاطر ... ولدت في ماتاغالبا . كانت والدتي خادمة ووالدي صحفيا من المعارضة . عمل سوموزا على احراق جريدته قبل ان ينفيه . مات حين كنت في السابعة ، لكن قلقه اثر في شبابي . لم يكن لدى والدتي اي مال ولا ارث ، فكنا نعيش من عملها الوحيد كخادمة . كانت طفولتي شاقة وكانت عائلتي دوما مناهضة سياسيا للسوموزية ، انما بشكل محدود جدا . كانت بالاحرى محافظة وحين بدأت اراها بوضوح اكثر قليلا ، ادركت انني محافظا الى حد الجنون. ثم اصبحت صحفيا بدوري ، وفتح عيني الاحتكاك بحقائق البلدالاجتماعية والسياسية . انتقلت فترة قصيرة الى جماعات اليسار التقليدي فلم يفدني ذلك في شيء ، عندئذ اصبحت متعاونا مع الجبهة ،وكان ذلك عام ١٩٦٩ . كانت اول مهمة لي في الجامعة حيث قمت بوظيفة معاون رئيس اتحاد الطلاب الوطني . كان المناضلون في المدينة في هذا الوقت يقومون بجهد قليل في كل شيء ، من بلاغات وتوعية في الوسط الشعبي ، واعمال عسكرية ، الخ .

عام ١٩٧٤ ، أوكلت لي القيادة عملا في المناطق الريفية في شمال البلد . كرسنا انفسنا جوهريا لتأهيل السكان سياسيا وسبر الارض وتدريب الفلاحين عسكريا ونظمنا الاسس السوقية لاقامة فرق المغاوير القادمة في المنطقة .

ـ كان انقسام الجبهة الساندينية الى نزعات مختلفة في ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ ، كيف عشت تلك المرحلة ؟

ـ تطور الانقسام حين كنت في ارياف الشمال . كان كل شيء قد استنفد حين عدت الى المدينة ، مع الاسف . كانت المنظمة منقسمة. صممت ان احافظ على المعايير التي انضممت في سبيلها الى الكفاح والتي كافحت حولها في الاعوام السابقة . أكدت لي صحتها ممارستي

الثورية . غير انه كان لي رؤية خاصة حول هذه المسألة لاني اشتركت في اجتماعات المصالحة التي عقدت منذ نهاية عام ١٩٧٦ في محاولة لازالة الانقسام. اتاحت في هذه التجربة ان ادرك ان اصل المشاكل ليس من نوع تصوري فحسب ، بل الى ضعف نمو الحركة الايديولوجي وفقدان نضجها . من الواضح جدا انه يصعب على من يعتبر نفسه ثوريا ان يتمسك بموقف قائلا انه لاسباب شخصية . انه بالاحرى يتحصن خلف مخطط بدائي نظري بشكل لا واع في الاغلب ؛ فينتهي بتركيب بناء ايديولوجي ـ سياسي من غير ان يدرك انه ثمرة تحليل .

« استطعنا ان نتأكد فيما بعد من انه ليس لهذه التباعدات من اسباب ملموسة . لم يكن بقدرة اي واحد من ان يعينها ويجعلها تستقر على تحليل . كان صعبا ان نحل تناقضاتنا على هذا النحو. لاننا حين كنا نبدأ بحل مسألة ونوضح موقفا ، تبرز غيرها ليت لها اية علاقة . ان محتوى تباعداتنا الحقيقي هو في السديم الذي لا يرى فيه احد بوضوح حقا .

« في مثل هذه الحال ، اهتممنا بسرعة ، من جانبنا ، ان ننمي، في نزعة اخرى ، تيارا اصلاحيا مقاتلا بقدرته ان ينمي فرقنا السياسية والعسكرية . كنا واقعيا لا نقاتل رئيسا ولا نظاما .ان مسائل مكافحة طاغية ليست هي نفس مسائل مكافحة بنية ديكتاتورية بكاملها . لكن السديم انجلى اخيرا وادركنا ان التيار الاصلاحي اذا كان قويا فهو ليس تسلطيا كما كنا نخشى . كان ذلك اساسيا ، لانه بالتضامن مع العناصر الساندينية الاخرى أمكن لتيار هذه النزعة الثوري ان يسيطر عليها ، ان لم يكن بحدود مطلقة، فبحدود لا ترجع الى الوراء على الاقل .

ـ ما هي التباعدات التي كانت في الحقل العسكري ؟

ـ نحن نعتقد ، نتيجة لمثل هذا التحليل حول اختيار استراتيجية بامكانية تدخل اجنبي وتحرك سياسي وعسكري من جانب الامبريالية حقيقة . فتصرفنا طبقا لهذا الاحتمال في البداية ، وبدلا من ان نشن الحرب ، قلنا انه ما يزال هنالك متسع من الوقت لنرى بعد ذلك . كيف تترجم هذا ؟

« كرسنا جهدا كبيرا في الحقل السياسي للعمل على تنظيم الجماهير حول ايديولوجية ثورية وبرنامج ثوري في الاحياء وبين النقابات والطلاب . الخ . وعملنا بالتوازي الى ذلك ، في الحقل

العسكري ، على اعداد البلد كله ،معطين الاولوية للمنطقة الشمالية، الاكثر ملاءمة لدعم حرب مقاومة يمكن ان تستمر . بيد اننا لم نعط طابعا مطلقا لهذه الاولوية والبرهان على ذلك وجودنا في كل مكان .

« بناء نواة مسلحة في الجبل يعطينا اليوم قوة كبيرة . اذا اضطررنا لمجابهة تدخل ، لن نضطر في الحقيقة لاعداد شروط المقاومة لانه اصبحت لدينا طبقة فلاحية تدعمنا ، ومعرفة طوبوغرافية جيدة بالمنطقة وننعم بخبرة كاملة متجمعة . ان العمل الذي حققناه خلال سنين عديدة قد بدأ يعطي ثماره ولدينا الان مؤخرة قوية لمجابهة اي احتمال . كنا نؤكد دوما على وجوب خوض الحرب الشعبية في الحقل العسكري والسياسي والدبلوماسي .ان الثوري ، من يحاول ان يخوض كفاحه على نحو علمي ، عليه ان يعمل دوما تبعا لكل الاحتمالات . علينا ان نجمد كل وسائل الضغوط الواقعة علينا بتأكيدنا ، مثلا ، على تعهدنا بالكفاح لمرحلة انتقالية ، ديمقراطية واسعة . بيد انه لا يحق لنا ، تجاه شعبنا ، الا نتوقع امكانية تدخل عسكري .

ـ يظهر ان الجبهة بحاجة اليوم لنصر سريع بقدر ما يمكن . فوجود قوات لديكم حتى الان في الجبل ، في وقت انتم تسيطرون عليه سياسيا ، الا يعرض هذا النصر للتأخير فتتركون هامشا لتحرك عدوكم ؟

ـ هذا هو بالضبط سبب الامر الموجه لهذه القوات بالنزول . ومع هذا ليست المسألة مسألة تقدم وكأننا نركض خلف باص للوصول الى المكتب في الوقت المحدد ، انما لنستفيد من هذه الحركة في تقوية العمل السياسي الذي استمر اعواما عديدة ، وتنظيم الجماهير وتنمية السلطة الشعبية في المنطقة . يجب ان نتصرف ببطء . لا سيما وان الحرب ، كما ندركها اليوم ، هي ثمرة سلسلة تامة من التسويات حول خطة شاملة ناقشها ووافق عليها الجميع ، لكنها لم تحترم .

ـ بعض الساندينيين المنتسبين الى « الحرب الشعبية الطويلة » يؤكدون ان الهجوم قد شن من غير تنبيهكم . هل هذا صحيح ؟

ـ حدث شيء من هذا النوع لكني لا أدري الى اي حد يمكن القول ان الهجوم كان قد شن . الثالثيون ونحن وجهنا للعدو ضربات مستمرة منذ وقت . لكنا لم نقرر زج قواتنا كلها في المعركة الا بعد

التاريخ الذي زجت فيه بعشرة أيام . كنا نريد ان يتطور الاضراب العام لنحصل على مشاركة اكبر من الشعب في مكافحة السوموزية . لقد غيروا في الواقع المستوى في وقت لم يكن مقررا في الخطة التي اتفقنا عليها . فكان أثر ذلك ابعاد الجماهير وتركنا وسط المجابهة . لا اريد ان اقول انهم غيروا أمر شن العمليات ، لكنهم تسرعوا بالحركة . ولا ريب في اننا لم نحسن تقييم طاقة شعبنا القتالية بوجه صحيح ، وندخل في خطتنا بعض متغيرات تكفلت ظروف البلد بادخالها . كانت تفوتنا امور دوما . تسارعت الاحداث من غير ان نتمكن دوما من التدخل ، كما يجب . تجلي هذا الوضع حين بلغ القتال مستواه الشديد في وقت مبكر اكثر مما كان متوقعا ، لم يكن للوحدات الساندينية كلها راديو بعد . فلم يستطع رفاقنا المعسكرون في الجبل ان يتقدموا طبقا للخطة المشتركة لانهم لم يطلعوا على الانعطاف الذي يتقدموا طبقا للخطة المشتركة لانهم لم يطلعوا على الانعطاف الذي أخذته الاحداث . نحن انفسنا انتظرناهم لوقت قصير . كنا مقتنعين بانهم لن يظلوا كامنين في أسفل الجبل .

ـ معظم مقاتلي « الحرب الشعبية الطويلة » الذين اجتمعت بهم يصرون على **ان الاعداد السياسي ضروري قبل زج الشعب في الحرب ...**

ـ لا يمكن اطلاقا لجيش ان يقوم بالثورة في سبيل الشعب حتى وان كان منبثقا من الجماهير ، يمكنه ان يتيح له الظفر بنصر عسكري ، في افضل الاحوال . غير ان الجيش يمكن ان يخدم البورجوازية بلا وعي منه في شعب غير واع ولا منظم . لا يكفي تقديم السلاح وتشكيل فرق قتالية . يسهل في بلدنا وضع البنادق في زاوية من شارع لتوزيعها ، لنجد دوما أيد كثيرة تمتد لتمسك بها . المهم ان نجد اناسا لا يعرفون استخدامها فحسب انما يعرفون ايضا لماذا يقاتلون وضد من .

ـ كيف تحدد موقفك الايديولوجي في علاقته مع التيارات الكبرى المعروفة ؟

ـ أعتقد اني ماركسي مبتديء .

ـ بيد انه يمكن اضافة كيفيات مختلفة بعد الماركسية .

ـ كلا ، الماركسية واحدة بالنسبة لي .

ـ كيف ترى مستقبل الوحدة الساندينية ؟

ـ يصفوننا اليوم من « دعاة الحرب الاهلية المسلحة » او

« ثالتيين » او « بروليتاريا » او انصار « الحرب الشعبية الطويلة ». لكن الساندينية هي كل الشعب ، الشعب المسلح كله . مروحة المحفزات واسعة جدا اذا . بعضهم على استعداد للموت في سبيل الاشتراكية ، وغيرهم يأخذون نصيبهم من الحرب لهدف وحيد هو ان يتمكنوا من التدخل في التطور فيما بعد بانتهازية او بحساب . اذكر لي ثورة واحدة لم تشهد بعد النصر خروج مناهضين للثورة من نفس الوحدات التي صنعتها . نشهد ثوريين يخرجون من كل النزعات ، ومن كل النزعات نشهد ايضا خروج مناهضين للثورة . انما علينا الان ان نكافح كل من يتمسك بالتفرقة . نحن اليوم نموت معا . ان لم توحدنا الحرب نتعرض لمصاعب خطيرة فيما بعد .

ـ ماذا يمكنكم ان تفعلوا لتجنب ذلك ؟

ـ ما نفعله ان نحارب معا ونذير الحرب بشكل مقترن ، ونقود الثورة حتى النصر .

★ ★ ★

تقرر القيام بهجوم خطير بعد هذا الظهر على المستشفى . كان يجب دعوة الحرس الى الاستسلام . ولكي تقنعهم الاركان العامة ، قررت توسط المطران اولا ، فيدعوهم الى ذلك بمكبر للصوت ، فان رفضوا ، تخرج لهم « رامونا » لاول مرة . انه انتصار سيكون له وقع كبير .

« رامونا » هو بطل اليوم ، او بالاحرى بطلة اليوم . جميلة ، تحمل شيئا من الفولكلور ، تتمثل في الاغاني التي يدندن بها المقاتلون اثناء فترات ترقبهم الطويلة . قصتها موجز جميل لهذه الحرب ، شخصيتها رمز عجيب لهذه الثورة .

« رامونا » دبابة ، عربة مدرعة ، تجهز عادة بمدفع في البرج ورشاشين او ثلاثة رشاشات ، بحسب الحال . رامون طفل عجيب ينظر اليه بمحبة مقاتلو ماتاغالبا كلهم ، وهو ثمرة تزاوج دبابتين مجهولتين ، صبت عليهما صاعقة الثورة قذائفها من البازوكا ، من نوع «ر.ب. ج. ـ ٢ » الصغيرة التي اثارت الاعجاب .

قتل والد « رامونا » في ماتاغالبا في اليوم الثاني من الهجوم بعد تدمير دواليبه ومحركه . وسقطت امها ضحية حادث من الطبيعة نفسها على طريق خينوتيغا . كان محركها سليما تقريبا ، ودواليبها ايضا . كان خمسة عشر مدنيا ميكانيكيا من المهرة ، يملؤهم الشحم

الاسود ، قد انكبوا الاربعة عشر يوما فوق سرير « رامونا » . كانوا خلال اسبوعين يجمعون ويركبون وينشرون ويلحمون ، ويرغون ويزبدون ثم يلهون ويعاودون الكرة الى ان جعلوها ترى النور اخيرا . كان المسؤول عن هذه الولادة العملاقة جندي دبابة سابق اشترك في محاولة انقلاب عام ١٩٥٦ . سمى نفسه « ساتانيكو » ، وهو اسم لا يتناسب في شيء مع نظرته الجذابة اللطيفة .

« الطفل » في لون وردي مذهّب جميل . يمكننا ان نقرأ باحرف بيضاء او سوداء : « F.S.L.N. » او « P.L.O.M,O, » وساتانيكو كما كتبوا اسمها بطوق حول البرج : « رامونا » كي لا يتيه عنها احد ، داخلها رمادي ، ككل المدرعات البرية .

يعاني ساتانيكو من المرض ، فحل محله عند المقود رفيق في الثامنة عشر ، يدعى شينو ، متطوع ، « لان الآخرين كلهم خائفون » . أبدلت الرشاشات ،التي لم تعد صالحة للاستخدام ، ببنادق فال مررت في كوى الرمي . لم تكن شديدة التأثير . اما قذائف المدفع، فلها قصة أخرى . اضطروا لصنعها من مادة تم الاستيلاء عليها ، لا يدري أحد من أين . كانت النتيجة : الطعم شديد الحساسية اكثر من المعتاد . حينئذ ، غلفت بدقة كبسولة اشتعال بشريط لاصق وشاش ، كي لا يعرض ذلك لمخاطر غير مجدية .

الساعة ١٤ ـ اجتماع في قيادة روبيرتو . شرح جافيه ، وهو هندي من مازايا ،قوي البنية ، لشينو خطة العمليات. يجب ان تتقدم الدبابة حتى تبلغ الجسر الذي يجتاز النهر وتطلق ثلاث طلقات في ثلاث نقاط مختلفة من المستشفى . ثم يتدخل القائد بمكبر صوته طالبا من الحرس الاستسلام ويعطيهم عهده وعهد الساندينيين انهم لن يمسوهم بأي اذى . وسبب ذلك ان السوموزيين أغلقوا على أنفسهم محتفظين بسبعة عشر مدنيا من مرضى واطفال ورجال دين . ثم هنالك في المكان اسطوانات اوكسجين يخشى ان تنفجر . وتحاول القيادة عمل كل شيء لكي لا يقتل ابرياء ، « لكن ان رفضوا الاستسلام، لا بد من المهاجمة » .

مقر قيادة روبيرتو احد البيوت الاشد ارتفاعا في المدينة ، يقع المستشفى تحتها . كان يجب تمضية نصف ساعة للوصول بينهما . فيا لها من جولة ! حفر الساندينيون انفاقا هائلة . لا يمر في الشارع ابدا ، انما عبر البيوت .ومثل هذه التقنية معروفة نسبيا عند

اخصائيي حرب الشوارع . فقد حفرت ثغرات في الجدران ليمكن الاقتراب من العدو بوجه افضل من غير ان يدرك ذلك ، ومن غير التعرض لاستدلاله . دفعت هذه الظروف الخاصة الى نشر هذا المبدأ في المدينة كلها . ولما كانت المنازل في منحدر ، فقد خلق ذلك اوضاعا غريبة .

لدى خروجي من روبيرتو ، اندفعت راكضا الى بستان تشاهد منه الرابية لكن اشجاره تحمي من رؤية الحرس . ثم هبطت بشكل متعرج الى مزرعة بقول . تعثر روبيرتو بامرأة طائشة انطلقت راكضة صارخة بالقاتل ، بالحارس . دخلنا شارعا جديدا لكنه مواز للنهر . دخلنا عند أناس يجلسون حول مائدة عائلية هادئين .

ـ اعذرونا ، نحن نمر فقط .

ـ ارجوكم . تصرفوا وكأنكم في بيتكم .

تسللنا من ثغرة جديدة ، كانت في حمام هذه المرة ، تطل على خزانة صحون مطبخ مجاور ، فوق مترين من الارض . وضعنا قدما فوق الخزانة وقدما فوق حوض المغسلة ، ثم القدمين ارضا واستأنفنا السير .

يحرس الاماكن الستراتيجية مقاتل او مقاتلان ، يجلسان فوق كرسي او صندوق . لم تكن المراقبة صعبة جدا لانه لا يكن ان يمر من هكه الثغرات غير شخص او شخصين دفعة واحدة ، نصف قرفصة في معظم الوقت . والليل اكثر خطرا خاصة لمن هم اقل خبرة .

وصلنا الى ما كان يسمى بقلب المدينة . كان الطيران والمدفعية قد صبت حممها عليها ، واندلعت فيها الحرائق . دمرت عن آخرها مجموعات من البيوت . ثمة بعض متاريس ، تعلوها احيانا اكياس رمل تتيح في اماكن قليلة مرورا هادئا تقريبا ، لكنها نادرة . الثغرات التي مررنا بها الآن ، احدثتها الصواريخ في الاغلب اكثر من أداة الحفر . كان الماء ما يزال ينبجس من الانابيب المتفجرة محدثا فيضانات او دوشات مرتجلة بحسب ارتفاع الاصابة .. ومتجر كبير محترق تفوح منه رائحة المعلبات العفنة .

يعسكر مقاتلو خط النار في كل الزوايا بامتداد النهر .

مقر قيادة القادة شيبليون وروبيرتو وجوليو في الهواء الطلق على بعد ١٥٠ مترا من المستشفى . الجميع بانتظار رامونا التي تقرر دخولها المسرح الساعة ١٥،٣٠ . الحرس ، قبالتهم ، يشكون بشيء وتظهر

عليهم العصبيـة . يطلقـون النـار من الرابيـة على كل من يتحرك ببنادق « الجليل » ورشاشات خمسين . كـان شابان يجلسان فوق درجـة يحاولان تشغيـل حاسبة الكترونيـة بمسمار عتيـق صدىء ، كانا قـد عثرا عليهـا في الارض ، لكـن عبثا . كانت تكتفي بان تكرر ٤٨×٧٢= ٣٤٤٦ . كـان مفترضـا ان تعطي الوقت ، لكنهـا كانت تفشل دومـا عنـد الساعـة ٩،٣٢ . فتخلصـا منهـا اخيرا بقذفهـا كقنبلة يدويـة باتجاه العدو ... جاءت ماريان ، الفتـاة الشقراء ، تطلب بندقية، فقـد دُمرت بندقيتهـا منذ يوميـن بقنبلة من زنة خمسمائة ليبرة سقطت على بعـد عشرة امتـار منهـا .

وزعت سكاكـر تم الاستيلاء عليهـا ، وزجاجتي بيرة ساخنة . كان شخص في الاسفل يعزف بالبوق لحنـا حربيـا لا يخلو من نشاز . علـى ارتفـاع عشرة امتـار منا ، في مواجهـة النهـر ، ثمة ثغرة في جـدار « مسرح بيرلا » ، حفرت بشكل « h » بالضبط لتكون مركز مراقبة قريب، حول اطلاق رصاصات « الجليل » المتواصل ما حولها بشكل تخريمة .

السـاعـة ١٥،٠٥ ـ وصلت رامونـا بضجة صاخبة . خرج المقاتلون كلهم من ثغراتهم لتحيتهـا .

في أعلى الشارع ، خرج المطران ، في ثياب مسوح ، وحبل ابيض وحذاء بسيور . ويروي الشباب انه كـان مرشد موسوليني ومن الشبيبة الفاشيـة ... ولد فـي ايطاليـا ووجد له ملجـأ في نيكاراغوا .

السـاعـة ١٥،١٠ ـ اخذت رامونـا تتحرك فـي محور الجسر . تقدمت خمسين مترا ثم توقفت واطلقت اول طلقة هربت منها دجاجـة وفراخهـا راحت تضرب أجنحتها عند اتوفنا وسط الانقاض. كانت تنتظر الطلقة الثانية ... تحركت الدبابة الى الخلف ... خرج جافيه من البرج مهتاجا : «لقد استعصى». ظل ظرف القذيفة الاولى متوتدا، يستحيـل انتزاعه . جاء ساتانيكو بحقيبة عدته، اقرب الى مهتاج ساخط : «اذا لـم تكـن لكم ثقـة بي فقولوا ذلك» .

كانت اسلاك تخرج من كل مكان تتصل ببطاريات مصباح جيب عادية ربطت بشريط لاصق. كانوا يسمعون بذلك مواصلات الحرس بالراديـو. كـان ذلك مفيدا وقت الهجوم. كان الكلاب خائفين بحيث نسوا ان يتكلموا رمزا : «هنا المستشفى . ابناء العاهرة هؤلاء يهاجموننا بالدبابة. لا اعرف من اين اخرجوها ، لكن يجب استدعاء الطيران بسرعـة!» كان ضابط

الرابية اكثر هدوءا. وكان يطلب ايضاحات ولم ينس اسمه الرمزي «تيو سام»، العم سام .

اخذ شينو احدى بنادق م١٦ المستخدمة رشاشات لرامونا وراح مع جوليو يطلقان النار. انتهز الفرصة رجل دبابة اخر ليبول ـ سادت فترة هدنة ..

الساعة ١٥٫٤٠ ـ اختفى الاسقف في ثغرة بيت متهدم ـ طلب شيبليون مدفع بازوكا . كات الاتصالات تتم عن طريق اذاعة مطار . اخذت البطاريات تضعف . التفت الي : «هجومنا في موقف حرج. آمل ان يترجم تحقيقك الصحفي بارسال دبابة او دبابتي شيرمان من رفاقنا الفرنسيين. ـ ثم انفجر ضاحكا ـ هذه هي مشكلتنا المادية» . !

الساعة ١٥٫٥٠ ـ عادت رامونا الى العمل واقتربت من الجسر ثم اطلقت النار. لم يحدث شيء. تراجعت الى الخلف . فشل الهجوم هذا اليوم . يجب فك البرج كله .

مع جوليو قرب النهر، كان الشباب ينامون هنالك على مبعدة خمسين مترا من الحرس. لم يكن عددهم كبيرا جدا . اوضح لي جوليو : «لا حاجة لان يكونوا اكثر، نتصرف دوما على هذا النحو، نحطم مخططهم التقليدي. على اية حال، خوفهم واحد ان كنا بالمئات». اجتمعت بمقاتل يتدرع بجعب رصاص، لماذا كل هذا؟ «نحن في حرب يا مانو. اذا طوقني الحرس الوطني فلدي ما اكدره به». كان يرافق اعضاء الاركان العامة حارس او حارسان، لا يفارقونهم في تنقلاتهم في المدينة ابدا. سأل احدهم اخبارا عن فتاة شقراء، سأله بخبث رئيس الزمرة :

ـ لماذا ؟ اهي تخصك ؟

قال وهو يتفجر ضحكا : ـ كلا ! انها تعجبني .

لاحظونا من المستشفى وانطلق الرصاص بأزيزه المرتفع مارا بالقرب منا .

صعدنا ثانية، اضاع جوليو، وسط الشارع الذي يسيطر عليه القناصة، مطواة سويسرية، حلم المقاتلين جميعا. لا سبيل الى تركها. لكن هل يموت في سبيلها؟.. حاول تحويلها بقذف قطع قرميد. لم يجد ذلك شيئا. اندفع في نقاش طويل ليجد افضل تقنية. ان الكلاب يترقبون ويدهم على الزناد. تحفز وحسب نقاطه واندفع بينما اطلق احدهم رشة بندقية. انتهت جولته بقذف المطواة بضربة محكمة من قدمه .

انطلقت خلفنا ضحكة مبتهجة قوية كصهيل حصان . احد المقاتلين راقب المشهد جذلا، وفوق بزته، بمستوى قلبه، شريط احمر واخر اسود، من هذه الشرائط اللاصقة التي يمكن ان نلاحظ فوقها احرفا بارزة. كتب فوق الاسود الاحرف الاولى من : الجبهة الساندينية للتحرر الوطني، وفوق الاحمر ابيات من الشعر انشدها في شريط تسجيل لدعوة فلورس لوبه للاستسلام حين كان محاصرا في الكنيسة، وهي ابيات معروفة من المقاتلين جميعا .

الساعة ٢٠ ـ تعشينا في قاعة طعام قيادة لوبه مورينو، فاصولياء واقراص ذرة بصحبة روبيرتو . اخذ كاميلو يحضر ملاجيء في زاوية. كان العمل بطيئا ومنهكا لصلابة الارض. كان يتم حفر ثلاثين سنتيمترا في اليوم. تغطي جدران المطبخ شعارات امتد احدها قرابة اربعة امتار : «ان تكون مسيحيا يعني ان تكون ثوريا».

يكرس روبيرتو معظم نشاطه للمسائل العسكرية ، بخلاف جوليو المكلف بالاتصال بين الاركان العامة والمدنيين. لكن الاثنين ينتميان الى نزعة «الحرب الاهلية المسلحة» . سألته عما يظنه حول تأثير الحرس الوطني في ماتا غالبا .

ـ الحرس الوطني جيد التدريب وقد عرفت السوموزية كيف تجعل منه منذ وقت طويل فرقة منضبطة ومؤثرة . لكنه ارتكب اخطاء عديدة، الاولى انه لم يفعل كل شيء لئلا تسقط ليون بأيدينا منذ الايام الاولى من الحرب، وهي نقطة ستراتيجية تسيطر على شمال وغرب البلاد. يستخدمون في الاغلب ما لديهم من معدات خلافا للصواب . ولا تستجيب هيئة الضباط كلها لمتطلبات الحرب التي تخوضها . كانوا اول من تخلى عن المعركة، باستثناء بعض الشباب المغامرين. اما الجنود فقد ضخموا عددهم في الاشهر الاخيرة، غير ان قدرة المجندين الجدد على العمل ضعيفة ويفرون بسهولة. والنتيجة اليوم انهم عاجزون عن شن هجوم جدي معاكس على اي من النقاط التي نحتلها، رغم تفوقهم في المعدات. وخطأهم الفادح جدا في ماتا غالبا هو تصورهم الدفاع عن المدينة على اساس ما حدث في ايلول ١٩٧٨. لكن عدد المقاتلين الساندنيين العاملين في البلاد كلها لم يتجاوز في السنة الماضية مائتي رجل. بعد اول موجة انتصارات حققناها، لا سيما بفضل مساهمة الشعب الكبيرة، استطاع الحرس ان يستعيد المدن واحدة واحدة. قرروا اذا في هذه المرة اخذ سلسلة من النقاط الثانوية في اول مرحلة، وان تعقدت الامور، الانسحاب الى مقر القيادة

وانتظار وصول جنود الانقاذ من مدرسة التدريب الاساسي للمشاة. لقد تحصنوا في موقع فوق الرابية من ناحية الغرب، ما يزالون يحتفظون به حتى اليوم، لكنهم نسوا ان يفعلوا مثل ذلك فوق الرابية من ناحية الشرق، وهذا ما اتاح لنا تحرير المدينة كلها تقريبا. حاولوا بعد ذلك شن هجوم في هذه المنطقة آملين الا يجدوا فيها غير صبية ببنادق «٢٢» كما حدث في ايلول. غير انه كان بانتظارهم وحدة محنكة من مغاوير مجهزة بأسلحة عضوية، لاننا توقعنا تحركهم .

«اكتسب الحرس الوطني خبرة تقنية في قتال المدن مقتديا بنا . في خينوتيغما، مثلا، احدثوا هم ـ ايضا ـ ثغرات في الجدران لينتقلوا من بيت لبيت. لكنهم لم يروا عمل هذا مناسبا في ماتا غالبا . كان تكتيكهم الاساسي حرق مجموعات بيوت بكاملها ليحولوا دون تقدمنا. لجأنا نحن ايضا الى هذا المنهج انما لمرة او مرتين حينما كان ذلك يمكننا من حرق احد مواقعهم المحصنة ».

روبيرتو ، لا يشاهد في مكان من المدينة، بما فيها الاماكن التي يفترض الا يكون فيها، بسبب الخطر. اخر توجيهات قيادة الجبهة الساندينية واضحة مع هذا : على كبار المسؤولين الا يعرضوا انفسهم للخطر بعد ان اصبح النصر ممكنا الان. كانت المنظمة قد فقدت عددا لا بأس به من الكوادر سبب نقصا رهيبا في المرحلة التالية .

كان لديه من التواضع والبساطة ما لدى الاخرين، انما يضاف اليهما شيء من «الجدية» الظاهرة .

ـ ما هي المسائل الكبيرة التي لاقيتها في ماتا غالبا من وجهة النظر العسكرية ؟

ـ اكثر ما ضايقنا من ناحية العدو وجود ارض مكشوفة قرب مقر قيادته. كما تحول الارض الصلبة في معظم الوقت دون حفر خنادق والكثير من البيوت واهن فلا يستخدم لحماية حقيقية من اسلحة يستخدمونها. لديهم مدافع هاون وصواريخ ورشاشات ثقيلة جعلتهم يتفوقون كثيرا. ودمر طيرانهم جزءا كبيرا من المدينة، لكنه احدث اذى بالسكان المدنيين اكثر من المقاتلين.

ـ لماذا لم تستولوا بشكل اسرع على اخر مواقع الحرس الوطني ؟

ـ اساس قوتنا البندقية. علينا ان نقترب من اهدافهم ونطوقهم ونضغط عليهم لاضعافهم وبذلك فقط يمكننا ان نهاجم. وهذا يتطلب وقتا. نحن مضطرون لاخذ مواقعهم واحدا واحدا، القائمة دوما في مباني صلبة

جدا تتمتع بحقل رمي رائع. ولو كان لدينا مدفع هاون لاستولينا عليها كلها في يوم واحد .

ـ ومدافع البازوكا ؟

ـ لتكون مدافع البازوكا ناجعة في هذا النوع من المعركة لا بد من امتلاك ذخيرة كبيرة وانابيب عديدة لتستخدم معا. بينما ليس لدينا قذائف ولا قاذفين بما يكفي . نستخدم هذا السلاح اذا بشكل خاص، مرتبط بالمشاة. غير اننا لاسباب ترجع الى تجربتنا، نعاني كثيرا من تجميع قواتنا واعداد كل شيء في وقت واحد وايجاد مكان لكل سلاح ومقاتل، واحسن استخدام ممكن له. نضطر للتفكير طويلا اكثر من الاخرين لنجد الردود على الاسئلة المطروحة .

ـ الا تفكرون باستخدام الدبابة كراس رمح في حركة المشاة في الهجوم على المستشفى ؟

ـ هذا تكتيك شائع فعلا. لكن لا خبرة لنا بذلك، لا سيما ليس لدينا وسائل الاتصال الضرورية لعملية من هذا النوع. كان فقدان التنسيق شاملا في الهجوم على مقر القيادة فعلينا ان نعمل كل شيء لتجنب تكرار ذلك .

ـ كيف توزع المقاتلين المحنكين والجنود ؟

ـ تتألف بعض الوحدات من فصيلين، كالتي توجهت هذا الصباح لمحاضرة الرابية. بيد انه لدينا وحدات صدام لا نجد فيها غير مقاتلين محنكين، وهي مكلفة بالاستيلاء على المستشفى .

قدم بعض المتطوعين والمتطوعات وتحلقوا حول المائدة . وضحت مصاعب الاتصال. جاء ساع من الرابية. ليس لديهم راديو فلا بد من تسوية المسائل كلها عن طريق رسول. كان مقاتلا اغرقه البلل منهوك القوى اضطر ان يمشي عدة كيلومترات تحت المطر وقرب خطوط العدو ليحمل رسالة. يضاف الى ذلك انه لا يعرف كلمة السر ليلا ... فحدثت له بعض المشاكل ليدخل المدينة. اخرج من جيبه رقعة ورق صغيرة جدا بقياس سنتيمترين بسنتيمتر واحد، محاطة بشريط لاصق . كانت التقنية الشائعة الاستخدام في العمل السري، هي كتابة نص الرسالة فوق اصغر سطح ممكن. ثم احاطتها بورقة ثانية تغطي هي ايضا بدقة متناهية بشريط لاصق، لا يبتل بقدر ما يمكن .

يظهر ان كل شيء يجري على ما يرام من ناحية الرابية، غير انهم بحاجة لقطع بلاستيك واسعة ليناموا بمنجى من المطر، وملح لحفظ لحم

الحيوانات التي اصطادوها. ارسل روبيرتو في طلب كل منها. سيتم نقل المنتجات المطلوبة على ظهر حصان. قال معلقا : « ان مغوارا بلا ملح ميت، لان الملح يثبت الماء في الجسم. انه درس جاءنا من عهد ساندينو» .

ـ كيف تعمل الاركان العامة المشتركة في ماتا غالبا ؟

ـ حسنا. المسائل العسكرية واحدة بالنسبة للجميع. جرت مناقشات كثيرة على المستويين القومي والمحلي، وهذا منطقي. على اية حال، كنا نتوصل دوما الى الاتفاق، تحت ضغط الحرب. تتألف اركاننا العامة من مسؤولين عن ستة ارتال تخوض المعركة للسيطرة على المدينة، ثلاثة منها من اتجاه «الحرب الشعبية المسلحة» واثنان من «الحرب الشعبية الطويلة» وواحد «بروليتاري». نعمل على نحو ديمقراطي وليس رتبي، ونتخذ قراراتنا بالنسبة للاوليات القومية اخذين بعين الاعتبار ضمنا التجربة التي اكتسبها كل منا . وليست لدينا حتى الان اية مسألة .

ـ اين هي وحدة الجبهة من ذلك ؟

ـ يمكننا القول انها قائمة في الواقع. وذلك لا يمنع من وجود فروق طفيفة. نجد في كل نزعة قطاعات وحدوية لانها اكثر وعيا ويجهل غيرها مدى اساسية هذه المسألة للجميع. ويرجع تقدمنا الى احترامنا المواقف المختلفة وعدم ضغطنا على اي احد بخلق مواقع اللقاءات الضرورية لتجسيد رغبة الوحدة القائمة، القوية تقريبا لدى كل منا. من الواضح للجميع ان الوحدة ضرورة استراتيجية ان اردنا التقدم نحو الاشتراكية. العودة الى الخلف صعبة الان، غير انه ليس مستحيلا ان ننساق فيما بعد الى التخلص من بعض العناصر التي تتصدى للخطوات التي يجب علينا ان نجتازها ايضا باتجاه الوحدة العضوية. تأتي الان اشد التمنعات خطرا من بعض «الاطر الوسيطة». حدث الانقسام عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ في ظروف صعبة جدا . كان يصعب معرفة مداه على اولئك الذين توصلوا اليه في ذلك الوقت او فيما بعد بالضبط، بأية نزعة كانت . وهم الذين كانوا اشد تأثرا به، لانهم كانوا غالبا ما يقولون انه يجب تقوية النزعة لا الجبهة. تكوينهم في هذا الاطار، فلا هم من السابقين ولا اللاحقين. ثم اعتقد ان علينا الا ننسى في ذلك كله وزن فقدان عام في التجربة السياسية .

ـ يقول البعض ان الوحدة ليست غير تحالف تكتيكي ...

ـ يا لها من حماقة ! اعتقد ان المسألة هنا، بالعكس، مسألة «تحالف ستراتيجي» .

ـ لماذا لا تولون، في الوضع الراهن، اهمية اشد للجبهة الشمالية؟

ـ اذكر اولا بأن الجبهة الشمالية تقع خارج مدى الوسائل الناجعة جدا التي بحوزتنا ولا تتمتع «بملاذ» كما هو الشأن في كوستاريكا. لكن المسألة تكون في غاية الخطورة حين تطرح مسألة اثار الاحلاف الماضية. ان مساعدة حلفائنا تعتمد بكل وضوح على مشروع سياسي. يتوقعون ان يعززوا بفضله التحالف بين البورجوازية وبعض قطاعات من الجبهة الساندينية، فيشلوا بذلك الجبهة الساندينية في مشروع اجتماعي ـ ديمقراطي . انهم يفضلون تقوية الجنوب بدلا من الشمال الاكثر ثورية تقليديا. نزح سكان الجنوب وانخفضت طاقات انتاج المنطقة فأصبح مقاتلوها يعتمدون كلية تقريبا على المساعدة الخارجية، اضافة الى ذلك انهم اضطروا للاقتصار على النشاطات العسكرية البحتة لا السياسية والعسكرية كما نفعل نحن في الشمال والغرب. حتى ان حلفاءنا يمنعون، في نطاق ما، وصول المساعدة الى الشمال. اما فيما يتعلق بنا، فنحن نتقبل المساعدة من اية جهة كانت ونوصلها حيثما استطعنا. ويتلقى منها الشمال انما بكمية ضئيلة .

«لم تنس القيادة القومية مميزات الشمال، بيد انه يستحيل عليها في المرحلة الراهنة ان تفعل افضل من ذلك، كي ترسل الينا المزيد . ويجب الا يغيب عن نظرنا في مثل هذا الوضع اننا مع هذا ننتصر بوجه شامل. على هذا النحو، لم يكن لدينا عامي ١٩٧٦ ـ ١٩٧٧ اكثر من مائة سلاح عضوي في الشمال والغرب. واليوم تنقصنا الاسلحة الثقيلة بلا ريب بيد انه لدينا اسلحة حربية اكثر بكثير من ذلك الوقت .

«واضيف ان انقلابا في الوضع ممكن لو يتوصل الشمال لحل مسائله وحده. فهو في الواقع المنطقة التي يمكننا ان ندافع عنها خير دفاع سياسيا وعسكريا ان طالت الحرب او حدث تدخل اجنبي . نحن جميعا تقريبا متفقون حول هذه المسألة، ولقد تقرر تقوية الشمال.

لاح على روبيرتو انه يريد ان ينهض. كان عليه ان يشترك في اجتماع للاركان العامة التي ستقرر فيما اذا كان ممكنا ان تتم العملية غدا، وفقا للاصلاحات التي اجريت على الدبابة .

ـ سؤال اخر . هل تقبل ان تتحدث عن حياتك الخاصة ؟

اجابني فورا من غير تردد :

ـ عمري ٢٤ عاما. ولدت في وسط موسر. كان والدي محاميا دوليا لكنه كان ضد السوموزية دوما. ادركت اذا منذ صغري ضرورة

مقاومة الديكتاتورية. كنت خياليا الى حد ما، ورايـــت، بـلا اي وعـي سياسي، في المغاوير الذين كانوا يناضلون في امريكا اللاتينية، مخرجـــا من الوضع في بلدي. ومنحني اشتراكي في الحركة المسيحية امكانيـــة تعميق تساؤلاتي الروحية والاحتكاك مباشرة بالبؤس والقمع ايضا. اخـذت الفلسفة من اهتمامي كثيرا ، وأنا في المدرســة التجهيزيــة ، واكتسبـت مناقشاتي، في الوقت ذاته، محتوى ثوريـا في بلـدي. ناضلت في جبهة الطلاب الثورية، ثم سرعان ما انضممت مباشرة الى الجبهة الساندينيـــة. لجأت، في الاول من ايلول ١٩٧٤، الى النشاط السري لاتابع دورس مدرسة للاعداد العسكري ـ السياسي . وسنحت لي الفرصة لاقوم برحلـة الـى كوبا. كانت تجربة فذة بالنسبة لي. رايت عن كثب اشتراكية قريبة الينا علمتني اكثر من مطالعة مائة الف كتاب !

اعتقلت في ليون في ٨ اذار ١٩٧٦ . عذبونـي طـوال شهر قبل ان يحكموا علي بالسجن ثلاثين عاما. بيد اني لم امض فيه غير عامين ونصف العـام اذ حررت بعد الهجوم على القصر الوطني في اب الماضي. عدت الى نيكاراغوا منذ ايلول .

«عشت ايام تطور الانقسام في السجن حيث لبثت متمسكا بمواقفي مـن «الحرب الشعبية الطويلة». استطعت بعد خروجي من السجن، ان اكمل رؤيتي السياسية فظهر لي ان ان انصار «الحرب الشعبية المسلحة» كانوا منسجمين مع الحقيقة النيكاراغوية .

ـ هل الثالثيون ماركسيون ؟

ـ بلا ريب. بعضهم، على اية حال. نحن ندافع عـــن الاشتراكيـة والماركسية، انما بأقل صلابة ممكنة. وذلك ما يميزنا بلا شك. نسعـــى لتنمية نظرية سياسية وممارستها على اساس الاشتراكية، تتيح لنا حل مسائـل بلدنـا .

ـ هل انت ماركســي ؟

ـ ان كون المرء ماركسيا يستتبع، اضافة لدراسة نصوصها، ترجمتها من حيث وجهة النظر الجدلية حول الحياة. وذلك بالنسبة لي تحليـــل يغني، لكنني لا استطيع ان اعتقد باني ماركسي لثغرات في هامة في حقل المعرفـة وتفسير الحقيقة .

نهض وابتسم وقال لي :

«يصعب جدا ان يضون المرء ماركسيا من وجهة النظر الماركسية»!

البورجوازيــة

حديث القائد جيم ويلوك

لم نعرف ، في نيكاراغوا صراعا طبقيا داميا كما في السلفادور مثلا. ليست لدينا حرب اهلية.الناس جميعا هنا يكافحون الديكتاتورية، حتى وان كانت هذه الحرب قد اثـــرت خاصة بالعمال والفلاحين. كان محتوى الكفاح السياسي اشبه بحرب تحرر وطني، في اطـار مـا كان يحكمنا الحرس الوطني الذي خلقته الولايات المتحدة منذ تدخلها المبـاشر وظـل يسلك سلوك جيش محتل حقيقي. حين جاء ستيمسون عام ١٩٢٧ قال : «لا نستطيع عمـل شيء مع السياسيين البورجوازيين. فلننساهم ونتفاهم مباشرة مع العسكريين الذين سوف يمنحوننـا السلطـة » . حينئذ انشـىء الحرس الوطني . كانت المسالة في الواقع مسالة قيـام شكل سيطـرة تقليدي استخدمته الولايات المتحدة فـي بلدان ورجوازيتهـا حديثـة ضعيفة جدا وعاجزة عـن السيطرة على مجتمع اصبح فقـر جماهيـره ضروريـا لتوليـد توترات اجتماعيـة كبيرة . غيـر ان سوموزا ، الذي ترأس الحرس الوطني ، توصـل تدريجيـا لاحتكـار سلطـة الدولة والدور السياسي لصالح طغمته . لكـن مـن لم يكـن في البدايـة غيـر اداة ، فقـد فـي النهايـة عقلانيته بحيث تصدى لمن خلقه : الامبريالية. ثم تحول صورة مسيطرة الجانب المرضي العارض فـي سلالة سوموزا . واصبحت السوموزية سلطـة بحـد ذاتهـا وأمكـن لسوموزا ان يفعل ما يشاء بقوة هـذه الديكتاتورية والجيش، وبفضل ابويـه مارس السلطـة لا شريك لـه فيهـا منذ اربعيـن عامـا ، بفضل الاثراء مـن المناصب المربحـة والفساد . كانت النتيجـة المنطقيـة لهذا الانحلال ان وجـد نفسه منعزلا. استفدنـا من هذا الوضع وانقلب الموقف ضـده منذ ذلـك الوقت ، وبدأ ينهار . كـان

دورنا ان نجهز عليه عسكريا ، بعد ان ظهرت الشروط الموضوعية والذاتية .

بيد انه لمن الخطأ الفادح ان نستخلص مما قلت الان ان ليس بيننا والبورجوازية من تناقضات . فماذا حدث ؟ .. كانت في مرحلتها الاولى عاجزة عن تأليف جيشها ولهذا انتقلنا من حكم الاقلية المتنفذة التقليدية التي تبيع اللحم والجبن او الموز ، الى الديكتاتورية العسكرية لا البورجوازية كما في البلدان التي توجد فيها هذه الطبقة قوية. ثم اختارت ، في مرحلتها الثانية ، ان تتحالف مع السلطة . ولم يكن الناطقين باسمها غير « قراقوزات » تجاه احتكار سوموزا للدور السياسي . واظهرت عجزها عن تأليف حزب يمكنه الدفاع عن مصالحها الحقيقية . ولهذين السببين ، حين اصبحت قوية ، متينة بالحدود الاقتصادية ـ وهي مرحلة لم تتوصل اليها الا مؤخرا ـ لم تكن لديها خبرة سياسية كطبقة . وقبل ان تتمكن من تحويل قوتها المتعاظمة الى امكانات حقيقية للسلطة ، ثرنا نحن مع الشعب ضد الديكتاتورية . كانت القطاعات الاجتماعية الاخرى طوال هذا الوقت تجمع قوى وتستعد لاستلام السلطة. حين شعرت بذلك ، من الممكن انها حاولت ثانية ان تخون ، بعد فشل ثورةايلول، بمناسبة كافة التحركات التي جرت حول الوساطة . لكن الاوان قد فات . كان الشعب قد اعترف بنا طليعة له ، واننا الوحيدون على الصعيد الدولي الذين يمكنهم ان يتلقوا المساعدة العسكرية الضرورية للاطاحة بالديكتاتورية . وحاولت البورجوازية ايضا اتخاذ مفاوير لها فجدت لتحصل على مساعدة من فنزويلا والبيرو . فماذا كانت ردة فعل هذين البلدين ؟حين رأيا قوة الجبهة قالا : « ها هم اولاء من يناضلون ولديهم خبرة» وحين تلقى البورجوازيون المساعدة ، رغم كل شيء ، سرق قسم من النقود ، وحدثت في صفوفهم انشقاقات ، وفرّ عدد منهم ، وحين ادعوا ان لديهم معسكرا يضم ٢٠٠ شخص وانه يمكننا ان نرى ذلك ، لم نجد فيه غير ١٧ شخصا. ولم تكن لديهم وسائل تحريك الجماهير ودفعها الى الحرب . ولقد حرموا على مقاتليهم مطالعة المواضيع الثورية . كاوا عاجزين عن خلق ثورة كثورتنا التي نقودها نحن الان الى النصر . كانوا من قبل قد أزيلوا تاريخيا كطليعة . وانه لمن الخطأ القول انهم كانوا دوما الى جانبنا . لا بل انه مكننا القول ان بعض القطاعات قد كافحت حتى اللحظة الاخيرة كي لا ينتصر الخيار الذي اخترناه ، وقبل ثلاثة ايام من تسلمنا السلطة ، كان ما يزال في فنزويلا ثلاثة او اربعة من السادة يسعون لاخماد النصر ويحاولون القيام بتحركات لخطف النصر .

السبت ١٤ تموز

«لان العيش افضل ...»

الاذاعة الوطنية : مطران ماناغوا ، ميغل اوفاندو اي برافو ، اصبح « القائد ميغل » بالنسبة للسوموزيين ، رغم صداقاته المتينة مع سفارة الولايات المتحدة . أوليت مكانة كبيرة للخطاب الذي القاه لتوه ، في عاصمة نيكارغوا ، الجمهوري هانسن . وهو برلماني امريكي « حيا فيه النواب المنتخبين لا المفروضين بحد البنادق » . تمتم مقاتل وهو يسمع النبأ: « اني لاتساءل كم دفع له سوموزا » .

اذاعة ماناغالبا ـ نصيحة : « ايها المواطنون ! ادفنوا قماماتكم مثلما تدفن الجبهة الساندنية السوموزية ، الان ! » ثم أمر وقّعه بورجوازيو الحكومة ، يحرّم تجارة التجزئة ويدعو الى فضح المخالفات المحتملة . العقوبات المقررة : تدمير التجارة لاول مرة ، السجن ثلاثين يوما في حالة تكرار الجرم .

لن تتم اليوم العملية ضد المستشفى لانهم اضطروا لفك مدفع رامونا بكامله .

رحلة بسيارة الجيب ان سان رامون ، وهي قرية سكانها ٢٠٠٠ نسمة وتقع على بعد قرابة عشرين كيلومترا شمال ماناغالبا . الطريق جبلية تتخللها غيوم ، التقينا فيها برجال ونساء يحملون صررا فوق اكتافهم . بعضهم ما يزال يغادر المدينة حيث يجري القتال . كان الطيران

يبث الخوف . وشعر غيرهم باقتراب النصر فأخذ يعود الى المدينة. انتهز ذلك بعض الفلاحين ليبيعوا خفية منتجات ارضهم .

تقع اماكن اللجنة المدنية في مبنى كبير طليت جدرانه باللون الازرق . سقفه مرتفع جدا . على الارض ، اكداس من اكياس حبوب، معظمها ذرة صفراء . ما تزال تحمل خاتم المنظمة التي كان يحاول سوموزا ان يسيطر بوساطتها على الفلاحين ويشتريهم .

كان يظهر شيء من البيروقراطية ، فثمة ثلاث طاولات ، اثنتان منهما تعلوهما آلتين كاتبتين . وسيكريتران يثرثران امام ملفات فارغة . الم يكن لديهما ما يعملان ؟

كان مصباح كهربائي يسطع في السقف ، دليلا على ثراء نسبي وترف مطلق . في سان رامون كهرباء . فوق الجدران الكبيرة ، ثمة اعلان واحد يمثل طفلا من العالم الثالث شوهه سوء التغذية ، وشعار لم تكمل جملته : « البروليتاريون دوما ... » كان اناس يصطفون رتلا خارج المبنى منذ الساعة ٨،٣٠ ، يحملون جراتهم الفخارية وقصعاتهم الحديدية البيضاء او أباريقهم البلاستيكية . ينتظرون توزيع الحليب للاطفال المقرر في الساعة ١١ .

وصل وجهاء المجلس واحدا بعد آخر ، يتباهون بسيمائهم المترفعة .

انتقلنا الى الحجرة الخلفية . كانت نافذة مفتوحة تطل على الريف .. كانت هناك خنازير ، وصبية تلهو وسط الطين وكوخ بائس من الواح خشبية .

كان المجلس في الوقع هو لجنة التنسيق واعادة البناء لبلدية سان رامون . اختارت الاركان العامة لماتاغالبا اعضاءها بعد اجتماع للاهالي في ساحة القرية . كانوا ثلاثة عشر شخصا من « الوجهاء والمسؤولين » ، لانهم تقدموا عن طواعية للمساعدة في حل مشكلة اللاجئين . لم تكن القضية بسيطة ، فقد كان هنالك ٤٠٠٠ شخص بدلا من ٢٠٠٠ شخص من سكان القرية التي كانوا يطعمون فيها ويأوون ، وبينهم نسبة كبيرة ، طبعا ، من النساء والاطفال والشيوخ . كان في اللجنة طبيب ومهندس زراعي وممرض ومحاسب وموظف شركة الكهرباء ، يضاف اليهم مزارع وبناء وتقني زراعي وسكرتير. لم يناضل اي منهم في سبيل الجبهة الساندينية ايام سوموزا . قال المهندس الزراعي : « اضطررنا لان نتكتم بسبب الاخطار . كان

الوضع في قرية كقريتنا على الاغلب اسوأ ايضا مما كان عليه في المدن . كانت سلطة ضابط الحرس الوطني مطلقة . كان يخضعنا بالارهاب ، حتى انه كان يستولي بكل بساطة على المزرعة التي تعجبه . وان فكر المالك بالاحتجاج فقط ، فنهايته محتومة .

لقد سووا جميعا « تقريبا » مشكلة اللاجئين بفضل تعاون القرية كلها . وأعيد ، بقدر المستطاع ، تشغيل مصنع جبن ومصنع سكاكر صغير ومصنع أحذية للاطفال .

وانصب **الجهد الاساسي لتنظيم الانتاج الزراعي** . وقد اوضح المهندس الزراعي :« تنتج بلدية سان رامون الحبوب الاساسية التي يرتبط بها غذاؤنا وحتى جزء من غذاء ماتاغالبا . ولكي لا نمس الملكية الخاصة ، بدأنا بزراعة الاراضي الوطنية او بعض الملكيات غير المزروعة العائدة للسوموزيين . في مثل هذه الاوضاع ، ظل الاداريون، فنظموا العمل بشكل جماعي بيد اننا لم نشكل تعاونيات بعد . تعطي اللجنة التوجيهات العامة بفضل تعاون الضامنين التقنيين ويمكنها ان تتخذ قرارات وفقا لحاجات الجميع . وكل مزارع مسؤول عن قطاع ، وان اقتضى الامر ، يعين رئيس عمال ليساعده، ويحل محل الاداري اذا لم يوجد او اذا ذهب .

ـ تختارونه وفقا للمعايير السياسية ام للمعايير التقنية ؟

ـ لكي تنجح الثورة ، علينا ان نختار الناس الاكثر كفاءة تقنيا. وعليهم طبعا ان يوافقوا على كل ما يجري . ان أشد معارضة لاقيناها حتى الان هي من جانب اداري لاحد ممتلكات سوموزا ، الذي رفض العمل . ولما كان الاكثر مقدرة في المجموعة ، اخذنا نعمل على توعيته قائلين له ان ذلك في سبيل خير الجميع. كان قاسيا مع العمال الذين تذمروا منه .طلبنا اليه ان يحسن سلوكه ووعد بذلك . لكنه لم يتطور ابدا ، كما اعرف. انه لمن الصعب ان نفهم في نصف ساعة كل التغيرات الطارئة لاناس ظلوا طوال حياتهم مرتبطين بالنظام السابق. غير انه علينا ان نشرع بمحاولة كسب من يتمع بالكفاءة. اضافة الى ذلك ، من واجبنا ان نعطي الفرصة للنيكاراغويين جميعا .

تدخل الطبيب الذي ظل واقفا في زاوية ، مستندا الى اطار الباب : ـ علينا ان نحاول خاصة تجنب السقوط في الفوضى . وذلك ما يمكن ان يكون اشد شيء رهبة يحدث لنا . وعلينا ان نستفيد

الى أقصى حد من التنظيم السابق ونستخدم من يعرفون .

« من فصلك » : فتح الباب على متطوع في بزة . « هنالك خارجا اناس جاؤوا يتشكون لان شخصا جاء امس بشاحنة ودخل البيوت ، بيتا بيتا ، يبحث عن اسلحة . لكن اخذ من اشخاص عديدين اشياء اخرى ، مثل صابون وشمع ».

خرج احد اعضاء المجلس . يبدو ان المسألة قد أخذت شيئا من الاهمية ، فتدخلت :

ـ سمعت اكثر من مرة مدنيين يقولون ان ذلك اشبه بتصرف الحرس ...

اجابني اشخاص عديدون في وقت واحد : ـ لا يمكن مقارنة ذلك . يحدث هذا بنسب ضئيلة جدا ولاشياء نفعية دوما . كلما اكتشف الرؤساء ان مقاتلا او متطوعا تصرف مثل هذا التصرف، عاقبوه. انما يجب الاعتراف بأن عملهم كثير في هذا الوقت .

عدنا الى المسائل المكلفين بتسويتها للمجتمع . كانوا هم انفسهم قد ذهلوا للانقلاب الذي طرأ على حياتهم .

قال البناء مناقشا : ـ الكائن البشري قابل للتكيف في جوهره. نحن نتغير بقدر ما يتطور الوضع . كنا قبلا نسعى لرفاه ورفاه اقاربنا . والان نفكر بسكان القرية جميعا وحتى البلد ، بسبب الحرب والحالة الملحة . انا اشعر بالراحة . اعمل اكثر مما يطلب مني . اكتشفت بهجة جديدة للحياة .

قال الطبيب معبرا عن رأيه : ـ مما لا جدال فيه انها بداية الاشتراكية ، واخاف كثيرا من ان يستغلها الماركسيون ليستمروا بها. لكننا لا نعرف اي نموذج من الاشتراكية هي . ان من يتحكم، خلال ثورة ، هو من يحمل السلاح .مثلا ، ان أهم المعايير هنا لا تمليها اللجنة انما الاركان العامة . وحين تأمر بشيء ننفذه . ولا نعرف فيما اذا كنا نخرج الان من سوموزا لنجد سوموزا اسوأ ايضا . ولكن ربما ليس الامر كذلك . لا اعرف شيئا حول هذا . اني اسائل نفسي فقط .

ـ على اية حال ثمة ما هو مجهول بعد الاربعين عاما التي عشناها ، بيد انه يصعب إن اتصور انه يمكن ان يكون هذا اسوأ من قبل .

ـ نحن نعيش الان على اساس الفرد للجميع والجميع للفرد . انها

الغابات والجبال بحثا عن رجل يعتبره الجميع سوموزيا .

قمنا بالتفافة قصيرة حول مقر القيادة . توجهت الفصائل الثلاثة المكلفة في سان رامون لتقوم بعملية تمشيط ، فقد اشير الى مرور طائرة هيلكوبتر للحرس الوطني هذا الصباح ، كما ان بعض المعلومات تحمل على الخوف من عملية انزال بحري تقوم به وحدة مقاتلة . لم يكن المقاتلان اللذان رافقاني من ماتاغالبا ليسحرهما شيء فيقوما بالمغامرة وليس لديهما غير مسدس واحد .

الطريق الترابية ترتفع بسرعة كافية . الجو ماطر . اصبحنا سبعة ، فقد أضيف الى المقاتلين ثلاثة اعضاء من لجنة سان رامون، بينهما المهندس وتقني زراعي ، ومتعاطف يعمل في مزرعة مجاورة ويعرف قلا لاس روزاس . على اية حال ، كان الطريق الذي سلكه معقدا .

اجتزنا ثلاث مزارع بن . كان نفوذنا غريبا في عالم النقود ـ ذلك ان جزءا كبيرا من النقد النادر لهذا البلد يأتي من هنا ، من هذه الاراضي العائدة لعائلات شديدة الثراء ـ والفقر المدقع ، من اكواخ خشبية واطفال في سحن ممسوخة .

تركنا سيارة الجيب لنتوغل في الغابة . افتتح السير احد الرفيقين ومسدس بيده . كانت الطريق دربا للماعز بين جدارين من الخضرة يكادان يتلامسان . ودربا للاسماك ، فقد امضينا ثلاثة ارباع وقتنا في مهد من الجداول تنبع من كل الجهات . وثمة احجار زالقة واعشاب قاطعة وطين بوفرة ، ومنحدرات وعرة . الغابة تستعيد حقوقها بين نبتتين . الانسان صغير جدا . وابن المدينة يظهر تافها. مررنا بثلاثة فلاحين بينهم امراة . أقدامهم حافية ، يحملون صرة على كتفهم ، متوجهين الى المدينة . اضطررنا لان نستند الى جدار العرائش والاوراق لندعهم يمرون لشدة ضيق الطريق . بعد ساعة ، كانت تظهر اكثر من ذلك ، التقينا ايضا باشجار البن ، وآثار جرارات وشاحنات . كانت مزرعة لاس روزاس .

لم يكن بوسعي ان اتصور بالبصر ماكوندو بعكس ذلك. ماكوندو الصراع الطبقي. ماكوندو التاريخ، تاريخ امريكا اللاتينية حيث البؤس يسحق كل شيء وحيث الحقيقة تتجاوز الخيال، وحيث يظل اشد حلم جنونا، الحظ الوحيد لئلا يصبح المرء مجنونا. المطر خاصة .. المطر الذي ما ينفك يهطل . وسقف الغيوم الضخمة الاستوائية المنخفض جدا، الذي

تجربة جديدة كلية . ثمة تفسيرات كثيرة بين الكبار والصغار والاغنياء والفقراء . أعتقد ان نظام حياتنا لن يكون كالسابق ابدا . علينا ان نستمر ، شأننا اليوم ، حيث نشعر ببؤس الاخرين وكأنه بؤسنا .

ـ انا لن اتوانى عن عمل شيء ما يساعدني على الشعور بالراحة.

انهى الطبيب كلامه قائلا : ـ اذا كانت هذه هي الاشتراكية فأنا معها بكل طيبة خاطر وسرور .

لكن موظف الكهرباء كانت لديه بعض التحفظات : « حين نحصل على تنظيم افضل لا سيما في حقل الطب ، ويصبح لدينا طعام اكثر، فلربما يسرنا ان نوصف كل هذه الاشياء بالاشتراكية .. ».

ادرك السكرتير ان الاجتماع قد انتهى ، وكان قد ظل واقفا خارجا ، ففتح الباب وقدم رسالة طويلة لرئيس اللجنة ، كتبها تلميذ بخطوط جميلة . كان قد حملها عامل من مزرعة البن في لاس روزاس الواقعة على بعد قرابة عشرين كيلومترا من هنا ، وسط الجبل . كانت الرسالة في الواقع قائمة بأسماء يليها النص التالي : « ان كافة العمال على استعداد للاستمرار بالعمل في هذه المزرعة شأنهم حتى اليوم . التماسهم الوحيد الذي يتوجهون به اليكم هو ان تغيروا الموظف الاداري الفظ جدا مع العمال .

« ان الموظف الاداري في هذه المزرعة يحتفظ بسلطته ، لكنه يخفي مسدسا وبندقية وراديو هاتف بهوائي » .

اوضح الرئيس ، وقد قدم الرسالة للمهندس الزراعي : ـ هذه امور تحدث من وقت لاخر ونعلم بها شيئا فشيئا . علينا ان نتوجه في احد هذه الايام لنقوم بجولة هنالك لنرى ما يحدث بالضبط .

ـ لماذا ليس الآن ؟

ـ ليست لدينا سيارة .

ـ لدي واحدة .

التفت الى المهندس الزراعي : ـ هل يمكنك ان تتوجه الى لاس روزاس فورا ؟

ـ ولمَ لا .

لكن مشكلة قد نشأت . فالاشخاص الموجودون جميعا متفقون على ان من الخطورة المغامرة ، مع سوء تسلح ، في هذه المنطقة من

يعطي لونا رماديا مسيطرا يلتهم خضرة النباتات الكثيفة جدا وسمرة الارض الصافية احيانا. قلب المزرعة منخفض متدرج من روابي احجامها مختلفة. يجري في قلب الوادي نهر صغير، في اسفله عنبر واسع لحبوب قطفت حديثا تعالج في مرحلتها الاولى. وفي قوس دائرة، عند منتصف المنحدر، ينتصب المبنى الكبير الذي يعيش فيه الموظف الاداري، واكواخ العمال. وفي كل مكان ، فيما حولنا، تغزو نباتات البن كل شبر من الارض، قبل ان تمتد فوق هيكتارات وهيكتارات تمتزج بالغابة. انه الانطباع عن مستعمرة لسجن اصلاحي . ان الطبيعة التي تحيط بها هي اكثر امانا من اشد الاسوار كثافة لكل ما في الارض من قصور محصنة ... انها الحياة اليومية للفلاح الامريكي الذي يقيم البؤس والمرض والجهل اسوارا له في رأسه ودمه .

دو نكانديدو، الاداري، يحتل مبنى كبيرا في مربعات من خشب اسود وصفيح متموج يعلوه جزئيا طابق واحد . شقته في الطابق الاول ، وفي الطابق الارضي قاعة صف ومكتب ومطبخ وشرفة طويلة جدا. لقد حذرته بلا ريب هذه الغابات التي تتكلم، فكان ينتظر ويداه فوق حافة الدرابزين، اظهر ادبا مألوفا، انما بتقتير .

ـ نحن من مجلس سان رامون، جئنا، لنفهم الوضع في هذه المزرعة.

ابتسم الاداري .

ـ كل شيء طبيعي. بيد انه منذ ايام، لا يريد معظم العمال العمل لانه لم يدفع لهم.

قال المهندس الزراعي بجفاء وقد اغاظه كما يظهر ما تضمنته هذه الجملة من احتقار : «لايريدون العمل» : ـ اريد ان اتحدث اليهم . هل يمكنك ان تجمعهم ؟

ارسل دون كانديدو اثنين من ابنائه ، كان كل شيء يدل على الترف رغم قذارة الطين الموجود في كل مكان. اتى بنفسه بكراسي وبدأ الحديث حول ارضه. كانت ضيافته ضيافة الغابة : قدم موزا شهيا بطعم الشمس .

كانت المزرعة قد اشتراها ادواردو كالتخاس ديزون عام ١٩٧٢ ولم يأت اليها ابدا. وعمل فيها دون كانديدو منذ عام ١٩٧٢. كانت تغل جيدا مهما كانت السنة جيدة ام رديئة. ولم يسبب «الرولا» وهو مرض نباتات البن كثيرا من الاضرار بفضل عنايته .

ـ تلقينا شكايات تقول انك فظ .

ـ اعمل مع سوموزي هذا صحيح. لكن ذلك ليس سببا لاتهامي حتى يوم اموت، بأنني انا ذاتي لم اتغير. استطيع ان اؤكد بأنني خلافا لهذه الاراء. لقد تسجلت كمواطن. اما الفظاظة، فيقال عنها ما يقال وليقولوا ما يشاؤون. اني اوعيهم وهذا كل شيء. لكي نكون منتظمين، يجب اساءة معاملة الاخرين احيانا. هنا ندفع افضل من جارنا : ١٦ قرطبات في اليوم و٢٤٠ قرطبة حبوبا كل ستة اشهر نسميها اجازة. انه هو بالاحرى من تذهبون لمقابلته . انه وحش حقيقي. جاءني عماله مرارا عديدة يطلبون مساعدتي لهم. وذلك ما فعلته دوما. يمكنكم ايضا ان تهتموا بالمزرعة التي يملكها جوزيه سوموزا، على بعد ٢٠ كيلومتر من هنا. لانه في الواقع، اذا استثنينا اناسا مثله، اتفق فيها الحرس الوطني على منع الناس جميعا من العيش .

قال احد المقاتلين الساندينيين : ـ لا تهتم بذلك، لا تخف. انت تعرف جيدا اننا نناضل لتغيير النظام،ولننتهي من الارهاب والمظالم جميعا.

ـ اعرف. واعرف من انتم، لقد اعتنى الرفاق بذراع ولدي التي كسرت، منذ وقت ليس بالبعيد. لقد امضيت حياتي لاضحي في سبيل ان يدرس اولادي. لان الناس هنا كلهم اميون. لا يريد اي احد ان يدرس. حتى انهم استدعوا مدرسة، لكن العمال يرفضون ارسال ابنائهم وتظل قاعة الصف فارغة دوما تقريبا. ولماذا اكون سوموزيا، قولوا لي، اذا كنت قد اشتغلت طوال حياتي؟ اذهب الى الكنيسة في اخر الاسبوع . لم اقبل المجيء هنا الا شريطة ان يترك لي يوم الاحد لاصلي. وبهذا اعلم اولادي كلمة الله .

جهد جميل ونهاية سيمفونية جميلة. ان دون كانديدو يعرف توليفته عن ظهر قلب ويعزف على عدة سلالم موسيقية وانما بلا مهارة. ان موقفه الحرج الان لم يجعله يتزحزح قيد انملة عن هدوئه . وظلت مؤثرة قامته الكبيرة وسنه الخمسون الجيدة الصحة، كما ان الاوامر القليلة، التي كان عليه ان يصدرها من وقت لاخر لتنظيم الاجتماع، كانت تخرج طبيعية جدا من فم رئيس اعتاد ان يأمر بلا نقاش. وكانت عيناه المكارتان تفتشان نظرات كل متحدث. يكاد يكون متناقضا مع سلطة الاداري، فيجعلها بالعكس خطرة على اولئك الذين يتحملونها طوال الايام. نظرته هذه الفاجرة ربما تكون بالنسبة للاخرين مقنعة باللباقة والارادة الطيبة والايمان الطيب والاعتماد على الدين الذي يحترمه الجميع وفي المكانة الاولى الثوريون . ابتسامته هابطة واقواله مزهرة تخرج فقاعات وردية من تحت شاربه

الرفيع الاسود. ان احتقاره للجهلة والكسالى يستند طبعا الى معرفة حقائق ربما تكون لدى رجل اشتغل طوال حياته، بيته ليس فخما لكنه كبير، فيه كهرباء ومياه جارية. ارض مطبخه ترابية، غير ان ثمة لحم فوق الموائد وحبوب وخضار بكمية كبيرة. قبعته امريكية تبرز ملطخة تميزه عن العمال الذين يشتغلون طوال ساعات تحت الشمس او المطر، يحتمون تحت قبعته عريضة الاطراف .

ـ هل انت تدرك ان النظام سيء ؟

ـ طبعا. حتى اني اعرف قصة الكثير من القادة الساندينيين. الجميع مستغلون في هذا البلد .

تابع كلامه المقاتل وهو يرفع حنكه نحو العمال الزراعيين الذين اخذوا يحتشدون على بعد خمسين مترا من هنا تحت المطر من غير ان يجرؤوا على الاقتراب : ـ هل تعتبر ان هؤلاء الناس يعيشون بحشمة ؟

ـ اشتغلت في كوستاريكا. حقا انهم يعيشون افضل هنالك، فعلى ما استطيع لمساعدتهم : عندي مركز بيع صغير حيث يمكنهم ان يشتروا بضع اقراص سكاكر والقليل من السكر. حين اذهب احيانا بسيارتي الجيب الى المدينة، اجلب لهم ما يطلبون مني : بنطالا او ساطورا . وسمحت لبعض التجار بالمجيء هنا بانتظام ليزودوهم بما ينقصهم .

صمت لحظة ووضع ذراعه فوق كتف ابنه الذي جاء واستند الى اريكته. ثم استأنف كلامه محققا، مستعديا، باحثا في نظره عن تأييد المهندس الزراعي له : «اذا هذه هي الشيوعية؟» .

ـ لان العيش افضل «هذه هي الشيوعية في نظرك؟» .

ـ كلا، الشيوعية هي العقلانية. احب مجتمعا يشعر فيه الجميع بالراحة ويحترمون بعضهم بعضا. ويذهب اولادي الى المدرسة بمساعدة الحكومة. ولدي ذكي. ليس الجميع كذلك، يجب دفع من هم اكثر قدرة. لكني احب ايضا ان اربح نقودا، واتمتع بوسائل شراء بنطال حين تكون لدي رغبة به. واحب خاصة ان يؤمن الجميع بالله ويكون الدين حرا .

ـ يقال انك تفضل سوموزا ...

ـ لي ابن اخ يناضل معكم في الجنوب. ما هو فضلي عليه بالنسبة لسوموزا ؟

اقتضى القول ثلاث مرات للعمال كي يقتربوا. بيد انهم لم يغامروا بالاقتراب الا سنتيمترا بعد سنتيمتر الى ان امرهم بذلك دون كانديدو. ثم اخرجت مقاعد من الصف. بيد انه لا مجال للبدء بشيء طالما ان

الجميع لم يفدوا .

دعانا الاولاد الى وليمة في اخر البيت قدموا لنا فيها حساء «شيلوت» لذيذا، وهو حساء من لحم ودجاج مكان الشرف فيه يعود الى عرانيس الذرة الطرية، المقطوفة في اول نضجها. قدمت لنا الطعام هندية تتألق جمالا، بالكاد ان تبلغ السادسة عشر ربيعا، تتفجر صحة . في قسمات ممتلئة وابتسامة فاتنة ونظرة وجسم امراة، ومجاملة ولطف مضيفة. وهي سيدة الاماكن وسيدة كانديدو الذي تقيم زوجته في ماناغوا. انه لمن الممكن ان تكون للغابة تعويضات فاتنة .

كانت المقاعد خلال هذا الوقت قد صفت صفوفا تحت الشرفة ، احتلها قرابة خمسون رجلا وامراة في وجوه قاسية صامته الى حد لا يصدق، وسواطيرهم بامتداد اجسامهم. النساء، كما في مقاطعة النتيجو البرتغالية، يرتدين نوعا من مئزر بشكل ثوب قصير فوق بنطالهن . ثياب الجميع في اخر رثاثتها. ثلاثة منهم عور العيون وثلاثة اخرون في افواه كأفواه الارانب. لكم قاسوا من امراض الحمى والبرداء والزحار؟ معظمهم لا يعود له عمر منذ ان يبلغ الثامنة عشرة. ما يزال شاب او شابان منهم يعطيان الانطباع انهما قويان. غير انهم جميعا يقتربون من الموت قبل ان يبلغوا نصف عمر . في مكان اخر، تلتفت عيونهم نحو الداخل ان لم تشرد نحو البعيد من غير ان تتوقف ابدا عند ما امامهم من قصعة فارغة وصبية مرضى، وسطوح قهوة لا نهاية لها ودون كانديدو. حياة شديدة القساوة. لا بد من الهرب او القتل. لكن ليس باستطاعتهم لا هذا الامر ولا ذلك. هذه القصص لا تحدث الا في اماكن اكثر حضارة . الجميع ولدوا في هذا الوادي بالذات. غادره اثنان او ثلاثة في الاكثر. عاد احدهم ايضا تحت ضغط الحرب .

انظارهم تخترق الزمان والمكان . ثار بعضهم، في اخر الاجتماع :

«ايها الرفاق!» بدأ المهندس الزراعي بخاتمة خطاب طويلة . كان يقف بين العمال المتراصين والاداري الذي كان يتصفح بعصبية قائمة اموال مزرعته، وامام كل اسم، ما هو موجود ولا سيما ما هو مفقود، وهو كثير بحسب ذوقه . ينحي كرسيه الى الخلف، فوق قائمتين، وظهره الى جدار البيت باتجاه الخارج. يظهر عدم الاهتمام ويتظاهر احيانا باللامبالاة، لا ينظر ابدا الى عماله، يفضل المنظر الواعد للوادي الذي ما يزال يهطل فيه المطر .

«نحن جمعناكم لنستمع اليكم ولكن لنسمعكم ايضا رسالة الثورة».

المهندس كبير الجسم ايضا، في لحية، بطنه رخوة اشبه ببطن شاربي البيرة، تضم قميصا ورديا وبنطالا ازرق، يرتدي حذاء مدينة. اصابعه رفيعة اصابع بيروقراطي تداعب رطوبة الجو وهو يتكلم ، حنكه الى الامام، راسه يستند قليلا الى كتفيه، نظرته منحرفة باصرار. يحب الكلمات المجردة ويوجه هنا خطابا يعتقد انه ثوري لكنه يجرده بعناية من كل ما هو خطر .

«اذا كانت لديكم شكايات فنحن نستمع اليها. انما لتكن صياغتها بالعدل، لان محاورة الجميع وتعاونهم ضروريان. نحن هنا في مزرعة بن تزود البلد بالنقد النادر الذي هو بحاجة شديدة اليه لشراء ما ينقصه. ان ضاع المحصول قد نموت جميعا جوعا. في ماتا غالبا، في الجنوب، نيكاراغويون يقاتلون ويموتون في كل الايام. لم ننتصر بعد، لكن اي شيء لن يوقفنا الان. كل هذا من اجلكم . يمكننا فيما بعد ان نحل كافة مسائل الاجرة والصحة والتربية، وبانتظار ذلك، على الذين هم هنا ان يساهموا في مهام الثورة بالعمل الطوعي. لن تكون فيه اجرة لانه لا وجود للنقود لكن الاداري يمكنه ان يقدم لكم اللحم والذرة والفاصولياء. سيساعدكم على حل مسائلكم المباشرة. يمكننا جميعا ان نتغلب على الطاغية. اني اسألكم فيما اذا كنتم تحبون التعاون» .

تكلم على هذا النحو قرابة نصف ساعة . لم يحدث شيء حين صمت، استمر المطر يفرقع فوق الصفيح المتموج .

كان الملاذ الوحيد : المدرسة . وهي امراة شابة متحفظة جميلة تحيط بوجهها جديلتان سوداوان : «هل الصف يعمل؟ نحن شديدو الانتباه اليه لانه احد اهداف الثورة» . كانت يداها متشابكتان، تقف خلف من حررت لهم سرا الرسالة التي بعثت الى سان رامون، فأجابت بهدوء : «نعم، المدرسة مفتوحة لكنهم لا يبعثون ابناءهم لانهم بحاجة اليهم ليعملوا!» ان من يأتي في الحقيقة هم ابناء «دون كانديدو» وحدهم. بذلت جهدا شديدا لتتدخل، لخوفها من ان تكتشف مساهمتها في «المؤامرة». ومع هذا، منح صوتها الشجاعة للرجال، وحين شعر المهندس الزراعي بذلك، سأل : «كم ساعة تشتغلون في هذا الوقت؟» فارتفعت اخيرا اصوات قليلة :

ـ كالعادة !

ـ يعطينا عملا كثيرا ! انها لوحشية !

قال الاداري : احب ان نناقش هذا .

ذكر المهندس الزراعي المسكوني: نطلب اليكم المناقشة من غير تفريط.
ـ ثمة مهمات لا يستطيع اي عامل ان يقوم بها .
ـ مهمات تستغرق عمل يومين يجب ان يقوم بها شخص وحده في يوم واحد .
ـ لي حق باجازات لم تدفع الي منذ عام . لا استطيع ان أعيش عائلتي من غير حبوب .
ـ الحليب الذي تنتجه البقرات يذهب الى ماتا غالبا ولا شيءلاطفالنا.
ـ اذا كنا لا نرسلهم الى المدرسة فلانهم مرضى في الاغلب .
كان يصعب عليهم التلفظ بكلمة « جوع». يقولون خجلا : «مرض». كان من الصعب جدا ان يتحدثوا بذلك قبلا. كان كل منهم يحشد بضع كلمات، اقل ما يمكن، ارجحها بعد ذلك وكأنها ضربة ساطور .
الاجرة ليست جيدة لانها لا تكفي للضروريات .
ران صمت طويل .
استأنف المهندس الزراعي خطابه : «سوف تتكفل لجنة سان رامون بحل مسائلكم ما دمتم لا تتناولون نقودا. سيوزع الاداري عليكم لحما مرتين كل اسبوع. حين ننتصر، سوف تقيم الحكومة نظاما عادلا بأجور اعلى. وسيستطيع ابناؤكم الذهاب الى المدرسة. وسوف يكون المشفى مجانيا للجميع. ليست هذه هي الشيوعية كما قال سوموزا. نريد فحسب ان يكون العامل، الذي هو الاكثر استغلالا، بين افضل من يعاملون. هل لديكم ما تقولون حول هذا الموضوع؟» .
استراح هنيهة، ثم فتح فمه ليتابع كلامه، حين ..
ـ من ناحية رب العمل، بالعكس، ليس لديكم ما تتشكون منه! ...
ـ اعارني مرة سيارته لاذهب الى المستشفى واضطررت لان اقول شكرا .
راح الاداري يعزف فوق ساعد اريكته. واستأنف المهندس كلامه، مسرورا لانه جعلهم يفصحون عن ارائهم :
ـ لماذا ترفضون العمل ؟
تدخل رئيس العمال لاول مرة، ويثق به الاخرون : ـ نحن لا نرفض، نحن نشتغل دوما بأمل ان تحل مسائلنا اخيرا. لكن الكثيرين مرضى في هذا الوقت. وطعامنا قليل، وليس لدى معظمهم ما يحمي اقدامهم واكتافهم وهم تحت المطر طوال النهار فيصيبهم البرد اخيرا. لدينا اصابات عديدة بالتهاب قصبات الرئة في هذا الوقت. واذا كنا لا نأتي فلاننا مرضى ،

فيحسب ذلك وكأننا غائبون. ثم ان الاسعار ترتفع . السواطير والمبارد اللازمة لسنها تكلف غاليا جدا. الكثير من العمال ليس لديهم ابدا ادوات او اي شيء يستخدمونه .

اجاب المهندس : ـ على اية حال، من الافضل سن الساطور بحجر المسن، ستزودكم اللجنة ببعض السواطير ان كنتم بحاجة اليها،اما بالنسبة لما تبقى، فعليكم ان تساعدونا في الوقت الراهن. نطلب منكم المساعدة والاخلاص ...

ـ نريد ساعات تعطل اكثر عدلا .

ـ حتى اقوى الاقوياء لا يستطيعون انجاز المهمات التي يكلفنا بها.

ـ وقت العمل الطبيعي هو ما يمليه عليكم ضميركم. اوضحت لكم الان اننا بحاجة للحصول على النقد النادر الذي يتيح لنا مثلا شراء السواطير التي يمكنكم العمل بها. اذا كانت لديكم شكايات تعبرون عنها، فهيا، انما شريطة ان تكون عادلة ومستندة الى شيء .

ران صمت. هل توصل الى اسكاتهم ؟

ـ اذا نحن متفقون ؟

ران صمت .

تدخل اخيرا الاداري وقد مال الى الامام في هذه المرة ليرى العمال الذين اخفاهم المهندس عنه : ـ يجب ان يكون كل واحد مخلصا.ان القساوة لا تفيد شيئا بأية حال لانهم بعد ذلك يكسرون سيقان اشجار البن .

«لكنه الانتاج! نحن نحترمه!» هذه الصرخة الجماعية خرجت من عشرين فم في وقت واحد .

تدخل المهندس ثانية : «فلننس الماضي ولنبدأ حياة عمل جديدة بلا خصومة». ثم خاض مناقشة حول بعض المسائل التقنية مثل تواريخ القطاف والسماد، الخ. قال دون كانديدو في اخر انتفاضة له انه يريد ان يسجل الاجور «المستحقة». لكن العمال رفضوا ذلك : «حين نمرض نكون مرضى»! وارادوا ان يعرفوا فيما اذا كان العمل المنجز سيدفع اجره يوما. اوضح المهندس الزراعي ان النيكاراغويين جميعا يشتغلون تطوعا مقابل الا ينالوا اجرا انما الحق بالثياب والمستشفى المجاني. لكن هذا ما يفهم بسهولة في المدينة حيث طارت المؤسسات مزقا وحلت محلها بنيات جديدة تعاني للغاية صعوبة للانتقال الى هذا العالم حيث لا شيء يلطف من العلاقة المباشرة، الموجودة في كل مكان، مع سلطة الموظف الاداري. تفكك الاجتماع بكآبة. راح بعض العمال يضربون الارض بسواطيرهم. ووجوههم

اشـد توترا من اي وقت مضى. يدمدمون كلهم تقريبا، ناظرين الى اقدامهم الحافية، بكلمات لا يحتاج اي احد لسماعها كي يشعر انهم محاطـون بالمرارة والاكـراه .

«ايها الرفاق!» تكلم اخيرا احد المقاتلين الساندينيين وقد ظل صامتا حتى الان ـ ولم يكن قد بلغ العشرين ربيعا، لا يعرف شيئا عن الزراعة ـ ان فشل هذا الاجتماع سيكون مشكلة سياسية خطيرة. وهذه مسألـة خاصة به. وانه لما لا يطاق ان يجد الفلاحون انفسهم ايضا وقد رفض حقهم بالكلام، وتقتصر مساهمتهم على العمل المنتج، ويخيب املهم الذي وضعوه فـي هذه الزيارة التي اثارتهـا رسالتهم. وان لم يتوصل خلال الدقـائق القليلة الاتية لاعطائهم برهانا ماديا على ان هذه الثورة هي ثورتهم، فسيكون النظر اليهم في غاية الصعوبة فيما بعد .

«ايها الرفاق!» لقد اثارت الدهشة بزته الخضراء الزيتية ونهوضـه المفاجىء. كان الصمت مطبقا وقد تجمد الجميع. شخصت الابصـار ثـم تفتحت. «نحن لم نأت هنا صدفة. تلقينا هذا الصباح رسالـة تتشكـون فيهـا من الاداري وقد عثرنا على الجهاز المرسل والبندقية. قلتـم فـي رسالتكم انه شرس معكم. لا اعتقد انكم قلتم كل شيء حول هذا الموضوع. هيـا تكلموا بلا خوف. جئنا لنصغي اليكم حقا» .

كان حدثا مؤثرا. تكلم الجميع تقريبا في وقت واحد. شحـب وجه دون كانديدو ورشق الرفيق بنظرة كره ربما يفاخر بها فيما تبقى من ايامه. امـا المهندس الزراعي فقد جن جنونه .

ـ يعاملنا كحيوانـات .

ـ ليس لديه اي احترام للمرضى .

ـ يكلفنا عن عمد بمهمات لا نستطيع انجازها خلال نهار . وحين لا ننتهي لا يدفع لنا اجرا. يجب ان تأتـوا لتـروا ما يطلب الينا عملـه، فستعرفون. نحن بؤساء !

ـ يعطي الحليب للخنازير . وبوجه خاص ... يعطـي الحليـب للخنازيـر !

اخذت امرأة تتكلم، وطفلها البالغ عامين بين ذراعيها : ـ هي ـ وتعني سيدة دون كانديدو ـ تبيعنا الحليب، الذي يحتاجه اطفالنا، بقرطبتين . وحين لا يكون لدينا نقود، فبدلا من ان تعطيه لنا، تفضل ان تسكبه فـي معلف خنازيرها. لقد رأيتها تفعل ذلك .

دافع دون كانديدو عن نفسه : ـ وانا ايضا لدي اطفال. انهم بحاجة

للحليب كالاخريـن .

قال السانديني : ـ كان عليك ان تعطيه للجميع .

ـ حين يوجد منه ما يكفي .

كان اصغر ابنائه في الثامنة من عمره .

تدخل المهندس : ـ لندع الخصومات .

ـ نريد ان نعرف فيما اذا كان ما يجنى هو لنا .

استأنف المقاتل كلامه قائلا : ـ اريد ان اوضح نقطة هامة في هـذا الموضوع . ان محصول البن الذي نطلب اليكم العمل من اجله لن يذهـب الـى صاحبه وانما الى الاركان العامة في ماتا غالبا او لجنة سان رامون، ثـم نرى فيما بعد كيف نسوي هذه المسألة معه. لن يجني ارباحا طالما انه لـم يدفع لكـم .

قال العمال كلهم وهم يتبادلون النظر فيما بينهم : ـ آه حسنا. اذا نحـن موافقـون .

بعد لحظات من الضوضاء ، عاد احدهم الى الاداري : «انه يشتمنـا. لقـد عدني لصا في حين انني لم افعل شيئا سوى انني طالبته بما يتوجب لـي من قهوة ! » .

فسر ذلك دون كانديدو : ـ ليس ذلك الا عن نزق .

زاود المهندس : ـ يجب ان تدركوا ان الاداري لديه احيانا اعمـال كثيرة. يجب عذره ان اصبح عصبيا. فلننس الماضي. ان لم نتفق جميعـا سنموت في النهاية جوعا. سننصحه بأن يكون اكثر انفتاحا ويعاملكم بمزيد من الاحترام . وان اقتضى الامر، نجري تحقيقا. لكني ارجوكم، علينا ان نسلك كمسيحيين وننسى الفوارق. اذا سنعيش افضل غدا. ان شاءالله .. اعتقد انه يمكننا ان نوقف هنا هذا الاجتماع الاول. واعتقد انه ايجابي. نحـن عائـدون .

نهض الجميع. انسحب الاداري باتجاه بيته يصحبه الرفيـق الـذي اعلـن له رسميا ان جهازه المرسل وبندقيته مصادرتان. واراد ان يدخـل المسدس في العملية، لكن كانديدو اقسم الايمان المغلظة انه لم يمتلكه قط وان هذا كله «اقوال عدوانية» .

تحلق العمال خارجا حول المقاتل السانديني الذي تحدث. يريـدون حتمـا اخذه الى حقل البن ليدرك مباشرة استحالة العمل المطلوب منهـم. «يعاملونا كالحيوانات. نحن بؤساء». كان الجميع يتكلمون في وقت واحد. اخذ السانديني يهدؤهم : «اعطوه الفرصة . زيارتنا كانت تحذيرا. عرفتم

الان اننا الى جانبكم. اذا حدثت مشكلة فاعلمونا بها وسنعود. لكني اظن انه سينتبه » .

كانوا مترددين بين الخوف والامل :

ـ سندعه يجرب .

ـ لكنه ان استمر، نقول لكم ذلك وتأتون لتغييره .

ـ المزعج انه عرف الان اننا قد تشكينا. سيحقد علينا .

سألهم المقاتل : ـ اذا اقتضى الامر وغيرناه، هل لديكم احد غيره تضعونه مكانه ؟

ـ نعم! نعم! ناقشنا ذلك فيما بيننا. نحن على استعداد لانتخاب رئيس العمال، انه يدافع عنا دوما وهو كفء لذلك. اشتغل هو ايضا في مكان اخر .

اخذ الجمع ينفرط. وبدأ بعضهم العودة الى اكواخهم . استحثنا الساندينيان على الذهاب لان من الخطورة ان يداهمنا الليل .

ـ نتحمل مثل هذه الامور لاننا بؤساء .

في طريق العودة. على بعد ثلاثمائة متر من هنا، عند حافة الغابة بالضبط، توقفنا لفترة قصيرة عند كوخ احد هؤلاء العمال . جدران الكوخ من الواح خشبية سيئة التربيع، ليست متصلة فيما بينها دوما . سوداء، سودها ايضا الدخان المتصاعد من الموقد. ارضه من التراب المدروس. لديه دجاجتان وخنزير واحد اسود وكلب هزيل اضعف من ان يخيف. ليس لديه متاع، كل ما عنده قصعتان وطنجرة فخارية وجرة لجلب الماء من النهر الجاري في اسفل الكوخ. وبعض عرانيس ذرة قديمة للبذر، وارجوحة نوم، وفي زاوية فراش تحيط به الواح خشبية وقماش مثقب يسحب لتوقي برد الليل، طول الفراش متر ونصف المتر وعرضه كذلك تنام فيه العائلة : الاب والام والبنت البالغة ١٨ عاما والصبي المنتفخ البطن ، كلهم مرضى، الى حد ظاهر، بالحمى والتهاب قصبات الرئة والتهاب الامعاء والجوع. هذا اذا لم تلحق هذه الامراض كلها احدهم في وقت واحد .

انه الاملاق المطلق .

ـ كيف يعاملكم ؟

قالت المرأة التي لم تحضر الاجتماع : ـ لم يسيء الي ابدا .

اجابت زوجته : ـ كيف يمكنني ان اكره مسيحيا. الشيء الوحيد هو انه لا يعطينا حليبا. وليس لدينا ادوية ايضا .

ـ الى اللقاء !

تلقفني المهندس الزراعي اثناء مروري به «لا بأس اليس كذلك؟ اظن ان ذلك كان مفيدا .

الساعة ٢٠ ـ في لوبه مورينو وعلى ضوء الشموع، ادركت جوليو، القائد، وهو يتناقش مع غوستافو، المحرك الاول للحي التقدمي ، والدائم النشاط : «مشكلتنا اليوم هي الزعامة. ان احد اعضاء مجلس ماتا غالبا، المسؤول عن التموين، قد سلم مفتاح المخزن الرئيسي لزوجته وابنته. وهما اللتان تسيطران الان .

ـ لكن اذا طردناهما، سيقاطعوننا. علينا ان نثقفهم سياسيا. ان من هم معنا، هم معنا بسبب الوضع العاجل او عن تأثر لكنهم لا يعون ما يفعلون .

ـ بدأوا يطرحون على انفسهم اسئلة ، ولولا ذلك لما كانوا في هذا الموقف، لكنهم في الاساس، ما زالوا يفكرون بأنهم سيستمرون كالسابق. ولهذا السبب يتحدثون عن الحرية والديمقراطية. يعرفون جيدا انهن قد سمحن دوما للبورجوزيين بالبقاء ليفعلوا ما يريدون. ظننت في البداية ان كثيرين قد جاؤوا بغريزة القيادة . اذا علينا الا نمنحهم القابا، رفيق او رفيقة فحسب. لا بد من السلطة لكنا لسنا بحاجة للاستعلاء .

جوليو قلق، فالمسائل السياسية ثقيلة جدا، مع البورجوازيين اولا. لقد بدأت الغرفة التجارية للمدينة تشمئز تجاه تحريم البيع. واخذوا، في المجلس الحاكم، لا يفعلون الا ما يشاؤون. وتزايدت شكايات الاهالي. الرد المقرر : عدم طرد اي احد، وانما ان يدخل بانتظام عامل وفلاح مسيسان الى كافة المجالس المؤقتة في المنطقة .

المسألة الثانية : يظهر تزايد ابتزازات بعض المتطوعة، وحتى بعض المقاتلين احيانا. ثم ان الاهالي ما زالوا يتشكون ايضا. ما كادت تمضي عشر دقائق على هذا النقاش حتى جاءت فتاة تعمل في مقر القيادة ، والدموع في عينيها. ارادت ان تذهب لتأتي ببعض الثياب من بيتها باذن من كاميلو. فأوقفتها زمرة مقاتلة، فوجدت نفسها وقد افرغت من صرتها ونقودها واذن مرورها .

«اذا استمرت السرقات، سنضطر لاعدام المجرمين رميا بالرصاص علنا، حتى وان كانوا رفاقا من قبل .

استمر النقاش قليلا، اذ لا بد من التفكير بالنوم ايضا. وقد تقرر الهجوم غدا الساعة السادسة على المستشفى والمعهد .

المزاحمة بين الثوريين والبورجوازيين قد تكون ايجابية للبلد

حديث القائد جيم ويلوك

الان وقد اطيح بالديكتاتورية، يقلق بعض المراقبين لانه اصبحت لدينا تماما الوسائل لان نقول غدا : «هيا الى الامام الى الاشتراكية! ولنصادر جميع الناس بلا انتظار!» وان مسالة السلطة قد حلت لان السلاح بيدنا ولاننا دمرنا الحرس الوطني تدميرا شاملا . بيد انه رغم اننا قد عدلنا خطنا السياسي، لم نكن بحاجة لان نكذب وقت ان وقعنا برنامج الحد الادنى وتكفلنا به تماما. كانت المسالة ان نكون واقعيين فحسب.

علينا ان نحل اليوم المسائل الملموسة والمحددة جدا في « اعادة البناء الوطني ». وقوة البورجوازية مفيدة لنا في ذلك . فمساهمتها عامل هام في تنمية خططنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية . واضيف انه لا يمكننا ان ننسى اننا قد تخلصنا لتونا من دكتاتورية شرسة . وأعتقد ان النيكاراغويين جميعا لديهم في قرارة نفوسهم رغبة عميقة في الديمقراطية . نريد اعادة بناء الحريات ، ونريد قبل كل شيء ان نعيش في مرحلة سياسية وديمقراطية بالمعنى الواسع . ونحن ناخذ على عاتقنا ضمان هذه المرحلة بفضل قوتنا العسكرية . فليس لدينا اذا اي سبب، في المرحلة الراهنة ، لئلا نحترم تعهداتنا الصريحة للقطاعات الديمقراطية من البورجوازية .

لقد حصلنا على الكثير بفضل هذه السياسة ، ونعتقد ان بامكاننا ان نعمل خلال وقت طويل بمحافظتنا على التلاحم الاجتماعي ، مما لا يفترض طبعا فقدان المصاعب . ومن المحتمل ، مثلا ، ان يضع وزيرنا للعمل سلما رسميا لمضاعفة الاجر الادنى . سوف نقول للسادة ارباب العمل بأن يدفعوا افضل لعمالهم الزراعيين ونطلب اضافة لذلك ان يكون لديهم ما يأويهم . لكن هذه السياسة سوف تستند الى امتلاكنا قطاع دولة اقتصادي هام يتألف من كافة مؤسسات سوموزا والسوموزيين. وفي حقل الاصلاح الزراعي ، سيكون بين ايدينا حجم رأسمال واسع نتنافس به مع البورجوازية . ولسوف يكون بقدرتنا ان ندفع افضل الاجور ونؤمن افضل شروط للحياة . سوف يضطرون اذا للتنافس معنا في نوع من المزاحمة التاريخية بين الطبقات ، هي أحد خواص تطورنا . نحن لا يمكننا ، بحجة ان الصراع الطبقي عالمي ، ان نطلق النار قبل الاوان . علينا دوما ان نأخذ باعتبارنا الحقائق . كنا واقعيين حتى انتصرنا، وسنظل كذلك .

لم تتجمع الشروط لتحدث في هذا الوقت مجابها وتناقضات حادة ، بيد انه من الواضح ان للقطاع الخاص مصالح لا يمكنه الاحتفاظ بها . فاذا عرفنا كيف نقود التطور ، يمكن لهذه الظاهرة ان تساعدنا بدلا من ان تثير لنا عقبات لا يمكن تخطيها . وأتصور انه ستكون هنالك منافسة في الحقل السياسي ايضا ، لانه ستجري انتخابات . حسنا ! سيساعدنا ذلك على تحسين برنامجنا والاهتمام اكثر بالضرورات المباشرة للشعب كله . ولانه من الصحيح ، اذا كنا منهمكين جدا بالمهام العسكرية او قيادة الدولة ، يمكن احيانا الانجراف بشيء من النزعة الى البيروقراطية .

ربما تكون هذه المزاحمة ايجابية للبلد . أراها شخصيا بعين راضية .

الاحـد ١٥ تمـوز

الهجوم على المستشفى

الساعة ٦ ـ يظهر ان كل شـيء قـد أعـد للهجوم . وجدت نفسي في مركـز الساندنيين الاكثر تقدمـا ، وكـان كذلـك منذ ايام عديدة. النهـر تحت اقدامنـا ، والمستشفى في الناحيـة الثانية ، على بعـد اقل من خمسيـن مترا ، لكنه خارج نظرنـا .

في آخـر درب ينتهي عند النهر ، حصنت النقطـة في زاوية مـن صحـن دار صغيـر . يتم الوصول اليه بحفرة ثقبت في الجدار . كـان ثمة صفيح متموج بقـي مـن المطر ، ولا سيمـا متراس سماكته اكثر مـن متر صنـع من التراب والحجارة والالواح والاسلاك الفولاذيـة ، المتداخلة. كانت طلقات الرشاش المتمركز فوق الرابية ، على بعـد ثلاثمائة متر تمـر قريبا جدا خبط عشواء ، ومن لـه خط لا تصيبه . عنـد هـذه الحفرة، خمسـة مقاتلين اعمارهم صغيرة جدا تظهـر عليهم قلة الخبرة، يكشفون بعصبية اسلحتهم ، احدهم بيـده بندقية « ٢٢ » والاخر مسدس طاحون في قبضة صدفية . يباهي احدهم بقبعـة لبزة احتفـالات رسميـة ، اخذهـا من بيت مجاور . لا يفوته ان ينزعها من فوق رأسه ليرى ما يجري فـي الناحيـة الثانية . خارجـا ، في الدرب ، يلتصق الى الجدار قرابة عشرة مقاتليـن ينتظرون امر اجتياز النهـر والاتصال بأول جنود الهجوم الذيـن اخذوا موقعهم فـي الجهة الاخرى .

الساعة ٦،٢٠ ـ اول طلقة من الدبابة .

افقد نظر جاري ، وهو في الخامسة عشرة ربيعا :« كنت في خينوتيغا حين هاجمونا بهذه الدبابة . ولكن لم يكن لدينا شيء لمجابهتها . الآن جاء دورهم . » كاد ان يصفق . العدو يطلق النار في كل مكان . اوراق الاشجار الممزقة تتطاير فوق انوفنا .

الساعة ٦،٢٢ ـ الطلقة الثانية للدبابة .

ثم لا شيء غير الانتظار والترقب والقلق .

الساعة ٦،٤٥ ـ العودة في شارع مواز للنهر . تعاني رامونا مصاعب من جديد ، فقد استقرت رصاصة خمسين في موصل المدفع والبرج. لكن ساتانيكو ، الذي قرر قيادتها ، خرج بجعبة عدته وحزقة تبديل ضخمة وأصلح العطل بالمبرد والمطرقة .

علق بعض المدنيين على المشهد ، وهم يقفون عند عتبة بيتهم .

مر صبي في العاشرة من عمر ، صارخا :« اطلقوا النار يا أبناء العاهرة ! » ثم اطلق خبط عشواء الرصاصة الوحيدة التي كانت في سبطانة بندقيته « ٢٢ » .

كان أحد سدنة رامونا يلهو بعصاة خيال وكأنه ضابط بريطاني.

كان ثلاثة متطوعين رائعين ينشدون لهم النسخة الجديدة للحن الوحدة الشعبية الشيلية :

هذه المرة ليست المسألة مسألة
تغيير رئيس
انه الشعب هو الذي يبني
نيكاراغوا مختلفة جدا ..

مدفع البازوكا الواقع في أسفل المستشفى لفظ انفاسه . أعيد التنظيم . قرر روبيرتو ان تعمل الدبابة الساعة ٩ . وحدها . لا يطلب اليها سوى ان تتلقى شارة الهجوم ، لنقص في وسائل الاتصال . وفي هذه الأثناء ، تطلق قذائف البازوكات ، الثلاث ، الموجودة في ماتاغالبا ، والمركزة في مهد النهر ، على جدران الجناح الاقرب الى متناول اليد .ثم بتأثير الصدمة والمفاجأة ، تستغل ذلك اول موجة من ستة مقاتلين فتلتصق في اسفل النوافذ وتقذف منها بقنابل يدوية وقنابل تنفجر بالفتيل ، فتتيح بذلك الوقت للموجة الثانية لتلحق بها . بعد ذلك، لا يحتاج احد للتعليمات .

الساعة ٧،٤٠ ـ العودة الى آخر الدرب . ثم التقدم الى الامام!

التيار حاد جدا في هذا المكان والماء يرتفع فوق الركبة . الصخور الضخمة تنزلق الى حد رهيب . توازن غير مستقر ، وهدير للتيار. النباتات تتراقص ، والغيوم سوداء ، واطلاق النار في كل مكان وفي كل الاتجاهات .

في هذا المكان المجهول ، يمكن للموت ان يبرز في كل لحظة، وقد انتشر الخوف هنا ، يلوي الاحشاء ويشنج الحركات .

في الناحية الثانية ، تصعد الارض ، في انحدار هادىء اولا ، قبل ان تستند الى ارض المستشفى الرحبة . وبشكل شاقولي مناسب يقرب من مترين ، يمكن الاستناد اليها من غير اية مجازفة بالاصابة برصاص الحرس . كانت ثلاث او اربع مجموعات كل منها قرابة عشرة مقاتلين تقف مستعدة في قوس دائرة في منحنى النهر ، ومؤخرتهم في الغيين . وصلت مدافع البازوكا . كانت الانابيب تدعو الى الضحك حتى ليظن انها من الخيزران . ثبت تحت كل منها اخمص مسدس يعطيها مظهرا وكأنها رقعت ترقيعا . ومع هذا فقد اظهرت نجاعتها في فيتنام . انها هنا السلاح الوحيد الذي ، ان استخدم جيدا ، يتيح التغلب على المواقع المحصنة . ركز روبيرتو الانابيب على ابعاد بين عشرين الى ثلاثين مترا واخذ يتجول بين مجموعة واخرى ليتأكد من ان كل واحد قد عرف دوره وان كل شيء في مكانه . لم يبق الان غير انتظار رامونا .

اذا استثنينا المترصدين المنبطحين فوق الاعشاب العالية ، ونظرهم مصوب الى الهدف ، فان ما تبقى من المقاتلين يستند الى الارض الرحبة . بعضهم يدخن بدقة او يتكلم بصوت منخفض . تحقق الجميع من اسلحتهم الخليطة من كل نوع، من مسدس رشاش الى بندقية آلية ، ومرورا ببندقية الغاراند الاسطورية . الكثير من هذه البنادق قديمة او تالفة . تعطلت اثنتان منها قبل الهجوم بقليل . ليس لدى معظم المقاتلين غير خزاني رصاص . القنابل اليدوية التي تشعل بالفتيل اكثر من القنابل اليدوية الشائعة .

جلست بين فتاة ممتلئة الجسم في الثامنة عشرة ، في عينين تملؤها البراءة والخوف ، وشاب في نفس عمرها . الجو مضطرب، يتسم بالعصبية والضحك والعزم والصمت وقصص قصيرة تهمس في زاوية من الاذن وتصريحات سياسية حاسمة . تحقق المقاتلون لآخر مرة من عدتهم : من رباطات احذيتهم وحزام بنطالهم وجعبة رصاصهم

وخزان رصاصهم ولسن الامان في بنادقهم . والقوا اخر لمسة على الصليب المتدلي فوق صدورهم . وخيم هدوء ايضا وانتباه حاد لكل الاصوات ولما يمكن ان يحدث في كل لحظة .

ـ ما هي مهمتك ؟

ارتاب الشاب الهندي فأنشب في عينيه الواسعتين السوداوين: « نحن شعب هادىء لكن رجلا دمويا يستغلنا . اذا **ليس لنا خيار آخر للعيش سوى ان نحمل السلاح ... »**

جملته شائعة .. سمعتها مائة مرة من قبل . غير ان تمتمته بها قبل دقائق من موت ممكن قد القى في وجهي كل ما في الثورة من قوة . ان ما يستوقف النظر الى حد هو هذه اللامبالاة من الشباب الظاهرة والموجودة في كل مكان ، التي تفصح عن نفسها عبر الفولكلور الذي يزينون به كفاحهم ، بهذا النوع من احتفال باروكي ورومانتيكي . يظهر ان هذا الموت يفكرون به قبل كل شيء وعند العمل الشامل . لقد كدت ان اتلعثم .

ـ أردت فقط ان اعرف ما عليك ان تعمله اثناء الهجوم ؟

ـ اعرف جيدا ، بيد انه يجب الا تنسى سبب وجودنا هنا . انا واحد من موجة الهجوم الثانية التي يجب عليها ان تنقض على جدران المستشفى بعد ان يقذف الستة الاولون القنابل داخله .

ـ منذ اي وقت انضممت الى الجبهة ؟

ـ منذ ثورة ايلول . جت من ليون وانضممت للمغاوير فورا . الاقل خبرة بيننا مارس عمليا تسعة اشهر . المتطوعون لا يشتركون في مثل هذه العملية . انها انتحارية لهم .

اضاف قادم جديد : ـ سترى كيف يقاتل الشعب جيشا محترفا.

كان صغير السن كغيره لكنه يظهر بوضوح اكبر جسما واقوى. في عينين كالماستين ، اسمه ميغل . لا يحمل اي سلاح.

ـ جرحت منذ العمليات الاولى في ماتاغالبا واثناء العناية بي، اعطيت بندقيتي لمقاتل آخر . جئت لاستولي على غيرها . ان توصلت الى التسلل بعد موجات الهجوم الاولى بالضبط ،حين يشرع الرفاق بالدخول الى المستشفى ، تكون لدي فرص طيبة لاجد بندقية فأتمكن بذلك من الاستمرار في القتال مع رفاقي . أريد ان اساهم في القتال حتى نهاية الحرب ضد الطاغية .

ـ الست خائفا ؟

ـ آه ! أنت تعرف حين يحين أجلك ، يكون قد حان اجلك . والا فيمكنك ان تنصرف . آمل فقط الا تكون الرصاصة التي تحمل اسمي قد سكبت بعد .

الساعة ٨،٤٠ ـ جيىء بقهوة في غلاية ضخمة وبأرز وفاصوليا. هدأ التوتر قليلا . غادر كل بدوره مركزه وجاء ليجدد قواه بشيء من الطعام .

جاء رؤساء الزمر يأخذون آخر التعليمات من روبيرتو . أخذ الراديو ، الذي وضع على طول موجة الحرس ، يصرصر بهدوء . وجن جنونه فجأة : « ١٧ ، ١٧ ، ١٧ جاؤوا بالدبابة » .

خاضت رامونا المعركة في محور الجسر على بعد اقل من خمسين مترا من ناحية اليسار . وحمي وطيس الرشاش الخمسين المنصوب فوق الرابية ، واسلحة الحرس الخفيفة ، الكامنين في المستشفى . اصبح الساندينيون الان في مواجهة الهدف واصابعهم على الزناد . غادر اولوهم كومة الردم التي كانوا يحتمون بها . وبدأوا بالزحف على بطونهم في مستوى افقي يؤدي الى المبنى ، تخفيهم نباتات بارتفاع عشرة امتار . لكنهم نهضوا بعد اشارة أعطيت لهم ، ثم راحوا يركضون في منطقة حصباء مكشوفة تماما ، واجتازوا ثلاثين مترا تحت نار مزدوجة من الرابية والمستشفى . لم يعد يسمع غير لعلعة الرصاص من كل العيارات ، يتبعها صفيرها وهدير المحرك الذي يقترب . كان حنكي فوق الارض ، فاصطدم انفي بحذاء مثقب لمقاتل يستعد للقفز في وجه شاحب ، لكن عينيه لا ترتجفان ابدا . احصى حركاته كلها فوجد نفسه وقد التصق بالجدار الذي يحميه .

الساعة ٩ ـ اطلقت الدبابة قذيفة ، تبعتها في الحال ثلاث قذائف بازوكا في وقت واحد تقريبا . اختفى الحذاء المثقب . « ما اجملها ! » قالت ذلك جارتي ذات الوجه الصغير . تفجرت القنابل اليدوية وقنابل الفتيل وتعالت الصيحات داعية للتقدم الى الامام .

الساعة ٩،٠٧ ـ أتيح لروبيرتو الوقت ليروح ويجيىء . « لقد أخليت القاعات الثلاث الاولى . لا جريح واحد من ناحيتنا » . قمت بدورة . ثمة اصداء وسط النباتات . كان معظم الذين سبقوني ما يزالون خارجا مقرفصين تحت النوافذ ، وكأنهم اشباح في لون داكن تلتصق بالجدار . وفي الخلف ، كتلة الرابية الضخمة الخضراء القاتمة وصوت الرشاش الخمسين المبحوح . اخذت انهض واقفز . انها الازلية.

ركضت بشكل متعرج . اصطدمت اخيرا بجدار بين رفيقتين اتيح لهما ان تبتسما وتذخران سلاحيهما من جديد .

ـ يابيخودو !

ـ يا بوفالو !

نزلت بكتفي صفعة . تعاقبت وضعية القرفصة والوقوف لرش داخل المستشفى من ركن نافذة . انتزعت الناموسيات بالايدي وحطمت الواح الزجاج بضربات من اخمص البنادق . كانت حافة النافذة مرتفعة، ربما تبلغ مترا واربعين سنتميترا ، لا بد من اجتيازها بأسرع ما يمكن ، لان عاكس النور هدف مثالي للحرس الموجودين في الداخل .

الساعة ٩،٢٢ ـ خارجا . يتقدم السانديينيون ببطء من الناحية الخارجية ، بامتداد الساحة المواجهة للمدينة ، بمنجى من الرابية. كانت تقنيتهم هي ذاتها دوما : التسلل تحت نافذة والقاء قذائف الفتيل والقنابل اليدوية وتنظيف المكان بالاسلحة الآلية . كانوا يصرخون بقدر ما يطلقون النار : « استسلموا مثلما استسلمتم في الكنيسة . استسلموا ! » . لقد انتهى امركم ! » « لماذا تقاتلون ؟ يا ابناء العاهرة !».

نفذ اول هجوم بكامله بطريقة مثالية . بيد ان التنظيم والتنسيق والانضباط اصبح ضروريا اكثر بعد ان اصبح عدد المقاتلين هاما اكثر الآن . اضطر روبيرتو ان يضاعف تنقلاته ليأمرهم بالتقدم . انقسمت بعض الزمر شقين . في مقدمتهم المقاتلون الاكثر اهمية . كان الآخرون متباعدين بين عشرين وثلاثين وخمسين مترا في المؤخرة، يتنازع اغلبهم الخوف والخداع . بددوا كثيرا من الذخيرة ، يطلقون النار على غير هدى احيانا .

الساعة ٩،٥٣ ـ يظهر ان طلقات النار تتزايد الى ما لا نهاية. اهاجت طلقة البازوكان الحرس والسانديينيين ، التفاهم مستحيل . كانت الطلقة تتجاوز الحدود ، ضخمة ، لا معقولة ، هاذية .

انطلقت قهقهات عصبية ، وهستيريا صماء اثارها تعاقب الضجيج والصمت .

الساعة ٩،٥٥ ـ عاد روبيرتو من الامام ليرسل ساعيا الى شيبيليون وتنظيم الدفاع عما تم الاستيلاء عله . « الحرس ينسحبون تحت حماية المدنيين ، قال ذلك وهو يمر .

الساعة ١٠ ـ طلقة بازوكا جديدة ابعد قليلا . يظهر ان المقاتلين، الذين استمروا يتوافدون واحد بعد آخر من النهر ، هم أقل خبرة

وجودة تسلح . قال احدهم وهو يرى دما فوق اصبعي ، عن جرح بسيط ، وقد انفجر ضاحكا : « كل شيء مفيد بصدد جرح حرب ». كان ذلك مثلا محليا .

كان لي شينو يرافق ساتانيكو في الدبابة ، فقدم ومعه معاول ورفوش ليحفر حفرا في جدران المستشفى الداخلية ويتمكن من التقدم قاعة قاعة من غير ان يتعرض للممرات التي يمكن للحرس ان يسيطروا عليها بسلاح آلي فقط . انتقل مركز العملية وقد حان وقت الدخول فيها ثانية .

الساعة ١١،١٢ ـ رشاشات الرابية تطلق النار فوق المستشفى وتجعل من الخطورة التقدم في باحاته الواقعة تحت نيرانهم مباشرة . لم يتم الدخول بعمق في جميع القاعات ، حتى في الجزء المستولى عليه. فلا بد من التمحور من كل الجهات والتقدم قفزا .

كان المستشفى قد سلب وسيطرت عليه الكآبة .ان الايدي المخربة لاولئك الذين احتلوه طوال خمسة عشر يوما قد قلبت فيه كل شيء، ونثرت الارض بقوارير وادوات اختبار محطمة . ثمة خزائن مبعجة . تغوطوا في كل مكان ، حتى فوق الطاولات احيانا ، وكانوا يفضلون شاش العصائب على ورق الملفات لينظفوا انفسهم .

كانت كومة من البزات قد انتزعت بسرعة .

كان الجزع يخيم كلما توجب اجتياز الابواب التي تقطع الممرات . اصطدمت خلف احدها بميغل . كان سعيدا ، فقد استولى على ما كان يبحث عنه : حقيبة ظهر وبندقية غاراند وقرابة مائتي رصاصة . كان بعضهم يتبع القاعات بحثا عن كنز ، في حين ما يزال غيرهم يطاردون العدو ، واصابعهم فوق الزناد ، ويبحثون عنه حتى تحت الاسرة . غير ان الغطاء السانديني قد انتشر حتما وسيطر الآن على معظم المستشفى .

الساعة ١٠،٣٠ ـ لحقت بروبيرتو الذي اخذ يفتش الاماكن بانتظام . شاهد مقاتلو المقدمة قرابة ثلاثين « كلبا » يهربون باتجاه المعهد خلف مدينيين وراهبات البسوهم سلفا ثيابا رثة .

الساعة ١٠،٣٣ ـ تعثرنا بجثة حارس لفظ انفاسه الاخيرة في ممر ، كان ضحية ضربة محكمة من مدفع اطلقته رامونا . انحنى فوق روبيرتو . لكن الاوان قد فات . كان الذباب فوقه .

الساعة ١٠،٣٦ ـ في قاعة في الخلف ، اكتشفنا امراة عجوزا

كسيحة تجلس فوق كرسي متحرك ، وراهبة ممرضة اصيبت بالهستيريا ، بياض قبعتها ومئزرها ليس حديثا ابدا . راحت تصرخ ما ان اقترب رفيق أقل من ثلاثة امتار منها . وارتجفت اطرافها وجالت عيناها برعب السلاح الذي سيقتلها والرجل الذي سيغتصبها. كانت تنتظر التعذيب . بين ذراعيها مولود حديث ضامر كالموت ، تغرقه بدموعها . انها صورة الحرب الحقيقية .

خمسة عشر يوما من السجن مع جنود الحرس اعطتها الوقت لتتصور ما هو اسوأ . ومع هذا فضلت ان تختبىء تحت مهد حين ساقوا بقية المدنيين . كان لها ، في هذا الوقت ، ان تختار بين رعبين . اخذت تستعيد ثقتها حين اكتشفت صبيا من قريتها بين الساندينيين.. وهي قرية في مكان في الشمال عند السلفادور . وهدأت روعها ايضا اليد التي ربتت على كتفها . ورضيت ان تسلم لها وحدها الرضيع . انها لصورة غريبة لهذا المقاتل الذي يصارع الحياة الواهنة وهو يجابه الموت الآن . أربكه قماط الصغير ، ولم يعد يدري ما يفعل ببندقيته الخالية ، فابتعد اخيرا باتجاه مراكز الاسعاف في الخلف .

اصبحت الراهبة اكثر هدوءا ، فروت ، بين زفرتين ، ان المدنيين لا يتغذون منذ عدة ايام الا بالسيروم العضوي ، وان الجنود يحتفظون بحصصهم من الطعام لانفسهم وحدهم . وقد مات اربعة اشخاص ، يافعان ورضيعان ، اشارت لقبورهم التي حفرت على عجل بين روضة ازهار استوائية . كانت خمسة عشر يوما كابوسا .

الساعة ١٠،٤٢ ـ راحت الرشاشات المسلطة فوق الرابية تعوي من جديد . تطايرت شظايا بعض احجار القرميد . صرخت الراهبة: « قالوا انهم سيدمروننا بالقنابل .سيقتلونكم جميعا . لا تستمروا باطلاق النار ! ... ان اطلقتم النار تجازفون بمس الراهبات .. سيغتالون الرضع من اول طلقة نار » . تعلقت الآن بذراع روبيرتو الذي اخذها بدوره باتجاه الخلف ، ولم تكن لديه الشجاعة ليقطع قصتها الرهيبة، كما لم يتوصل لان يسألها عن عدد الحرس الملتجئين في المعهد المجاور . « ارسلوها هنالك لتستريح ثلاثة ايام في سان رامون. وان ارادت العودة الى بلدها فاجعلوها تتصل بالصليب الاحمر » .

الساعة ١٠،٤٥ ـ تقرير قدمه ساعي زمرة المقدمة : « نحن نسيطر على المستشفى بكامله ، باستثناء غرفة الجثث التي هربوا منها تاركين

كلبيـن يغطيـان انسحابهم » .

الساعـة ١٠،٤٧ ـ ساعي بريـد آخـر : « تمكـن قرابة اربعيـن شخصـا من الهرب . يرتدي بعضهم الثياب المدنية . لا نعرف ايضا فيمـا اذا كانوا سيتوقفـون عنـد المعهـد ام يحاولون ان يصلوا مباشرة الـى الرابية حيث مقرهم » .

الساعـة ١٠،٤٨ ـ قادم جديد : « الحرس على وشك الصعود الى الرابيـة ، يختفـون خلف خندق بشري من المدنيين » .

آخـر جولة في المستشفى المدمر . اكتشف مستودعـان من الادوية سليمـان ، لكـن جميع معدات القاعات الاماميـة ، وكـان يقيم فيهـا الحرس ، قد سلبـت نهائيـا . اصبح المقاتلون الحقيقيـون يحيطـون بالمعـهد . حل محلهم المتطوعـة وحتى فتية مدنيـون راحوا يتوافدون اليـه باعداد كبيـرة .

الساعة ١١،٠٥ ـ أزيحت اكياس الرمل التي كانت تسد البـاب الرئيسي المطل على المدينة . كانت مجموعات صغيرة تجلس ارضا ، فبدأت اعمـال الصباح ، وتمت الاكتشافات في المبنى . وتم الاتصال بالراديـو بشيبيليون ، الذي كـان اول سؤال له منصبا على اهمية ما استولى عليه من اسلحة . كانت ضعيفـة الاهميـة : بندقيتـا غرانـاد وقرابـة الف رصاصـة وبضع حقائب ظهر وبزات . روجليو الجريح بيـن ايدي الاطباء. لا شـيء خطيـر فيه .

ظهرت ثانيـة غلايـة القهوة . الادارة تتبع جيدا . انتزعت الماء الذي كنت اتخبـط فيه منذ اكثر من ساعتيـن . انطلقت قهقهات لدى رؤيـة رفيق اجتاز لتوه النهـر فحسب . في كل خطوة من خطواته يخرج نافورات صغيرة من المياه من ثقوب جزمته الباليـة .

انضمت رامونـا الى الحفلـة ، فكـان الذهول . ان اول مقاتل خرج منهـا كان « خوان » ، الحارس السابق الذي حقنه العقيد الطبيب بمخدر قبل ان يفـرغ مسدسه في فخذه . كان يرتـدي ثيابـا بيضـاء كلهـا ، خرج بصعوبة من الدبابة فـي هيئة الحالم والثوري ، فساقه مـا زالت تؤلمه . كانت ابتسامته اشـد اشراقـة ايضا مـن الآخرين .

ـ خدمت فـي المدرعات ولهذا اعتقدت انه يمكنني ان اكون مفيدا ، لانه ليس لديهم خبرة كثيـرة فـي مثل هذه الامور .

ـ هل اصبحت سانديـنيـا ؟

تغضن جفناه وهو ينشب نظره في جرس الكنيسة القريبة جدا .

تساؤله صميمي ... وكلا . هذا القدر قذف بنا . جئت انتقاما » .

ـ هل تفكر ان تظل معهم ؟

ـ لا أعرف بعد . ربما . هنا كل شيء مختلف . كل شيء عن طواعية .

عدنا الى المؤخرة . استمرت بقية المدينة تبذل جهدها لتنتظم، فقد اصبح السير اقل خطورة . وانشغل حرس المعهد كثيرا بالرفاق الذين يحدقون بهم واصبح المشاة الذين يتعرضون لرشاشات الرابية قلة صغيرة جدا . صدرت بعض الابتسامات . وكثرت التساؤلات عن سير الاحداث . استوقفتني وانا مار عجوز تقف عند عتبة بابها : «قضوا عليهم اليس كذلك ! لن يثبت طويلا الكلب رئيس البلدية ! » البهجة واضحة في ثكنة لوبه مورينو . المتطوعة في طريقهم الى ماناغوا .

الساعة ١٣ ـ اجتماع للقيادة العامة في الطابق الاول من مقر قيادة شيبيليون . سعاة البريد يروحون ويجيئون في كل الاتجاهات . كان ثمة تحير ، فهم يعانون من خوض هجومين متتاليين . اوضح لي روبيرتو وهو يمر : « بسبب قلة شيء من التقنة ولا سميا فقدان وسائل الاتصال ولان تسلحنا منخفض جدا ولهذا يتوجب علينا ان ننهج استخدامه بدقة شديدة » .

الساعة ١٤،٣٠ ـ اماكن المعهد واسعة جدا بحيث لا يمكن الاستيلاء عليها بهجوم تقوم به الوحدات المحيطة به . انطلقت زمرة تعزيز فذهبت في اثرها .

الساعة ١٥،٢٠ ـ نحن قرابة ثلاثين شخصا خلف الشارع الموازي للنهر ، بانتظار وصول تعليمات محددة من موجة الهجوم الاولى . الرفاق متأهبون . الجو مثلما هو في هذا الصباح . لكن الذخيرة اقل حجما ايضا . يجب التوجه والمجيء بها .

ميغل ، الذي كان يريد بندقية هذا الصباح، موجود هنا.انتهز فرصة الانتظار ليخرج من حقيبة ظهر جديدة تماما ، « من صنع الولايات المتحدة » ،جزءا من غنيمته : جوارب ومعطفا واقيا من المطر وجزمة وخوذة وصورة للمسيح في اطارها الخشبي الثقيل ،بطول وعرض لا يقل عن خمسين بثلاثين سنتيمترا . ذهل رفاقه :

ـ وهذه ! لماذا تحملها معك ؟

ـ لن ادعها لك !.. لا سبيل لتركها ! انها قلب يسوع المقدس. ربما تبدو من الحماقة للكافرين . اما بالنسبة لي المسيحي فهي

شـــيء آخـــر .

ثم غطاها ببنطال بزة مثقوب ليحميهـــا من الصدمات .

الساعة ١٥،٤٥ ــ اصبح الانتظار غير مفهوم . بضع طلقات ناريـــة باتجاه المعهد ، لكـــن لا شيء شديـــد التأثير . يسود الشعور بالبهجـــة واللامبالاة اكثر ممـــا كـــان عليه هـــذا الصباح . بعضهـــم يغني او يصفر.

الساعة ١٥،٤٨ ــ يا للقذارة ! طائرة ! . خيم الصمت فورا .يقترب هديـــر المحرك بسرعـــة شديدة . ظل بعض الرفاق خارجا ملتصقيـــــن بالجدران ، يكادون يشدون انتباه الطيار . والتجأ غيرهم الـــى مـــرآب، استولى الجنون على الزمرة التي فيهـــا خيرة المقاتليـــن المستعديـــن لكـــل شيء ، تجاه رجال يتسلحون ببنادق افضل من بنادقهـــم . غيـــر انهـــم ارتجفوا تجاه الموت الآتي من السماء واعترفوا بذلـــك ساخرين . انهـــا لحظة خوف شديد يعيشونهـــا ويصنعون منها اجمل قصة .

ظهرت طائرتان ، احداهـــا « بول بوش » تقذف صواريخ والاخـــرى « DC 3 » ترمـــي برشاش ، ظلتـــا اكثر من نصف ساعـــة تزرعـــــان البلبلة فـــي المدينـــة ، بامتداد النهـــر خاصة ، توقف الهجوم بسبـــب الغـــارة .

برزت طائرة هيليكوبتر . اوضحت متطوعـــة ورأسهـــا بيـــن كتفيها ان القنابل هي من زنـــة خمسمائة ليبرة التي تلقيهـــا على الاغلب . تجمعت الهيليكوبتر فوق المعهـــد وانفصل عنها شـــيء اسود انفجـــر في هـــــذه المرة قبل ان يصل الى الارض ، افلتت منه نفثات ملتفـــة واسعة من دخان رمادي واصفـــر : « ابناء اكبر عاهرة ! انهـــــم يستخدمـــون الغازات الآن ! »

استغل الحرس ذـــلك لينسحبوا بلا قتال .

الطرق التي اتاحت لنـا ان نربح الحرب لم تعـد كافيـة بعد النصر

حديث القائد لويس كاريـون

احدى مهامنـا الاولـى ، عشيـة النصر ، هي بنـاء جيش متناسق يتألف من كافة القوات التي اسهمت فـي الاطاحـة بالديكتاتوريـة . وذلـك يستتبـع ، قبل كـل شـيء، تفسيـرا بكامله ليفهم كل واحـد منـا الدور الذي قام بـه . فالجميع ينزعـون الـى المبالغـة في تقديـر اهميـة مساهمتهم . ومن المألوف ان نجـد رفاقـا من الجنوب يعتقدون انهم قد حققوا النصر بانفسهم وحدهم ، ونجـد هذه الظاهرة ايضـا لدى بعض المقاتليـن في كل الجبهات . فافهامهم تطور الحرب بوجه شامل هـو أمر ضروري اذا . وذلك هـو الاساس السياسـي . علينـا فـوق ذلـك ايضـا ان نفسر الوضع الراهـن والتغيرات التي يحتاجهـا جيشنا . كنـا قـد قمنـا بحملة ضـد طرق حرب المغاويـر التي لا بد مـن تجاوزهـا الان ، والقائمة على الاستقلال الذاتي والارتجال ورفض العمل المنظم ، او شـيء من الاقتداء الشخصي بالرؤساء . ونحاول فـي الوقت ذاته ان نجمع ما كـان مشتركـا بيـن جميـع القوات ونحتفظ بفضائل ايـام الثورة الاهليـة المسلحـةالتي ما زالت مفيدة اليوم ، وهـي الشجاعـة والروح القتاليـة والنضاليـة . ونجهـد لافهامهم ان الطـرق التي أتاحت لنـا ان نربـح الحرب لـم تعـد كافية اليوم ، فانطلاقـا مـن ذلـك ، يقتضينـا ان نقيـم معاييـر وتسويات جديدة .

ينضوي تحت لواء هـذه التغيرات الجنود المنبثقـون عـن الثـورة الاهليـة المسلحة

في المدن اكثر من الارتال النازلة من الجبال . اما الوحدات القادمة من جبهةالجنوب، فتفهم ضرورة ادخال طرق جديدة ، لكنها ، بواقع عدم تناسقها ، تجد صعوبة في ممارستها . وخضع اخرون لاصطفاء قاس بحيث يمكن وصفه طبيعيا . كان لا بد من ايمان كبير ووعي ثوري لان تحتمل وقتا طويلا المصاعب المتلازمة مع المغاوير . اما في الجنوب فبعكس ذلك ، فقد انضم عدد كبير من المقاتلين في اواخر ايام الحرب . ومن هنا نشأت الصعوبة .

ا نانقسامنا السابق الى « نزعات » لم يعق بناء جيش متناسق . لقد تمت تسويته عمليا . كما ان تجاوز التناقضات السابقة هو اكثر بطءا في القاعدة ، حيث الوعي السياسي أقل ، مما هو في الاطر الوسيطة . واستطعنا ان نتقدم بسرعة نسبيا بالسيطرة السياسية ومثال القيادة القومية . بيد انه لمن الغرابة اذا كان محتملا ان نلاقي مصاعب مع المواقف الاقليمية التي اتفقت عليها كافة نزعات مدينة واحدة او اقليم واحد .

بقي ان نؤكد بأن اسناد المسؤوليات في جيشنا الجديد يرتبط بمسألة الوحدة ، انما بشكل غير مباشر . لقد وجدت بعض القوات نفسها وقد ابتعدت بلا جدل عن مسارح الحرب الرئيسية بسبب المفهوم الخاطىء للذين قادوها . وللاسباب ذاتها، تدخل غيرهم بوزن اقل مما تمنوه ، رغم وجودهم في الاماكن الرئيسية . لقد اخطأنا جميعا طوال نضالنا ، انما بدرجات مختلفة . من هذا الواقع ، كانت بعض كوادرنا افضل استعداد لانها عاشت كلية تطور الحرب والثورة . وما لا نكران فيه ان ما تدخل في بناء جيشنا هو تنظيم بنية قيادته . بذلنا جهدا كبيرا باعطاء ايضاح شامل فبدأ معظم المقاتلين يفهمون المبدأ الاساسي بأن القوات التي حازت نجاحا اكثر هي المسؤولة اكثر ، في حين ان القوات التي اخطأت هي الاقل مسؤولية اليوم .

الاثنين ١٦ تموز ، ليـون

((يجب ان تبتكـر الثـورة لتعيش))

الآن وقد نظفت ماتاغالبا عمليـا ، فقـد انتقل مركز الاهتمام الـى ليـون ثانـي مدينـة اهميـة فـي البلاد والاولـى التي حررت تمامـا . الاذاعات كلهـا تعلـن اشتداد النشاط الدبلومـاسي . حتى انـه يظهر ان الكثيريـن من أعضاء القيـادة القوميـة للجبهـة الساندينيـة قد اصبحوا فـي هذه المدينـة .

الساعة ١٠ ـ انتظار في مقر قيادة شيبيليون . كـان مقاتلون قـد توجهوا قبـل يوميـن لتطويق الرابيـة ، فرووا كيف انهـم اضطروا للانسحاب في اخـر النهار . فقـد شعروا بالجوع الى حـد شديـد . واصاب عدد كبيـر منهم البـرد بعد ساعات طويلة من السهر تحت المطر. وقـد قلّت ذخيرتهم . ونسوا ، فـي اثناء انسحابهم ، رفيقـا نائمـا في مرآب ، عـاد بوسائله الخاصة ، يعاني من خوف كبير . كانت النتيجـة: أمكـن للحرس الوطني ان يتسلم بهدوء اسلحـة وغذاء وذخيرة .

جاء ساع من مدخل المدينـة الجنوبـي ، أعلـن ان الحـرس قـد استخدم رشاشـا جديدا ركـز فـي مكـان افضل ايضا يمنع كل تحرك .

الساعة ١١،٣٠ ـ وجدت مكانا في شاحنة صغيرة بيضاء ، يابانية، بيـن ارماندو ، المحامي ، فـي ثيـاب مدنية ، وسائـق بالمناسبـة ، وجافيه ، هندي مونيمبو ، المسؤول عـن رامونـا اثنـاء العمليات ضـد

المستشفى . كان يحرسهم مقاتل يقف في الخلف ويتعرض للرياح . كان في نية الجميع ان يصلوا بلا توقف الى ليون حيث يأتون منها بمدفع هاون يريدون العودة به خلال اربع وعشرين ساعة لشن اخر هجوم على الرابية . اذ يكاد يستحيل القضاء على اوكار الرشاشات من غير هذا السلاح .

صعدنا خمسة كيلومترات باتجاه الشمال ، ثم توجهنا غربا تماما بخط مستقيم يؤدي الى المحيط الهادىء . اصبحنا بعد مائة كيلومتر من هنالك . علق ارماندو ، المفرط الحيوية ، على آخر الاحداث والانتصارات التي يظهر انها قد اخذت تتسلسل اخيرا . ان الغوص في الرمال يخيف الجميع . اذا توصلت الجبهة الى الخروج من المستنقع في اماكن عديدة في وقت واحد ، يصبح النصر مؤكدا . انه قريب جدا .

اما جافيه ، فقد لبث متوترا صامتا . كانت سبطانة بندقيته مصوبة باستمرار نحو الخارج . اصبعه منبسطة فوق السلاح ، قريبة جدا من الزناد ، نادرا ما ينظر الينا ، يسبر اقل احداث الارض التي يقل عددها تدريجيا مع هذا .« لم اسلك هذه الطريق منذ ثمانية اعوام . لم استطع ان اتصور ان بقدرتي ان اجوب مثل هذه المسافة من الارض المحررة . مائة كيلومتر ! انكم لا تدركون ! وانا هنا ! في بزة .. وبندقيتي . لا يمكنني ان اصدق ذلك . انه لمن غير المعقول الا يكون بقدرتهم حتى نصب كمين في طريق بمثل هذا الطول ليحاولوا قطع مواصلاتنا . « بيد انه لما كان لم يحدث اي شيء، باستثناء انفجار وحشي في عجلة السيارة ، أخذ يهدأ تدريجيا ، كمقاتل محنك يظل متيقظا ويعرف ان المواقف الحاسمة يبت فيها بأقصى سرعة » . لبثت وقتا طويلا .

.. انه اسطورة في الجبهة السانديتية واحد القادة النادرين الذين يعرفهم الشعب ويعجب بهم . انه فلاح حقيقي احبه الجميع . كنت معه عندما جرح برشقة رصاص طائشة ونحن ننسحب من خينوتيغا. شكلت فورا رتلا لمحاولة نقله الى هندوراس . لكنه مات بعد ساعات قليلة . لانه لم يكن لدينا فقط ما نعالجه به ذلك ان جرحه لم يكن رهيبا الى هذا الحد . لقد احبنا جميعا واحببناه حقا .

« عجبا ! كان اخصائيا في نصب الكمائن . كل ما اعرفه هو انه هو الذي علمني اياها . ترى ماذا ... » قال ذلك وقت ان كان

الطريق يوغل ، بعد منعطف بالضبط ، وسط رابية انشقت شطرين..»
حين رأيت مكانا مثل هذا المكان ، فتصورت فورا كيف اضع الرجال والسلاح . وقلت في نفسي ان الكلاب لا يمكنهم الا يفكروا بذلك . كنت بعد ذلك اجتمع « بالشيخ » حين يعد هجوما ... او يتحدث مع الفلاحين . كان حقا احد الخبراء .. كان بامكانه ان يقوم بدور حاسم تجاه الشعب والمناضلين ، فيما سنلاقيه من مصاعب منذ الآن. أتعرف ما هي جملته الاخيرة ؟ كان يفكر بنا بالضبط . كان مهتما بمستقبل الثورة . قال : « **اتحدوا !** » **ثم مات** ...

ـ هل تعتقد ان نصركم قريب ؟

نظر الى جافيه بسيماء جاحدة وقد ترك لاول مرة بندقيته ليتكلم بيديه وجه افضل : «انظر. لست بمن يتكهن ولهذا الكلب اكثر من دور في جعبته واكثر من حليف له عنده حظوة. ان الغرينغو، شئنا ام ابينا، يفعلون كل شيء لانقاذه او انقاذ الحرس بأية حال، والامر سيان لان احدهما لا يزول من غير زوال الاخر. هدفهم اليوم ان يحولوا بكل الوسائل دون نصرنا العسكري واكراهنا على التفاوض في شروط ليست مناسبة. يؤملون بذلك الحفاظ على جزء من بنية الحرس الوطني الذي هو احد وسائل نجاحهم الرئيسية في المنطقة، وبأية حال، افضل من يدافع عن مصالحهم في هذا البلد. لكنهم نسوا ان برنامج اعادة البناء الوطني الذي اتفقت عليه البورجوازية والجبهة الساندينية للتحرر الوطني قد اقر القضاء على الحرس الوطني بصفته هيئة. كلما اصبح الموقف العسكري اكثر ملاءمة لنا اصبح من مصلحتهم اكثر اكراه سوموزا على الرحيل، قبل ان ننتصر نهائيا. وتلك هي فرصتهم الوحيدة ليجربوا بعض التحركات لفصلنا عن قطاعات المؤسسات الخاصة .

«فما هو الموقف العسكري؟ هذا هو السؤال الذي يجب ان يكون بقدرتك الرد عليه بوضوح ان اردت ان تفهم ما سيجري في الايام القريبة. لنعد الى تاريخ ٢٨ حزيران. انه يوم الانسحاب التكتيكي لثوار ماناغوا. عرضه سوموز كنصر، لكن ذلك ليس صحيحا. فلتعلم ايها الاخ ان مقاتلينا قد خرجوا اكثر عددا وتسلحا بكثير مما كانوا عليه وقت ان فجروا الثورة ونجحوا بقطع مسافة ثلاثين كيلومترا تفصل بين ماناغوا ومازايا مشيا ومعهم ٦٠٠٠ مدني ، ٦٠٠٠ تأكدت منهم! ما ان وصلوا الى مازايا حتى تجمعوا ثانية وتوجهوا لمهاجمة خينوتبه التي كانت اهم مركز للحرس في المنطقة. واستولوا عليها في ١٥ تموز. بعد يومين، سقط بين ايدينا حصن

اكوزاسكو الذي التجأ اليه الكلاب الفارين من مدينـــة ليون. سنأخذه . سنأخـذه !

تابع جافيه يقول : «فوق ذلك، اصبح الموقف اكثر تعقيدا. فـــي الواقع، كانت خطتنا الستراتيجية تقرر ان علينا الا نتقدم نحـو العاصمـة الا بعد ان ننظف تماما عواصم المحافظات في الشمال ، اي ايستيلي وماتا غالبـا. فكما تعرف، ظل الكلاب يقاومون في هاتين المدينتين، لكن كافـة قـوات البلد لم يكن بقدرتها ان تقوم بذلك في وقت واحد. لهـذا قررنـا عقـد اجتماع لجميع اعضاء القيادة القومية منذ اكثر من اسبوع.

«في هذا التاريخ، هل كان الموقف خطيرا الى هذا الحد؟ على الصعيد العسكري اولا. في الجبهة الجنوبية، جمدت قواتنا فعلا عددا كبيرا مـن جنود مدرسة التدريب الاساسي للمشاة، لكنهم لم تنجح بعملية خـــرق. فـي المنطقة الوسطى، جنوب ماناغوا، سيطرنا على مازايـــا وخينوتبـه وديريامبا وقاتلنا في مدن عديدة اخرى بينها ريفاس لكن الحرس كـــان ما يزال يحتل غرناطة، مما مكنه مـن الاتصال بـرا بالجبهـــة الجنوبيـة والعاصمة. في شرق ماناغوا، اخذ الرفاق يسيطرون على جزء لا بأس بـه من محافظة شونتالس لكن الحرس كان ما يزال موجودا في كثيـــر مـــن الاماكن. والامر نفسه بالنسبة للجبهة الشمالية والجبهة الغربية، ذلـــك ان ليون وكافة المدن المحيطة بشيناديفا قد حررت في هذا التاريخ، وكانت شيناديفا بالذات ومرفئها، كورينتو، ما تزالان بأيدي الكلاب الذين كانـوا فيها باعداد كبيرة وامكنهم ان يتلقوا تعزيزات من الديكتاتوريات العسكرية فـــي الشمـــال .

« على الساحة السياسية، حان للولايات المتحدة ان تشدد ضغوطهـا لتكرهنا على ادخال رجال لها، حتى ان بينهم عسكريا من الطغمـــة التـي كانت حاكمة. رفضنا ذلك قائلين لها انها تعتبرنا اغبياء. فكان ردها انهـا اخـذت تساوم بالتهديد العسكري بارسال طائرات هيليكوبتر الى ليبريـا وتحريك سفنها الحربية في المحيط الهادىء» .

اقتربنا من ليون. كانت المراقبات اكثر عددا . جرى تبـادل الانبـاء السارة والسجائر. عدد المشاة كثير جدا على الطريق. كـان فلاحون قـد جاؤوا يبيعون الغذاء، ومدنيون يدفعون عربات تكدس فوقها حوائج قليلة امكنها تخليصها من جنون الحرس او قصف الطيران .

«قرر قادتنا انذاك تعزيز الشمال، المنطقة الاضمن سياسيا، واكمـال تطويق العاصمة بشكل يمكن من السيطرة على معظم البلد في حال رحيل

سوموزا واجراء مفاوضات. حتى اذا تجمعت هذه الشروط كلها، القينا بقواتنا كلها على ماناغوا في حركة تلاق واحدة، لئلا يتمكن سوموزا من مجابهتنا واحدا بعد الاخر .

«والان يا فرانسيس، سأقول لك اين نحن» ثم اشعل سيكارة ليحتفل بذلك. « شينادیغا» مطوقة تماما. والبرهان على ذلك اننا مررنا بكل هدوء على بعد اقل من خمسة عشر كيلومترا منها، والرفاق يضاعفون ضغطهم عليها. وايستيلي محررة كلية وقد جئنا لنأتي بمدفع الهاون الذي لا بد وان يتيح لنا ان ننظف رابية ماتا غالبا خلال ساعات قليلة. اخذ الرفاق في ليون يقتربون ببطء شديد من العاصمة ويهاجمون بويترو سوموزا في ساحل المحيط الهادىء. ولا بد وان يكون الرفاق في خويفالبا قد قاموا بعملية للاستيلاء على المدينة عشية امس او اليوم. واخيرا ايها الاخ، ان كتيبة رونالدو اوروسكو، التي تألفت من الجنود الذين خرجوا من ماناغوا واستولوا على عدد هائل من الاسلحة في خينوتبه، لا بد وان تهاجم غرناطة غدا صباحا» .

التفت جافيه باسطا يديه، في عينين شفافتين. كاد ان ينسى لاول مرة بندقيته .

«ان نظر سوموزا الى الخارطة سيجد انه ليس امامه غير الرحيل، والا فسندركه بكل قوة. ستكون خسارة لرجل بمثل هذا الثراء ان ينهي ايامه في سجن من غير ان يتمتع بثروته...»ثم ابتسم بكياسة «لقد هلك» .

دخلنا ليون. وهي مدينة تتمتع بسحر طابع العصر الاستعماري. بيوتها القديمة ومزارع البقول المحيطة بها لم تلحق بها اضرار كثيرة : هرب من معاركها شطر كبير من سكانها البالغين مائة الف، وقد استشرى الطيران ضد احيائها الوسطى حتى انه القى فوقها قنابل مولوتوف بحجم ٢٢٠ ليترا بشكل وقود فيول مليىء بمزيج حارق. شوارعها لم تصلح بعد وما تزال المتاريس قائمة. غير ان القادم اليها من الشمال يشاهد الحياة الطبيعية فيها بوضوح، فيها مستوى التنظيم اعلى بكثير مما يشاهد في المدن التي ما تزال فيها الحرب مستمرة، كما ان المقاتلين هم قبل كل شيء مغاوير او متطوعة. نشعر بذلك فورا، انما ليس بشكل مريح دوما .

سال ريقنا امام لوح اسود وضع عند مدخل حانوت سمان كتبت فوقه يد غير ماهرة بالحوار : «هنا تباع مرطبات». لكن ارماندو وجافيه سرعان ما صدمتهما بيروقراطية وبيزنطينية لحياة سياسية بالكاد ان عادت الى مجراها الطبيعي، حتى وان كانت «جديدة» . كان الشخص الوحيد

الذي أمكنه ان يعطيهما مدفع الهاون اللذين هما بأشد الحاجة اليه ، هي باتريسيا، والمعروفة اكثر باسم كلوديا او «القائدة دوس»، منذ الهجوم على المجلس النيابي الوطني في اب ١٩٧٨. لم يشأ احد ان يقول لهما اين يجداها . اضطرا لابراز هويتهما عشر مرات،حتى انهما سؤلا عن النزعة التي ينتميان اليها. اجتمع جافيه اخيرا برفيق قديم تقاسم معه السراء والضراء في الكفاح. رفع هذا يديه الى السماء : «انا اسف ايها الاخ فقد حاولوا اغتيالها في الاسبوع الماضي، ومنذ ذلك الوقت اصبح بيتها سريا ولا استطيع ان اعطي عنوانه لاحد. تمر هنا بين وقت واخر، فليس لك الا ان تنتظر » .

ـ لكن قضيتنا ملحة نحن بحاجة لهذا المدفع الهاون لنستولي على الرابية! انها اخر نقطة ظلت لننظفها في الشمال، قبل ان نتمكن من الاندفاع نحو ماناغوا. هل تدرك؟ علينا ان نعود الى ماتا غالبا غدا بأسرع ما يمكن.

ـ ليس بيدي حيلة. انتظر .

جلس ارماندو وجافيه فوق حافة الرصيف ساخطين، يتنازعهما الذهول والتقزز : «يا لها من بيروقراطية! حتى انهم لم يتعبوا انفسهم ليجدوا هذا !» .

وصلت باتريسيا اخيرا، يصحبها دانيل اورتيغا وتوماس بورج وجيم ويلوك، الاعضاء الثلاثة في لجنة «تنسيق القيادة القومية للجبهة الساندينية للتحرر الوطني» . كان وجودهم في ليون يعني ان الموقف العام في سبيله الى تطور سريع جدا .

الساعة ١٩ ـ خيم الليل . مسائل الاقامة ... التي لم يتح لها الوقت لتدور في رأسي ثلاث مرات .

«تحية لك!» كانت اول كلمة فرنسية سمعتها منذ قرابة شهر. لم اكن بحاجة لارى حتى اعرف من تلفظ بها. عمره اقل من ثلاثين عاما بقليل، ليس كبيرا جدا، اشقر ، في شعر طويل ولحية نابتة دوما، انه باسكال الذي عرفته منذ اشهر قليلة .

انه فرنسي يعيش في نيكاراغوا منذ خمسة اعوام. سرعان ما ادرك ما هي السوموزية فتقرب الى الجبهة الساندينية ثم تعاون معها اخيرا. ليس فيه سمة المغامر الذي يبحث عن احداث مؤلمة، مستعدا للقتال في اي مكان، كما يحلو للصحافة ان تصور به الاوروبيين الذين تجتمع بهم في مثل هذه الاوضاع . عمل باسكال اولا في الادارة السوموزية، مما اتاح له ان يجمع معلومات مفيدة جدا ... يتعاون منذ عامين مع دائرة علم

الاجتماع في الجامعة الكاثوليكية في ماناغوا . وهنا اشترك في تحرير مجلة «بنسامينتو كريتيكو» التي كانت دراساتها حول ازمة النظام السياسية والاقتصادية والاجتماعية افضل ما نشر في ذلك اليوم. ويتولى اليوم، مع اورلاندو، رئيس الدائرة الاجتماعية، ادارة الاصلاح الزراعي في الاراضي المحررة حول ليون . ويعملان بحب طريقتهما لان الاطر الرئيسية الساندينية اضطرت لان تتحول الى عسكرية فلا تتيح لها الحرب وقتا للانصراف الى هذه المسائل .

اخذوني بالسيارة الى مقر قيادتهم. وهو بيت رائع نصفه مصادر ونصفه الاخر اعارته عائلة رئيس الجامعة، في غرف عديدة وحديقة داخلية رائعة . يقابل بالضبط بيت باتريسيا الذي كنا نبحث عنه الان والذي يسميه جميع اهالي ليون «الملجأ» .

كان مكانا مذهلا. فيه الترف، من كهرباء وبراد وتلفزيون . غير ان الهواء المكيف ممنوع لئلا يبذر البترول الذي لا يصل ابدا. ولم يحن وقت فقدانه، لان الهجوم على ماناغوا لا بد وان يشن قريبا. يخيم في هذا المكان الغريب جو لجامعة صيفية. وضع اورلاندو يده على كل شيء وجده مثل طلاب علم الاجتماع والاقتصاديين والقضاة، الذين يتجولون في الممرات ويلتقون بممثلي حركة الشعب المتحد او المقاتلين الذين يحرسون الشارع. سمعت، لدى اجتيازي البيت، نتفا من مناقشات حامية منصبة على انتاج القطن والبرنامج الذي يجب التقيد به والمفاهيم البورجوازية التقليدية او التي ما تزال بيروقراطية حول الملكية .. وفي زاوية، يتحدثون عن النزعات .

تناولنا قهوة في المطبخ ، زينتها فاصولياء واقراص ذرة . كانت رفيقة، مختصة في علم الاجتماع ومناضلة في رابطة امبروناك (رابطة النساء النيكاراغويات).

ـ فلنصنع الثورة !

ـ كيف ؟

ـ بغسل آنية المائدة .

نظر اليها اورلاندو ساخرا : «ليست هذه هي الثورة هذه هي النظافة ، يجب عدم خلط كل شيء » ...

اجابته الفتاة : ـ يمكنك مع هذا ان يكون لديك مفهوم اقل سعة عن الثورة. ليس مهما اشتراكك بأحداث ايار ١٩٦٨ في فرنسا. لو ان اصدقاءك الوضعيين قد رأوك ...

سكت اورلاندو واحضر لنفسه قهوة. كان كبيرا، نحيفا جدا ، في قسمات هندي صافية ونظرة تسمى في نيكاراغوا «نظرة قط»،اي عينين زرقاوين صافيتين جدا. انها اسرار الوراثة ... ومع هذا يفخر بأصوله المحلية، ولكي ينادي بأعلى صوت، فقد اختار جيرونيمو اسما مستعارا. اما باسكال، فينادي الان باسم هنري. انهما لشريكان مقدسان. ونموذج عن الابداع وعدم الامتثال. يشكلان جزءا من الاشخاص النادرين جدا الذين عرفوا، رغم اشتراكهم في الكفاح بفعالية، كيف يتجنبون الالتزام بهذه النزعة او تلك. كانت «بنساميامينتو كريتيكو» المجلة النظرية للساندينية وليس كمجلة للجبهة الساندينية .

ـ وكيف يمكنك ان تعمل في الاصلاح الزراعي بينما ما يزال سوموزا هنا ؟

ـ لا يمكننا الانتظار. ولذلك سببان : ان ٨٠ بالمئة من محصول قطن البلد، مصدر نقدنا النادر الرئيسي، يأتي من هذه المنطقة. ونحن في منتصف فصل البذر. لم نكن نؤمل في ان نتجاوز الـ ٣٠ بالمئة مما يبذر عادة، وبعد ثلاثة اسابيع، سيفوت الاوان نهائيا في هذه السنة . نكون قد خسرنا سنة، ولربما يكون ذلك كارثة لمستقبل الثورة. ان تأخير برنامج تربية شهرا او شهرين لا يؤدي الى كارثة. لكن اياما قليلة قد تكون حاسمة في الزراعة. السبب الثاني ان الفلاحين كافحوا في سبيل الارض اقل مما كافحوا الطغيان، لكنهم ينتظرون تغيرات عميقة في البنية الزراعية. ونحن كافحنا في سبيل تولي السلطة غير انه ما ان يتم لنا ذلك حتى يصبح ضروريا اعطاء مفهوم طبقي للسياسة المتبعة. وفي سبيل ذلك، يجب ان نبدأ منذ الان .

ـ لا يمكنك ان تتصور المأساة التي مثلها ادخال زراعة القطن بالنسبة لفلاحي هذا البلد، لا سيما المواطنين الاصليين. كان كبار مالكي الاراضي بحاجة، لمسائل تتعلق بالدخل، قد وسعوا استثماراتهم الى اقصى حد. طردوا صغار المزارعين واحدا بعد اخر بفضل دعم النظام، وتوصلوا الى الاستيلاء على الاراضي التي امكن للمجتمعات الاهلية الاصلية ان تنقذها من شره المستعمرين. واضافة الى ذلك، لما كانوا لا يعطون عملا الا لاشهر قليلة في السنة، فقد حولوا عشرات الالاف من النيكاراغويين الى بروليتاريا وهامشيي مدن وارياف، حكم عليهم بالبؤس. ولا سبيل الى الاحتجاج طبعا. ان رؤية فلاح يقطع القطن يعني رؤية السوموزية. حتى وان كان سوموزا لم يتعاط هذا النشاط، لسبب بسيط هو انه لم يستطع

السيطرة عليه بسهولة كما فعل غيره. فسوقه تتعلق بشركات دولية لم يستطع ان يطبق عليها الطرق التي مكنته من الاثراء هنا. ان اقترافنا جريمة مثل هذا النظام يعني اننا لم نفعل شيئا غير اننا قضينا على الحرس الوطني .

ـ لكنكم مع هذا بحاجة للنقد النادر ..

ـ بكل وضوح، وفي كل الاحوال لا يمكن تغيير نظام زراعة بين عشية وضحاها . ولهذا ينصب عملنا في اتجاهين. ترك البورجوازيين غير السوموزيين، الذين ما يزالون يستطيعون ذلك، يزرعون القطن لتأمين ادنى حد من الانتاج للسنة القادمة . وتشجيعهم، حين يفوت الاوان، على الارتداد الى الحبوب الاساسية التي يحتاجها السكان ويضيفون اليها في الاغلب السمسم والذرة البيضاء والفستق، الخ. بيد اننا في هذا الوقت نكرس جهدنا لانشاء تعاونيات اهلية في الاراضي التي اعطانا البرنامج الادنى للحكومة الحق بمصادرتها. انشئت اول تعاونية رسميا هذا الصباح بحضور ثلاثة اعضاء من القيادة القومية للجبهة الموجودين في ليون .

ـ لكني لا اعرف ان الجبهة الساندينية قد رسمت خط عمل محدد للاصلاح الزراعي .

مرر جيرونيمو يده في شعره بارتياح، باسما .

ـ بالضبط ايها الاخ، ولهذا يجب ان نسرع . وضعنا مشروعا حاز موافقة المسؤولين في القيادة والاركان العامة للمنطقة. ولا مجال لان نحدد هنا القواعد المناسبة للبلد كله بعد النصر، نريد ان نجعل من ليون نموذجا. ثورتنا يجب ان تبتكر لتعيش . نتمتع هنا بوجود جماعيات محلية ما تزال قوية البنية، تسهل اقامة مزارع تعاونية. ان لم نفعل منذ الان نتعرض للانسياق الى اختيار مزارع الدولة التي نعرف عيوبها . التعاونيات وحدها هي التي تجعلنا نؤمل بتحقيق اصلاح زراعي متكامل، تتغير فيه حياة الفلاحين اليومية بعمق. وضعنا من اجل ذلك مخططا، بحسب معرفتي، لا وجود له في اي مكان اخر، نتوقع ان يعطي ادارة الارض وملكيتها للمجتمعات المحلية. على ان تتكفل بالا تجزأ الارض وتأخذ باعتبارها التوجيهات العامة المحددة للبلد كله بحدود الانتاج .

ـ وهل قبلت القيادة؟

ـ المسألة تأتي بالاحرى من البورجوازية التي استعدت لعمل كل شيء لتلطيف ديناميكية الصراع الطبقي، مثلما يمكن التأكد من ذلك في الاسابيع الاخيرة .

تدخل هنري قائلا : ـ جاء فلاحون كثيرون ليجتمعوا بنا قائلين : «نريد اشتراكية لا تسويات» .

تابع جيرونيمو قائلا : ـ ... لكن ليس لنا اية مشكلة مع القيادة. ان موقفها يقول انه لن يكون للاصلاح الزراعي طابع وحيد للبلد كله . ومن الممكن لا بل من المرغوب فيه اختبار تجارب عديدة في وقت واحد. ميزة مبادرتنا هي فتحها افاقا جديدة مع ارتباطها بعمق بتقاليدنا التاريخية، لاننا نجدد حياة المجتمعات المحلية التي استطاعت ان تصمد لمحاولات خنق كل الانظمة السابقة. قال لي جيم ويلوك ان اعضاء القيادة كانوا على استعداد لتشجيع التجارب التي كانت مروحة مستنداتها واسعة بقدر ما يمكن. وهو مقتنع بأنه كلما كانت ابداعيتنا كبيرة اصبح حظنا من الظفر اكثر. ليس فحسب فيما يتعلق بتولي السلطة ـ وقد اظهرنا قبلا ما يمكننا عمله ـ وانما ايضا فيما يتعلق بمستقبل الثورة نفسها .

((حين نحرق مرحلة نتعرض لخطر عدم فهم الناس))

حديث القائد دانيل اورتيغا

اذا كانت نيكاراغوا تتمتع بطاقة اقتصادية كبيرة، سواء بثرواتها الطبيعية ام بطاقة عمل شعبها، ففي ١٩ تموز وجدنا وضعا اقتصاديا في غاية الصعوبة. كان بلدنا قد سلب واصبح الدين الخارجي جسيما. ودمرت كليا بعض قطاعات صناعية واصبحت عاجزة عن الانتاج من غير دعم مالي يقدمه البلد بكامله وحده. اي ان المسالة الاقتصادية تتحول مسالة قومية. مسالة على النيكاراغويين جميعا ان يجابهوها معا لانه لا يمكن ان تحلها فئة قليلة بيننا وحدها، مسالة يتعلق حلها ايضا بالمساعدة الخارجية. بيد انه على الصعيد السياسي، تجذر شعبنا في الحرب ويتوقع تغيرات عميقة لا يتيح وضعه الاقتصادي تحقيقها في الوقت الراهن. ولحل هذه المسالة، على شعبنا ان يفهم طابع ثورتنا فيكون اذا على صلة رائعة بطليعته . ولهذا فان ما اكتسبه من مستوى سياسي في النضال سيقوم بدور هام في ذلك .

يمكنهم ان يخنقونا اقتصاديا. لقد اظهر شعبنا انه يملك الطاقة الضرورية لحل مشاكله. مثل هذا الضغط سيكلفنا جهدا كبيرا. ولا بد لنا من وقت كثير للخروج منه، لكننا واثقون من اننا سنتغلب عليه مهما حدث .

واضيف انه اذا اصبحت الضغوط الاقتصادية ثقيلة جدا ولم تعد هنالك مساعدة مالية واضطررنا لمجابهة مثل هذه الامور، فسنضطر لتاميم اخر عنصر في القطاع الخاص . سنضطر لاتخاذ هذا النوع من التدابير بالقوة، حظنا الوحيد لنحل، في اطار تزعزع للغاية، المسائل المفروضة على البلد .

ان موقف الجبهة الساندينية ينطلق من ضرورة العمل على تقدم ما نسميه بالثورة الشعبية الساندينية حتى لا نكون تخطيطيين اكثر مما ينبغي. كل شيء يدفعنا، تاريخنا وديناميكتنا الراهنة، لتنمية مشروع يفضي الى مجتمع عادل حقيقة، حر حقيقة مفيد اساسا للشغيلة والفلاحين والعمال .

كيف نضمن الاهداف الستراتيجية المحددة على هذا النحو. بلجوئنا الى تنظيم الشعب سياسيا وعسكريا. مما يتيح لنا ان يكون لدينا شعب منظم وجيش مسيس. بيد اننا قلنا، قبل النصر، ولا نزال نقول، ان علينا ان نجد وسيلة لنشرك في هذا المشروع البورجوازية والتقنيين والقطاعات المماثلة لهم عادة . ضرورة لا ترجع فحسب الى ما احدثته الحرب من دمار وانما ايضا الى حدود ما فرضته على شعبنا هيمنة الامبريالية والسوموزية. بلدنا جاهل الى حد واسع. اما تقنيونا الذين لم يغادروا نيكاراغوا الى البلدان الاجنبية فكفاءتهم محدودة في الاغلب. نحن نعاني من بدائية خطيرة، لا شيء يسمح لنا ان نقول اننا سنخرج من ذلك من غير مساهمة هذه القطاعات. لانه حينئذ يصبح كل شيء صعبا جدا.

لقد حددت الثورة الشعبية الساندينية اهدافها بوضوح. بقيت تعبئة الشروط التي تمكن الشعب من ان يفهم، بكل ما في المعنى من قوة، الى اين تنطلق هذه الثورة من غير ان تنسى تلبية حاجاته المباشرة. طاقة لولاها تنهار اكبر راديكالية في العالم .

نجد انفسنا اذا مضطرين للسير خطوة اكثر قليلا الى اليسار احيانا، واكثر قليلا الى اليمين حينا اخر. ان ما يهم هو ان نتوصل الى الهدف،، من غير ان ننغلق في خطوط تبسيطية . وذلك ما ينسجم بوضوح مع تفسيرات عديدة، لا سيما من جانب اولئك الذين ينطلقون من مواقع مغلقة جاهدين في الاطباق على تطورنا. يتساءل البعض عن سبب عدم تحديد هويتنا بوضوح. غير اننا حددنا هويتنا بكل وضوح .

ما هو همنا الاساسي؟ الشغيلة والعمال والفلاحون النيكاراغويون. اعتقد انه لا يمكن ان يكون هنالك تحديد اوضح من ذلك. نريد ان تتوصل الشغيلة النيكاراغوية الى ان تتجاوز وضعها الاقتصادي وتتمتع بالمكسب الثوري. ولا نعتقد انه يمكن الحصول على ذلك بحرق المراحل. حين نحرق مرحلة نتعرض لخطر عدم فهم الناس. لكني اعتقد ان الشعب يفهم ذلك كله في الوقت الراهن. والشغيلة والقطاعات الخاصة .

ان طليعة مسلحة تعتمد على مساندة الشعب لواثقة من التوصل الى اهدافها حين تعتبر ان الفرصة مناسبة. ليست بحاجة لان تتهور ولا داعي لها لان تيأس. هذا هو معنى شعارنا : شعب وجيش ووحدة ضمان للنصر .

الثلاثاء ١٧ تموز

« لن يموت اطفالنا ابدا »

الساعة ٥ ـ المدينة كلها تتعانق. طلقات نارية وصياح . يصعب فهم ما يقال الان عن هذه اليقظة المفاجئة. يظهر ان الافا من الاسلحة الخفيفة قد جعلت من نفسها موعدا لنوع من اجتماع حاسم ... رئيس البلدية يشن هجوما اخيرا .

جاء مقاتل راكضا يدق كل الابواب : «لقد رحل! رحل! العاهر ! القذر ! لقد انتصرنا! عاشت نيكاراغوا حرة!» .

اعلنت كافة اذاعات امريكا اللاتينية في نشرات خاصة ان «الديكتاتور غادر البلد الساعة ٤٫٣٠ صباحا الى ميامي، تصحبه عائلته ومعظم كبار ضباط الحرس الوطني، وبلا ريب، نعشا والده واخيه!» كان مأتما جنائزا حتى النهاية .

واكد راديو كوستاريكا ان اعضاء حكومة اعادة البناء الوطني سيكونون في ماتا غالبا الساعة ١٣ هذا اليوم. ولا بد للكونغرس من ان ينتخب هذا الصباح رئيس مجلس الشيوخ فرانسيسكو اوركويو ميليانو رئيسا للدولة. ومهمته الاولى مفاوضة الساندينيين .

تمتمت مقاتلة متخصصة في علم الاجتماع وتعرف تاريخ الثورات: «بدأت الامور الصعبة » .

الساعة ٥٫٢٠ ـ في الشارع ، تجمعات صغيرة في ثياب النوم. لحى

لم تحلق. عيون شاردة وابتسامات لا نهاية لها. اشرقت الشمس . خرج احد الجيران بغيتاره وراح يغني اخر مؤلفات هواة ليون .

اجمل الامور واشدها رهبة تقال دوما اغنية في هذا البلد ، وفي هذه القارة. كان يغني قصة دبابة ليون المسماة اراسيلي والدبابة الهجومية التي استولي عليها من الحرس الوطني، واسمها تيو شيرمان :

اراسيلي تحب ان تعمل منذ الصباح
لكنها حين كانت عند الحرس الوطني لم تحب ذلك
لذا قالت يوما : « سأفر »
اراسيلي وزوجها تيو شيرمان
متعطلان
بانتظار الغرينغو
ستأكلانهم مقليين
غير انه من الممكن ان انكما ستعانيان كثيرا من هضمهما!

تعلقت بذراعي عجوز باكية : «لا استطيع ان اصدق ذلك! فقدت ابنا وحفيدا بسبب هذا الطاغية. سرق منا كل شيء. اراد ان يدمر بلدنا. والان رحل. رحل. لا استطيع ان اصدق ذلك» .

«عاش الشباب! عاش عسكريو السلام!»

بكوا، فبكيت، الجميع يتعانقون. راحت امراة في سن محترمة ترقص بخفة وقد امسكت بيدها طرف ثوبها الليلي الوردي، وكأنها تريد ان تربعه . «هل تدركون؟ تدركون!» ... اطلق مقاتل رشقة رصاص غامت في سماء نيكاراغوا الحرة ... «وطن حر يا !» «لن يموت اطفالنا ابدا. لن يموت اطفالنا ابدا!» .

اقترح احدهم : «فلنذهب الى الكنيسة»
« فلنذهب ! » .

ابتعد الجميع وهو يغني دوما :

«صالات اللهو والمواخير
والثكنات جميعا
ستتحول مدارس ...»

على بعد تجمع بيوت من هنا، في الشارع، جمع اخر من الليونيين. كلهم رجال فقط، او يكادون. في ثياب جيدة، من اطباء ومحامين وملاكي اراضي. يستمعون الى الراديو بصمت، الى راديو ميامي، الى صوت رئيس الولايات المتحدة، قلقين اكثر مما هم مبتهجين، في عيون متيبسة .

في ماناغوا ، يخشى من حدوث تجاوزات . ان حدث شيء كما حدث يوم ان استولوا على الحصن ، سيكون الامر سيئا . انهم يطلقون النار في كل الاتجاهات . حتى انه سقط بعض الجرحى .

ـ ارجو ان يعرف توماس بورج ، الذي وصل الآن ، كيف يسيطر على التجاوزات الشعبية . انه ذو نفوذ .

ـ صمتا ! اسمعوا ...

من خلال صرير الراديو ، سمع صوت المذيع يعلن بكل حياء ان بعض المراقبين الفنزويليين يتكهنون بتطور البلد على النموذج الانغولي ...

ـ ليس هذا مستحيلا . الوضع مقلق .

قال طبيب مثالي وقد التفت الي : ـ انت تعرف ان الوضع يجب ان يعود الى طبيعته بأسرع وقت ممكن . لم يدفع الى الناس منذ وقت طويل . ارجو ان ترفع الجبهة الساندينية بأسرع ما يمكن كافة التدابير التي تمنع التجارة ، وتنظم لجان الدفاع لتوزيع الطعام . هنالك الكثير من الاخطاء . ليس هذا في مصلحة البلد .

لقد رحل سوموزا ...

التقيت ثانية بالمجموعة المتحلقة حول المغني

« طلقة بندقية « ٢٢ » تخرج من قلب معذب
تصيب الهدف مباشرة ، تصيب الهدف مباشرة
انها اكثر دقة من الرصاصات المنطلقة
لا حب ولا كره ، بلا حب ولا كره
لا حب ولا كره !»

توقف لحظة وقال لي مبتهجا : « نيكاراغوا اليوم هي مثل : هيا يا ابناء الوطن » . ـ (هيا يا ابناء الوطن ، مطلع النشيد الوطني الفرنسي).

الساعة ٦،٣٠ ـ مقر قيادة جيرونيمو . عاد من اول مناقشة مغتاظا .

ـ توصلت الى نتيجة ان واجب الثوري ان يصنع الثورة . وليس واضحا ..

أوعز هنري : ـ ان يعيشها .

ـ كلا ايها الاخ ، ان يصنعها . الناس مهووسون بفتات السلطة التي يمكنهم جمعها . غير معتدين على نجاعة العمل او قدرتهم عليه.

ما يهمهم هي المواقع التي يحصلون عليها في الحزب او المنظمة . عرفت منذ وقت قريب ان مجموعة من الاشخاص لديها منذ قرابة شهر قائمة بالاراضي السوموزية في المنطقة ، بحثنا عنها بكل يأس لنصادرها ونقيم فيها مجتمعات اهلية . اجتمعوا بتوماس بورج ليقدموا له مخططا بكامله لتجزئة الارض لانها اكثر شعبية . انهم على استعداد لكل شيء لكسب مواقع سياسية . انهم يغطون ذلك بمقولة سياسية كبيرة . بيد انه ليس لديهم غير النظرية . ليس لديهم **منهج عمل** . الماركسية منهج عمل . ونحن بحاجة اليها ..

الساعة ٧،٤٥ ـ في مدرج معهد الحقوق للعمل . يستعد للاستماع الى جيرونيمو قرابة اربعين فتى وفتاة ، بينهم اثنان او ثلاثة في بزة مقاتلين . اجتمعوا على عجل لتشكيل وحدات تدخل في الارياف ، وفرق مدنية ثورية بهدف انعاش الاصلاح الزراعي .

بيد انه عليهم اولا ان يتلقوا دروسا متسارعة لاسبوع ، حول المسائل الكبيرة الراهنة وخط العمل ، والنصائح الصحية الاولية التي يجب تقديمها للفلاحين ، والحبوب المتوفرة والمبادىء الاساسية للتنظيم الممكن ، الخ .

جيرونيمو : « لا نستطيع ان نعلمكم بأيام قليلة كل ما تحتاجون اليه . ولكن عليكم ان تتشربوا روح هذه الثورة . ستنظمون مسائل كثيرة سياسية وتقنية ونظرية ومادية . ردوا على الفلاحين كلما استطعتم ذلك ، ولكن اذا لم تعرفوا فمن الافضل دوما ان تعترفوا بجهلكم . سنجهد بأعطائكم ادنى حد من المعارف لانه علينا ان ننطلق بسرعة اليوم . هنالك عدد كبير من الاملاك تنتظر المصادرة خلال ثلاثة ايام ، خمسة ايام ، ثمانية ايام . ستكونون فيها ... »

انصب الدرس الاول على الطبقات الاجتماعية في نيكاراغوا ، قدمه استاذ في علم الاجتماع في جامعة ماناغوا ، أخذ هذا الصباح يتلو بسرعة النصوص .

« لا اريد ان ارهقكم وقتا طويلا بيد انه ظهر لنا مهما ان نبدأ بتثقيفكم سياسيا بسرعة باعطائكم المامة خاطفة عن الطبقات الاجتماعية في بلدنا . سأجهد في ان اوضح لكم الموقف الموضوعي من كل طبقة تجاه الانتاج ووعيها تجاه مصالحها ، اي ما نسميه بالموقف الذاتي .

« غير اني سأبدأ بلمحة قصيرة عن التاريخ الاقتصادي في

السنوات الاخيرة . ارجو ان يسهم ذلك في افهامكم بوجه افضل بعضا من جوانب ثورتنا والاسباب العميقة لنصرنا .

« منذ ٢٥ عاما ، اذا لم نصعد ابعد ، كان اقتصادنا يستمد حيويته من القطاع الخارجي بفضل الصادرات الزراعية اساسا والتوظيفات الاجنبية المباشرة وغير المباشرة . كانت النتيجة : اصبح ديننا الخارجي جسيما ، بلغ ٨٠٠ مليار دولار عام ١٩٧٧ . هذه الحقيقة التي يمكن ان يتأكد منها الجميع ـ وقد رأينا جميعا المؤسسات الامريكية الشمالية التي قامت في بلدنا ، وكما نعرف ان القطن والقهوة والسكر هي مصادرنا الرئيسية للنقد النادر ـ تتيح تفسير التطورات الثلاثة التي تتميز بها هذه الحقبة : توسع الرأسمالية المتنامي في الزراعة ، وخلق سوق مشتركة امريكية ـ اوسطية ونمو البروليتاريا الصناعية واخيرا الترسيخ والتنوع ، ويمكنني ان اقول « تعقيد » دور الدولة الاقتصادي .

« منذ عام ١٩٥٠ الى عام ١٩٦٠ ، كان المحور الاساسي هو تنمية القطن بفضل زراعة بعض الاراضي العذراء ، ولا سيما بمصادرتها بشكل وحشي من اراضي تعود لصغار الفلاحين تختص حتى ذلك الوقت للاستهلاك الذاتي والسوق الداخلية . ولهذا لدينا اليوم عدد ضخم من العمال الزراعيين يعيشون في الاغلب في ارباض المدن او حتى في حافة الطرقات ، لا سيما في الاقليم . وهم في معظمهم فلاحون لا يملكون شيئا ولم يقبلوا بوضعهم ابدا . تذكروا كافة عمليات احتلال الاراضي في السنوات الاخيرة قرب شيناندیفا وما تبعها من قمع. وبالعكس ، كان توسع زراعة القطن بمساعدة الدولة ، فشهدنا نمو بورجوازية متوسطة اخذت تنصرف احيانا الى نشاطات جديدة بفضل النقود التي ربحتها بسرعة من القطن ، مثل التجارة والصناعة الخفيفة وتنظيم المدن . فجاءت لتمتن اساس السوموزية في ذلك الوقت .

« عام ١٩٥٦ ، كما تعرفون جميعا ، هو تاريخ الثأر من تاشو سوموزا ، مؤسس السلالة . هذه المأثرة البطولية التي قام بها ريغوبيرتو لويس بيرس في هذه المدينة بالذات ، جاءت متزامنة مع ازمة التنمية التي حدثتكم عنها الان . من هذا الواقع ، يضاف الى القمع التقليدي اثناء الحقب التي كانت صعبة اقتصاديا على البورجوازية ، يضاف الى ذلك قمع جنوني من جانب اولئك الذين

ارادوا ان ينتقموا لموت الديكتاتور . وهذا ما يفسر رد البورجوازية المعارضة بسلسلة من الثورات المسلحة لاستعادة السيطرة على جهاز الدولة ووضعه في خدمة فئات اوسع من طغمة سوموزا . ففي الحقل الاقتصادي ، لمجابهة الازمة ، كان سهل انشاء السوق المشتركة الامريكية ـ الاوسطية مع السلفادور وهندوراس وغواتيمالا وكوستاريكا اكثر مما يسهل توسيع طاقتنا المنتجة واستهلاكنا . ولهذا اكتفي بدمج الطبقات العليا لكل سوق داخلية بدلا من الانصراف الى تطوير الشكل الزراعي الذي يفرض دوما مسائل سياسية جسيمة على الانظمة التي تظل ، كنظامنا ، مرتبطة جدا بالاقلية المستغلة ـ الاوليغارشية ـ الارضية . وميزة اخرى لهذه السوق المشتركة، هي انها اتاحت للرساميل الوطنية والاجنبية ان تعود الى القطاعات المربحة جدا وتمنحها وسائل اكبر مرونة لتنتقل من الزراعة الى التجارة او الى الصناعة والعكس بالعكس . اما بالنسبة للشعب فقد جرت مأساة مثل هذه السياسة ، بين سياسات كثيرة غيرها ، مع نمو صناعة خفيفة لا تخلق غير عمل قليل ، الى نشوء سريع في بروليتاريا حرفية ضحية التنافس ، من غير ان تخلق لهذا السبب طبقة عمالية هامة . آنئذ دخلت هذه في مرحلة نمو بطيئة . وتسارع تنظيم المدن ، ترافقه بطالة مستمرة واستخدام محدود لليد العاملة مزمن » .

توقف الاستاذ هنيهة ونظر الى تلاميذه . « كفى ! هل استطيع ان استمر ؟ أتواصلون الاستماع ؟ » .

ردت اصوات كثيرة فيها شيء من الخجل . فالانتقال المفاجىء من الحرب الى البناء ليس فيه ما يدفع هؤلاء الفتية المتطوعين الى التبسم كثيرا : ـ نعم ! نعم !

« في هذه الحقبة ، ارتبطت التنمية الصناعية بالنشاطات الزراعية ، مثل الصناعات التحويلية والسماد ، الخ . واعتمدت على استيراد الاموال الوسيطة فكانت اذا بحاجة لحماية لدولة ، لا سيما تنمية بعض الاساسيات ، كالطرق والمرافىء ، الخ . وبذلك اصبحت البورجوازية غير السوموزية اكثر ارتباطا كل يوم بالجهاز الذي يسيطر عليه الديكتاتور . يضاف الى ذلك انه اعتمد على القمع والسمعة ليشجع بعض قطاعات وبعض نماذج من الانتاج . وخدمت سياسته البورجوازية كلها بقدر ما كان الحرس الوطني ، مثلا،

يضمن خضوع العمال ، لكن هذا الحرس كان مجموعته التي يستفيد منها اشد فائدة .

« فوق ذلك حدث زلزال ١٩٧٢ . كان عونا بسيطا اتاح انعاش النشاط الاقتصادي بفضل دخول كميات هائلة من النقود والمساعدة الدولية ولعبة التأمينات . كان لا بد من العودة الى بناء ما يعطي اعمالا . نمت التجارة وبعض قطاعات صناعية . بيد انه في الوقت نفسه شهدنا مضاربة جامحة ونمو بروليتاري بين صغار الصناعيين وتضخما نقديا سريعا .في عامي ١٩٧٣ ـ ١٩٧٤ ، اتخذت هذه الحركة العمالية شيئا من العدوانية يمكن ربطها بتجدد انطلاق نشاطات الجبهة الساندينية .

« بيد انه بعد العون البسيط الذي استفادت منه بالاحرى البورجوازية في مجموعها ، عادت المسائل العميقة ـ وهي ما نسميها « العوامل البنيوية للازمة » ـ تطفو على السطح . واكتشفت البورجوازية غير السوموزية ، بعد ان استفادت من الوضع الممتاز الذي يسرته لها سيطرتها على الدولة واستمرار اعلان حالة الطوارىء لعامين ، ان سوموزا وفئة قليلة من العسكريين والمدنيين الذين امكنهم ان يتنافسوا معهم من قبل ايضا ، قد تخطوا القفزة النوعية ، ويمتلكون الان المصارف وشركات التأمين . ذلك هو مصدر التناقضات المتنامية بين اولئك الذين يخطون ، من البورجوازية بالذات ،بشطر اكبر كل يوم من الغنيمة ، وغيرهم . منذ هذا التاريخ اخذت البورجوازية المعارضة تتهم سوموزا بأنه « منافس غير شرعي » . واخذت عليه ، باسم اخلاقيتها ، بانه كسب امواله بالباطل . ذلك احد الاسباب التي اسهمت في قبولها موقف الجبهة الساندينية من تأميم اموال سوموزا والسوموزيين . لكن انتبهوا ، واذا سمحت لنفسي ان اقول ، ان ارتكاس البورجوازية لم يكن دافعه اللقاء بنا ، انما الالتفات الى الولايات المتحدة ليس لتطلب منها عدم التدخل في بلدنا، وانما الا تتدخل لصالح سوموزا فقط .. وذلك هو معنى كافة التحركات التي جرت في نهاية عام ١٩٧٨ ومطلع هذه السنة حول ما يسمى : « الحوار الوطني » .

توقف الاستاذ لحظة وابتعد عن مكتبه .

« هل لديكم اسئلة حول هذه المسائل الاقتصادية ، ننتقل بعدها الى تحليل ادق للطبقات الاجتماعية في نيكاراغوا ؟ »

سألت فتاة متطوعة في بزة : ـ ما هي اهمية ماناغوا في نشاطات البلد ؟ أطرح هذا السؤال لانه لا تنقصنا الآن سوى العاصمة.

ـ اعتقد ان ماناغوا تجمع اقل بقليل من نصف السكان الذين يعيشون في المدن ، اي ربع المجموع . لكن الدور الحاسم للعاصمة يرجع الى وجود ٨٥٪ من النشاطات الصناعية فيها و٩٠ ٪ من الادارات الحكومية و٦٠ ٪ من التجارة . وذلك يؤخذ بعين الاعتبار.

ـ كيف تقسم بالضبط صادراتنا ؟

ـ القطن ، البن ، السكر ، اللحوم ، وبالنسبة لاهميتها نحصل على ٦٤٪ من النقد النادر . يمكنا ان نقول ايضا ان الزراعة ، والمنتجات الصناعية الزراعية ـ غير الغذائية ، تشكل قرابة ٨٠ ٪ من الصادرات . ويجب ا نعرف ايضا انه بين اعوام ١٩٦٠ ـ ١٩٧٧، اصبحت نسبة السكان الزراعيين من ٦٠ الى ٤٠ ٪ اجمالا ، في حين انه بلغت نسبة عدد الاشخاص العاملين في الصناعة ، في الحقبة نفسها ، من ١٦ الى ١٤ ٪ ـ اي بتدن ـ وتضاعف القطاع الثالث عمليا، فتجاوز من ٢٢ الى ٤٤٪ . نحن ننتج اشياء قليلة لا ترتبط بالزراعة، وتنمو الصناعة قليلا وذلك ما يفسر جزئيا اننا في عامي ١٩٧٥ ـ ١٩٧٦ لم نستطع مجابهة ارتفاع الاسعار الدولية . كان رد سوموزا هو لجوؤه الاخرق الى القروض وليس الى التوظيفات، فوجدنا انفسنا في دين خارجي بلغ ٤٠ ٪ من انتاجنا الوطني الخام بينما الحد الوسطي في بلدان القارة ادنى من ٢٠ ٪ » .

توقف قليلا ليعلن عن قيام مظاهرة بعد الظهر الساعة ١٦ في ساحة الكنيسة ، بحضور اعضاء قيادة الجبهة الساندينية، الموجودين في المدينة والمطران . للاحتفال برحيل سوموزا . انطلقت هتافات التعيش !

استأنف الاستاذ كلامه : « لنعد الى تحليل الطبقة الاجتماعية النيكاراغوية ، لان البندقية الان لن تكفينا ابدا لتسوية المسائل التي ستطرأ . يمكنكم ان تستخلصوا مما رأيناه مسلمة اساسية عن بلدنا ، وهي ان تخلف التنمية الرأسمالية وأهمية الصادرات الزراعية الاصل ووجود قطاع اقتصادي معاشي هام ، مرتبطة بطابع الدولة الاوليغارشي ، هي التي حكمت على بلدنا بالتبعية للامبريالية، وحالت في الوقت ذاته دون قيام ديمقراطية بورجوازية . واضيف ان السوموزية هي تعبير عن الهيمنة الامبريالية وليست سببا لها

وذلك لاسباب تاريخية لا أريد الرجوع اليها . وبالنظر الى بنياتنا الاجتماعية ، لم يجد الغرينغو من حل اخر غير اللجوء الى الديكتاتورية العسكرية للسيطرة على بلدنا .

« يمكننا ان نميز الطبقات المسيطرة والطبقات المسيطر عليها . في التصنيف الاول ، رغم انه ماديا ليس موجودا جدا في بلدنا ، علينا ان نبدأ باعتبار وجود البورجوازية الامبريالية ... انها هي اكثر مستفيد من ثرواتنا سواء بتملكها المباشر لقطاعات الانتاج ، ام بالسيطرة ، وهو الاكثر شيوعا ايضا ، على المؤسسات مثل الجمارك والمصارف والسكك الحديدية . وتهيمن ايضا سياسيا وعسكريا وثقافيا وتجهد في نشر نموذجها الثقافي . منذ عام ١٩٣٤، انتقل كلية نفوذها ووضع يدها على مجتمعنا عن طريق سوموزا ، فكانت خسارة شرعية هذا الاخير خطرة عليها . على هذا النحو يجب ان نفهم سياسة كارتر حول حقوق الانسان : ما دامت الديكتاتوريات عاجزة عن تأمين السلام وتقدم البورجوازية ، فيجب ان يحل محلها احدهم اكثر عقلانية .

« تأتي بعد ذلك البورجوازية الكبرى المحلية ، التابعة . انها حليفته الاولى وتتكفل بالمهام التي لا يمكن ان تقوم بها الاخرى او التي لا تهمها . انها بورجوازية القطن وقصب السكر والقهوة ، والصناعات التحويلية الزراعية ـ الغذائية والسماد ايضا، الخ. لقد ردت على الازمات المختلفة برفع طاقة الاستثمار بحماية من الحرس الوطني . يجب ان نميز في داخلها مجموعة سوموزا التي استفادت خاصة من السيطرة على جهاز الدولة ، والاخرين . ونشأت التناقضات، كما اظهرت ذلك بعض التدابير الاخيرة التي اتخذتها الحكومة ،مثل ضريبة الواردات الصناعية في حقول ، مصالح سوموزا المباشرة فيها قليلة. ليس لهذه البورجوازية تنظيم نوعي يدافع عن مصالحها . نتوصل دوما الى الحد من الخلافات بين الطغمة الحاكمة .

« يجب ان نعترف بأنه يصعب جدا ان نميز في بعض القطاعات بين كبار البورجوازيين السوموزيين وغير السوموزيين لا سيما بالنسبة للشغيلة الذين هم ضحاياهم المباشرون . وتلك مسألة ستصطدمون بها عندما يتوجب عليكم التمييز بين الاراضي « القابلة للمصادرة » و « غير القابلة للمصادرة » ، تبعا لبرنامج اعادة البناء الوطني . نعود غدا لهذا الموضوع غير انني استطيع ان اقول

لكم انه لامر اساسي في المرحلة الراهنة ان تحترموا التعهدات التي التزمنا بها . نحن بحاجة لمساهمتهم ، توقيا من ان يلعبوا لعبتهم . في الزراعة مثلا ، ان استثماراتهم آلية في اغلبها وسيكون من الصعب تحويلها بين عشية وضحاها تعاونيات او حتى مزارع دولة . في اقلمينا ، ما يزال امامنا ثلاثة اسابيع لبذر القطن لقطافه المقبل . سيكون عملا انتحاريا قبل كل شيء . يمكن لجميع الشغيلة ان يفهموا ذلك ان انتم اوضحتم لهم .

« بعد البورجوازية الكبرى التابعة ، تأتي البورجوازية المتوسطة . يرجع بداية تاريخ نموها في الخمسينات . وترتبط كثيرا بسياسة الدولة .

« تجذرت بعض قطاعات منها في اعقاب تطور السوموزية ، وانتهت، من وجهة النظر السياسية ، بالانفصال عن الاحزاب التقليدية ، وتأسيس منظمات لها . وانساقت الى القتال ضد البيروقراطية السوموزية . حتى ان قطاعات منها فقدت اخيرا جانبا لا بأس به من وعيها الطبقي ، الذي يجب ان نعترف بأنه اصبح اقل مردودا . وانساقت الى الكفاح في جبهتين : ضد البورجوازية الامبريالية والسوموزية من ناحية ، وضد الطليعة البروليتارية من ناحية ثانية . عانت من القمع بصفتها معارضة لا بورجوازية . ان بورجوازيتنا تسلك في الواقع سلوك البورجوازية الصغيرة في كثير من البلدان الاخرى . تبحث يوما عن ملجأ في سفارة الولايات المتحدة وفي الغد تقيم جبهة مشتركة مع الجبهة الساندينية بوساطة ثالثيين . تدعي بارادتها انها ساندينية على اساس المضمون المعادي للسوموزية ، والتحرر الوطني وفكرنا ، لكنها لا تقبل ابدا مضامينها الاجتماعية » .

توقف عالم الاجتماع لحظات ليتوجه ويشرب كأس ماء .

استأنف كلامه حالما عاد : « بين صفوف البورجوازية ، يجب ان نفصل بين اصحاب الدخل من كل نوع ، وملاك الاراضي الذين لا يستثمرون اراضيهم ، وملاك البيوت في المدن ، والمرابين ، الخ . لقد شهد بلدنا ، بحكم الديكتاتورية ، نمو فئة متطفلة في غاية الاهمية ، اثرت الى حد جسيم ببناء عملها على دعائمها السياسية او اماكنها في الادارة المدنية والعسكرية . وتجتذب هذه الفئة

لنفسها مبالغ طائلة اهم في الاغلب بكثير من مبالغ الصناعيين الذين تسير مؤسساتهم جيدا جدا . انهم يمارسون لصوصيةالدولة التي ضحيتها البلد كله . وليست جماعة سوموزا غير قمة هذا الهرم القائم في البلد كله . والذي يجد في الاغلب اساسه في السيطرة على الجماعة النائية جدا بوساطة شيوخ القبائل المحليين . وهو قطاع الديكتاتور الاشد تخلفا . له منظماته شبه العسكرية وتوصل الى ان ينشىء فيه احدث مافيا ، المافيا السياسية ، التي ادخلت مؤخرا في نشاطاتها المخدر وتجارة الرقيق الابيض وبيع دم النكاراغويين الى البلدان الاجنبية بوساطة شركة بلازمافيري . وعرفت كيف تسيّس الجريمة ، واحلت دوائر الامن محل البرلمان البورجوازي والاستثناءات من القوانين محل القوانين الاستثنائية . ان وجود هذه الفئة، التي تأكد لكل واحد منا من وجودها ، هو الذي جعل من سوموزا غانغستر . فهو قبل ان يصبح رئيسا للدولة ، وبفضل هذا جزئيا، كان اب هذه المافيا العسكرية السياسية التي عذبتنا كثيرا. هؤلاء الناس جميعا هم نتن هذا النظام . واضطررنا لان نبرهن اكثر من مرة ان النظام الرأسمالي لا يموت بتناقضاته . لكن سوموزا برهن اكثر من مرة انه ينهار دوما بأشد نتن مثير للقيء .

« تقابل طبقات المستغلين الطبقات المستغلة من بروليتاريا صناعية ـ زراعية وفلاحين تحولوا بروليتاريا وبروليتاريا المدن. اسمي بروليتاريا صناعية ـ زراعية البرولتاريا المرتبطة بهذه النشاطات مثل السكر والقطن ، الخ . وصناعاتها التحويلية . يجب ان نميز بين من لديهم عمل طوال السنة عن معظم هذه الفئة المستخدمة جيش احتياط (وهي اكثر عددا بعشر مرات من الاولى) ولا يكمنها ان تتمتع الا بعمل فصلي . وتلك هي مأساة قاطعي قصب السكر وقاطفي القطن . يجب ان تعرفوها بادراككم كل ما فيها من فداحة . يدفعهم وضعهم الى البحث ثانية عن الاستقرار والرد فرديا على الاسئلة المطروحة . يلتجىء اغلبهم الى ارباض المدن ، مما يسهم في حرمانهم من الثقافة بعد ترددهم على المواخير وتعاطيهم الكحول ، او تحفزهم لشراء اشياء ليسوا بحاجة اليها ابدا . يمضون معظم وقتهم مستسلمين ، يعلمهم تأثير الكنيسة احترام السلطة وملكية الاخرين، الخ . لم يميزوا بين مصيرهم وضرورة المساهمة بحضارة السلعة .

« لكن لننتبه ، اذا كان علينا ان نعترف بوضعهم الايديولوجي،

علينا ايضا ان نؤكد بأن لديهم طاقة ثورية كشف عنها احتلالهم للارض او اضراب قاطعي قصب السكر الشديد الاهمية في انجنيو سان انتونيو عام ١٩٧٨ . كشفت دراسة كلا من هاتين الظاهرتين ان الكفاح ضد الرأسمال ، بالنسبة لهم ، يمر بالضرورة بالكفاح ضد الديكتاتورية ، والعكس بالعكس .

« ثمة صنف آخر شديد الاهمية هو صنف الفلاحين الذين اصبحوا بروليتاريا بسبب توسع الملكيات الكبيرة . انهم ضحية تذرية اراضيهم الصغيرة بسبب الارث والرهونات العقارية والربا الذي بلغ معدلات باهظة في الارياف . كان وعيهم شديدا في مناهضة السوموزية ، لا سيما في شمال البلاد ، وذلك لاسباب ترجع الى تاريخ بلدنا . وقد انضموا الى الجبهة منذ زمن طويل .

« بقيت اخيرا البروليتاريا الصناعية . ليست الاهم عددا رغم نموها منذ عام ١٩٥٠ . وتتركز في ماناغوا وشينانديغا وليون وكارازو. لم يرافق التصنيع خلق اعمال كثيرة وارتبطت متطلباتها بمتطلبات الطبقة المتوسطة التي حاولت ان تتماثل معها . اما سياسيا ، فقد تجذر العمال بعد الزلزال واسهمنا في ذلك .

ابتسم كثير من التلاميذ ، تأملهم الاستاذ لمحة ، مفكرا ثم استأنف كلامه .

« ولأنهي كلامي ، لا بد وان احدثكم عن السكان الذين لا يرتبطون بالطبقات الاساسية ويتأرجحون بينها سياسيا واقتصاديا ، تبعا للظروف ، نجد بينها التجار والحرفيين والفلاحين المتوسطين. وهم يؤلفون القطاع المتمثل للبورجوازية ، الملكي في الاغلب اكثر من الملك، اي في مثل هذه الحال ، اكثر من البورجوازية في الحقل الايديولوجي . يعوضون بقيم مختلفة عن صعوبتهم باندماجهم اقتصاديا . اذا انتصرت الثورة ، كما هو الحال الآن ، يكادون يكونون اسرع مبادرة من الثوريين فعلينا ان نحذر منهم ، اما في حقب الهدوء ، فبالعكس ، تأكدنا من انهم كانوا الحراس الغيورين على الامن . هذه الفئات كلها تأثرت بالازمة الى حد خطير ، ووجدت، في الايام الاخيرة ، في سقوط الديكتاتورية المفتاح السحري الذي سيحل جميع مشاكلها . كان دورها هاما في بعض المدن ،رغم انها تنزع تقليديا الى اللجوء الى البحث عن حلول فردية. بين السمات التي تميزها ، اورد العاطفة الدينية والميكافيلية والبحث

المؤس عن النجاح ، حتى ان شبابهم حين بدأوا يطيشون بادروا الى استنتساخ انماط البورجوازية بكل امانة ممكنة . انهم خطرون لانهم يجهدون في استنساخ ايديولوجية الطبقة الحاكمة لينشروها فيما بعد في كل مكان يتسللون اليه . ولنضف الى هذه الفئة الاجراء في القطاعات غير المنتجة ، من المؤسسات الخاصة او العامة ، وموظفي التجارة ، والبيروقراطين ، المستقلين نسبيا ، والمافيا السوموزية وبعض المهن الحرة ، مثلا . وتتركز اساسا في منطقة المحيط الهادىء ويمكن ان تختلف مواقفها تبعا لاصلها الطبقي ومكان سكنها وتطور المشركة ، او الدراسات التي حصلت عليها ايضا . يغلب عليها الوعي الفردي او الوعي الاجتماعي ، تبعا للاوضاع .بقدرتها ان تلتقط حركة المجتمع بكامله وتنضم الى المواقف التقدمية . واصنف في هذه الفئة ، مثلا اتحاد اساتذة نيكاراغوا الهام .

« وفي النهاية اخر فئة ، لا يمكن ان ننسى دورها ، وهي فئة الطلاب . رغم قلة عددهم واختيارهم بشكل قاس للجامعات ، فقد امكنهم ان يتحولوا الى قطاع مقاتل بعد ان دخل تدريجيا ابناء الطبقات المحرومة المنبثقة عن نمو الطبقة العاملة . فلسرعان ما اتصلوا عضويا بكل من نزعات الجبهة الساندينية . تلك هي الحال . اذا كان لديكم اسئلة تطرحونها ..

لم يتعجل « الطلاب »، وكانوا متعبين . يظهر انه قد صعب عليهم ان يفهموا ما يتوجب عليهم من وراء ذلك كله.

« اردت ان اظهر لكم اننا اذا كنا بحاجة للبورجوازيين ، واضطررنا لان نحترم بدقة الاتفاقيات التي ابرمت معهم ، فعلينا ان نكون واعين تماما الى الفارق الجوهري الذي يفصلنا عنهم ، انهم لا يريدون ابدا غير اصلاحات . لكننا نحن ... نحن نريد الثورة !

الساعة ١١،٣٠ ـ اول اجراء رسمي في ارض نيكارغوا قام به الاعضاء الثلاثة في لجنة التنسيق للقيادة القومية للجبهة الساندينية للتحرر الوطني ، وهم القادة دانيل اورتيغا وتوماس بورج وجيم ويلوك . ولقد سمعت : اول اجراء رسمي مع الخارج ، ذلك انهم ،منذ ساعات عديدة ، يعملون بنشاط مع اعضاء الاركان العامة للجبهة الغربية . وسيزورون سيادة مانويل سالازار ، اسقف المدينة . واصطحبوني معهم بصفتي الصحفي الوحيد غير الساندينى الموجود في ليون .

ادخلنا خادم قاعة واسعة شديدة الانارة ، مواجهة للكنيسة . فيها كراسي قلابة ونباتان خضراء وطاولة منخفضة . داخل القاعة من الطراز الاستعماري بكل ما في الكلمة من معنى ، فليس هنالك غير اثاث وترتيب بالشكل الذي تم تصوره عندما لم يعث فسادا بعد النموذج الحضري الامريكي الشمالي .

وصل سيادته ، وهو هندي كبير في جلد غامق ، مهيب جدا، عذب ، يبتسم ، يرتدي ثوبا طويلا ابيض يزينه باحتشام شريط بنفسجي صغير .

عرف الحضور على بعضهم بعض توماس بورج ، اكبر الاعضاء وأوسعهم شهرة اذ خاض الحرب لعشرين عاما تقريبا ، والذي ظل حيا وحده بين مؤسسي الجبهة الساندينية . صغير الجسم ، هندي ايضا ، يحمل نظارتين ويرتدي اليوم بزة خضراء زيتية لشرطي او ميكانيكي .

قال لرجل الكنيسة : « هؤلاء اثنان من اقدم المقاتلين في الجبهة الساندينية، ثم التفت الى رفاقه : « سيادته كان استاذي في المدرسة الابتدائية » .

ـ توماسيتو (تماس الصغير) كان دوما تلميذا طيبا ، وموقفه مني لا غبار عليه دوما .

قال توماسيتو وهو يحني رأسه بتواضع : ـ احببت ان اذهب الى المدرسة .

توقف الزمن عند امور اجتماعية في وقت عرفت فيه البلاد احد ايامها الخارقة جدا في تاريخها كلها. تجتمع الان بزات خضراء زيتية وثوب ابيض لكن ماذا تعمل هذه البنادق الرشاشة ؟ احتفظ بها توماس بورج ودانيل اورتيغا فوق ركبهم، لكن جيم ويلوك وضع بندقيته فوق كرسي مجاور. وضع شايو، المسؤول عن الصحافة ورفيق اورتيغا، مسجلة فوق الطاولة. تمتلىء اصابعه بطوق مذهل. لكنه مسلح كالاخرين .

قال توماس بورج مستعلما : ـ اضطررتم للعيش اوقاتا صعبة ...

رد الاسقف : ـ آه ! لا اتجرأ على الحديث عنها حين افكر بالنضال الطويل الذي خضتموه واعوام السجن والتعذيب والحياة في الجبال . بيد انه حقا ان هذه الاشهر الاخيرة كانت متوترة بالنسبة الينا ايضا . اخر مسؤول عن الحرس في مدينة ليون كان شخصية مشبعة بالحقد اضر كثيرا بمدينتنا. منذ ايلول، كنا نجد في كل الليالي الكثير من جثث

الضحايا الابرياء عدا عن المجازر الاعتباطية المرتكبة بحق الشاب واعمال الاغتصاب والسرقات من كل نوع . فر اخيرا مختبئا خلف سور بشري من المدنيين. تقول السنة السوء انه هو الذي اطلق رصاصة مسدس على فخذه ليبرر نزوحه بهيليكوبتر، في ضراوة المعارك. حتى انه لم يهتم بأن يهتف لي، كما فعل كل الذين سبقوه. لا اعرف صوته .

تدخل دانيل اورتيغا، المقاتل الصلب، في سن تقارب الثلاثين وسيماء حيوية رضية تؤثر ما ان يدخل حجرة. في لحية قصيرة جدا، ونظارتين سوداوين في الاغلب : ـ اعتقد انهم هاجموكم شخصيا .

ـ فعلا. بعد الاحتجاجات التي رفعتها ضد القمع بعد ثورة ايلول، استشروا ضدي مباشرة. حقق العسكريون مرارا عديدة هنا، واخذوا مني اشياء صغيرة مختلفة منها مدورة اسطوانات. لكنهم بوجه خاص، والله شاهد علي، اقاموا رجالا في الكنيسة. قالوا لي «انها قوية وكبيرة». اجبتهم ان آباءنا جعلوها كبيرة ليظهروا محبتهم لله ولا يمكن استخدامها معبدا للكره. اما كنيسة او ثكنة، وليس الاثنين معا. ولم ادخل اليها منذ عشرة اشهر .

كان الاسقف ينظر الى عيون كل من محدثيه ويديه متشابكتين فوق ثوبه الابيض. «لا يمكنكم ان تعرفوا ما اشعر به من بهجة عميقة لانه اصبح بامكاني ان احتفل بالقداس اخيرا. سأنظفها منذ يوم السبت لابعد ما فعلوا بها من شر، وسأدعو اخيرا جميع «الليونيين» الى اول صلاة تقام يوم الاحد من اجل نيكاراغوا حرة .

ـ هل كنت هدفا لهجمات شخصية ؟

ـ كنت بالنسبة اليهم رئيس «الشيوعيين الساندينيين». اشبه تقريبا سيادة اوفاندو اي برافو، اسقف ماناغوا، الذي وصفه الراديو الوطني في الايام الاخيرة : «القائد ميغل». ورووا ايضا ان «الشباب» اكرهوني على قراءة مؤلفات ماو، والمسدس مصوب الى صدغي، في حين ان الحقيقة ان المسدس ... لكن تعالوا وانظروا» .

اخذنا مانويل سالازار في زيارة قصيرة الى الاسقفية . قال وهو يشير الى اثر صاروخ هشم السقيفة بامتداد عدة امتار : ـ « هاجمنا الطيران بالصاروخ. اختبأت هنا حين راحوا يقصفون .

ثم اتخذ وضعا في زاوية قاتمة من درج بين جدارين ضخمين. راسه بين كتفيه بشكل صليب. ثوبه الابيض يضيء الظل .

نظر المقاتلون بعطف الى هذا الرجل الذي لم يخلق للحرب ، وهو

يروي ما حل به من شقاء. لكن اما كانوا هم كذلك؟ قال لي احدهم فيما بعد : كان حقا الى جانب الشعب.

انهى كلامه باسما : «...حتى انهم القوا صفائح صغيرة مليئة بالوقود والزيت. فتائلها كانت تنطفىء في الجو قبل ان تصل الى الارض.. شعب ليون قال ان عندنا ساحرة ..» .

اشار الينا ان نتبعه الى القاعة .

قال جيم ويلوك، ذو الراس الطويل الشعر، والمثقف والمقاتل : ـ لن يكون الناس كما كانوا قبلا .

ـ كان كابوسا استمر اعواما مديدة مليئة بالحقد والمجازر . عليكم ان تصبوا جهدكم على التربية والعائلة ...

ـ والصحة ايضا التي هي احد اخطر مسائل شعبنا .

مر اناس في الشارع صائحين : ـ النصر ! النصر !

ـ انا تحت كامل تصرفكم لمساعدتكم. سأطلب ان يدعوكم تتلقون بعض الاشياء من الخارج . «كاريتاس» منظم جيدا ويمكن ان يساعد في توزيع الاغذية .

الوقت يمضي. نظر توماس بورج الى ساعته .

ـ يا صاحب السيادة، قررنا عقد اجتماع في ساحة الكنيسة الساعة ١٦ للاحتفال بهروب الديكتاتور ولنشرح لشعب المدينة وضع البلد والمصاعب التي تنتظرنا، يسعدنا جدا ان تكون واحدا منا وتقول بضع كلمات .

ـ طبعا. لن يفوتني ذلك. انه ليوم عظيم لنا جميعا ..

نهض القادة، فلديهم اعمال كثيرة يجب ان يقوموا بها .

ـ .. في اخر رسالة لي لسوموزا، قلت له : «التعذيب مستمر والجرائم مستمرة والفساد والفوضى مستمران في الادارة . الحكومة مليئة بلصوص التصويت. القمع الذي تلا ايلول ليس له مبرر . الحرس الوطني يقتل ويسرق. لماذا يجب على الشعب ان يتحمل ذلك؟» .

قال توماس بورج وهو يضرب راحة يده فوق بندقيته الرشاش : ـ اضطررنا لاخراجه بهذه .

ـ نسأل الله ان تكون حكومتكم فعالة ومرنة قلبا وقالبا .

ـ تعرفون شعارنا يا صاحب السيادة : «ثأرنا سيكون العفو» .

ـ فليستجب لكم الله يا ابنائي .

عند عتبة الباب، وضع سيادة مانويل سالازار يده فوق كتف تلميذ،

السابق : «انتبه لنفسك يا توماسي الصغير» .

قمنا بزيارة قصيرة لمحطة «اذاعة النصر». ما ان وصلنا حتى اذاعت «الاذاعة الوطنية» خطابا القاه اوركويو بصوت طنان باسم السياسيين المتهنين، المعتوهين وهم في أسوأ لحظاتهم . «اطلب الى الساندينيين القاء السلاح. ولكن لا يلقوه امام اي شيء ولا اي شخص. اطلب اليهم أن يضعوه امام قصر الوطن» ...

اشار توماس بورج بحركة مفرطة القوة الى الراديو الجاثم فوق خزانة في باحة الدار الفخم، وكان الراديو قد تم الاستيلاء عليه مؤخرا. «ليس اشد سخرية من الافكار المبتذلة واللغو الفارغ» .

حلل كل من القادة الثلاثة الموقف بايجاز : رحل سوموزا الساعة ٤٫٣٠ من هذا الصباح. وانتخب اوركويو رئيسا للكونغرس، طبقا لاتفاقيات تمت مع المجلس الحاكم. غير انه، لاسباب لا يعرفها، اعلن انه على استعداد للبقاء حتى نهاية عام ١٩٨١، وهو الاجل الشرعي لوصايته، في حين ان الاتفاقيات التي ابرمت اقرت وصول المجلس الحاكم وانتقال السلطة اليه بسرعة والتفاوض بين الاركان العامة التي بقيت للحرس الوطني والاركان العامة للجبهة الساندينية .

ـ علينا ان نجعله يرحل هو ايضا .

تدخل ويلوك : ـ الان وقد هرب سوموزا مع معظم اركانه العامة ، من الممكن جدا ان ينهار الحرس بضربة واحدة. مثلما حدث في ايران، وكوبا عندما اطاح الرفيق فيديل كاسترو بباتيستا. غير ان الوضع الراهن يدعو الى القلق لانه من المحتمل جدا ان يؤدي رحيل الرئيس الى مناخ رهيب من التشكك بين الجنود . فهو لم يكن قد سمح ابدا بأن يقام ادنى حد من السلطة يمكن ان تنافسه ، مع محافظته على تناقضات خطيرة كان هو الوحيد القادر على حلها. وبدونه، لا يمكنهم الا ان ينتحروا او يبادوا او يهربوا . الا انه حتى هذا الامر مشكوك فيه لانه من المحتمل ان يرتكب الجنود أسوأ الاعمال الوحشية بدافع الخوف فقط، بعد ان تركوا لمصيرهم. ان من هرب هو الرئيس الاعلى. الرئيس الذي اقسم ان يكون «مغوارا» ان انتصرنا ذات يوم، وان يكون اخر من يغادر البلد. وها هوذا اول من رحل وها هوذا «مغوار» في ميامي .

انطلقت ضحكات. كان اكتشاف ان للاساطير فكاهة دافعا للسرور.

تابع دانيل اورتيغا يقول : ـ يتوجب علينا ان نتقدم بسرعة شديدة نحو العاصمة ان اردنا ان نضمن سلامة سكان العاصمة .

سجل صحفيو الاذاعة ملاحظات. كانوا في معظمهم صغـــارا جـدا ويحملون مسدسات في محازمهم. رأيت اكثر من واحد منهم فـــي هذه الايـام المضطربة وهو مرتبك بين دفتر ملاحظاتـه وبندقيتـــه الرشاش. يروون للقادة مصاعبهم : مثلا، ان المناضلين الاشتراكيين، اي الشيوعيين، قـد ذهبوا بأجهزة الارسال ذات التضمين المتردد. وما لديهم من مسائـل مـع الاركـان العامة المعبـأة جـدا بالمهـــام العسكريـة او التنظيـم لا تعطيهم مزيدا من التوجيهات السياسية الا اذا ارادوا هم ذلك. والرفـاق القادرون مفقودون. نحن مقتنعون ان كثيرين منهم في خط النار، لكنهـم مفيدون فيه اكثر من هنا. اما بالنسبة للانباء فنحن نستقيها منهم، غيـــر اننا نميل الى كل ما هو توجيه ودعاية. يضاف الى ذلك ان مسائل النزعات الخطيرة جدا منذ وقت طويل في المدينة، لم تسو ابدا...» اسر الـــي اخدهم بسعادته المزيجة بالدهشة : ـ «لا اصدق عيني» ـ حيـن اكتشف جنبا الى جنب اناسا ساخطين دوما يظهر انهم قد تفاهموا الى حد عجيب. «اعطاني ذلك ثقة شديـدة» .

تدخل دانيل اورتيغا : ـ عليكم ان تحافظوا على حيوية ذاتية. لايمكن صنع الثورة من غير ابداعية . لا تعتمدوا على القادة فقط لتسوية كافـة المسائل المطروحة عليكم . اما بالنسبة للوحدة فنعترف بأنها لم تتمتن بعد. ولكـن اذا توصلتم في الاذاعة الى اشعار الشعب والمقاتليـــن بأهميتـــها وامكانيتها وارادتنا العنيفة جميعا لانجاحها، فنحن مقتنعون بأن مستمعيكم سيستفيدون منها. الوحدة جوهرية اليوم . علينا ان نتخلص من النزعات الفئوية . نريد ان نعطي مثلا سلوك رفاق ماناغـوا للبلـد كله وامريكـــا اللاتينية كلها. لولا الوحدة لما امكنهم ان ينجحوا معركة ماناغوا والانسحاب التعبوي الذي تلاها والانتصارات التي تحققت في محافظتي مازايا وكارازو فـي هذا الوقت بالذات يقاتلون للاستيلاء على مدينة غرناطة . سرهم هو انهم حين يريدون مسؤولا لا يتساءلون ابدا عن النزعة التي ينتمي اليها ولا ينقادون ابدا لاية معايرة دساسة. ان المعيار الوحيد هي النجاعة. فلنعرف كيف نطبق هذا المنهج وسننتصر لنطيح بأوركويو ونعيد بناء الوطـن مثلما انتصرنا في كفاحنا ضد سوموزا .

الساعة ١٤ ـ سيتوجه القائد توماس بورج لزيارة بعض المقاتليـــن الجرحى في بيت تحول الى عيادة .

تمت المصافحات وتبودلت الكلمات اللطيفة. احتفل بالغريب بكلمـات فيهـا اثر بسيط من التشدق. انه الشعور بالمجاملة. قال للممرضـــات:

«انتن لستن من رجال الدين ولا ممرضات، انتن ملائكة!» دعابتـه لا تغيب عنه ابدا. ربما كان يصعب علي ان اكون لنفسي فكرة انني ارافق رجـل دولة. رجل سياسي جاء هنا بطرق اخرى غير طرق المجاملات التي لا يفكر بهـا، والتملقات الجوفاء والوعود الخالية من الروح .

تناول غداء وفيرا ومغريا مع قرابة عشرة من الرفاق يعرف حتـى اذواقهم وشهيتهم .

ـ هل تعرفون ان سوموزا رحل اليوم ؟

ـ كانت لدينا دلالات شيرة تكفي لنسمع الراديو الساعة ٤٫٣٠ مـن هذا الصباح . غير اننـا لا نعرف سبب اقتصار القول انه قـد رحـل . لقـد اطاح بـه شعب نيكاراغوا. وسحق حرسه الخاص وهـذه الهزيمة العسكرية لحرسه هي التي اجبرته على الاستقالة بالضبط ... وهكـذا استطعنا هذا الصباح ان نسمع ، من اذاعة ماتا غالبا، رفيقا يذكـر بهـذه الجملة القديمة لكارلوس فونزيكا امادور التي تدوي منذ وقت طويل فـي قلب كل منا : «توقف الفجر اخيرا عن ان يكون اغراء...» بذلك ينسـدل اول فصل من الكفاح، ستليه فصول اخرى بلا ريب .

ـ ما هي المهام التي يتوجب عليكم تسويتها فورا ؟

ـ اولا ازالة الحرس الوطني بصفته مؤسسة. وقد هزم ستراتيجيا. ولكـن ما تزال هنالك بعض قوات منه يتوجب علينا تصفيتها عسكريـا. ثم علينا اعادة بناء البلد بمشاركة الشعب. لانه ليست المساعدة الخارجية مهمـا كانت اهميتها، هي التي تضمن اعادة بنائنا في نهاية الامر. هنالـك الكثير من الناس همهم ان يخلقوا لنا المصاعب ... ان بلدا مدمرا كبلدنـا بحاجة للمساعدة. سوف يحاولون بالتأكيد ان يقدموها لنا مقابل خضوعنا السياسي. سمعت الان رفيقا يقول ان المرض كلما كان خطيرا كان الطبيب اكثر عاطفة وهذه مسألة صحيحة. بيد اننا حتى وان اضطررنا لان نجـوع ونضحي ايضا فسنفعل ذلك على الا نقبل مساومة اعدائنا تحت التهديـد. اليس كذلك ؟

رد المقاتلون المتحلقون حول المائدة : ـ نعم! نعم! نعم!

ـ هل تخشون من تدخل خارجي ، لا سيما من الولايات المتحـدة ؟

ـ ليس نيكاراغويا من يمكنه ان يقول لك انه مستحيل. ويخشى منه دوما لقوة نارها الكبيرة وجهازها السوقي الضخم. بيد اننا انتصرنا عليهـا قبلا والوضع السياسي ليس كما هو في مطلع هذا العصر. اعتقد بالاحرى بمحاولات عدم استقرار تقوم بهـا .

ـ كيف يمكنكم مجابهتها ؟

ـ يطلب منا شعبنا ما يأكل . يطلب منا شعبنا عملا. يطلب منا شعبنا الثقافة . يطلب منا شعبنا الصحة. يطلب منا شعبنا الارض ليزرعها . واجبنا ان نلبي هذه المتطلبات لننتزع من العدو الارض التي يؤمل ان بقدرته ان يتحرك فوقها بسهولة .

ـ هل سركم اللقاء بالاخوة اورتيغا وجيم ويلوك والاخرين ؟

ـ طبعا، وننظر الى بعضنا البعض كأخوة. كنا منقسمين لكنا لم نقاتل بعضنا بعضا. وحين نتناقش اليوم فيما بيننا، فنحن مضطرون لان نأخذ باعتبارنا ان الخلافات كانت مسائل فروق طفيفة، حتى ان اغلبها يدعو الى السخرية، منبثقة في اغلبها عن سوء تفاهم، ومعايير ذاتية بحتة وحتى عن الجهود التي يبذلها العدو لتفريقنا. واستطيع ان اقول لك انه منذ اجتماعاتنا، لا ينصب الخلاف على اساس النزعات القديمة، انما فحسب على مروحة الرفاق الذين يريدون افضل شكل لتقدم الثورة والبلد.

ـ ايها القائد، رأيت في الشارع الناس ينادونك باسمك الاولي ويتصورن الى جانبك ويعانقونك ويقدمون لك اطفالهم بطرف ايديهم. ماذا تشعر ازاء هذه الظواهر ؟

ـ هذا شيء يحدث لنا جميعا ونفكر احيانا اننا لا نستحق هذا الحب الخارق الذي يظهره الشعب لنا. نشعر اننا لم نكسب هذا الحق. نفكر بقتلانا ايضا الذين ليسوا هنا ليحتفلوا بهذا النصر الذي ساهموا فيه كثيرا. قلت بالامس لجيم حين رأيت هذا الحنان والاحترام اللذين يحيطنا بهما الشعب، ان الشعور الوحيد الذي يمكن ان ينعكس فينا هو الشعور العميق جدا بالتواضع الثوري .

الساعة ١٦ ـ ساحة الكنيسة . توافد الشعب جماعات صغيرة للاحتفال بالنصر وهي تغني وتضحك وتبكي وتتعانق فيما بينها وتعانق المقاتلين وتهتف بشعارات. وجوهها ما تزال متوترة، تهز الاسلحة واللافتات. كان تدافع الجماهير هائلا، كل يريد ان يكون هو الاقرب الى درج المدخل المؤدي الى الكنيسة. وامتزجت تموجات من جمهور اختلط فيها اللون الاخضر الزيتي بالاحمر والاسود للاعلام السانديئية ورداءات نسائية من كل الالوان. هنا يصيحون ويومئون وينبضون حياة. مبتهجين طبعا بالنصر ورحيل رئيس الكلاب. انه العيد الذي لا يصدق، العيد المعجزة بالنسبة للكثيرين، الذي طالما انتظروه، العيد الذي لا يمكن الاحتفال به الا معا طالما ان تحقيق النصر كان من الجميع. لكنه ايضا اول مظاهرة

لا يخشى فيها من ان يعرض فيها احد نفسه للقتل. وحلم الامس والغد الذي لا تشوبه شائبة، والامل والحياة وانحسار الموت. ثم شيء اخر ، الهستريا التي تتملكك من غير ان تعرف جيدا السبب. والسعادة التي اصبحت طوفانا ينصب في سعادة الآخرين . ولربما ان ما هو اشد غرابة ان كل واحد يتوقف بين وقت واخر لينظر فيما حوله ليرى ما يفعل الاخرون ويتأكد من انه ليس هو وحده المجنون. حينئذ ينتصبون فوق رؤوس اقدامهم ويستندون الى كتف رفيق او رفيقة. ثم يكون الذهول امام هذه الكتلة الضخمة المنصهرة. «اما رأيت؟ انه امر لا يصدق!» انها السعادة الجلية لشعب بكامله. وان تكن للحظة. عاش الشعب!

وصل القادة الثلاثة. وكان الهذيان. هذيان شعبي بسيط كل ما فيه من بعد لا علاقة له بالبعد السياسي. اصبح التزاحم رهيبا، لا شيء يجدي امامه. كل يريد لمسهم وكأنهم نجوم سينما. امتدت الايدي. الشيوخ والشباب، النساء والاطفال والعمال المتميزون بقسماتهم ينادونهم : توماس! توماس! دانيل! جيم! ايها القائد! ايها القائد!.. باعتقاد راسخ بلغ من الشدة بحيث يسعى من ورائه الى تمييز سحر مناداة رفيق نضال ربما يعرفونه شخصيا. ان البرهان المادي لرهيب. ان كل ما سبق قد انتزع بعرق الاخرين. توماس ينضح عرقا ، يميز العرق بزته. حتى انني اظن ان احدهم سيفقد سلاحه في هذه المغامرة . عاش الشعب !

ظهر القادة الثلاثة في هيئة عجيبة امام هذا الجمهور الذي توصلوا اخيرا الى رؤيته كله بعد ان وقفوا امام منصة مرتجلة. تحت اعينهم اكثر من معرض صور عن الثورة، الثورة بكاملها، الحية، المنتصرة، الحقيقية، الثورة التي صنعوها. ترى هل يفكرون في هذه الساعات الرهيبة من العذاب والشك او ربما، ما هو أسوأ ايضا، في هذه الاوقات التي كانوا اثناءها منعزلين في الجبل، تائهين اسابيع او اشهرا، يطاردهم الحرس ويشعرون بأنهم قد عجزوا عن الوفاء بمهمتهم وتخلوا عن الفلاحين. ويفكرون بما يتوجب عليهم اليوم؟ وبقتلاهم؟ وبالمصاعب والخيبات؟ انهم لا يبتسمون. ان ثقتهم بالشعب التي رفعوها علما معنويا وصيغة لمقولة او صورة ملموسة، وذكرى لمشهد عاشوه في زاوية من طريق او شارع ، على عجل، هي الان هنا تحت اعينهم حية كبيرة ضخمة بحيث انهم لا يستطيعون الا ان يشعروا بتجاوزها. لا ريب في انهم تعاهدوا على ان يفعلوا شيئا، وهم كنيكاراغويين تعاهدوا عليه بالاسبانية :

ماذا يمكن اذا ان يشعر به ماركسي يجد نفسه وقد تزلف اليه؟ ماذا

يمكن ان يشعر به رجل يعرف كل شيء عن الطريق الصعبة التي بقيت ليتم قطعها، وكل الشكوك امام هذا الهذيان والحلم والامل الضخم بان غـــدا «سنصبح الحياة ممكنة» اخيرا؟ ماذا يمكن ان يشعر في مثل هذه اللحظـة المقاتل والمسؤول الذي كان منذ اعوام يعتقد بذلك حتى في أسوأ الاوقـات والذي كافح في الاغلب وحده او تقريبا كي «يتوقف الفجر او النهار عـن ان يكون اغـراء» ؟

ان مشاهد هذه العشرة الاف، العشرين الف، الثلاثيـن الف شخص من مدخل الدرج هي حقيقة تمسك مسا وتلمسك وتهاجمك وتناديـك وتستولي عليك . هي اسماء وقصص وامل لا قياس له بلا ريب. وشـيء من الاوهـام .

صبية معلقة بأغصان الاشجار او ركائز المصابيح التي تحولت مجاثم. وقبضات تمتد وتصرخ «يعيش بيدرو يواكيم شامارو». وصبي صغير في شعر اشقـر وقصيـر يلبس كاكيـا ، يتحـزم بحميلـة ، بيـده سلاح، اشبه بعسكري كبير. وصبيتان شاردتان، اقرب الى مجنونتيـن، انحنيتا معا ومؤخرتهما الى الخلف تحاولان احتجـاز الجمهور، وتجهدان فـي نشر علم احمر واسود، عاش الشعب! وشخص بائس في قسمـات اكلهـا البؤس ، بلا اسنان. ونساء انيقات في لباس جيد، يزين اعنـاقهن لؤلؤ، يشاركن الفرحة الشعبية، كالاخرين. والمقاتلون المحنكون الذيـن يعنون بأمن قادتهم في هذه اللحظة من الجنون، يصوبون عيونهم باستمـرار نحـو السطوح المجاورة. وعجوز تمسك مسبحة. وبضعة سوموزييـن ايضا وكثير من الانتهازيين، لا شيء يمكن ان يميزهم. وصبية في اعمـار بين العاشرة والثانية عشرة يمكن انهم قد قاتلوا جاؤوا الى هذا العيـد وكأنهم متوجهون الى تدريب. عاش الشعب! من الناس من يكتسح كسحا ومنهم يتلاقون، ومنهم من يصيحون ومنهم ينظرون الـى بعضهـم بعض مسحورين. ومجموعة من المغنين تجد مشقة في المحافظة على قيثاراتهـا. ونظرة حب من فتيات وهتافاتهن السياسية : «تعيش الجبهة الساندينية!» «لا نريد اصلاحا، نريد الاشتراكية!» «تعيش الثورة!». وخطوات قليلـة راقصة وسط التدافع. ومعانقات وهذيان ، عاش الشعب. ومقاتل فـي بنطال جينز، صليبه الضخم يتعرقل بشعار يمثل العلم الكوبي. « يعيـش الشعب!» اخذت بنادق «الجليل» و «م١٦» تظهر بكثرة . واطفال صغـار يجثمون فوق اكتاف ابائهم او اخوتهم الكبار . «عملنا هذا من اجلهم. لـن يعانوا الرعب مثلما عانيناه». عاش الشعب. راحت السماء تمطـر. اخرج

بعضهم مطراتهم ووضعوها ارضا في الفسحة الصغيرة التي امكن للمقاتلين اخلاءها في اسفل المصطبة. التصق الشعر بالوجوه والثياب بالاجساد. واصبحت الصيحات اشد قوة والضغط اصعب من ان يوقف . عاش الشعب. اطلقت اول رشقة رصاص في الجو. فكان الهيجان ويوم القيامة، راحت عشرات وعشرات من الاسلحة تطلق النار في وقت واحد، وابعد، في المدينة، ترد عليها غيرها دفعة واحدة، حتى انه يسمع سعال حاد لرشاش ثقيل. غير ان المقاتلين الموجودين في اسفل الكنيسة لا يطلقون عموديا بالضبط. فراح جبصين واجهتها يتساقط مسحوقا دقيقا، ثم صفائح ضخمة . لم يكونوا مدركين ذلك . استمر العيد واطلاق النار يشتد بنشوة اكثر فأكثر . انه الهذيان الشامل والجنون. نضحك جميعا ونبكي في وقت واحد. عاش الشعب !

السماء سوداء مكفهرة. اطلق احدهم صواريخ انفصلت عنها مظلة صغيرة انتشر في اسفلها علم الجبهة الاحمر والاسود. انه تفجر البهجة الشاملة، الجماعية، والكتلة، فريسة الهذيان واللذة المفاجئة بزوال الضغط . «عاشت الجبهة الساندينية!» عاشت! وطن حر او الموت !

«اليكم ها هي ذي!» ثم خيم صمت مفاجيء وتجمدت الكتلة المضطربة وقد انفتحت امام امراتين صامتتين تتقدمان ببطء نحو درج مدخل الكنيسة . تحملان فوق كتفيهما نوعا من نقالة خشبية بيضاء تعلوها دمية بارتفاع ٨٠ سنتيمترا، ترتدي اجمل حلية. انها عذراء لاس ميرسيدس ، سيدة ليون، التي يقال انها هي التي انقذت المدينة من الجنون السوموزي. صلب كثير من الاشخاص. صعدت المرأتان الدرجات ثم التفتتا الى الجمهور. مسحت اصغرهما دموع العاطفة. كانت فتاة هندية ربما تكون في العشرين من عمرها، خجولة ومتحفظة. يمسك منديل بشعرها، ترتدي تنورة قاتمة، تباهي بقميص تائي احمر ـ برتقالي كهربائي يقتل كل ما حوله من الوان اخرى. تحت صدرها الايسر لص غرينغو انيق يغمز عينه، تحت جهته اليسرى عنوان فيلم نال النجاح امتد بأحرف سوداء : «الرجل صاحب الست مليارات دولار». عاش الشعب ! عاشت الثورة !

تكلم الاسقف ليطلب من الله مباركة الثورة. تبعه جيم ويلوك وفي الوقت ذاته امتزجت كلمته بقصف رعد ادى الى رعشة قصيرة بين الجمهور «اذا لم تخفكم النار فكيف تخشون من المطر؟» عاش! كانت المناسبة جميلة

جدا. لكن مواهب القائد الخطابية ليست في مستوى طاقاته الفكرية او العسكرية .

تلاه دانيل اورتيغا. كان صريحا مخلصا، اكد على اخطار تدخل خارجي وضرورة الوحدة. يشدو صوته احيانا من غير ان يتوصل الى التحليق من اجل ذلك. جاء بعده توماس بورج، الاشهر والاكثر شعبية. انه يتقن محاورة الجمهور : «هل انتم على استعداد للقتال ايضا اذا هاجمنا الامبرياليون؟» اجاب المقاتلون وشعب ليون بصوت واحد : «نعم»! لم يبرهن اي منهم على صفات خطابية خارقة. لكن ذلك لم يزعج احدا. عاش الشعب !.

الساعة ١٧٫٣٠ ـ هبط القادة الثلاثة، الذين انضم اليهم اعضاء الاركان العامة للمدينة، مدخل درج الكنيسة، وتوجهوا، متشابكين الايدي، الى المقبرة لتحية قتلى الثورة، لا سيما الشاعر ريغوبيرتو لوبس بيرس، الذي انتقم، في ليون عام ١٩٥٦، من مؤسس السلالة السوموزية .

هذيان. كان التدافع الان تسلية. يريد الاف الاشخاص الموجودين في الساحة ان يتقدموا بوتيرة قادتهم وفي مستواهم . يريدون رؤيتهم ولمسهم ويستعيدوا معهم في وقت واحد نفس التعليمات والاغاني. لكن الشوارع ليست عريضة الى هذا الحد. تحول المشي ركضا على غير هدى. ركضا لا يؤدي الى السقوط. وخليطا هائلا من مباراة ركبي اقيمت فوق عدة كيلومترات يقوم بها الاف من اللاعبين. كل منهم يتشبث بالاخر، يتعلق به، يعلو كتفيه. بلغ الزحام اشده بحيث لا نمس الارض احيانا . شعرت بخمس ايد، او سبع او ثمان تتشبث بكتفي، بمحزمي، بذراعي. كل منا يحمل الاخر. في كل زاوية من شارع، يطلق المقاتلون رشقات في الجو. الحرس المرافقون للقادة هم اشد قلقا. يودون لو يتمكنوا من وقف هذا الجنون، ويجهدون في النظر الى كل الاتجاهات. لكن اي شيء لا يحدث ولا ريب في انه لا بد والا يحدث. انها لحظة تساهل وجنون مطبق. عاش الشعب !

اندفع الجمهور في شوارع ليون وكأنه في سباق. اكتسحت المتاريس التي اوقفت الدبابات وازيلت والتهمت. كان لا بد من تسلق المتاريس الاولى ايضا، لكنهم حين وصلوا الى اخرها لم يكن لها من اثر. وجففت الحفر الممتلئة ماء .

ما تزال الاغاني تتعالى والصيحات والزعاق والبكاء خوفا وفرحا . «عاش الشعب، الشعب، الشعب»، هكذا تقول موسيقى مشهورة .

وصلنا الى المقبرة. تحولت بوابتها مضيقا للاختناق. ثم اندفعت الموجة ثانيـة فقاعة ضخمة. حاولوا الا يمشوا فوق اول قبـر. وبذلوا جهـدا جديدا كي لايمشوا فوق القبرالثاني والاخير.ولكن لكي لايسقطوا ويواصلوا السير، داسوا اخيرا فوق كل شيء : النصب التذكاريـة والجثـوات والصلبان . كان التدفق طاغيا. تساور المرأ نفسه ان يخفي شعوره بـأن احـدا تغلب عليه فجعله ينفجر والا يكون شيئا امام هذه الكتلة التي تغـلي حيـاة. تشبثت بيد صغيرة ناعمة تعلقت بيدي. بجانبي كائن اخر، شابـة هندية بالكاد ان اتيح لي الوقت لاراها فقد هبط الليل . في عينيها دمـوع مبتهجة ووجـد .

توقفنا عند طرف القبور الاشد نداوة بعد ان تجولنا فـي المقبـرة فـي كل اتجاه. كنا في حلقة ضيقة يلتصق فيها المرفق بالمرفق حـول القادة. خيمت دقيقة صمت. قال اخيرا توماس بورج في صوت متحطـم: «جئنا نبحث عن ضريح ريوبيرتو. لكننا نسينا انه دفن الى الابد فـي قلب الشعب. لهـذا لم نجـده» ...

ثم، لا شيء بعد ذلك، راح السيل ينحل ببطء. لبثت اليـد الصغيرة بيدي. تركت «الكبار» يذهبون وتخلت هي عن اصدقائها. عدنا معـا فـي الشوارع المظلمة من المدينة العمياء. لا اعرف حتى اين اقيم. يستحيل ان اذكـر الملجأ. تهنا من حي سان خوزيه الى سان خوان باتجاه حي فاطمة. نتوقف عند جميع مراكز الحرس. مما يجعل هذا اللقاء طويلا بقدر ما يمكن، فـي هذه اللحظـة التي يلتقي فيها كل شيء : الامال الفرديـة والحلـم وحماسة شعب بكامله. قلت لها انها جميلة . «لكنك لم تر حتى قسماتي؟» فـي السادسة عشرة ربيعا. اسمها المستعار كارينيـلا. تؤثر اسمهـا الحقيقي : ماريا لوردس. وضعت رأسها فوق كتفي «آي ايها الاخ، ايهـا الاخ!» انطلقت ضحكة من حنجرتها الشديدة الصفاء والاثارة . وددت الا اعـود ابـدا .

كانت متطوعة، عليها ان تأخذ دورها من الحراسة الساعة ١١ .

الحـــزب

حديث لويس كاريون

علينا اليوم ان نعيد بنية الجبهة الساندينية لتتمكن من تحمل كامل وظائفها كطليعـــة. وليتكون منها حزب. وذلك تطور يتم خلال اجل متوسط وحتى طويل ، ومع ذلـك علينا ان نبدأ منذ الان بارساء الاسس الاساسية .

من الواضح امام اعيننا ان هذا الحزب لن ينبثق عن الجبهة الساندينية فحسب وانمـا عن كثير من المصادر الاخرى. يضاف الى الجبهة الساندينية للتحرر الوطنـــي الجيـش الساندينيي والمنظمات الجماهيرية والعناصر الاتية من المنظمات الاخرى الثورية التـي تفهـم الوضع وتنضم الينا لتسهم في بناء الطليعة. لكن ما هي اول خطوة ؟ اول خطوة يتوجـب علينا ان نجتازها حتما قبل ان نشرع بتكوين مفهوم عن الحزب وقبل ان نحدد الخطط العضوية والبرامج السياسية ، اول خطوة ـ وهي التي نعمل فيها الان ـ هي اعادة تنظيم الجبهـة الساندينية : اعادة تنظيمها في بنياتها الوحيدة وتشكيل لجان اقليمية ومنظمات وطنيـــة للدعاية ومنظمات جماهيرية، الخ. نحن اليوم بحاجة لاداة عضوية تتمتع بكامـــل الصـورة المؤسسية الضرورية لدفع كافة المهام التي يتوجب علينا انجاحها. اداة بقدرتها ان تساعـد فـي تقدم الثورة في الجيش والجماهير وجهاز الدولة. ومن المتوقع، وقد حان الوقت ، ان نتوصل الى انشاء حزب حقيقي على هذه الاسس. انما بلا عجلة ـ مما له اهمية اقل فـــي نظرنا في هذا الوقت. فما يهم هو اعداد البنيات والاداة وان يتمثل الشعب طليعته بوضوح.

ـ ولكي نتقدم في هذا الاتجاه، علينا ان نقطع صلتنا بمفهوم الحزب الماركسي، حزبـا للطليعة . فهو ليس معروفا ولا مفهوما من قبل النيكاراغويين. حين نتحدث عن حزب، يفكر

الناس بالمنظمات التقليدية. حين تجري الانتخابات نفكر بالاشتراك فيها بصفتنا جبهة ساندينية حليفة للمنظمات الجماهيرية في حركة سياسية سندينية واسعة. نحن لا يمكننا انشاء حزب من اجل الانتخابات ، لا سيما ان جرت خلال اجل قصير. يحدث ذلك فيما بعد حين تتخذ الثورة طابعا اجتماعيا اكثر وضوحا، وتسمح بذلك الظروف الدولية ونسب القوة. ان الصورة الاساسية للعمل السياسي للجبهة الساندينية في الوقت الراهن هي تسيير المنظمات الجماهيرية وبناء البنية الداخلية لنوى الطليعة القادرة على دفع هذا العمل.

ولكي نبدأ ببناء بنية هذه المنظمة، انشانا، على المستوى الوطني، الامانة التنفيذية للقيادة، مؤلفة من ثلاثة اعضاء، سيساعدهم ثمانية امناء قوميين مكلفين بالحزب والمنظمات الجماهيرية والعلاقات الدولية والمسائل العسكرية والدعاية، الخ. وستتألف بنية من الطبيعة ذاتها على مستوى المحافظات، لا بد وان تتيح بالضبط للساندينيين جميعا من ان يتواجدوا. ويمكنني ان اقول ، فضلا عن ذلك، عبر تجربتي الشخصية، اننا نلتقي فيما بيننا الى حد واسع في معايير اعادة بناء الجبهة على اسس ماركسية. نحن لسنا جميعا ماركسيين، ليس لان بعضنا ضدها، وانما لاننا جميعا ليست لدينا المعارف او التجربة الضرورية. بعضهم، بالتاكيد، ما يزال يبرهن على «حرفية»، واخرون يرون المنظمة شكلا من البيروقراطية ، واخيرا، ينزع غيرهم الى السعي للاتصال برفاق لهم نفس النزعة لان لغتهم وعاداتهم واحدة. غير اننا توصلنا تدريجيا الى تجاوز هذه المسائل على المستويين المحلي والقومي. واعتقد انه يمكننا ان نتحدث عن تطور في راديكالية موضوعية لدى من كانوا شد خضوعا للمؤثرات اليمينية وروح جديدة للانفتاح على الاخرين. ان ما يهم هو المناقشة وتوضيح بعض المفاهيم الاساسية. من اجل ذلك، على كل منا ان يسعى الى الاخر وينمي الاتصالات الشخصية في كل المستويات. فما يحدث في هذا الوقت اساسي جدا.

الاربعاء ١٨ تمـوز

«لا شيء يوقفنا ابدا»

ظهرا ـ سنحت لي الفرصة لاهرب الى ماناغوا بصحبة صحفي مـن «الوكالة الفرنسية للصحافة» . كانت رحلة خاطفة، وقتها مناسب لـه ليرسل برقية الى باريس .

هذه المدينة التي اصبحت بلا روح ما تزال تحمل اثار الهول ، مـن دمار سببه زلزال عام ١٩٧٢، واعادة بناء بعض البيوت خلافا لكل منطـق، ثـم الدمار الجديد الذي احدثته في الاسابيع الاخيرة الصواريخ والقنابل وقذائف الهاون. هنا، ليس لدى السكان من حل غير مجابهة اثار الحرب. اجتزنا سوقا فيها كل شيء. غير انه لا بد من النقود. لم تنشأ اية منظمـة لاغاثة من لا يملكون شيئا. كان الحرس الوطني قد وزع ارزا على الذيـن ساعدوه فقط. ولم يعد للصليب الاحمر من اثر منذ وقت طويل .

الساعة ١٣ ـ القصر القاري، ويقع على بعد خطوتيـن من معقـل سوموزا المحصن. هنا الجنون، منذ هنيهة، صور مرتزق اجنبي نفسه من قبل صحفيين. طلب ساخطا من الضباط الذين ما يزالون موجودين فـي مباني مدرسة التدريب الاساسي للمشاة ان يحدقـوا بالقصر. فاستغلوا ذلك ليصدروا امرا بقطع كل اتصال بالتيلكس او الهاتف مع الخارج . كـان ذلك ردة فعل نظام جن جنونه.

الحرس الوطني يتمزق اربا اربا في كل البلاد. في اوكوتال وسوموتو وسيوداد وداريو وبواكو، الخ. وتنهار المواقع المحصنة واحدا بعـد الاخـر. وكمـا كان متوقعا، ادى هرب الرئيس الى تفكك حرسه الطاغيـة. ولـم

يتوصل الضباط الذين لم يصلوا الى ميامي بعد الى الاتفاق فيما بينهم .

حين نفذ الجندي الشاب العصبي، وبندقية «جليل» في يده، الى مقسم هاتف من القصر، كان الاوان قد فات. ان التاريخ تجري احداثه في مكان اخر الان .

على بعد ٤٠ كيلومترا من العاصمة، امام ثكنة غرناطة، ثالث مدينة اهمية في البلاد، رفع الرائد فرانسيسكو رويس العلم الابيض ثم استسلم لانيبال، القائد الساندينى وابن الرابعة والعشرين. ان انيبال احد الفنانين العجيبين لمعركة ماناغوا التي قاوم اثناءها، منذ ٩ الى ٢٨ حزيران، عشرات قليلة من المقاتلين بأسلحتهم السيئة والاف قليلة من المدنيين هول الطيران ومدفعية المشاة السوموزيين .

في طريق ماناغوا ـ غرناطة . انه طريق لا بد من التجول فيه اذا اردنا معرفة انتصار الثوريين. ماناغوا ـ غرناطة : هي احدى الملاحم المذهلة في هذه الثورة الغنية بمادتها مع هذا. انه لمن الممكن ان مصير الثورة قد تقرر بين هاتين المدينتين، هذا اذا لم ننتزع كفاءة المقاتلين جميعا في كافة المدن والمسؤولين جميعا الذين اشتركوا بالاطاحة بسوموزا، ومن غير ان ننسى ان النصر كان ثمرة حركة جماعية. ماناغوا ـ غرناطة: تاريخ بكامله يجب استعادته مع شن الهجوم النهائي .

٤ حزيران ـ ماناغوا ـ الساعة ٨ ـ الاضراب العام الذي بدأ اليوم شامل تقريبا. مراكز العمل الكبرى الصناعية والتجارية والادارية مشلولة عمليا. يستثنى من ذلك وحدات قليلة منعزلة اخذ تستعيد نشاطاتها كالمعتاد. المسؤولون النقابيون والمناضلون في لجان الدفاع المدني والساندينيون يندفعون في حملة توضيح صاعقة. لم تكن نتائجها متوقعة، فمنذ الظهر، امكنها ان تشعر المسؤولين السياسيين والعسكريين للجبهة ان «الاضراب قد نفذ ١٠٠ بالمئة تقريبا في العاصمة» انه انتصار خارق.

في بقية البلاد يتطور الهجوم النهائي بلا تاريخ. ففي ليون ومازايا كان الناس ثائرون قبلا. واصبحت المناطق الريفية في الشمال بأيدي المقاتلين الساندينيين الذين بدأوا يتحركون نحو المدن. وفي الغرب، رغم وجود بعض صعوبات حول شيناندیغا، يتقهقر الحرس الوطني تقريبا في كافة النقاط التي يهاجم فيها . وفي الجبهة الجنوبية اخيرا، توصل الثائرون بسرعة اكثر مما كانوا يتصورونها الى الاستيلاء على مواقع الى نارانخو وال اوستيونال، التي اعلنت مناطق محررة منذ ٣١ ايار. وكان سوموزا قد ارتكب خطأ حين اخلى هذه المنطقة ليرسل جنودا الى جنوب

شرق البلاد للقضاء على المغاوير الذين ولدوا في نيفا ـ غوينيا .

بيد ان المسؤولين في الجبهة الداخلية (مانانغوا والمدن الواقعة في جنوب العاصمة) قلقون مع هذا. فهم يعانون جدا من القيام بمهمتهم التي اوكلت اليهم في هذه المرحلة من الخطة الشاملة. كان هدف شن العمليات تدريجيا في بقية البلاد تضليل ستراتيجي للحرس الوطني ، الذين اضطروا لارسال تعزيزات من نقطة لاخرى. ان مركز الحرس الوطني الهام الذي يحدد مصيرهم هو ماناغوا، ومهمة المقاتلين الساندينيين في العاصمة هي كبح مرونة تنقلاتهم والحاق ضربات متلاحقة بمحور مواصلاتهم. وتمت عمليات بروح حرب المغاوير : اضرب واهرب. لكن الدوريات العسكرية ورقاباتها كانت قائمة في كل مكان. وكان هدف الاضراب اخلاء الشوارع، اذ لا يستطيع المقاتلون ان يختلطوا بالسكان. فكانت النتيجة ان لم يكن من اثر لبعض الاعمال الناجحة. فالحرس الوطني يتنقل كما يشاء ويكاد يقضي على تقدم الساندينيين في الاقاليم الاخرى من البلاد. لكن سوموزا اذا كان قد نجح في «تكرار ضربة ايلول ١٩٧٨» ـ بحشده قواته بشكل متلاحق ضد كل من احدى المدن المحررة ـ فقد ختمها بالهجوم النهائي .

٧ حزيران ـ اجتماع في بيت بورجوازي في الاحياء الجنوبية لمسؤولي الجبهة الداخلية والاركان العامة لماناغوا، وهم سيمون وروك ورافه وانيبال وايزابيل وويللي. عرض روك الموضوع والقرار الذي توصلوا اليه بعد اتصالهم بالراديو مع القيادة القومية : لا بد من تجميد المزيد من الاعداء بقدر ما يمكن في العاصمة. فيجب، من اجل ذلك، اعلان الثورة الاهلية المسلحة بلا ابطاء. فهو الشكل الوحيد الذي يتيح للجبهات الاخرى من تعزيز مواقعها التي استولت عليها مؤخرا .

«ان الخطر واضح : اذا قمنا بهجوم بدلا من ان نترقب العمليات، فقد لا نستطيع الصمود الى ان تبدأ ارتال الجنوب والشرق والشمال والغرب بالزحف نحو ماناغوا. ونعرض قواتنا للابادة نهائيا». ثم اضاف سيمون: «غير ان كل شيء يدل على ان السكان مستعدون». كان الاخرون ما يزالون متشككين .

اعترف انيبال وايزابيل وويللي انهم لم يستخدموا قواتهم العسكرية بخير وجه حتى الان. لكنهم يقدرون انه لمن الجنون ان يخوضوا في مثل هذا الوقت المبكر عمليات بمثل هذه السعة بما لديهم من اسلحة وذخائر. ان ابادتها على هذا النحو المفاجيء ستكون لصالح سوموزا الذي لا يخشى شيئا على مؤخراته. ثم طلبوا من مسؤولي الجبهة الداخلية :«امهلونا ٢٤

ساعة لنحاول تنمية عملياتنا العسكرية في اتجاه الخطة المقررة منذ البداية» ثم قرروا شن سلسلة من الهجمات يوم الجمعة في ٨ من الشهر على المطار في الشرق ومصفاة البترول في الغرب، والقيام بعمليات ثأر من الوشاة والجلادين في احياء مختلفة .

الجمعة ٨ حزيران ـ لم يتوصل الرفاق المكلفون بتدمير القوات الجوية النيكاراغوية الى الاقتراب من هدفهم بما يكفي، وكان لديهم مدفع هاون صغير عيار ٦٠ وثلاث قذائف فقط . ولم ينفذ الهجوم على المصفاة ابدا لكن كافة العمليات الاخرى تمت كما هو مقرر. لاحظ السكان حركة عسكرية غير طبيعية في العاصمة. لم يكونوا يتوقعون غير ذلك. ان تجارب الاشهر الاخيرة ادت الى ظهور مثل شعبي بليغ : الاضراب تفوح منه رائحة العنف والبارود. وبوضوح : الاضراب اعلان للثورة الاهلية المسلحة. خرج الناس الى الشوارع في اماكن عديدة وراحوا يقيمون المتاريس، وافاقت المدينة في الساعة ٩ وقد ثار نصفها. ولم تتمكن بعض الوحدات التي اشتركت في معارك العشية من الانسحاب لتعود الى قواعدها .

السبت ٩ ـ حزيران ـ اجتمع المسؤولون العسكريون عن ماناغوا والجبهة الداخلية. كان لا بد من اتخاذ قرار .

المبدأ الاول : الثورة الشعبية المسلحة. لا يمكن التردد بها. اندفع المدنيون من ذاتهم الى الثورة. احتلوا الشارع . ما ان يرفع رفيق طرف سلاحه حتى تثور الحماسة ويكون الهذيان. لا مجال لترك الشعب يواجه وحده الجيش السوموزي الذي اظهر مرارا عديدة كيف يتصرف في مثل هذه المناسبات .

المبدأ الثاني : ان ضرورة اشتباك اكبر في ماناغوا، التي تمثلت في بداية الاسبوع، للتخفيف عن الجبهات الاخرى، قد تأكدت. وتلح القيادة القومية على هذه النقطة .

المبدأ الثالث ـ وهو من ضرب عسكري بحت ويحتل مركز المناقشة: لدى الساندينيين اجمالا، في العاصمة كلها، ٥٠٠ سلاح ناري، ٣٠٠ منه غير عضوي، تنقسم بدورها الى ١٥٠ سلاحا قصيرا: مسدسات عادية ومسدسات طاحون و١٥٠ سلاحا طويلا : بنادق صيد وبنادق «٢٢» وكربينات ذات طلق واحد. ولكل سلاح آلي حربي اقل من ٢٠٠ رصاصة، اما الاسلحة الثقيلة، او ما يزعم انها كذلك، فهي خمسة رشاشات خفيفة وست بازوكات اربي جي ٢ لها ٦٠ قذيفة اجمالا. انها تدعو الى

الضحك ، لكن الجميع يعرفون ذلك ، ومن العبث الاصرار على أكثر من ذلك. والمسألة هي معرفة كيفية استخدامها بوجه اكثر نجاعة .

الجواب الوحيد اذا : تركيز هذه الاسلحة بأقصى حد، والا سيتمكن العدو من القضاء على جيوب المقاومة واحدا واحدا.

القادة امام خارطة العاصمة التي يعرفونها عن ظهر قلب، المخطط الاول، ويمكن للحرس الوطني ان يعرفه، وقد اقر اعلان الثورة المسلحة في الاحياء الغربية. فسكانها مقاتلون، ومبانيها السابقة قبل زلزال ليون صلبة ومتقاربة فيما بينها. وفيها تتفاعل العوامل العسكرية والسياسية بأفضل وجه. هنالك مسألة وحيدة. يحتل جنود النخبة الارض وتركيز الساندينيين ممكن غير انه قد يكون في غاية الصعوبة فلا يعود لعامل المفاجأة من اثر .

تقرر حل اخر لكنه ظهر منذ البداية اقل جودة : احتلال الاحياء الشرقية ، سكانها بروليتاريون ومقاتلون ، لكن بيوتها حديثة ونوعيتها اقل جودة وتفصل اغلبها عن بعضها البعض اراضي خالية هامة تشكل صعوبة اكثر في الدفاع. غير ان لها ميزة مع هذا. فاحتلال هذه الاحياء يتيح قطع الطريق الذي يربط بين النقطتين اللتين تتركز فيهما افضل القوات السوموزية. وتشكل مجموع القوة العسكرية المحيطة بمعقل الديكتاتور المحصن ومطار لاس ميرسيدس الدولي، مركز القوة الجوية النيكاراغوية.

دارت المناقشات طوال النهار والليل . لم تكن حول المبدأ الى هذا الحد ، انما حول انماط التنظيم وتوزيع القوات . حدد آنيبال وايزابيل وويللي منطقة بكاملها فوق الخارطة . درسوا تقاطع الشوارع واحدا واحدا والنقاط الثانوية الاهمية .

في ليلة ٩ ــ ١٠ الشهر انجزت الخطة النهائية . اعطيت الاوامر للوحدات المقاتلة بالتحرك نحو الاحياء الشرقية . باستثناء مجموعات صغيرة ظلت خارج المحيط الثائر لتنقض على الحرس الوطني وتنهك مؤخراته . وكان على المسؤولين السياسيين والعسكريين للجبهة الساندينية ان يدخلوا المحيط المحرر يوم ١١ الشهر في نهاية الصباح .

الاحد ١٠ حزيران ــ يوم مجنون ومأساوي . استدعي المسؤولون العسكريون في النزعات الثلاث الى الاركان العامة . لقد اعلموا بقرار اعلان الثورة المسلحة الشعبية يوم غد ،وخلافا للخطة الاصلية وما لديهم من سلاح . لكن واحدا من الثلاثة فقط امكنه ان يقوم بمهمته . فقد صرع احدهم ليلا قبل ان يتمكن من نقل التعليمات ، وحوصر

الثاني في سان خوداس واسر ثم قتل بعد ايام قليلة . وهكذا فقدت الاركان العامة ، حتى قبل ان تبدأ المعركة ، اثنين من مسؤوليها العسكريين الذين وضعوا فورا تحت اوامرها . كانت النتيجة المباشرة : دخل المنطقة الثائرة جزء فقط من الاسلحة ، القليلة العدد من قبل ، التي بأيدي الساندينيين .

بدأ الذين تلقوا الاوامر بالتحرك في شروط لا تصدق . ففي مدينة مقفرة عمليا يتجول فيها الحرس في كل الاتجاهات ، يترصد اقل حركة مشبوهة ، كان عليهم ، من غير ان يفككوا الوحدات المؤلفة ، ان يجتازوا احياء بكاملها باسلحتهم وحقائبهم . لكن ابداعهم وشجاعتهم قد تجلتا الى حد كبير .كانت وسائلهم كلها جيدة . استخدم بعضهم سيارات اخفوا في داخلها اسلحتهم ولجأ غيرهم الى عربات يدوية صغيرة كالعربات التي يستخدمها وقت السلم الباعة المتجولون ، وفي هذه الاوقات من الحرب ، العائلات المهاجرة من حي لآخر او مدينة لاخرى هربا من الدمار والمجازر . ومن لديهم سوى مسدس طاحون او مسدس عادي امكنهم ان يتوجهوا مشيا . فاذا اعترضت صعوبة ، لا مجال من العودة . اسلحتهم كلها مستعدة للاطلاق . هدفهم الوحيد هو الوصول الى الاحياء الشرقية .

كان وصول كل من هؤلاء المقاتلين وهذه الوحدات الى المنطقة الثائرة نصرا ، مثل توجههم سرا ، مشحوبا بالتوتر . اقيمت المتاريس ليلا وقد حرسها صبية سلاحهم الحجارة وقذائف مولوتوف . كان الهذيان ينطلق ما ان يصل مقاتل « حقيقي » وتخرج بندقية من تحت فراش او صندوق سيارة : « آه لقد جاؤوا ! انهم يأتون بأسلحة ! » ويندفع الجميع معتقدين ان الرفاق سيوزعون السلاح بحد كثيف . لم تكن تنقصهم الرغبة ، بيد انه اذا اجرينا حسابا ، علينا ان ندرك ان ١٥٠ مقاتلا مسلحين ومنظمين بالكاد امكنهم ان ينفذوا الى الاحياء الشرقية . وما يزال قرابة ٧٠ سلاحا عضويا يتجول في العاصمة . وهو قرابة ثلث مجموع اسلحتهم. ولهذا لا مجال من الرجوع الى الخلف .

الاثنين ١١ حزيران ـ ما ان وصل آنيبال وايزابيل وويلي الى المنطقة الثائرة ، وهم ثلاثتهم الذين يؤلفون الاركان العامة لماناغوا، حتى احصوا قواتهم وتحققوا من ان المقاتلين واسلحتهم في افضل اماكن ممكنة . ثم استدعوا المسؤولين في وحدات تعبئة المعركة .

ـ ايها الرفاق ! تعرفون اننا هنا لتجميد الحرس في العاصمة

وتجميد اكبر عدد ممكن من رجالهم ، بينما ساندنيون اخرون ينهون تحرير مختلف المحافظات . طلبت الينا القيادة القومية ان نصمد ثلاثة ايام ، فهي تعتقد انه من هنا الى هنالك يمكن للحلقة الستراتيجية ان تبدأ عملها .

تدخل بدوره روك ، العضو في القيادة القومية والاركان العامة للجبهة الداخلية :

ـ انتبهوا جيدا الى هذا . نحن نخوض حربا ، في طريق مستحيلة من وجهة النظر العسكرية ، لكن مخرج الثورة يتعلق بنجاحنا الى حد واسع . نحن نعرف كيف يمكننا ان نعتمد على انضباطكم وقتاليتكم وروح تضحيتكم . باسم القيادة القومية والاركان العامة الموجودة كلها هنا ، من واجبي ان اقول لكم ان حظنا الوحيد من النصر هو ان ننسى الى الابد المناقشات في النزعة . منذ الآن ، لا يمكننا ابدا ان نسمح لانفسنا باحترام مشاعر هذا او ذاك . معيارنا الوحيد هو النجاعة ، وهذا كل شيء . افضل الاسلحة والمقاتلين سيعهد بهم الى الاماكن الاصعب والاهم . نحن أقل عددا مما نفكر . وسنعيد بناء وحدات تعبئة المعركة احتمالا ليس تبعا لمنتمياتها السياسية وانما للمسائل التي علينا ان نحلها . ايها الرفاق ، لقد عشنا النزعات. ان تفهمها واستخلاص نتائجها كلها هي حظنا الوحيد من النصر . فاذا سلكنا العكس ، لن يكون مصيرنا الموت فحسب انما الفشل ايضا .

كان الخطاب مفيدا فقد تم الحساب بسرعة ، عليهم ان يدافعوا عن منطقة مساحتها ٨ كم٢ تقريبا ، اي ما محيطها ١٦ كيلومترا . يمكنهم اذا ان يعتمدوا على سلاح حربي خفيف ومقاتل مدرب في كل ١٠٠م. في قلب تشكيلة قتال الحرس الوطني بالذات الاشد كثافة . على مرمى من مدافع هاون وطائرات المطار .

« الثورة الشعبية ! الثورة الشعبية ؟ الثورة الشعبية ! » كان جوليو تدور في رأسه هذه الكلمة وتدور . لقد كتب حول هذا الموضوع منذ اعوام . يحلم بها ليلا . كان قد أعد هذه الثورة الشعبية مع اعضاء القيادة السياسية لحركة الشعب المتحد ، مويزس وماركو انتونيو . يعتقد به الرفاق جميعا انه اخصائي بها . ومع هذا ، حين نفذ مع رفيقيه الى المنطقة المحررة كان اشبه بمخنوق . شعر انه صغير ضيق ، يدعو الى السخرية ، صغير جدا ، أقل من لا شيء . لقد

أسهم بجعلها ممكنة ويريد امام الحقيقة ان يتشبث بكتبه . لكن لينين كتب كثيرا ليمكن احتواء كتبه الكاملة في مثل هذه الظروف .

انه يفهم . جلس فوق اول متراس واجهه ، ينظر ويفكر . هيئته القوية وسلطته كمدرس جامعة لم تفده شيئا . استقبله الثائرون صائحين :« ها هم اولاء الرفاق الساندينيون ، لقد وصلت الاسلحة !» خرج الاطفال والنساء والشيوخ من بيوتهم واندفعوا مصفقين . امسك جوليو بيد ماركو ـ انتونيو وقال له والدموع تبلل عينيه : « هذا امر كبير جدا ايها الاخ ، امر كبير جدا ! » لكن ليس لديهما وقت يضيعانه فتوجه الاثنان بلا ابطاء الى المكان الذي يجدان فيه الاركان العامة . تبعهما جولو شاردا في افكاره . انه يعرف جيدا ان عليهم ان ينظموا هذه الفوضى كلها ويشقوا اقنية لهذه الحماسة الشعبية التي تجاوزتهم . غير انه احس بالفراغ فجأة . لم يعد يعرف ابدا كيف يتصرف . ان الحل الوحيد هو ان يعود الى الصفر بتواضع لولاه لا يمكن انجاح اية ثورة . فكر ، كماركسي جيد ، بأولوية الممارسة ،اذا ضرورة مراجعة كل ما كتب حول الثورة على ضوء الثورة نفسها . ان الحقيقة ليس لها اعتبار كبير عند النظريين .

شاعت بسمة في وجهه للحظة قصيرة . سأله ماركو ـ انتونيو : « ماذا يجري » . تسحقني سعة الظاهرة . حطمت ساقي . غير اني لا استطيع ان امنع نفسي من التفكير بمفاجأة هذا البورجوازي المعارض الذي قال لي ، قبل ايام من اعلان الاضراب العام ، ان الجبهة ارتكبت خطأ فادحا ،وشجاعتنا السياسية في البلد ما تزال غير كبيرة . وكان مقتنعا بأننا لم ننجح في وقف عمل السكان كلهم ، باستثناء عشرات من المناضلين ...

اضطر ماركو ـ انتونيو للابتعاد ولبث جوليو وحده يبذل جهده ليعرف . بعد ايلول ١٩٧٨ ، الذي أظهر امكانية حياة الثورة الشعبية المسلحة ، نشأت حركة سياسية مزدوجة : التقارب بين مختلف النزعات ، رافقته قناعة من الجميع بأن الكفاح النهائي لا يمكن خوضه من غير مشاركة الشعب الكثيفة . وتجسدت هاتان الصورتان بنشوء حركة الشعب المتحد ، المنظمة الجماهيرية التي قامت بدور حاسم في تقريب المعايير السياسية للنزعات الثلاث . وتم التوفيق تحت الضغط الشعبي وممارسة يومية قامت بها قيادة مشتركة نواتها اللجنة الساندينية للمجلس البلدي : مويزس عن « الحرب

الشعبيـة المستمرة » وماركـو ـ انتونيـو عن « الثوريين » وجوليو عن « البروليتاريين » .

هذه الوحدة الساندينيـة مع رؤيـة واضحـة للستراتيجيـة التي يجب اتباعهـا همـا اللتـان اتاحتـا للجبهـة ان تحقق ، في اطار « حركة الشعب المتحد » ، بحمل عمل الاعداد للثورة الشعبيـة المسلحة وكسب الشرعيـة التي تلقتهـا يـوم ان دعت الى **الاضراب العام** . وكـان للقـدرة على اعطاء **توجيه وحيد** ، في منظمـة ظلت مترددة وقتا طويـلا ،دور حاسم في تسارع الاستعدادات الاخيرة .

واستخلص جوليو ، ان أهم ما في ذلـك كله هـو ان الجبهة قـد تخلصت في الوقت المناسب من **التعقيدات المتعلقة بالاقليات** التي كانت تعاني منهـا معظم المنظمـات الثورية . وقـد اظهـر نجاح الجبهـة في دعوتهـا وحدها الى الاضراب العام ان التناقض ليس ملزمـا بيـن الخط السياسي الجـذري والتأييـد الشعبـي الواسع جدا . ثم اعلـن بسرور : « اعرف من ذلـك من هم الذيـن سيعيدون الاعتبار بمخططاتهم السابقة » .

كان ماركـو ـ انتونيو يمشي على بعـد قليل غارقا في افكار مماثلة. أظهـر تأثرا اقل ، يخفيه تحت جلده القاتم وشاربه الضخم الاسود ،لكنه، كغيره ، تأثر الى حـد عميـق حين اجتاز اول متراس . عاد يفكـر فـي مناقشاته مـع جوليو وموريس عندمـا تلقوا امرا بتكثيف جهودهم ، قبـل ثلاثة اسابيع من اعلان الاضراب العام . قرروا آنذاك ان يكون دافعا لهـم لطرح مسألة جهاز الدولة للمناقشـة بأبسط شكل : برفض دفع ثمن الماء والكهرباء والضرائب . ويتذكـر ماركـو ـ انتونيو ، وكأن القضية كانـت بالامس ، مناقشة فـي هذه المناسبة مع مسؤول من شبان « حركة الشعب المتحد » ، كـان قـد استدعاه ليعلـن لـه عـن شن حملـة عنوانهـا : « لا ندفع نقودا للديكتاتوريـة ابدا » . رد عليه الشخص : « لكـن هـذا ما نفعله ! » فقـد فعل ذلـك شعب ماناغوا منذ وقت طويل سلفا . فلكي يديـن جهاز الدولة ، كمـا يقول المناضلون الحقيقيـون ، وجـد من تلقائه ان افضل حل صارخ منظور ، وأقل مـا يمكـن مناقشته ، هو ان يحطـم كافـة عدادات الماء والكهرباء العامة ويطليهـا باللونين الاحمـر والاسـود للجبهـة الساندينية .

ثم اخبرت القيادة القوميـة ان الاضراب ليس غير مسألـة اسابيع . عندئذ نظمت حركـة الشعب المتحـد ندوات كل يـوم سبت من أيار . جاء ١٧٠ مسؤولا من المناطق او الاحياء يمثلون لجان الدفاع المدني ولجان دفاع

العمال (المماثلين للجان الدفاع المدني في المصانع او المؤسسات) وتلقوا آخر التوجيهات ومبادىء التدريب الضروري لحسن سير الثورة (دروس في الاسعاف ، مثل الاسعاف الاولي العاجل ، كيفية العناية بجرح رصاصة ، الخ .)، ودروس في الدفاع المدني (المتاريس ، الخنادق ، التنظيم في اطار تجمع بيوت ، الخ .) . ولم تكن الخطب السياسية الكبيرة ضرورية .

قال ماركو ـ انتونيو : « ١٧٠ ! كنا مجانين تماما . والاكثر من ذلك في مدرج » . وجد مهووسو العمل السري في ذلك ما يتنازعون. فاطلع الحرس الوطني بالضرورة على ما تم في القاعة . ويتذكر ماركو ـ انتونيو تردده ومناقشاته مع الرفاق الاخرين واستخلاصهم: ليس من معنى لتدابير الامن ، فالحركة كانت تسير ويجب عمل كل شيء ليتاح كسب اكبر قوة ممكنة . حتى انه انساق مرة ايضا الى تحطيم المخططات التقليدية جدا ليعطي اعظم حيوية للهجوم .

اجتمع ماركو ـ انتونيو وجوليو في زاوية من شارع بليا وغلوريا وهما تتناقشان مع مجموعة من النساء ، تحاولان ان تضعا معهن قائمة بالمهام العاجلة جدا . كانت احدى المصاعب غير المتوقعة وجود عدد كبير من الفتية جاؤوا من احياء اخرى من المدينة هربا من القمع ولينضموا الى المعركة . فخلقوا شيئا من فيض في السكان لا بد من تنظيمه .

ليا رفيقة جوليو . كانت منهمكة في مهامهما المتماثلة فلم يجتمعا منذ اشهر عديدة . استوضح جوليو عن الشكل الذي امكنها ان تصل به الى الاحياء الشرقية .

ـ لم يحدث اي اشتباك . لكم كان ثأرنا شديدا حين وصلنا الى المناطق المحررة التي يسيطر عليها الشعب !

كانت هذه المرأة الكبيرة ذات الجلد النحاسي تبتسم من صميم روحها .

« المشكلة البسيطة الوحيدة هي اننا ، انا وغلوريا ، فقدنا حقيبتين مليئتين بكل ما نحتاجه : فرشاة اسنان وورق وبعض الثياب وحتى راديو صغير لالتقاط « اذاعة سانديتو » والمحطات الاجنبية . وصلنا اول متراس بسيارة . وهبطنا لنرى ما يجري في الجبهة الاخرى ، غير اننا ـ لم نستطع الخروج . ـ ثم انهت كلامها وهي تتفجر ضحكا ـ وداعا للراحة .

ليا هي الامينة العامة لامبروناك ، الرابطة النسائية التي قامت بدور كبير في مكافحة السوموزية . كن بورجوازيات تأثرن في البداية بحقوق الانسان ، ثم تجذرن بتأثير المبادىء الساندينية . واستطاعت رابطة امبروناك ان تضم عددا من النيكاراغويات الى الكفاح بعد ان وجدن في كل وقت ان الشكل ملموسا لجعلهن يتأثرن ، بصفتهن نساء ، بالمسائل التي فرضتها الديكتاتورية على الشعب . مثلا ، الامهات اللواتي اصبحن يخفن من اغتيال اولادهن على يد الحرس ، دعين اولا للمطالبة « بحق الحياة » . فتنبهن جميعا الى ضرورة اسناد مطالبهن فوق منظمة جماهيرية قوية . فكان نجاحهن في تجميع كافة اولئك اللواتي اردن ان يسهمن الى جانب ابنائهن وبناتهن بشكل واضح وناجع. ومنذ ثورة ايلول ، أخذن على عاتقهن مسائل الاسعاف العاجل وانشاء صيدليات جماعية .

حين انشئت « حركة الشعب المتحد » ، كانت رابطة امبروناك، بين كافة المنظمات التي اشتركت فيها ، المنظمة التي تتمتع باكثر تجربة شاملة لانها لم تقتصر على القطاع الاجتماعي وحده (العمال ، الطلاب ، مثلا) . فاضافة الى ذلك ، برهنت على حساسية خاصة بأدراك ما تريده الجماهير وتحتاج اليه والمهام التي يجب ان تندفع فيها . وكانت تؤكد باستمرار على ضرورة حشد اكبر عدد من الاشخاص حول مهام ملموسة وواضحة . وكان لنجاعة النساء ، يضاف اليها انضمام الرجال المتزايد الى المهام العسكرية ، قد دفع اللجنة الساندينية للمجلس البلدي الى ان يعهد اليهن ، في الاسابيع الاخيرة ، بجانب اساسي من العمل السياسي . حتى انه اخرج من امانة حركة الشعب المتحد ممثل الحزب الشيوعي وابدله بليا التي كانت تجربتها انفع في هذا الوقت .

لم يكن ذلك صدفة ولا آخر مدد سياسي بسيط قدم للثورة، قبل الاضراب العام ، حين كان عيد الامهات . كان سوموزا ، في مطلع ايار ، قد قرر ان يبدل تاريخه في رابع يوم احد من الشهر ، اي في ٢٧ منه ، فكان من العجيب انه كان « يوم الجيش » . انتقلت امبروناك وحركة الشعب المتحد الى الهجوم وقررتا تحويل عيد الامهات الى يوم حداد ، وكان ذلك هو الوضع الحقيقي لعدد كبير منهن . ووجهت دعوة الى نساء الجنود للانضمام الى نساء الشعب ، اللواتي عليهن ان يحتللن الكنائس ويرفعن فيها الاعلام الحمراء والسوداء . ودعي

النيكاراغويـن الا يقدموا هدايـا ، ويشتركوا ، حيـا حيا ،في موكـب يطوف خلف نعش فارغ ، رمزا لجميع الاولاد الذيـن قتلتهم الديكتاتورية.

الثلاثاء ١٢ ـ الاربعاء ١٣ ـ الخميس ١٤ ... ليس للتواريخ اهمية. حياة الثورة اليوميـة . تألفت لجـان الدفاع واتاحت للجيران ان يتعاونوا ويتساعدوا بأفضل وجه . كانت المؤن الاحتياطة قليلة فوضعـت كلهـا بشكل مشترك . ان احـد خصائص المنطقـة الثائرة هـو مجاورتهـا للسوق الشرقية ، وهي نوع من سوق كبيـر لا يغلق تمامـا ابدا ، فوجه اليه للشراء من لا يزال لديهم قليل مـن النقود . وحاولت بعض عائلات ان تصل عـن طريقه الى الاحيـاء الاقل تعرضـا للخطر . فاستخدم الحرس الوطني ومنظمـات اخرى سوموزيـة شبه عسكريـة الطريـق نفسهـا لتسليل جواسيس . فأخذ الثائرون يعانـون كل يـوم مـن القناصـة والصواريخ وقنابل زنـة ٥٠٠ ليبرة والهجمات بقذائف الهاون ومحاولات انزال بالهيلكوبتر او تغلغل المشاة والمدرعات . وأضاف الحرس الى ذلـك بعض الخاصيـات غيـر الكلاسيكيـة ، مثلا ، تسميمه لبئر سبب الكثير من الوفيـات .

ان للحرب دومـا اوقاتهـا الساخرة التي تختلط في الاغلب بأفـدح المآسي . جرت المسرحيـة في الايـام الاولـى . ظهـرت هيليكوبتر عاليـة جدا في السماء وتجمدت فوق المنطقـة الثائرة . خرج اعضاء الاركان العامة للحظة ووقفوا عند عتبة البيت حيث كانوا فـي ابان عملهم .

ـ عجبا انهم يصورننا ...

كانت في الحقيقة اول قنبلـة من زنـة ٥٠٠ ليبرة .. هـي التـي قررت ان يكـون بامكـان رئيس دولة ان يتمادى جدا ضد شعبه ؟

ود الحرس لو يتمسكـون بمثل هذا التدخل مـن غير خطر عليهـم انهم خائفـون الى حـد الجنون من المتاريس والمدنيين المحتدمين والمراهقين غيـر الواعيـن الذيـن أخذوا ينتظمـون في التطوع وهؤلاء المقاتلين الذين يهابـون فعاليتهـم : انهـم الرتل المتحرك بقيادة القائد شومبو .

ربما يكـون شومبو ، في التواضع السانديني ، اكثر المتواضعين . ليس كبيرا جدا ، خلاسي هندي ، وابن مرمم طرق متعلم لا نظيـر لوعيه السياسي . لكـن الفرصـة سنحت كثيرا . لشومبو ليكـون فكـرة عـن اهوال الديكتاتوريـة في الاحياء الفقيرة من العاصمة . رأى جارته الحبلى يصرعهـا الحرس بينمـا كانت تشتري مفرقعات صغيرة بمناسبة عيد ميلاد ابنهـا . بدأ في الرابعـة عشرة من عمره بالعمل مع الجبهـة ثم انضم الى

الكفاح المسلح واشترك في كافة المعارك الكبرى التي خاضتها منظمته .

كان في المنطقة الثائرة منذ ٩ حزيران . كانت بدايته صعبة . لم تصل البنادق المرتقبة ، لكن شابا متطوعا ، في حزامه مسدس ، طلب ان تعاد اليه الاسلحة من البيت الذي كان ما يزال يختبىء فيه شومبو . ولم يكن من السهل جعله يسمع صوت العقل .

ادرك روك وسيمون بعد ايام ان التشكيل الذي وضعوه حول المنطقة ليس كافيا دوما ، فيجب الاحتفاظ ببعض المقاتلين لتعزيز الضعيفة عند الضرورة . لهذا انشأ الرتل المتحرك . بدايته ١٨ رجلا و٥٥ عند الانسحاب ، مسلحين بقدر ما يمكن . والمسؤول السياسي امرأة : كارمن ، لم تطع اوامرها في الايام الاولى .ان الميكافيلية تكره .

سرعان ما اطلقوا في الاحياء الشرقية على الرتل المتحرك اسم: « لاموبيل » ، وكان دائم النشاط طوال الليل والنهار بلا انقطاع. حين يصبح الوضع خطيرا في قطاع ، يشعر المسؤولون الاركان العامة التي تطلب الى شومبو ان يتوجه اليه ، آناء الليل واطراف النهار . يتولى بنفسه قيادة العمليات الى ان ينسحب الحرس . كان الرتل المتحرك لا يتاح له الوقت في الاغلب ان يصل الى قاعدته التي يجب ان يعود منها الى نقطة اخرى مهددة .ولقد تعلم المقاتلون الذين يؤلفونه في ١٩ يوما ما لا يمكن ان يتعلموه خلال سنوات عديدة في مدرسة حربية. لقد بلغت به الكفاءة ان يهزم الحرس الذين اقتنعوا ان هذا الرتل المتحرك الذي يحدثهم عنه جواسيسهم وشهدوا نجاعته ، يتألف من عدة مئات من الرجال . حتى ان شومبو توصل في الايام الاخيرة الى القيام بعمليات خارج المنطقة الثائرة .

ولقد قام المقاتلون المحنكون ، المتأهبون في نقاط ستراتيجية من المنطقة المحررة ، وهم الرتل المتحرك ، بدور عسكري من الطراز الاول ، لكنه لم يكن كافيا تجاه هجمات الحرس الوطني لولا تنظيم السكان السياسي . حين زالت العاطفة ، كانت دهشة ليا وغلوريا كبيرة،بعد وصولهما الى الاحياء الشرقية ، حين اكتشفتا ان السكان يعرفون ما يجب عليهم عمله . فما انجز من عمل تنظيمي قبل اعلان الاضراب ، رغم قلته تجاه سعة الثورة ، قد حمل ثماره بوفرة استوائية كليا. واشد ما يذهل ايضا ان لجان الدفاع المدني والعيادات والصيدليات قد أعدت منذ اشهر عديدة في الاحياء المحيطة بالحي الثائر ، هو ان هذا

الحي لم يكن فيه غير ادنى حد من السرية .

لهذا توجب تنظيم السكان حول مهام ملموسة جدا ، مثل البناء المنظم للتماريس والخنادق والملاجىء من الغارات الجوية . وقد ارتدت هذه اهمية نفسية كبيرة كانت نتائجها السياسية واضحة . فقد شعر بفضلها المدنيون انهم اصبحوا اشد امنا وتخلوا عن الهجرة من ذاتهم . ووزعت نشرات ايضاحية واخبارية بقدر ما سمح به احتياطي الورق من وقت . وكانت مكبرات صوت تتنقل من مكان لآخر ، استخدمت للغاية ذاتها ولارهاب جنود الحرس الوطني في الناحية الاخرى من المتاريس .

غلوريا فتاة نحيفة جدا من عائلة طيبة . اخواها من قادة الجبهة الساندينية لكنها شعرت بضرورة خلق الثورة بوسائلها هي ، بمناقشتها ، في كلية في الولايات المتحدة حيث كانت تدرس ، مع طالبة ارتيرية مسائلها تتشابه الى حد غريب مع مسائلها وقضيتهما مشتركة : الامبريالية . وبعد ان اشتركت ، في اطار امبروناك ، في الاعداد للثورة الشعبية المسلحة ، وجدت نفسها ، بين عشية وضحاها، مسؤولة عن تنظيم المتطوعة . وصرفت نفسها كلية ، كغيرها ، الى تحقيق مهمتها . فوجدت فيه، اضافة الى ذلك ، أحد افضل رموز الثورة ، من حماسة شعبية تجلت بقدوم فتيان جماعات هربا من القمع ورغبة في القتال للاطاحة بالديكتاتورية ، وضرورة معالجة المهام العسكرية (مساندة المقاتلين والمراقبة الداخلية للمنطقة المشكلة تجمع بيوت وحياة الثكنة والتدريب ، الخ) والمهام السياسية في وقت واحد (الاستفزاز والدعاية وتنظيم السكان ، الخ). كما ان المتطوعين والمتطوعات هم ايضا اوضح بيان على الشجاعة التي برهن عليها النيكاراغويون طوال هذه الحرب . كانوا يحملون حجارة وعصيا وقذائف مولوتوف ، فنجحوا في الاستيلاء على ثكنة الشرطة المركزية في محيط المنطقة الثائرة .

ولن تنسى غلوريا الفكاهة التي رواها مقاتل لاحظ ان متطوعا يتبعه منذ ايام كظله . فسأله اخيرا : « لماذا تلاحقني ؟ » « انتظر ان تسقط لاستعيد سلاحك ! » وهي مقتنعة انه لا يمكن تفهم هذه المقاومة التي لا تصدق التي ابداها الثائرون في ماناغوا اذا لم نعرف الدور الذي قام به المتطوع ، الذي يضطر في الاغلب لان يجابه وحده او تقريبا هجمات الحرس . ولقد كان خوف هذا الاخير الجنوني افضل

سلاح للساندينيين . اما الكلاب ، اذا ما تصوروا انفسهم انهم اصبحوا في المنطقة الثائرة ، فذلك يعني انهم وجدوا انفسهم وقد مزقوا في الحال اربا اربا . انها حقيقة تشل افضل المشاة . وتؤكد غلوريا : « وسائلنا العسكرية تافهة . والخنادق والمتاريس مقامة خلافا للمنطق السليم . لكن دفاعنا الاساسي هو طيف الثورة الشعبية التي رمزها المتراس الذي يقف خلفه المقاتلون والمتطوعون والمدنيون المستعدون للقتال من غير شيء ، انما حتى النهاية » .

الاثنين ٢٥ حزيران ـ ان لم يكن ٢٦ ، ٢٧ او حتى ٢٨ منه . ان اي شخص في المنطقة الثائرة ليس لديه اقل فكرة عن التاريخ الصحيح . كل الارواح والاجساد تعمل منذ وقت طويل حول هوس واحد : الصمود والحياة . لا احد ينام ، لا أحد يأكل ، والشروط الصحية اصبحت مأساوية . الجثث تتكدس . لا أحد لديه القوة ، الشجاعة ، الطاقة على دفنها . قرابة ١٢٠٠٠ شخص وجدوا حتفهم منذ بداية الثورة . الوضع اصبح لا يطاق . والمدنيون لم يعد بقدرتهم شيء . أخذوا يغادرون الاحياء الشرقية جماعات . ولم يعد لدى المقاتلين عمليا من ذخيرة ابدا . لكم بينهم من يقف فوق المتاريس صامدا بسلاح فارغ ؟ جاؤوا باحتياطي لثلاثة او اربعة ايام . كان ما استولوا عليه من قليل، وما انزله اليهم الطيران الساندينى ، ليلة ٢١ حزيران ، قد مكنهم من الصمود وقتا اكثر قليلا . لكن الحد بلغ نهايته الآن . واخذت مدحلة الجيش السوموزي تتحرك ببطء . وازالت صباحا عدة متاريس الدبابات الهجومية ، وقد كدس فوقها مدنيون بالقوة ليكونوا ترسا . اصبحت النهاية قريبة ولا بد من اتخاذ قرار .

اجتمعت في مقرها العام الاركان العامة للجبهة الداخلية والاركان العامة لماناغوا ولما يسمى الآن القوات السياسية (التنسيق الساندينى السابق للمجلس البلدي) وحاولوا تحديد الوضع . كانوا على اتصال مستمر بالقيادة القومية والمسؤولين في كل من الجبهات الاخرى التي تقاتل في البلاد . استمر الاجتماع والاتصال بالراديو ساعات ، بكل وضوح ، بينما كان اخصائيو الحرس يستمعون اليه بوضوح . ان الخيار بسيط ، لكن المقامرة جسيمة . ان ظلوا ، يمكن للثائرين ان يقاوموا اياما قليلة ايضا لكنهم سيسحقون جميعا حتما قبل وصول الارتال الاخرى . والمخرج الوحيد ، وهو مشكوك فيه جدا ، هو مغادرة العاصمة ومحاولة الوصول مشيا الى مدينة مازايا الواقعة

على بعد ٣٠ كيلومترا . لكن المسألة هنا ايضا مسألة مخاطرة، ففي ارض مكشوفة ، وضد جيش نظامي ، يمكن ان يبادوا بأسرع ايضا مما في حرب الشوارع . فمن يجرب حظه ؟ ان المسألة في غاية التعقيد. ان جميع من اشتركوا في هذه المناقشة يشعرون بأن مصير الهجوم النهائي ، فانتصار الثورة اذا ، ربما يكون في القرار الذي يتخذونه .

كانت معركة ماناغوا ، من وجهة النظر العسكرية ، البوتقة التي انصهرت فيها القوة المقاتلة الاستثنائية التي يمكنها ان تقوم بدور حاسم في اعقاب الحرب ، بسبب عددها وتلاحمها وقتاليتها . غير انه قد يكون للانسحاب نتائج مأساوية على المدنيين . سيضطر معظمهم للبقاء حيث هم وحينئذ يتعرضون لعمليات التنظيف ، التي قد تكون أشد رهبة مما مضى ، بالنظر لشدة المجابهة . ان قرارهم الذي يتخذونه لرهيب واشد الما من اية قرارات اخرى اتخذها القادة الساندينيون منذ عشرين عاما . صرخ احد القادة بالراديو :«على هذا النحو وكأننا نتخلى عن الجماهير !» ان مشروع الثورة كله ومعنى كفاحهم كله وتضحياتهم مُصيرها خلال ساعات . كانت تقديراتهم حول ما سيستغله سوموزا من وراء هذا الانسحاب ، وتبجحاته التي لن تفوته امام الصحافة الدولية ، هي بالمقارنة خطر اقل .

غير ان ما يهم الجماهير هو النصر قبل كل شيء . بينما كانت المناقشة متواصلة ، وقبل ان يتخذ قرارا ، أعطت القيادة القومية امرا للمسؤولين في القوة الجوية الساندينية بالقاء ذخائر واسلحة ليلا للثائرين ليكون حظهم اكثر في النجاح بنفوذهم . وفي ماناغوا ، طلب الى القوات السياسية ،التي اصبحت منذ البداية « ميزان الحرارة السياسي » ، التوجه والقيام بعملية سبر في المتاريس واختبار قتالية المتطوعة ، من غير الكشف ، طبعا عن انسحاب متوقع . كان آنيبال في زاوية ، وقد كلف بوضع خطة اذا اصبح القرار ايجابيا .

اخذ جوليو وليا وغلوريا وماركو ـ انتونيو وموريس يتنقلون من خندق لاخر ومن متراس لآخر يسألون المتطوعين : « اذا كان يتحتم علينا ان نقاوم حتى النهاية لنخرج من الحرب مع تعرضنا للابادة جميعا ، ماذا انتم فاعلون ؟ » كانوا يتلقون الرد نفسه دوما : « حتى وان كنا لا نملك غير الحجارة والسكاكين ، سندافع بيتا بيتا ولا نقدم لهم هدية بيتا واحدا » . حتى ان الكثيرين اقترحوا الانتقال الى الهجوم ومهاجمة الحرس في ثكناته بالذات .

نجحت القوة الساندينية بعملية الانزال . عرض آنيبال خطة للانسحاب ، واعلنت القوات السياسة ان المتطوعين على استعداد لكل شيء . عندئذ اتخذ القرار بالرحيل غدا عند سقوط الليل . غير انه لا يمكن مع الاسف ترحيل جميع الناس . سينسحب فقط المقاتلون والمتطوعون المنظمون حقيقة والجرحى والقوات السياسية . فعلى آنيبال ان يقوم بدوره الآن .

آنيبال في الرابعة والعشرين ، طويل ، نحيف ، شديد الحيوية. سليل اسرة بورجوازية كبيرة ، شعر بمآسي بلده بفضل نشاطات الكنيسة الاجتماعية ، التي اشترك بها . ويتحمس الآن للمسائل العسكرية ومسائل التنظيم . هدفه الرئيسي اليوم ايصال اكبر عدد من المقاتلين والمتطوعين الى الارض المحررة . وهو يعرف انه لا بد وان يواجه اثناء السير ضغطا متزايدا من العدو ، في حين ان عددا كبيرا من المدنيين سيحاول اللحاق بالانسحاب خوفا من المجازر . والتنظيم هو الخط الوحيد من النجاح . بيد انه يجب خرق خطوط العدو في المقدمة واحتجاز المطاردين في المؤخرة . قسم الوحدات السبع التي تتألف منها القوات الساندينية في ماناغوا الى ثلاث مجموعات : المقدمة والمؤخرة. والقلب . يوضع معظم المقاتلين في الطرفين النهائيين،بينما يؤمن القلب سير القيادة السياسية والجرحى،يحمه رتل شومبو المتحرك الذي تعتمده الاسلحة الثقيلة المتوفرة . ولا بد من اجتياز ثلاثين كيلومترا مشيا في أرض مكشوفة تحت هجمات العدو ، يقطعها ١٢٠٠ شخص تقريبا انهكتهم تسعة عشر يوما من الحرب والحرمان . سيصبحون قرابة ٦٠٠٠، يشتركون في الواقع في أشد ملحمة غرابة في هذه الحرب التحريرية.

الاربعاء ٢٧ حزيران ـ الساعة ١٧ ـ احتشدت القوات السياسية، التي عهد اليها بالجرحى ، امام المقبرة الشرقية . لديها بعض محفات، لا تكفي للجميع . فأعطيت افضليتها للمقاتلين الذين لا حظ لهم ابدا من التخلص اذا سقطوا بأيدي الحرس . غير انه من لديه محفة لديه حمال . وفوق ثلاثين كيلومترا ! لا بد اذا من توقع فرق يمكنها ان تتناوب العمل ، لا تقل عن ٥٠٠ شخص .المتطوعون قليلون ،والخوف شديد من الا يتمكنوا من الهرب اذا وقع هجوم .

الساعة ١٨ ـ تأخر الوقت ساعة والجميع ليسوا هنالك . جاء

مقاتل وقال لجوليو : « اما ان تأتوا الآن او تظلوا » .

الساعة ١٩ ـ الوصول الى نقطة التلاقي العام . لبثت غلوريا صامتة فزعا . هنالك الكثيرين من الناس بحيث يشكلون مظاهرة سياسية . الشارع غاص بهم . جاء الناس من كل مكان ينضمون الى المقاتلين ، من شيوخ ونساء ، واطفال صغار جدا احيانا ، لم يكن اي أحد قد أشعر بذلك لكنه كان يدرك . الفوضى شاملة . يظهر انه يستحيل تنظيم هذه الكتلة المذعورة . حاولوا تنظيمهم عشر مرات، فكان الفشل عشر مرات . النظام والفوضى ينصهران في كل اتجاه . حتى الفرق المؤلفة ، التي اعتادت الانضباط ، تفتت اخيرا وتاهت في الليل .

راح القطيع يمشي اخيرا . جهد بعض المقاتلين في تنسيق التحرك وفرض الصمت . استغل بعضهم فترات التوقف المتوالية ليتمددوا . فناموا من غير ان يدركوا ذلك وأفاقوا ليجدوا انفسهم وحدهم وسط الليل . فاذا اجتمع صدفة اشخاص يعرفون بعضهم بعضا ، الفوا فرقا صغيرة ، وحين بزغ الفجر ، كانت الجماعة ، التي ما انفكت تتقدم منذ العشية ، قد بلغت ادنى تلاحمها . كانوا لا يقل عن ١٥٠٠ في الرتل المركزي فقط ، الذي توصل الى الاحتفاظ بشيء من وجوده ، في حين شردت بعض المجموعات تماما ، وتجاوز بعض عناصر من المؤخرة المقدمة .

الخميس ٢٨ حزيران ـ الساعة ٥ ـ حدثت اول مناوشات في النهار . أصوات المعارك تسمع من بعيد . صدر الامر بالانبطاح ارضا والتزام الهدوء . انصاعت مقدمة الرتل لكن مؤخرته كانت اقل انضباطا . حاولت مجموعات صغيرة ان تهرب من جهتها . أبدى بعض افراد خوفهم بالصياح ، وراح غيرهم يصغي الى الراديو بلا وعي ... وأفلت الزمام .

أخذ روك يروح ويجيء بين مقدمة الرتل وآخره . انه يدرك انه يستحيل حشد الناس جميعا وانجاح المشروع من غير فرض السلطة العسكرية . أصدر امرا الى بعض المقاتلين ان يقفوا عبر الطريق فلا يدعون احدا يمر الا من يقبلون ان ينتظموا صفا . ويهددون العصاة بأسلحتهم عند الضرورة . ان حياة الجميع في خطر . كانت هذه هي المرة الاولى التي قام فيها الثائرون الساندينيون بمثل هذه التجربة التي ستترك فيهم ذكرى رهيبة . لكن الرتل عاد وتشكل واستمر في سيره من غير احداث كثيرة .

الساعة ٩ ـ غلوريا تتقدم في مجموعة من الجرحى ، بين جوليو وليا، في منطقة منبسطة تماما . سمع صوت طائرة من بعيد ، فانبطح الجميع أرضا . مرت « البوش بول » عالية اولا ثم انخفضت قليلا . انه لشعور رهيب بالعجز عن الاختفاء والتحرر من كل شيء تجاه الموت . ودت لو تنطمر ارضا وتنتزع حفنات من تراب تغطيها . لكن ليس باليد حيلة . انطلقت رشقات رصاص . اعتادت في ماناغوا على الطائرات في آخر الامر ،حتى انها لم تتوقف عن العمل في الايام الاخيرة حين جاءت تقصف . لكن الامر يختلف هنا . كان يصعب على المدنيين ان يظلوا متجمدين . وتحفز الصبية المتطوعون ، الذين كانوا يظهرون شجاعتهم بشتم الطيارين من أعلى متاريسهم ، ان يوجهوا اليهم شتائمهم هنا ايضا ، في هذه البرية المنبسطة . كان الجنون. قالت معتقدة : « لقد انتهينا ، سنموت » .

الساعة ١٢ ـ اضطرت مجموعتهم لان تتمدد ارضا طوال الصباح تقريبا . ما كادوا يمشون حتى اكرههم انذار جديد على تمريغ انوفهم بطين الحقول . حين مرت طائرة « D.C. 3 » فوق رؤوسهم ، جاء شخص ضخم في قميص احمر لامع ينطلق منه شعاع فسفوري صارخ، متوهج الى حد فاضح ، بجنون خطر ، في هذا الوقت بالضبط راكضا يحمل فوق كتفه الايمن رشاشا عيار ٥٠ . « تموده ، سيهتدون الينا، ستقتلنا جميعا ! »

ـ يستحيل ، علي ان احمل الرشاش الى المقدمة . هم بحاجة اليه. انهم مشتبكون في معركة هنالك !

ـ ان اهتدوا الينا ، لن تكون هنالك مقدمة ولا مؤخرة ولا قلب ولن يفيدنا الرشاش في شيء .

ـ تلقيت امرا . اني ذاهب .

راح الشخص يركض بينما ودعت غلوريا الحياة للمرة العاشرة في هذا اليوم ، مع عزائها الوحيد بقناعتها ان اي شيء لن يوقف الثورة الآن .

الساعة ١٥ ـ هذا اليوم المجنون الن ينتهي ابدا ؟ لم يتقدم القلب . الطائرات تهبط قليلا ، اما لانها لا ترى شيئا او لخوف الطيارين. لكنها فوقهم دوما ومن الحماقة اثارتها . الرتل الآن قريب جدا من مزرعة تحيط بها غابة منغوا كثيفة . فيما حولها كله حقول مستوية لا يحميها شيء . أدرك روك ان المقاتلين النظاميين ان لبثوا جامدين

متشبثين بالارض كيفما اتفق ، فسيهتاج المتطوعة والمدنيون باستمرار. امر جوليو وليا وغلوريا بحشدهم تحت حماية الاشجار .

كانت فترة لا تطاق لكنها انقذت حياتهم جميعا بلا ريب . كان المتطوعون يرفضون ادراك الخطر . رفض كثيرون التحرك . اضطر المسؤولون لاخراج مسدساتهم لينصاعوا لهم . ما كادوا يقيمون حتى ظهرت طائرة هيليكوبتر . لا بد وان الطيار قد شم شيئا فأخذ يدور حول المزرعة ، ثم تجمد .. كانت اللحظات الاولى لا تطاق . انها مناسبة للجميع ليعرفوا ان طيور الشؤم هذه تتوقف لتؤرجح بكل هدوء قنابلها من زنة ٥٠٠ ليبرة . رأت غلوريا الثقوب الممتدة ١٥ مترا وتصورت الدمار الذي يمكن ان تحدثه فوق هدف صغير جدا يحتشد فيه اشخاص كثيرون ، تكفي قنبلتين او ثلاث لابادتهم جميعا . ودعت العالم للمرة الثالثة من النهار . الهيليكوبتر لا تتحرك ابدا . مرت عشر دقائق، عشرون دقيقة ، بعد نصف ساعة، قررت اخيرا ان تسقط حمولتها على بعد ٢٥ مترا بالكاد من الاشجار . قام الجميع قومة واحدة ليهربوا مما احتموا به وتصوروه فجأة وكأنه وكر زنابير . عم الصياح والفوضى والاندفاع . وكان التشتت . استشف جوليو بسرعة خاطفة ما هو اسوأ . لكن اي شيء لم يحدث . كان لحسن الحظ ان المزرعة مسورة بأسلاك شائكة اوقفت فجأة الهاربين . لم تر الهيليكوبتر شيئا فعادت .

الساعة ١٧ ـ استأنف الرتل سيره تحت الامطار العارمة في هذا الفصل . اقترب الليل . أخذ القطيع ينصاع وينتظم بوجه افضل بعد ان كابد من الاحداث . خيم الظلام ، ظلام شديد لم تر غلوريا يديها منه. صدر الامر بأن يمسك كل بالآخر كي لا يتيهوا . ١٥٠٠ شخص يمسكون بأيدي بعضهم بعض عبر حقول وغابات وروابي ويستمرون في التقدم ساعات . على بعد ٧ كيلومترات من مازيا ، وصلوا الى الطريق التي تسيطر عليها الجبهة في ناحية ، بينما الناحية الاخرى ما تزال بأيدي الحرس الوطني . لا مجال لاحداث صوت . تقرر ، لتنفيذ التعليمات بوجه اسرع ، ان يقال : « ايكس ـ «X» وتعني« تقدموا » ، و « زيت . «Z» وتعني « توقفوا » .

٢٩ حزيران ـ الساعة ٤ صباحا ـ دخل القلب اخيرا مازايا . كان جزء من المقدمة قد سبقه الى المدينة بقيادة سيمون ، وانتظمت المدينة خلال ساعات لاستقبالهم . اخليت الكليات والكنائس . وتجمع

المدنيـون في احيائهم الاصليـة . واعـاد المقاتلون والمتطوعة بناءوحداتهـم القتاليـة ، المرهقـة قليـلا . جمع سكـان مازايـا كل ما لديهم ، رغـم محاصرتهم منذ ايـام عديدة، لتغذية القادميـن الجـدد . بعـد وصـول آخرهم بساعـة واحدة بالكـاد ، ولم يكونوا قد أكلوا منذ ٣٦ ساعة، حتى تلذذوا ، لذة لا يأملونهـا ، بالتهام نصف قرص ذرة ساخـن وشـيء من الفاصوليـاء .

كان مجموعهم قرابة ٦٠٠٠ شخص ، اشتركوا في هذه الملحمـة العجيبة . وصل اولهم فجر ٢٨ منه . امـا آخرهم فوصلوا بعـد اكثر من اربعـة ايام . بعـد ٣٦ ساعـة من انطلاقهم ، كانت عدة مجموعات ما تزال تدور خلف مطار ماناغوا ، عاجـزة عـن التوجه . اجرى المسؤولـون حسابهم فلاحظـوا ان الخسائر بلغـت ١٦ قتلى وقرابة ٣٠ جريحا . انه امر لا يصـدق .

ان اشد مغامرة في هذه الاوديسا ربمـا تكـون اوديسا المقاتليـن الذين خرجوا من ماناغوا فوق نقالات تحملهـا مجموعـة غلوريـا وليـا وجوليو . لقـد اتضح بسرعـة انه لا يمكنهم الذهـاب حتـى النهايـة . اذ حاول من يحملونهم ان يلقـوا بهـم ارضا مـا ان يسمعوا صوت طائرة. امكـن لمجموعة اولـى ان تصعـد شاحنـة . فغطوهم بأوراق شجر المـوز واتجهوا مباشرة الى مازايا يحميهـم خمسة مقاتليـن . حـاول الحـرس مرتين ان يوقفوهم ، لكـن عبثا . لم يكـن لسبعـة آخرين مكـان فـي السيارة ، فتركـوا في مزرعـة بانتظار ان يعودوا لاخذهم . اي منهـم لم يكـن فيه طرفيـن سليمين . كـان لواحـد منهم فقط يدان . وبعضهم لا يستطيع غير الزحف . لم يتحملوا الشعور بابتعاد الرتل . ان البقاء فـي المؤخرة بانتظار الحرس لرهيب . اتخذ القرار بالسير . لا يدري احد كيف استولوا وحدهم على شاحنـة وقطعوا العشريـن كيلومترا التي تفصلهـم عـن مازايـا . والاكثر من ذلـك ، لما لـم يكـن اي منهم بكامله فقـد اضطروا لان يشترك عدة منهم فـي العمل ليسوقوا الشاحنة . واحـد يمسك بالمقود ، وآخـر لدواسات التشبيك والمسرع ، حتى ان ثالثا احيانا لتغيير السرعـة . انه لعمل فيـه شيء ومن القساوة على مشوهين .

٣٠ حزيران ــ الاول من تموز ــ الثاني من تموز . مازايا بؤرة هياج، لـم تشهـده هـذه المدينـة قط ، المقاتلة مع هـذا . لقد نفح وصـول القوات المدنيـة والعسكريـة من ماناغوا طاقـة استثنائيـة في السكـان. تشاطـر الجميع فورا الخبرة المكدسـة في العاصمة . تكفلت القـوات

السياسية بتنظيم وبناء شبكة من الملاجىء ضد الغارات الجوية . فهي خبيرة الآن في هذا الموضوع . واعاد العسكريون تنظيم جيوشهم ، وساعدوا في تقوية دفاع المدينة التي يعرف الجميع انها ستصبح الدريئة الرئيسية للهول السوموزي المقبل ، كانت الحماسة خارقة . ان النصر لا يشك فيه احد . « اذا كنا قد قاومنا الحصار ١٩ يوما ونجحنا في الانسحاب ، فلن يوقفنا شيء ! » كانوا جميعا على استعداد لاستئناف القتال بعد وصولهم بساعات بالكاد .

اخذ المسؤولون العسكريون للاركان العامة والجبهة الداخلية للاركان العامة في ماناغوا يستعدون لمعارك جديدة . عليهم الآن ان يستخلصوا كل فائدة من نجاحهم . ومن اجل ذلك ، يجب ان يبدأوا بتحويل مغاوير الامس الى وحدة عسكرية اكثر كلاسيكية وتلاحما ونجاعة . ان المقاتلين عديدون جدا الآن بحيث لا يمكنهم الاستمرار في القتال بروح الضرب بالايدي والمبادرة الفردية الفوضوية والتمثل برئيس بدلا من رتل او كوكبة . حدث الانسلاخ في ايام قليلة باشراف آنيبال. فتبين ان الوحدة كافية بحيث لم يعد ضروريا مشاطرتها بين الرؤساء جميعا . ولا وزن للتوازن السياسي تجاه النجاعة العسكرية. حشدت كل من الوحدات القادمة من ماناغوا في ثكنة .. انصب اول اختيار على الرجال والسلاح . لم ينظر آنيبال الا الى المقاتلين الاكثر حنكة . وكلف معظم المتطوعة بالدفاع عن مازايا . يريد ان يؤلف قوة تكيل ضربات لا مثيل لها للحرس الوطني ، لكنه لا يريد ان يربك نفسه باشخاص غير مفيدين . انها اول مرة في تاريخ هذه الحرب لا يحتاج فيها الساندينيون الى ستر ضعفهم العسكري بالعدد . لكل من الفصائل السبعة الآن رئيس ومساعد . فيها قرابة ٣٠ مقاتلا نظاميا وما بين ١٠ ــ ١٥ متطوعا تم انتقاؤهم بدقة . وهنالك ٢٥٠ رجلا وامرأة لديهم قرابة ٢٠٠ سلاح حربي و٧ سيارات وشاحنات واوتوبيسات تم الاستيلاء عليها في مازايا .

انه جيش حقيقي يتألف على بعد ٣٠ كيلومترا من العاصمة . كيف ترك سوموزا ذلك يتم . تناقش آنيبال في ذلك كثيرا مع رفاقه . من وجهة النظر الانسانية ، لقد ابدى الحرس بما فيه الكفاية ليجعلوا من انسحابهم ملحمة . ومن الواضح عسكريا انهم لم يخوضوا الحرب بعمق . والامر المؤكد ان السلطات العليا للحرس الوطني كانت تدرك دوما ان قرار الساندينيين بالانسحاب كان صحيحا عسكريا . اذ كانت

خير من يعرف ان سحق الاحياء الشرقية كان قريبا. وامكنها ان تطلع عن كثب على المناقشات التي جرت بالراديو بين مختلف الجبهات والقيادة القومية . لماذا اذا تركتهم ينسحبون ؟ يفسر انيبال ذلك بخوفها وانهيار معنوياتها. كما ان الضباط الذين تدربوا في المدارس التقليدية استصغروا القدرة الساندينية على تخطي القفزة النوعية الفاصلة بين مجموعة مغاوير وجيش بقدرته ان يخوض معارك كلاسيكية. لكن الحجة الحاسمة سياسية بلا ريب. كان انسحاب الثائرين قد اتاح لسوموزا ان يوهم العالم انه سينتصر . وامل ان ينال دعم الولايات المتحدة التي حاولت ايضا ان تنضم الى الجانب الاقوى. ولكي يكون لعنصر خديعته من معنى، كا نعليه ان يظهر التحرك المنظم نسبيا الذي قام به الساندينيون، وكأنه تبدد وتمزق وانهار وتشتت. وخوضه القتال مع هؤلاء المقاتلين الذين يعرف قيمتهم وتصميمهم، يقوده حتما الى الكشف عن الحقيقة، اي ان قواتهم ما تزال سليمة. كانت خديعة سياسية منه اذا، اصبحت نتائجها العسكرية كارثة عليه .

٢ تموز ـ اخذ المائتان وخمسون مقاتلا يتحركون في طريقهم الى دريامبا، الواحة الساندينية المحررة منذ عدة ايام والواقعة على بعد ٤ كيلو مترات بالكاد من خينوتيبه، حيث يوجد اقوى تحشد للحرس الوطني قرب العاصمة. ولم يكن لذلك علاقة بالانسحاب. فثمة تقدم منظم والية متكاملة واستخدام للكشافين، الخ .

٣ تموز ـ الساعة ٦ ـ الدخول الى دريامبا. لم يصدق السكان اعينهم. انهم يحيون جيشا. اصبح الشباب جنودا. تركوا سياراتهم وباصاتهم خارج المدينة، ثم دخلوها في تشكيل قتالي، فصيلا، فصيلا.

اجتماع مع مسؤولي المدينة. انيبال ، وويللي الذي اصبح الان الرقم الثاني وايزابيل التي اصبحت الرقم الثالث، ليسوا بحاجة الا لساعات قليلة لوضع خطة مهاجمة خينوتيبه،التي يوجد فيها قرابة ٣٠٠ من الحرس الوطني موزعين، كما في بقية البلاد، في اماكن عديدة محصنة . لكن الساندينيين في هذه المرة مسلحين ومنظمين .

٤ تموز ـ الساعة ٧٫٣٠ ـ بداية العمليات. تم الاستيلاء على الثكنة الرئيسية بسرعة خاطفة بحيث ان قائدها قد هرب من غير ان يتاح له الوقت ليشعر النقاط الثانوية التي ظل بعضها يقاتل حتى يوم ٥ تموز.

استولى الساندينيون على كمية كبيرة من الاسلحة والذخائر. ولاول مرة، اصبحت لديهم الوسائل ليرتدوا البزات جميعا. كانت هذه المعركة

بيانا انعكس على معنوية المقاتلين واشارت الى روح الوحدة العسكرية . فما كادوا يستولون على الموقع حتى التفتوا الى مسؤوليهم يسألونهم: «متى نتوجه الى ماناغوا؟» انهم يشعرون بأنهم لا يغلبون .

اخذ التوازن العسكري الوطني ينهار بعد الاستيلاء على خينوتيبه. لكن القوات القادمة من العاصمة هي التي يمكنها وحدها ان تنتقل الى الهجوم في هذه المرحلة. فالتطويق المقرر في الخطة الاولية لا يمكن ان ينجح الا في اطار حركة شاملة. ولا يمكن مناقشة كل شيء بالراديو ، فعقد اجتماع بين المسؤولين العسكريين الرئيسيين لمختلف الجبهات والقيادة القومية، تم بحدود ١٠ تموز .

١٦ تموز ــ صدر امر لانيبال بالتحرك باتجاه غرناطة، على بعد ٤٠ كيلو مترا شرق خينوتيبه لشطر البلاد نهائيا الى قسمين. كانت هذه هي المرة الاولى التي امكن فيها للمسؤولين في الجبهة الداخلية ان يتمكنوا من الاكتفاء بتحديد هدف من غير الاهتمام بتفاصيل اعداده. كانت الايام العشرة التي مضت في خينوتيبه قد استغلت لتقوية التنظيم والانضباط واكمال التدريب وتشكيل لجنة سياسية. اصبحت الان قوة النار هائلة. عمدت الوحدة باسم فصيل رونالدو اوروسكو، وهو اسم رفيق قتل اثناء الاستيلاء على المدينة .

١٧ تموز ــ وقعت الاشتباكات الاولى في غرناطة الساعة ٧ صباحا. سقطت في اخر النهار كافة المواقع الثانوية. واستغل الليل للاعداد للهجوم على الثكنة الرئيسية .

١٨ تموز ــ منذ الساعة العاشرة صباحا، اظهر قائد الموقع نيته في الاستسلام. لكنه حين اكتشف ان من يفاوضه هي ايزابيل، المسؤولة عن المقدمة، رفض الحديث معها. كان لا بد من استدعاء انيبال. دارت المفاوضات. اظهر الضابط تقززه من جنون اوركويو الذي لم يحترم كلمته. وقدر ان موقعه محصن ولديه الكثير من الرجال، والمؤن والذخائر بكثرة. «استطيع ان اقاوم اياما عديدة ايضا. اريد جدا ان اسلمكم قيادة الموقع لكني ارفض ان استسلم. انها مسألة شرف!» .

انيبال لا يفكر الا بشيء واحد : احتلال موقع العدو ليتمكن بعد ذلك من الزحف نحو ماناغوا، فالاحداث تتسارع . اطلقت يده القيادة القومية التي اتصل بها بالراديو. اقيمت حفلة مسرحية دعي اليها الصليب الاحمر واسقف المدينة. اعتصم الحرس الوطني لاول مرة بالشرف .. كانت حفلة بالية، مبتذلة، مرتجلة، اضحكت اكثر من واحد .

كان السلاح الذي تم الاستيلاء عليه اكثر جسامة ايضا مما كان في خينوتيبه وهذا ما يهم، من اسلحة ثقيلة وعربات عسكرية. حتى ان بينها دبابة. واكد انيبال بشدة على هذا الواقع اثناء اتصالاته بالقيادة القومية. وكان متأكدا من ان اوركويو يسمعهم : «لا شيء يوقفنا ابدا. سنزحف على ماناغوا منذ غد».

شق على انيبال ان يجد النوم في هذه الليلة، رغم تعبه. حدد مرارا عديدة الاوضاع التي يجب اتخاذها للعودة الى العاصمة ونسق الزحف واستعداد مختلف الفصائل وتوزيع الاسلحة الثقيلة. واعتقد انه لم ينس شيئا. فكر ايضا في هذه الاسابيع الاخيرة اللامتناهية والسريعة جدا. يا له من طريق قطعه! ان اي احد لن يتمكن من ان ينتزع النصر منهم الان. انه الحلم القديم لشعب بأسره. وفكر ايضا فيما اصبح عليه. بعد ان ساهم وقتا طويلا في المهام السياسية للجبهة، ما كاد ينصرف الى المسائل العسكرية حتى اندفع في الاحداث . لم يعد لذلك شيء . التهم في الاشهر الاخيرة مؤلفات كلاوسفيتز وانجلز ولينين وجياب وكل ما امكنه ان يجده حول مختلف تجارب امريكا اللاتينية. وسرعان ما ادرك رفاقه انه يتمتع بموهبة خاصة في ادراك مسائل الستراتيجية والتعبئة العسكرية بشكل شامل. لكنه هو، وقد احيط بمقاتلين محنكين، كان يتردد منذ البداية في ان يدعي لنفسه ذلك. بيد انه اخذ يثق بنفسه تدريجيا، بقدر ما كانت الانتصارات تتسلسل .

غدا ماناغوا، غدا النصر. غدا المجهول والمسؤوليات الجديدة. يجهل انيبال طبعا المهام التي ستوكل اليه. يعرف فقط ما يرغب به : اتمام معارفه العسكرية، وان يتلقى اخيرا تدريبا جديرا بهذا الاسم، هو الذي لم يحظ بأي تدريب عملي حقيقي. قال متنهدا : «ليست هذه الحرب هي التي اتاحت لي ان آلف هذه التقنيات البدائية للمعركة. لم تتح لي الفرصة لاستخدام سلاحي ابدا الا في مناسبتين لاتخلص من موقف صعب . ومع هذا فقد حان الوقت لاكون جديا » .

حديث كارلوس كاريون

ان تصورنا للحزب ان يكون حزب اطر وطليعة هي حاجتنا لنموذج اخر من التنظيم لتجنيد الجماهير في الثورة. تستهدف سياستنا في هذا الحقل تلبية مسألتين: في المكانة الاولى ، اكتسبت الجماهير، بعملها في الاطاحة بالديكتاتورية، الحق في الاشتراك بادارة البلد. علينا اذا ان نخلق وسيلة التنظيم التي تجعل هذه المشاركة ممكنة . وهكذا يجب ان يشترك المركز السانديني للعمال بادارة وزارة العمل ورابطة العمال والريف بتطوير الاصلاح الزراعي ولجان الدفاع السانديني بوزارة الرفاه الاجتماعي والمؤسسات الاخرى والمنظمات الطلابية بوزارة التربية، الخ .

هدفنا الثاني تجنيد مختلف قطاعات السكان لنتمكن من السير في طريق الاشتراكية، تحت قيادة الطليعة .

من اجل ذلك كله، يولي الاولوية للسعي لوحدة الجماهير في قطاع، ودمج القوى الحية في الثورة الاشتراكية. وبالنظر للشروط التي يعيشها بلدنا، لا نستطيع ان نكون عقائديين ونقول ان العمال وحدهم يؤلفون قوة للاشتراكية. وهذا مناسب لمركز العمال السانديينيين الذي لا نفكر ان نجند فيه فحسب المرتبطين مباشرة بالانتاج. نحن نتحدث عن الاجراء عموما، عن عمال الصحة، مثلا، وموظفي التجارة والاساتذة الذين نريد ضمهم الى التطور تحت قيادة بروليتارية .

ظهرت مسألة خاصة بصدد عمال العالم الريفي، اريد ان اتصدى لها بسرعة . انهم يحسبون الان مع منظمة (رابطة عمال الريف)، التي يتواجد فيها العمال الزراعيون وصغار الملاكين. فكرنا، في وقت قصير، بفصلهم وان ننشيء لهؤلاء الاخيرين ما يسمى في بلدنا «رابطات فلاحية». غير اننا ارتكبنا خطأ ادى الى فراغ اضطررنا لاملائه منطلقين من الصفر.

فكرنا اذا ان من الافضل اليوم ان تنمي رابطة عمال الريف خطين من التنظيم في وقت واحد، احدهما بتوجيه العمال والاخر بتوجيه صغار الملاك. وحين يقوى كل منهما بما يكفي، نفصلهما لان طابعهما الطبقي مختلف .

بالاضافة الى مركز العمال الساندينيين، علينا ان ننشىء منظمة جديدة للنساء . لقد ولدت الامبروناك في اوساط بورجوازية خاصة. بعض مؤسساتها يقلن انهن منذ اول اجتماعاتهن شممن رائحة عطر قوية في بيت ديور. ثم اصبحت الرابطة بروليتارية فيما بعد تجاه الحرب، لكن تنظيمها استقر دوما فوق بنيات الاحياء . لم يكن ذلك كافيا. لقد قامت النساء بدور اساسي في انتصارنا بشكل استثنائي في امريكا اللاتينية. نجدهن في مناصب قيادة الجيش والمنظمات القيادية السياسية. علينا اليوم اذا ان نشجع بجد كثيف تجنيد العاملات والفلاحات والمقاتلات لنضمن مشاركتهن في جميع مهام الثورة ونتيح لهن تقوية المكاسب التي انجزنهن بانفسهن .

تأتي بعد ذلك لجان الدفاع السانديني التي هي بلا جدل المنظمة الجماهيرية الاكثر سعة ونموا. توجد لجان الدفاع السانديني في سائر المدن والاحياء وتكاد تكون في سائر تجمعات البيوت. علينا ان نبنيها من الاسفل الى الاعلى الى ان ينشا مركز قومي .

في مثل هذا الوضع العاجل الذي نحن عليه، نفكر بأن نعهد اليها بمهام التموين والتغذية وتعبئة السكان لبعض الاعمال الخاصة، المرتبطة باعادة البناء، وشيء من المسؤولية في حقل اليقظة المقتصرة على مسائل المكافحة التي ما نزال نخضع اليها بعض العناصر المشتتة من الحرس السابق .

ان لجان الدفاع السانديني مثال جيد يتيح تلبية المسائل الاساسية المنصبة على مشاركة المنظمات الجماهيرية الطوعية او غير الطوعية. فيما يتعلق بالغذاء، هنالك مراكز توجيه في كل حي. اذا لم يكن في مجموعة بيوت من ينشيء لجان دفاع سانديني ، فعلى المسؤولين في الحي ان يجروا احصاء ويوزعوا الطعام تبعا للحاجات وما هو متوفر . انا اؤيد من حيث المبدأ ضمان الانضمام الطوعي. وتلك مسألة فعلا. لقد شهدنا في بعض الاماكن ان السكان يصفون بمناهضين للثوريين من يرفضون الانضمام الى لجان الدفاع السانديني. وذلك امر سلبي، حتى وان اخذ المرء مكانه من وجهة نظر مصلحة المنظمة، في نطاق ما يفسدها به هذا ويسهل التسلل ذلك، لان الجميع يدخلون اليها فيما بعد. اعتقد، ختاما، انه، بعكس الحزب، على المنظمات الجماهيرية ان تكون منفتحة الى حد واسع وان يكون الانضمام طوعيا حقيقة. يمكن، في الاكثر، ان يطلب ادنى حد من الاستعداد للعمل، ولربما، ادنى حد من الايضاح السياسي لتجنب تسلل سوموزيين .

سننشيء اخيرا منظمة الفتية في ١٩ تموز، يوم النصر، الذي سميناها به اشارة الى الدور الحاسم الذي قام به الفتية في ثورتنا. لقد تساءلنا عما اذا كان يجب اولا انشاء الفتية من الحزب الذي نحن بحاجة اليه بوضوح، ثم ننشىء من هنا المنظمة الجماهيرية

للفتية . قررنـا في الواقع ان نسلك هذا التطور المزدوج بالتوازي، اي ان تدفـع المنظمـة الجماهيرية للفتية ونشجع في الوقت ذاته بناء حركة طليعة فيها. ان ما نفعلـه للجماهيـر والحزب قليل. قلت الان ان على الحزب ان يتغذى من مصادر عديدة وليس من الجبهـة الساندينية فقط. ولذلك سبب بسيط، هو ان مسألة الفتية تتيح لي ان اتذكر وهي التـي كانت عبئا ثقيلا جدا على تأليف الجبهة : ان القمع وضعف وسائلنا الاقتصادية جعلت انضمام العمال، الذين لديهم مسؤولية عائلية، في غاية الصعوبة. كان الكثيرون منهم على استعـداد للتضحية بعائلاتهم لينخرطوا في الجبهة. اعطيناهم ٣٠٠ قرطبة ودبروا انفسهم بهذا المبلغ. ولا بد وان نشير الى ان دور شركات هؤلاء الرفاق كان حاسما، اذ لم تقل لهم اي شـيء يثبط عزيمتهم ووجدوا وسائل اعالة اطفالهم بما كانوا يستطيعون عليه حينما كانوا يكرسـون انفسهم للنضال. وهذا ما يفسر جزئيا سبب ان الجبهة الساندينية هي منظمة فتية فـي معظمها، وبوجه خاص طلاب كانوا هم اقل من تقع عليهم مسؤوليات واعباء مادية. علينـا اليـوم ان نغير ذلك كله فنتيح للعمال والفلاحين ان يشتركوا بفعالية اكثر .

بقي علي ان اوضح انه لا يمكننا بكل وضوح ان نتمسك بالقاعدة المطبقة في معظـم البلدان حيث يتم انتقال شباب الحزب الى الحزب نفسه في سن الخامسة والعشرين. ففي نيكاراغوا اليوم، يجعل ذلك حزبنا لا وجود له عمليا. ان مثل ذلك المبدأ يضطرني ان اعفـي نفسي من منظمة اتحمل شيئا من مسؤولية انشائها ..

الخميس ١٩ تموز

«نساهم في تقدم الثورات»

الساعة ٩ ــ في بيت بورجوازي غني في ليون. تمتم ادولفو وهو ينهض بصعوبة ويتوجه ليستقبل اصدقاءه : «عام الثورة! لقد تعجلوا عملهم» . اطفأ بيد عصبية الراديو الذي كان يستمع اليه شاردا منذ قرابة نصف ساعة. بالكاد ان حيا بكل ما فيه من سخط ما يزال يكشف عن نفسه : «قالت الحكومة يوم امس، في الساعة نفسها اننا كنا في « عام هزيمة الشيوعية في نيكاراغوا»، واليوم ونحن نسمع نفس المحطة التي اصبحت «اذاعة ساندينو»، اسمع اننا اصبحنا في «عام الثورة!» حقا انهم يتقدمون بسرعة .

قال ساخرا جوزيه انتونيو الذي لم يفقد دعابته كرب عمل شاب شديد النشاط نجح في كل شيء : ــ لم يفعلوا بعد كل حساب غير انهم يقولون الحقيقة .

وضع يدا متحببة فوق كتف اخيه الاكبر :

ــ لا تقلق، ما يزال مسموحا لنا ان ندلي برأينا .

تبعه ميغل وقد مد زجاجة ويسكي نصف فارغة ، تأملها ادولفو بتلذذ. ان الحرب لم توفر احدا .

قال ميغل : ــ اليك، اتيت بها وقد استطعت ان انقذها حتى اليوم. ومع هذا سنحتفل بذلك !

انه مهندس زراعي شاب من عائلة كبيرة في ليون، مهتم بما يساور محيطه من قلق، لكنه متسلح لمجابهة المستقبل القريب افضل من ادولفو، السياسي المحافظ العريق الذي تربى بعمق في النظام السابق .

ـ احتفل بهذا، احتفل بهذا ! وددت لو استطيع ان افعل ذلك عن نية سليمة. قال ذلك ادولفو متذمرا وهو يأخذ اصدقاءه الى باحة داره الضخمة . وهي باحة ـ حديقة داخلية، في وسط المدينة لها نداوة الغابة العذراء، تتألف في طبيعتها بمهارة الحجارة والمياه وفقا لفن الطراز الاستعماري الذي ما تزال تبدع فيه البورجوازية الليونية . دهش ميغل حين لاحظ، لاول مرة في حياته، الفارق الهائل بين هذا البيت ومعظم البيوت الاخرى، حتى بيته. قال في نفسه قلقا، تساوره فكرة حلوة ـ مرة : «أأصبح راديكاليا؟ ان العدوى تسري بأسرع مما اتصور» .

ـ لقد سمعت الانباء الان. ماذا يقولون ؟

ـ اتصور انك عرفتها : بعد ان ادلى اوركويو بتصريحاته الحمقاء يوم اول امس، استقال وهرب بطائرة هذه الليلة الى غواتيمالا. دخلت اولى الوحدات الساندينية ماناغوا هذا الصباح. انهار الحرس . بيدهم الان كامل السلطة. واذا صدقت نداءاتهم الى الانضباط، افترض ان الفوضى تعم ماناغوا. نحن نوشك ان ننجرف مثل قشة تبن .

قال جوزيه انتونيو : ـ اني لاتساءل جدا لماذا ارتكب هذه الحماقة رئيس المجلس العجوز. لولا ارادته بعناد ان يظل حتى عام ١٩٨١ لتخلصنا من الديكتاتور ولبقي لنا هامش جيد من التحرك في علاقاتنا مع الجبهة.

رد ادولفو : ـ اعطاني هذا الصباح، صحفي امريكي من اصدقائي نسخة اخذها من سفارته مباشرة، اكدها له احد المقربين من دون فرانسيسكو وهو يأخذ الطائرة : انها ضربة من سوموزا ايضا. قبل ان يرحل بالضبط، قال لاوركويو : «كل شيء تم بالاتفاق مع كارتر . انت انتخبك الكونغرس، تعلن عن نيتك في البقاء حتى نهاية وصايتك على الرئاسة وتقترح على الشيوعيين القاء السلاح. انهم لن يأبهوا لذلك، عندئذ تنزل البحرية الامريكية في الساعات التالية ! اخر عقبة كانت وجودي. قررت الرحيل عن الوطن لانقذ البلد» .

ـ لكن كيف امكن لاوركويو ان يصدق ذلك ؟

ـ انت تعرف ، هنالك سفن حربية في ساحل المحيط الهادي ، من غير ان ننسى الطيران الذي جاء الى حدود كورستاريكا. اضافة الى ذلك نحن جميعا نعرف ان ما يشغل بال الغرينغو بالدرجة الاولى هو ابقاؤهم

على الحرس الذي خلقوه بأنفسهم. لو ظل سوموزا لجازف بأن يقهر، غير انــه كان واضحا ان ينهار برحيله. ثم لا بد من القول ان دون فرانسيسكو ليس هو الاذكى ... حين علم بسقوط غرناطة يوم امس، هتف الى سفارة الولايات المتحدة يسألها متى تأتي البحارة. رد عليه بيزولو : «اية بحارة؟» وهو ساخط . «قال لي الجنرال انه في الساعات التي ستعقب رحيــله سترسلون رجالا لسحق الساندينيين الشيوعيين...» رد السفير قبــل ان يغلق الهاتف : «لم يعد هنالك مجال منذ وقت طويل، وقد اضعتم كــل الفرص التي بقيت لانقاذ شيء ما». فلم يكن امام اوركويو الا الرحيـــــل بدوره. لقد تركنا في موقف صعب جدا .

سأل ميغل متحيرا : ــ لكن لماذا فعل سوموزا ذلك ؟

ــ اظن انه، وقد استبدت بهوقاحته المألوفة، اراد قبل كل شيء ان ينتقم من الغرينغو الذين تركوه يسقط .

كان جوزيه انتونيو يتردد في كلامه وهو يشعل اخر سيكاره :« اشعر ايضا انها استمرارية لسياسته التي ينتهجها منذ زمن : لا يترك شيئا بينه والساندينيين ، لا سيما نحن. في رأيي، لقد قام بأسوأ دور حين فكر ان الحكومة ستشل بعد ان دمر البلد، ويحبط امل السكان. كان يأمل بلا ريب على حرسه الذين هربوا، والذين كانوا مخلصين له اخلاصا اعمى، ليظهــر يومــا وكأنه الملاذ الوحيد للعالم الحر من ثورة توشك ان تتجذر» .

حملت زوجة ادولفو الثلج من اجل الويسكي. لم تشأ ان تتدخل فــي المناقشة، لكنها لم تتمالك نفسها لتعبر عن ارتياحها كأم : «لقد انتهينا على الاقــل من التعذيب والاغتيالات. لن اخاف ابدا اذا خرج ابنائـــي الـــى الشـــارع » .

لكن الرجال هنا ليناقشوا امورا خطيرة ..

استأنف ادولفو كلامه وهو يدع قطع ثلجه ترن بتهاون في كأسه : ــ طلبت اليكم المجيء لاجد شعوركم تجاه الوضع الجديد الذي يجب علينا ان نجابهه. انا متشائم غير انه ما يزال لدي أمل . ربما لــم يضع كل شـــيء ، شريطة ان نتبنى جميعا، وبسرعة، موقفا واضحا. ذلك في رأيي حظنـــا الوحيد للحفاظ على مصالح القطاع الخاص في هذا البلد واستمرار خوض معركة الحرية وحقوق الانسان وانقاذ ثقافتنا المسيحية .

ــ انت اكثر خبرة سياسية منا، ولربما انك بدأت بتحديد شيء من رأيك، وقد اطلعتنا على احاديث لك مع اصدقاء اخرين .

ــ الاراء ما تزال مختلفة، بيد انه يظهر لي ان الرأي الغالب هـــو

الانتظار اياما قليلة لنرى ما تقرر الحكومة، وقد عرفنا قبلا تأثيرنا وما يشغلنا. ما تزال بيدنا اكثر من بطاقة، علينا ان نطرحها الان بذكاء . في المكانة الاولى، لن اتردد بوصف تأليف الحكومة بأنه «رائع». ليس فيها غير سانديينيين اثنين، وامرأة لا اعرف عنها شيئا وممثلين عن الاحزاب السياسية التقليدية والقطاع الخاص بينهم اكثر من واحد من معارفنا.

ـ يمكن ان تكون الحكومة من اية ديمقراطية امريكية لاتينية كانت..

ـ هذا صحيح ولا اظن ان ذلك عن صدفة. ادركت الجبهة الساندينية جيدا انها لا تستطيع عزل نفسها فتختار منذ الان الطريق الى الاشتراكية. انها بحاجة لمساندة البلدان الاخرى في القارة، بما فيها الولايات المتحدة. وتلك بطاقة يمكننا ان نلعب بها بلا تردد بحصولنا من اصدقائنا في الخارج على وعد بألا يساعدوا الحكومة الا شريطة ان تحترم الديمقراطية . لكن ما رأيك يا ميغل ؟

ـ ... اعرف ما تعني، ومع هذا كان املي ضعيفا بأن نتمكن من استغلال ذلك لنحصل على استقلال فقدناه دوما .

ـ لا تحلم كثيرا. تعرف جيدا .

كوبا ليست بعيدة. بطاقتنا الثانية تظهر لي برنامج اعادة البناء الوطني والتعهدات التي اخذتها الجبهة . وعدوا باجراء انتخابات واحترام الاكثرية واعادة الضمانات الحقوقية والحريات الفردية. سنمثل بحد واسع في مجلس الدولة الذي يجب ان يشترك في المناصب التشريعية مع الحكومة. وددت لو ان الجيش المقبل يتأطر بضباط شرفاء منبثقين عن الحرس الوطني لكني اعتقد مع الاسف ان جنون اوركويو قد جعل هذا الحل مستحيلا. اخيرا، في الحقل الاقتصادي، ان النصوص واضحة : لن يتناول التأميم غير الاموال التي اكتسبها بالفساد سوموزا والسوموزيون. هذا امر مبهم غير انه لدينا وسائل القتال لاحترام اموال الاشخاص الشرفاء. اننا نعلق اهمية كبيرة على اعادة الوضع الى طبيعته بسرعة وان التجاوزات التي تفسر بالحرب لم يعد مبرر لوجودها. وان يستأنف النشاط الاقتصادي وتنتزع المسؤوليات الادارية من العسكريين ويعهدبها الى حكوميين مدنيين محليين، يتألفون بنفس روح الحكومة الوطنية. فضلا عن اننا تلقينا تأكيدات بهذا الصدد.

قال جوزيه ـ انتونيو : ـ اجد في ذلك احدى وسائل نجاحنا الكبيرة برهن الساندينيون على براعة سياسية كبيرة حتى الان. شجاعتهم مذهلة لكن النيات الطيبة لاتسد سد التجربة. ليسوا على استعداد لتحمل اعباء

ادارة البلد. سيحتاجون الينا، الى معرفتنا التقنية واتصالاتنا الدولية وسيطرتنا على مسائل الادارة في كل المستويات.

تدخل ميغل : ـ ادركت ذلك في مناقشاتي مع جيرونيمو حول تنظيم الاصلاح الزراعي، واكثر من ذلك ايضا ان المزارع العاملة منذ زمن طويل والمجتمعات الجديدة بحاجة الى ارشادات تقنية. فاذا لم تؤطر بمهندسين زراعيين، يصبح انتاج الاعوام القادمة مأساويا. والبلد جائع فلن يقامر احد بذلك .

قال ادولفو : ـ اضيف الى ذلك حجة سياسية تبدو لي حاسمة:نحن مولنا الثورة واشتركنا فيها. يحق لنا اذا الحق كله في ان نتدخل في مرحلة اعادة البناء الوطني . ثم لا ننسى ابدا ان ساندينو ليس ملكا لاي احد. ان ترك الجبهة تحتكره لخطأ فادح. كان قبل كل شيء محررا ووطنيا. اعدت يوم امس قراءة شيء من نصوصه يقول فيها : « يجب الا تكون نيكاراغوا ارثا لاية فئة محددة ولاي حزب» .

سادت فترة صمت ظهر خلالها كل غارقا في افكاره. قال جوزيه ـ انتونيو في نفسه : «الصديق ادولفو مقاتل جيد . اما ميغل فيبدو لي غير مرتاح ابدا». انتزعه العجوز من حلمه : «كيف ترى الوضع الاقتصادي خلال اجل قصير ومتوسط؟» .

ـ سؤال دقيق. في الوقت الراهن، اذا لم تعطنا الحكومة الوقود للجرارات والحبوب ومبيدات الحشرات، يباد محصول هذه السنة. لم يمكن غير زراعة ٣٠ بالمئة من الاراضي التي يحتفظ بها عادة للقطن. واحلالها بحبوب اساسية ليس واضحا لانه ليس لدينا ما نبذر منها غير القليل جدا. رأيت هذا الصباح وصول اشخاص كثيرين كانوا قد التجأوا الى هندوراس وعادوا بسيارات مليئة ببذار. لكن ذلك لا يحل المسألة على مستوى البلد.

تدخل ميغل : ـ واكثر من ذلك ان الناس جميعا ليسوا في مستوى ماليتك والمزارعون المتوسطو الاهمية ليس لديهم نقود .

استأنف جوزيه ـ انتونيو كلامه : ـ ارجو ان تفتح المصارف يوم الاثنين. لكني اخشى ان تكون الصناديق فارغة فنجد انفسنا امام الوضع الرهيب اذ نكون اول من يطالب بتأميمها، والا سيتعرض معظمنا للافلاس فورا .

ادلى ادولفو برأيه بحزن : ـ هذا الرأي عام. لم اصدق ابدا اننا سنتوصل الى هذا الحد. وكيف نرى مسألة التوظيفات ؟

ـ ليست كارثة بالنسبة لي اذ تعودت ان امول نفسي بنفسي. بيد

انــه لا بد لي من القول انه يساورني شيء من القلق اذا افرج عن الارصدة واضطررت لاخذها من الخارج في حين اني لا اعرف ما ستكون عليـــه قواعد اللعبة وقت الحصاد .

ـ نحن جميعا في نقطة واحدة من ذلك. قرر الاصدقاء الذين اجتمعت بهم ان يتصرفوا بالنقود التي ستقرضهم اياها الدولة، لكني لا اعرف ايـا منهـم على استعداد ان يقوم بمجازفات شخصية في الشروط الراهنة .

سأل ميغل والانزعاج يتفاقم فيه : ـ بأية شروط سيندفعون فـــي المغامـرة ؟

ـ اعتقد، من ناحيتي، ان اي اجراء ملموس لا يطمئنهم فـي الوقـت الراهن. ولا ارى غير الزمن . سنحكم على الساندينيين تبعا لما ينجـزون من اعمـال .

ـ لكنك تدرك انهم ان لم يتعهدوا بك، ستسهم في الازمة وتجذيـر النظـام ؟

ـ آه نعم. لكن ما تعني، ان التوظيف خطر علينا مثلما اذا لم يكـن ثمـة توظيـف .

تدخل جوزيه ـ انتونيو : ـ اخشى ان يشلنا الخوف من المستقبـل حين يجب ان نبرهن على حيوية خاصة. انه لمن الممكن ان نجـد فوائـد فـي الوضع الراهن. علينا ان ندفع ضرائب غدا، غير ان زوال الفسـاد والفوضى في الادارة اللذين اتسمت بهما ادارة سومـوزا سيتيحان لنـا ان نعوض مبالغ طائلة من النقود. من المؤكد ان ثمة خطر اذ نجد انفسنـا امام دولة قوية جدا، لكننا نأمل على الاقل ان تكون شريفة.

قاطعه ميغل : ـ بالنسبة لما استطعت ان اجده، مـن الواضـح ان الساندينيين على استعداد لتشجيع القطاع المؤمم ، ولـن يفعلـوا شيئـا لعرقلتنا. لقد تعهدوا بذلك بوضوح شديد .

ـ يجب ان تنتج الارض مهما كان نظام الملكية، وهم يعرفون ذلـك جيدا. واضيف، انا الذي تعودت على التعامل مع الخارج، اننا ، بسبب سوموزا، كنا نتوجه بكل فوضى الى اسواق القطن الدولية، مثلا . كانـت مصالحنا من هذا الواقع اقل حماية بكثير تجاه الشركـات المتعـددة الجنسيات من مصالح المزارعين السلفادوريين،مثلا .. تحدث الساندينيون عن تأميم التجارة الخارجية. حتى اذا احترموا المبادرة الخاصـة فـي الداخل، لا ارى في ذلك ضررا .

ثار ادولفو : ـ لكنك اخيرا، تحلم. اظن اني اسمع فيديل كاسترو.

اخشى ان يكون غسل دماغك قد اخذ يفعل فعله. سيتحتم علي بلا ريب ان اطرح على نفسي مسألة النفي في وقت مبكر اكثر مما هو متوقع. لكني مع هذا اقسمت ان اموت فوق ارض اجدادي.

تدحرج جوزيه ـ انتونيو من الضحك : اهدأ يا ادولفو، اهدأ. لاول مرة اشبه بفيديل كاسترو. لكني اعترف لك بأنني اتساءل احيانا عما اذا كنت اسفا على سوموزا ...

صعق ادولفو بهذا التلميح وشحب وجهه وهو في اريكته .

ـ يظهر انك نسيت ان عائلتي شغلت مناصب هامة في الحزب المحافظ منذ اجيال عديدة !

ـ نعم، اعذرني، اظن اننا نهتاج قليلا . ـ قال ذلك جوزيه ـ انتونيو وهو ينهض ليصب كأسا جديدة من الويسكي لكل منهم .

خرج ميغل عن تحفظه :

ـ من يسمعكم يظن ان شيئا لم يحدث . لقد صنعنا هذه الثورة، اصحيح ام لا؟ لا اغفر لنفسي ان يسقط مثل هذا العدد من القتلى في سبيل لا شيء . يجب ان يتغير هذا . انا متأكد من مصلحتنا ان نفهم هذا التغير. منذ ان بدأت مع الشباب قلت في نفسي انهم على حق احيانا . على اية حال، يظهر انهم عازمون حقا على عمل شيء ليعيش النيكاراغويون بوجه افضل .

ـ اذا كان ذلك على حساب الديمقراطية، لا نريده ابدا !

اظهر جوزيه ـ انتونيو وكأنه لم يسمع ملاحظة ادولفو، ورد على ميغل :

ـ انا موافق جزئيا على ما تقول . واظن ان زمن المحافظة قد انتهى. فكرت كثيرا طوال هذه الايام حين لم يكن لدينا ما نعمل ، وتمنيت اشتراكية ديمقراطية تكون البديل الوحيد للثورة في امريكا اللاتينية. كنت قد تخليت عن فوائد هذه السنة، وقلت في نفسي اخيرا اني لست بحاجة لمثل هذه النقود التي اربحها، لو ان الدولة تأخذ على عاتقها عددا من التوظيفات. سأقبل ان اربح اقل. واذا استخدم الفارق لمصلحة الشعب، فالحمد لله ...

توقف لحظة وقد تأثر بنظرة ادولفو الحانقة .

ـ ... آه نعم يا عزيزي ادولفو، كنا حتى الان بين اشد البورجوازيين حماقة في القارة . من العبث ان اذكرك الى اين قادنا ذلك. فكر قليلا : اذا ربح عمالنا اكثر واصبحوا في صحة افضل وامكنهم ارسال ابنائهم الى

المدرسة، وتعلموا هم انفسهم القراءة والكتابة، لاشتغلوا بوجه افضل. وتصبح العلاقات الاجتماعية اكثر مرونة. ومن الناحية الانسانية اكثر سرورا. اما من الناحية الاقتصادية، فقد اظهرت لنا تجارب البلدان الاوروبية انها مع الزمن اكثر مردودا بحد واسع. علينا ان نعيش واقع زمننا، يمكننا ان نتكيف جيدا مع وضع من هذا النوع مهما كانت محافظتنا على الديمقراطية بمرونة قليلة. الوضع يظل استثنائيا. تصور انني اعرت مرآبي للشباب ليجعلوا منه سجنا! اعذرني ان اوضحت ذلك لكنني اكتشفت بالمناسبة نفسها ان عمري عمليا هي بنفس عمر المقاتلين الاكبر. يسهل ذلك الامور. يصعب علي ايضا ان اتعود على غياب رئيس يتوجه اليه حين تكون ثمة مسألة. لكننا سنتعود على ذلك اخيرا ...

كان جوزيه ـ انتونيو يستند الى ظهر اريكته .

«انا مستعد لان اربح اقل ان ربح الشعب اكثر. لكن الشيء الوحيد الذي لا ارضاه ابدا هو قلبهم للامور راسا على عقب واجد نفسي في ادنى السلم الاجتماعي بينما يصبح عمالي في القمة !

قاطعه ميغل : ـ ليس لدي راي اساسي حول ما تقول . لكني اجدك حاسبا جيدا. اعترف لك ان في ذلك كله مغامرة بدات تسرني وتحديا ساورتني نفسي ان ازيله. اتعرف اني فخور بكوني نيكاراغوي لاول مرة في حياتي لانتمائي الى شعب اطاح بأرهب الديكتاتوريين في التاريخ ؟ ثورتنا اصيلة لا تشبهها اية ثورة اخرى. اهدافها، بعد كل حساب ، تبدو لي اكثر قيمة مما عرض علي حتى الان. حتى انني مقتنع انها قريبة من رسالة الدين العميقة ... اعتقد انه لن يسؤوني ان اسهم في تجربة ينظر اليها العالم قاطبة كمثال. غير انه علينا ان نجند انفسنا بعمق لنكون كذلك .

ادولفو متقزز ، بينما كان الاخرون يبدون اريحيتهم ، كان هو يهمهم وحده : «ستخيب امالهم قريبا. غير انه بانتظار ذلك، كل ذلك هو خطأ تردد هذا الملعون كارتر ... » .

ـ ماذا تقول ..؟

ـ اقول ان سوموزا اكبر عميل مخرب في امريكا اللاتينية كلها . بسببه ستصبحون قريبا كلكم شيوعيين !

ثار جوزيه ـ انتونيو الذي اخافته هذه الكلمة ايضا : ـ لا تسيء الظن. احاول فحسب ان استفيد خير فائدة من وضع افلت من ايدينا . الماركسية تقلقني حتى وان تدعي انها معتدلة. انا في الاغلب مستعد في

الظروف الراهنة لان اقبل اشتراكية يمينية. بيد انه لما كنا لا نستطيع ان نفعل غير ذلك، فلنقم بدورنا ايضا اطول وقت ممكن. ستكون لدينا دوما فرصة لان ننبه ...

ظهرا ـ في معقل باتريسيا . بينما كان البورجوازيون يتساءلون، كانت الثورة تتسع وتتسارع وتيرتها. كان دانيل اورتيغا امام الراديو يتصل بروبيرتو الذي اعلن له تحرير ماتاغالبا كلها .

كان جيرونيمو وهنري في زاوية يعرضان مشروع الاصلاح الزراعي على راميرس، عضو المجلس الحاكم. سمح لهم باجراء تجربتهم في اقليم ليون . «تصرفوا بحرية في اراضي السوموزيين، اصنعوا الثورة!» .

كان على سيرجيو ان يقطع النقاش ليحاول الاتصال بماناغوا. يظهر انه الجنون. جن جنون الحرس الذين لم يهربوا : «التعهدات التي قدمناها كافية الى حد واسع . عليهم ان يلتجئوا الى الكنائس ومراكز الصليب الاحمر المقررة لهذا الغرض! قل لسيادة اوفاندو انه يمكنه ان يضمن كلمتنا. له دور تاريخي يقوم به» .

راحوا يتوجهون اليهم من كل الارجاء بصفتهم اصبحوا الحكومة. لكن الدعابة لا تخلو، حين خرج سيرجيو، اخبر بكياسة الاب كاردينال ان «سفير موزمبيق قد عين» . «تلقينا برقية من مابوتو تقول انه في الطريق».

كان توماس بورج ينتظر خارجا. تصور مع صبية. كان يثرثر مع مارة : «المجلس الحاكم يحكم انما ليس بجلوسها فوق الشعب . انتهى التمييز بين الاعلى والاسفل. انه السهل منذ الان!» .

تمتمت عجوز : ـ فليستجب لك الله !

علق صحفي من تلفزيون الدولة، بصوت رنان وثوري مفرط ، على كل ما يحيط به . كان يحس بانه منزعج . قال لمساعده وهو يعد عدته: « ارجو الا يسرحوني . عندي زوجة واطفال » .

استقرت الحكومة في الارض المحررة. قمنا برحلة خاطفة في الاقليم الغربي.

شيتيغالبا. ظهر لاول مرة امام شعب نيكاراغوا سيرجيو وراميرس وفيوليتا شامورو والفونسو روبيلو. مويزس حسان في الارض الموعودة ايضا ... وصل الى ماناغوا هذا الصباح .

شيناندیفا. المدينة في مطلع تحريرها. زار توماس الاركان العامة، ثم الاسرى .

ـ اشكروا الله اننا ساندينيون ...

دافع احدهم عن نفسه : ـ لم اقتل احدا اثناء المعركة .

ـ بالتأكيد! لانكم في المعركة تسقطون اقل عدد من الضحايا . قلنا ان انتقامنا سيكون العفو، لكن احيانا ...

دار القائد على عقيبه خارجا عن طوره، في وجه متشنج. وزالت عنه لوقت صفة الرجل السياسي البارع. ان مجموعة الحرس التي اخذ اليها قد ذبحت عائلة بأسرها وهي تخرج من المدينة . «الى متى يفرضون علينا الارهاب؟» .

مفاجأة لا تصدق : خوان، حارس ماتا غالبا الجريح، يقود الزمرة المنتظرة امام المرآب الذي تحول سجنا. يحمل بندقية «جليل» وبيريه سوداء ومنديلا في الوان الجبهة . «الان اشعر اني سانديني . الشباب، هم اعظم ما في الوجود. سنصنع بلدا عجيبا» .

هبط الليل. اجتمعت الوحدات، التي تولت الرقابة على شيناندیفا، في باحة فندق كوزيغوينا، لتستمع الى التعليمات .

كان كل يلقي خطابه القصير على ضوء مصابيح سيارة جيب، تدافعت فيه اعداد لا تحصى من الفراشات. كان المقاتلون منهوكين .

توماس : «حين اراكم ادرك انه ما كان بامكانهم ان يربحوا» .

سيرجيو : «التطور لا يرجع الى الوراء. تعلم القراءة والكتابة، وان يؤمن لكل الصحة التي هي من حقه، هي قضية الشعب. علينا ان ننطلق حتى النهاية» .

فيوليتا : «اقول لكم شكرا» .

دانيل : «ان يكون المرء طائفيا اليوم، يعني انه مناهض للثورة . من واجبنا تجاه شعوب امريكا اللاتينية الاخرى ، ان نفي بتعهداتنا وننجح ثورتنا» .

واخيرا ايرنيستو كاردينال، الخوري الشاعر. في لحية بيضاء وبيريه سوداء : «انتم الثورة التي تبدأ اليوم. حلم بها الشعب، كان ينتظر منكم الحرية. بارك فيكم الشباب. واصبح الحلم حقيقة» .

الساعة ٢٢ ـ لدى عودتي من المقر العام لجيرونيمو، تهاويت فوق كرسي، منهوك القوى الى حد مفرط، عاجزا عن ان افهم حقا ما يجري حولي. انهم هم، هؤلاء المقاتلون والقادة الذين يتوجب عليهم ان يحكموا غدا البلد، بماذا يفكرون؟ اليس لديهم اي شك، اي تردد؟ لا يمكنني ان اعتقد بذلك. اتصور ان جميع النيكاراغويين في هذه اللحظة، يتساءل كل منهم، بحسب طريقته، عن المستقبل. انتزعني جيرونيمو من افكاري

المشتتة. لقد امضى النهار في اعداد الاصلاح الزراعي حتى انه لم يفكر في ان يتوجه غدا الى ماناغوا ليحتفل بالنصر .

قال بابتسامة كبيرة : ـ يجب ان اطلعك على اكتشافي الكبير هذا اليوم. ان ما هو اساسي هو ان نصنع الثورة » ...

ـ ... وكيف توصلت الى اكتشاف هذه النتيجة الشديدة الاهمية؟

ـ ليست هامة، واضحة ! .. يجب ان نميز فترتين في ثورة: تولي السلطة وممارستها لصالح تحقيق مشروع اولي. اشعر ان الناس قد بذلوا معظم طاقتهم للاطاحة بسوموزا ويتوقعون من الطليعة ان تتكفل بكل ما بقي من عمل، حين اقول ان «صنع الثورة» اساسي، فاني اتحدث عن كل هذا النشاط الملموس الذي ينتظرنا الان، وكل هذه التدابير المتعلقة بالحياة اليومية التي تتيح لي ان اقتنع بأننا سنبني مجتمعا افضل.

«نحن نعيش بلا ريب لحظة متميزة تتيح ان نحلل كيف يتصرف الافراد ازاء هذه السلطة التي تولوها الان. لقد امكننا ان نشعر ان بعضهم يهمه قبل كل شيء ان يكسب اجزاء من السلطة تضفي عليهم وضعا اجتماعيا، من غير ان يفكروا باستخدامها بقدر ما يمكنهم. لكن الشرعية التي اضفناها علينا الكفاح تختفي باختفاء الديكتاتورية. انه لا يمكننا مجابهة شيء ليس موجودا. فهنا يجب صنع الثورة وتكريس انفسنا للبناء والخلق. ولو لم يكن الحال كذلك، لتعرض كل ما في معركتنا من معنى الى التلاشي وساور الناس القتال في سبيل سلطة ليست غير مسألة نظام اساسي .

ـ كيف يمكن لاشتراكي تحرري ان يشعر بالرضى في منظمة،اختارت الكفاح المسلح طريقا، وجدت نفسها بالضرورة وقد انساقت الى العمل بشدة وانضباط لن تتخلى عنه مرغمة عشية الحرب؟

ـ هذا بسيط جدا في الحقيقة. تولي السلطة مسألة بنية وحرب وانضباط. بينما ممارسة السلطة مسألة محتوى ايديولوجي ومشروع وبناء، وتنظيم اقتصادي. الشدة ليست حتمية الا بعد تولي السلطة . خير برهان عليها، مثلا، بعد الاستيلاء على قلعة ليون، اخذ المقاتلون فورا في التفكك والفوضى والتهدم. ان الـ «ريلاخو» ، «التسيب» كما تقولون عنه بالفرنسية، بدأ فورا بعد تولي السلطة. كيف يمكننا تجنبه؟ بحفاظنا على الانضباط بالقوة، في سبيل الانضباط . لكن هذا رفض مباشر للمشروع الثوري. الحل الثاني هو ان نبدأ بالبناء الفوري ونتواثب بلا ابطاء لتغيير البنيات بدمج السكان وجعلهم يسهمون في المشروع الشامل

انطلاقا من الحقائق والحاجات والمطالب الملموسة التي هي مطالبهم. اقبل الشدة، بما فيها الصرامة، والانضباط وكل ما ينطوي عليه ذلك الى ان يتم تولي السلطة. لكن التزامي مع المنظمة ينتهي هذا الصباح من يوم النصر بالذات، لافسح المجال «لالتزام» اخر ليس مع الطليعة، انما مع احلام الشعب وحاجاته ومطالبه، مع السلطة الشعبية، الشكل الوحيد في رأيي لتجسيد مشروع الانطلاق.

ـ في صميم منطقك، لا يمكنك ان تنسى انك ما تزال بحاجة للسلطة لضمان تحقيق التغيرات التي تقاتل من اجلها. اذ سرعان ما تهاجم هذه السلطة من الداخل والخارج بحد سواء. يقتضيك ان تحافظ عليها لتنتصر وتمضي قدما.

ـ من الواضح ان علي ان اقوي السلطة منذ اليوم. لكن المسألة هي مسألة جهاز سلطة ام سلطة طبقية؟ اني لا احل اية مسألة مكرسا طاقتي لمجرد الدفاع عن الجهاز. سيكون هنالك الكثير من الافراد يهتمون به في هذا البلد، وقلة شديدة من تكرس نفسها لخلق السلطة الطبقية وتقويتها. ذلك لارد بالمعنى الحرفي على سؤالك. لكني في الحقيقة لا اجد تناقضا حقيقيا. لا بل ان ما يجري في الوقائع هو العكس. وهكذا عرضت مشروعنا للاصلاح الزراعي على باتريسيا، انطلاقا من معايير ايضا عسكرية اكثر منها سياسية. ذكرتها بأننا دافعنا عن ليون باعتمادنا اساسا على الشباب المتعطلين في المدينة، بينما لم يشترك في النضال جانب كبير من الفلاحين. كيف يمكننا ان نربح حليفا طبقيا بمثل هذه الاهمية كما هم عليه العمال الزراعيون وصغار الفلاحين؟ كيف نوسع هامشنا من التحرك العسكري لنسيطر على مزيد من الارض ونجابه بوجه افضل قصف قنابل العدو وتغلغله؟ كيف نؤلف الوية فلاحية؟ سنتوصل الى ذلك يوم ان يفهموا ان التسلح والدفاع عن هذه الثورة هو الدفاع عن مصالحهم المباشرة والحفاظ على التغيرات المنجزة وحماة ملكية الارض الجماعية. اذا انطلق جهاز السلطة والسلطة الطبقية في مستوى واحد، لا تكون هنالك مسائل كثيرة.

ـ ماذا يخيفك في جهاز السلطة ؟

ـ القوة. للقوة منطقها الخاص وهي البقاء بأية وسيلة من غير ان تبرر نفسها. لانها القوة بكل بساطة. اذا لم يجد جهاز السلطة الطريق المنطبقة مع مصالح الشعب وادانة الشعب، يدفعه المنطق الى رفض كل معيار حتى وان فرضته الحقيقة. وبالعكس، اذا كان جهاز السلطة منطبقا مع تقوية السلطة الطبقية، فليس لدي اقل سبب يدفعني الى الخوف.

كل ثورة بدأت بمرحلة كانت فيها شرعية الطليعة متطابقة مع حماسة الجماهير، وكان جهاز السلطة انئذ متطابقا مع السلطة الطبقية. وهي فترة الانجازات الكبرى. لكنها لا تدوم الى الابد. تكون اشكال الانتاج المتبناة في البداية الضمان الوحيد الذي يتيح منع جهاز السلطة من اخذ حرية كثيرة او يتركز بأيدي بيروقراطية تتجمع حول مشروع سياسي مستقل. ومن حيث المبدأ، ان لم يكن مباشرة، اجد هذا الشكل من الانتاج في القرية، التي تمكنني من ان احل مسألة اخرى : ان شعبا لم يكن حرا ابدا بحاجة لان يتعلم الحرية. يجب ان نتمرن على الحرية لنكون احرارا والزمن ضروري لذلك. هذا ما اظهره التاريخ، وفقا لمسألة تخفيض وقت العمل، الذي اثارته الماركسية. القرية تتيح استخدام الزمن المتوفر بوجه اتم واكثر كمالا. نعود الى مسألة الخوف الذي يمكن ان يسببه جهاز السلطة، فأقول : ان عفوية الجماهير وابداعيتها وتصورها يمكنها، اذا ما اعتمدت اصالة السلطة الطبقية، ان تتيح حل كثير من المسائل . لكنني اظل منتبها الى السلطة التي بيد البنيات الكبرى المنظمة .

ـ اتخاف على سلطتك انت ؟

ـ ليست سلطتي، لاني لا اخاف على ما لدي من مفهوم. وليس الامر كذلك بالنسبة لبعض الاشخاص الذين تحالفنا معهم او حتى بعض الاطر الوسيطة من الجبهة . عبثا اعلنوا عن انفسهم انهم مؤيدون للتطور عن تعصب، فلا يعملون على اساس مفهوم ثوري للسلطة. يمكن للنصر ان يؤدي الى انفكاكات مذهلة. غير اننا نصطدم دوما بالعادات التي اكتسبها المقاتلون. مفهومهم عن العالم متأثر ويكشف بسرعة عن وجهه الحقيقي بقدر ما تبتعد الديكتاتورية السوموزية .

ـ لماذا اشتركت في هذه المعركة في مثل هذه الشروط ؟

ـ رغم قلقي ـ وانا متأكد من ان عددا كبيرا من المسؤولين الساندينيين يشاطرونني اياه ـ انا واثق في قدرتنا على المساهمة في سير الثورة قدما. المسألة مسألة هدف جوهري. انا كمثقف، يمكنني بالتأكيد ان التجيء الى الدراسة والتأمل، التي هي مصدر الذات خارقة لي. لكني اجد في العمل الملموس امكانية خلق يمنحني لذات اشد ايضا. وكلما كان عدد الاشخاص المشتركين في هذا المشروع اكثر، كان حظه من النجاح اكثر ايضا. اندفعت في المعركة مع علمي بوضوح انه لا بد من صبر للغاية لان التغيرات التي يجب ان نحصل عليها طويلة جدا. وهذا هو المفتاح بحسب شعوري : نتمتع بالصبر ونفعل كل ما بقدرتنا لنمنح اكبر سرعة

للمشروع الذي ندافع عنه. وذلك ما افعله .

ـ من اين تستقي هذا الايمان الذي يتيح لك ان تسهم رغم تحفظاتك.

ـ لدي فعلا ايمان متزمت بأن حكم سوموزا أسوأ شيء عرفه هذا البلد. واذا كان علي ان اختار بين ان اعرض نفسي لخطر في تطور ثوري ما او اسهم بالحفاظ على الديكتاتورية بسلبيتي، فأفضل ان اعرض نفسي للخطر. أبدأ باستبعاده تقريبا. غير ان القمع السوموزي أسوأ الف مرة من عدم رضى مثقف سياسي او متطرف ثوري. لا خيار في ذلك بكل بساطة. غدا لن يكون الا افضل من اليوم .

ـ أليس من مزيد ؟

ـ الامكانات مفتوحة ويمكن دوما، كما يقول الوضعيون، الاسهام في خلق اوضاع كالتي نحن فيها اليوم. يضاف الى ذلك ان الثورة مبهجة دوما ...

ـ تساءلت الان عما اذا كنت لا تبالغ قليلا في تحفظاتك حول جهاز السلطة. وعما اذا كنت، انطلاقا من قلق عميق، لا اشك بوجوده، لا تبرهن على شيء من «التبجح بما ليس لك» الذي ربما يعود الى مرورك بأوروبا..

ـ ارى لهذه المسألة وجهين. الاول في غاية الدقة والثاني لا تفوتني فيه الدعابة. حين افكر بالمشروع الثوري او بتعهدي الشخصي، اكون جديا، وهذا واضح. لكن ذلك لا يمنعني من ان اسهم في الفوضى واقول اني معارض، وهذا مألوف هنا وشاف بحد في الحقيقة .

ـ قد يكون في ذلك دلالة على فقدان الحماسة ؟

ـ ربما اقول لك بكل جدية ان تعهدي فيه حماسة بقدر ما فيه برودة. وددت لو تكون لي ايضا هذه الموهبة الكلية والمتحمسة التي اجدها عند الفتية وكثير من الناس. فقدتها في مكان ما من غير ان ادري. والواقع ليست لدي ابدا، ولربما اني اسعى كثيرا الى العقلانية والمنطق في الامور. بينما اعمل راكبا فوق الاثنين. ماذا تريدني اعمل؟ اني اتحمس لبعض الاعمال واعرض نفسي للخطر الجدي في كل ما هو ثورة . تحمسني اشياء قليلة،لكنها مرسخة بجانب كبير من الموضوعية والاستدلال اذا كانت الحماسة تأثرية، فمن المنطق ان الاستدلال والتحليل يجعلاني افقد شيئا من العاطفة. وهذا لا يمنع بكل وضوح من المساهمة. وهذا تحديد يعرفه كافة النيكاراغويين الذين تشبه تجربتهم تجربتي. لحسن الحظ اننا لم نمر جميعا بنفس الطريق. افكر، مثلا، بشيوعيينا. اذا قلنا لهم اننا نوجه انفسنا نحو حكم اوروبي اشبه بالحكم في المانياالديمقراطية

فانـا مقتنع من انهم سيفقدون جانبا كبيرا من حماستهم الراهنة. لانني انـا، اذا قيل لي ان البس ربطة عنق لاتوجه الى عمل رسمي ، لفقدت في خمس دقائق عشرة اعوام من نضالي. علينا ان ننطلق اعمق، ونفهم ان تولي السلطة ليس غير بداية. وليس من طريق اخر. المسألة بلا ريب مسألة حقيقة مأساوية ومتناقضة لا شيء يتيح لي ان اغيرها الان ، لكني لا استطيع بسببها ان اقبل بأن اكون تابعا. المهم ان نعرف النقطة الصحيحة التي نحن فيها في كل وقت .

ـ هل الثورة شيء جميل ؟

ـ هذا واضح، بالنسبة لكثير من الناس. وكانت جميلة بالنسبة لي اكثر من اليوم. كنت في كوبا، ليس لاشترك في تولي السلطة، انما لبناء الاشتراكية. هذه الاقامة انتزعت مني الخيبة التي احسست بها في اعقاب رحلاتي المختلفة في اوروبا الشرقية، ليست خيبة كلية طبعا، انما جزئيا مع هذا. اتحدث اذا عبر هذه التجارب والمعرفة التي كونتها عن الثورات الاخرى في العالم. ماذا تريدني ان اقول. نعم انها جميلة.. اكثر جمالا من نظام كنظام سوموزا. غير ان لها حدودا، بالنسبة لي، لا يمكنها ان تمثل املا بلا حدود. نحن نرى ابعد قليلا ... في الواقع، يجب ان نشعر بثورة ، وحين اقول انها جميلة فأنا استند الى الاحاسيس او المشاعر وليس الى اشكال هندسية متناسقة تقريبا. انا شخصيا، لم اعش منذ سنوات مثل شدة هذه الحماسات الكبيرة والانهيارات الكبيرة. حياتي اكثر خطوطية وافقية، الامر نفسه بالنسبة للثورة ، التي ادركت فيها بعمق انها تطور، تمثل في كل النقاط حياة افضل وتزيد طاقات الحياة الانسانية. لكن اخرين يعيشونها بمنتهى الحدة. اذا قيل لي اليوم اني ربحت عشرة الاف قرطبة باليانصيب . لن اطير فرحا، لكنها ستساعدني على تنهيج عيشي بوجه افضل وتجعلها اكثر سهولة. يحدث الامر نفسه في الثورات . لقد مثلت الانتفاضة المتلازمة مع الحلم . نحن اليوم اكثر واقعية. افضل ان اتحمس لنتائجها الحقيقية. لكن صنع الثورة بالعاطفة والضمير فحسب لامر رهيب .

ـ كنت في ساحة الكنيسة حين تفجرت البهجة تحية لرحيل سوموزا. ماذا شعرت ؟

ـ ما ازال متأثرا بفتاة صغيرة كانت تبتسم لان بسمتها جعلتني اكثر انسانية. واثرت في لحظات في هذه المظاهرة، مثلا، حين شعرت بالعزم الكبير لشعب على النضال في سبيل عالم مختلف. هزني ذلك والمني في

الوقت نفسه فكرت انه يطمح لشيء ليس حقيقة كلية. لم انس انه لا بد من العمل الى حد رهيب ليصبح هذا الحلم حقيقة .

ـ ربما انك تبني في ذلك تعهدك ؟

ـ تعهدي وتناقضاتي. لان دانيل اورتيفا وروبيلو والاسقف قد تأثروا ايضا. ابني تعهدي فيه، لكن الاسقف ايضا، ومن هنا تنبثق التناقضات ...

ـ هل لك ان تضيف شيئا؟ «هل لديك شيء تضيفه الى التلفزيون؟ كل ما استطيع قوله هو ان انتظم منذ الان في الممارسة والمناقشات. غير انه يبدو لي امرا اساسيا الا افقد هذا الاهتمام بالثورة، لان الاحداث احيانا تسدد ضربة قاسية للحماسة فيجب ان ننتبه باستمرار لكل شيء. يتحدثون دوما عن تجربة تشي غيفارا حين دخل فيديل هافانا والقى خطبا جميلة وهامة. في هذا الوقت حاكم واعدم بعض ابناء العاهرات. ربما لم يسره ذلك. هذا امر رهيب. كان مجبرا على ان يظل خارج هذه اللحظة يوم كان الجميع يحتفلون بالنصر. علينا احيانا ان نأتي امورا غير محببة تقتضيها الضرورة وتحزننا. تصرفات تبعدنا عن المشاركة النزقة لكنها اساسية ان اردنا ان نتقدم. اشعر بارتياح في هذه اللحظات التي لا افسرها. يمكن ان يحدث لي ذلك ليلا او حين استيقظ، حين احدث فلاحين او اتناقش مع دانيل او جيم او باتريسيا . ذلك كله يرسم مسألة نتخبط حولها ولا نستطيع الخروج منها باللجوء الى المنطق وحده ...

((العدو سيتعلم دروسا من هذه الثورة)) !

حديث القائد هومبيرتو اورتغيا

ان الاطاحة بديكتاتورية قديمة عاشت اربعين عاما لا بد وان تستقطب انتباه المسؤولين السياسيين، وعاطفة شعوب قارتنا. لقد اتاح انتصارنا، في اطار التناقضات القائمة، اتخاذ موقف مستقل من بعض الحكومات الديمقراطية البورجوازية تجاه الشركات المتعددة الجنسيات والقطاعات الامبريالية الاشد رجعية. وكان له انعكاسه التصويت الذي تم في المؤتمر السابع عشر لمنظمة القوات الامريكية، الذي تم بموجبه رفض اقتراح التدخل العسكري. ان المسالة بالنسبة اليهم هي بوضوح مسالة كسب مواقع دولية ضرورية لنموهم في اطار الازمة العالمية التي ارتدت هنا طابعا خاصا بسبب الهيمنة الامبريالية . اما الثوريون، فمن المنطقي ان يهتموا بقدرتنا على احراز النصر. غير اننا لا نستطيع ان نؤكد ان المسالة مسالة نموذج يجب على الجميع ان ينضموا اليه لحل مسالتهم. لا يمكن اتخاذ ثورتنا بالعد آليا. ان هم استخدموها بصورها الايجابية او السلبية، مثلما نهلنا نحن من معارف اخرى اتاحت لنا ان نبلغ اهدافنا. بيد انه لا ننس ان العدو سياخذ دروسا من تطورنا وان لا شيء يؤكد ان عليه ان يتبع طريقا متماثلة .

نضرب مثلا بقيادتنا ثورة مظفرة

حديث القائد توماس بورج

ان الشيء الاساسي الذي نحمله الى كفاح شعوب القارة هو بلا ريب مثال ثورة ظافرة

ضد جيش مدرب خير تدريب ومسلح خير تسلح، ثورة شعبية امكنها ان تشق طريقها رغم كل العوائق. من الواضح انهم سيجعلوننا مسؤولين عن التصاعد الثوري في البلدان التي تعاني من البؤس والقمع، في حين ان هذا البؤس والقمع هما بالضبط سبب الثورات. ليس علينا مسؤولية اخرى غير مسؤولية اعطائنا مثلا في انجاح ثورة مظفرة. لم يفوتهم ان يلقوا علينا مسؤولية التصويت في المؤتمر السابع عشر لمنظمة القوات الامريكية، حيث خلافا للتقليد، صوتت حكومات امريكا اللاتينية ضد اقتراح تدخل الولايات المتحدة. ان الموقف الذي تبناه على هذا النحو سبعة عشر بلدا من القارة لا بد وان يأتي ثماره بحيث ان تدخلا في المستقبل من جانب الولايات المتحدة في الشؤون الداخلية لبلد قد اصبح مستحيلا.

تفسير خاصية التطور التاريخي لكل شعب

حديث القائد لويس كاريون

نحن لا نعتقد بوجود نماذج لدروس ولا بامكانية اعطائها. لكن انتصارنا قد يذكر ببعض نقاط نسيت كثيرا في الاغلب. مثلا اهمية الوحدة الوطنية ووحدة القوى التقدمية. بعد عشرين عاما على انتصار الثورة الكوبية، اظهرنا ايضا ان الطريق المسلحة تظل الانجع للتخلص من الديكتاتوريات العسكرية، وهي التي تعطي المزيد من الامكانات الملموسة للنصر. نحن شهدنا بين هذين التاريخين هزيمة عدد هام من حركات المغاوير في القارة، ولدت شيئا من التشاؤم حول امكانية النصر بالسلاح. ومع هذا كان ذلك هو الطريق الذي سلكته الثورتان الوحيدتان اللتان انتصرتا. نقطة اخرى كان لها صدى كبير ونجدها في الثورة الكوبية ينزع الجميع الى نسيانها بحد، هي ضرورة سياسة واسعة وشجاعة، وتعبئة مرنة بعيدة عن المخططات والعقائد. وضرورة الالتصاق بالتقاليد وتفسير خاصية التطور التاريخي لكل شعب وبناء المشروع الثوري استنادا الى التجارب الماضية. اعتقد ان ذلك قد كون احدى كفاءات الثورة الكوبية واحدى مميزات ثورتنا. لقد قطعنا صلتنا بعدد من المخططات فانتصرنا.

الجمعة ٢٠ تموز ، ماناغوا

في معقل سومـوزا المحصن

تقرر الاحتفال بالنصر، الذي تميز بوصول المجلس الحاكم والقيـادة القومية للجبهة الساندينية، ان يكون ظهرا في ساحة ماناغوا المركزية، التي عمدت ثانية باسم ساحة الثورة .

الساعة ٨ ـ اجتماع امام كنيسة ليون. تشكل موكب كبير نرى فيه السيارات المتباينة جدا. ركب دانيل اورتيغا في سيارة وتوماس بورج في سيارة جيب وجيم ويلوك في سيارة شيفروليه ، ووضعت سيـــارات مرسيدس لبعض المدنيين الذين دعوا الى تسلم مناصب هامة في الجمهورية الجديدة. وتكدس المقاتلون في شاحنات وضعها تحت تصرفهم ملاكون كبار وباصات من البلدية .

توجهنا الى ماناغوا. تجول الموكب في ناغاروته ولاباس سنترو. كانت البيوت كلها تعلوها اعلام حمراء وسوداء. تعلق الصبية بالشاحنات بأمـل اخذهم، وبكت العجائز فرحا. المقاتلون الذين يركبون سيارة الجيب التـي اخذت مكاني فيها، راحوا يبتسمون بسمة المنتصرين للفتيات اللواتي يمرون بهـن. كانوا مكلفين بحماية اعضاء القيادة القومية، فظلوا متيقظين، لكـن ذلك كله بدا لهم طبيعيا. والامر نفسه بالنسبة للمئات الاخرين الذين كانوا خلفنا، كانت وجوههم اشبه بوجوه تلامذة نجحوا في الهـــرب . يهتفون

بشعارات سياسية دلالة على النصر والتصميم على الا يفلت منهم. يظهر ان بعضهم لم يدرك ما حدث لهم. الاقل بينهم تسيسا يفكرون بلقاء عائلاتهم وحياتهم السابقة، والرعب على الاقل. اما الابطال بينهم فلا يشعرون بشيء.

الساعة ١١ ـ عرقلة سير ضخمة مختلطة تسيطر عليها العسكرية في تقاطع طريق ليون ، عند مدخل ماناغوا . كانت عشرات، وربما مئات من السيارات المحملة بالمقاتلين قد جاءت من كل جبهات البلاد . من مروا من قبل بالعاصمة يباهون ببزات كاملة « صنعت في الولايات المتحدة » ، تم الاستيلاء عليها من ثكنات مختلفة في المدينة . وتظهر بكثرة بنادق « م١٦ » و « الجليل » . كان منها كثير جدا بحيث اضطر لتكديسها في الشاحنات . رأيت لاول مرة سانديينيين جاثمين فوق عربات للحرس الوطني صالحة للسير ، بعضها جديدة تقريبا ، من عربات مصفحة وسيارات جيب ودبابات وناقلات جنود ، تختلط بالسيارات الخاصة التي استولي عليها في كل البلاد . كان الموكب تعلوه عشرات الآلاف لصور ساندينو . انه ثأر منتظر منذ خمسة واربعين عاما .

وجد المسؤولون شيئا من المصاعب للحفاظ على الانضباط . كان الاخوة والاخوات والاصدقاء ورفاق النضال قد انقطعت اخبارهم عن بعضهم بعض لقتالهم في جبهات مختلفة ، فشاهد بعضهم بعضا فراحوا يتنادون ويتعانقون ويهنىء بعضهم بعضا ويدهشون ويقسمون ان يناضلوا « حتى النصر ، دوما » ، وان يجعلوا من بلدهم « وطنا كبيرا جدا . ويتبادلون الاخبار عن فلان او فلان . ويروي بعضهم لبعض قصص الحرب التي اصبحت في ذمة التاريخ . انها افضل ما في القصص . كان صحفي قديم امريكي لاتيني موجودا في هافانا يوم ان انتصر فيديل والثوار ذو اللحى » ، فلم تصدق عيناه ما يرى : « كانوا مئات بالكاد وصمدوا عشرين عاما .. بينما هنا .. »

القادة وسط الاحتفال الذي شاركوا فيه كالآخرين ، وهم اعضاء القيادة القومية والمسؤولون عن كل جبهة . كانوا جميعا هنا باستثناء واحد : جيرمان بومارس ، « الشيخ » ، الذي قتل في مطلع الهجوم النهائي . لم يكن الشهيد الوحيد في الثورة ، لكن شعبيته الخارقة واصوله الفلاحية وتعلقه الثابت بالوحدة الساندينية ، يجعله رمزا لهم جميعا . سمعت مرتين قائدا يقول لجاره والدموع في عينيه : « آه ليت « الشيخ » امكنه ان يرى هذا فقط » . ان التعلق بحب الاموات قوي

جـدا عند الساندينيين . لكـن البهجة تجرفه والعيد يجرف الاموات فـي النسيـان الموقوت . تهاوى تومـاس بورج ، من « الحـرب الشعبيـة الطويلة » السابق ، بيـن ذراعي فيكتور تيرادو لوبس ، الثالثي السابـق. انهمـا الان الاكبـر سنـا ويريدان ان يضربـا مثلا لعشرات الآلاف مـن الاشخاص الذيـن يشاهدونهمـا اليوم . جلسا وقـد وضع كل منهمـا ذراعـه فوق كتف الاخـر بصحبة كارلوس نونيس ، البروليتاري السابق، في مقدمة شاحنـة ركب فوقهـا رشاش « ٥٠ » . اما لدن باستورا ، « القائد صفـر » الذي استولى في آب ١٩٧٨ على المجلس النيابي الوطنـي مع كافـة نواب البلد تقريبا ، فقـد جلس بيـن بايارذو آرسه ولويس كاريـون ، قريبـا جدا مـن باتريسيا ورونيه وروبيرتو ، قبالة موديستو. انهم جميعـا خلفـوا وراءهم خمسة ، عشرة ، حتى عشرين عامـا مـن النضال والعمل السري . عانـوا الخوف والعزلة والتعذيب والكثيـر مـن برص الجبال الذي ما يزالون يحملون آثاره . لكـن التاريخ الذي صنعوه بالكاد ان يترك لهم متسعـا من الوقت . مرت المظاهرات الشعبيـة ثم بدأت الاحتفـالات الرسميـة بتقديم قسم الولاء للمجلس الحاكم والحكومة ، فعليهم ان يشرعوا بالعمل منذ بعـد هـذا الظهر ، فينظموا الدفـاع والاقتصاد والدبلومـاسيـة والحزب والصحـة والتربية ، على مستـوى البلد كله هذه المرة ، بلد لامر منهوب . عليهم ان يحكموا باسم ثورة مثالية ينظـر اليهـا العالم قاطبة بانتباه . ليس بعين العطف دومـا . قال لـي احدهم : « لا سيمـا وانـه سيتوجب علينـا ان نحقق احلام شعبنـا ، التي ربمـا تكـون مجنونة ، ونوضح له ما هـو في متناول يدنـا ونظهر لـه انـه على حـق في ان يثق بنـا ونمنحه السلطـة التي استحقهـا بمشاركته فـي الاطاحـة بالديكتاتوريـة ... انـي اشعـر بصغري ... اخاف ان اندم قريبـا على أيـام الجبل ..

اجتاز الموكب الغزير ذو الالوان المبرقشـة العاصمة المقفـرة عمليـا، فالكثيـر من سكانهـا لـم يعودوا بعـد . كـان ما تبقى من السكـان كلهم تقريبـا في الساحـة . كـان دخـان اسود ما يزال يتصاعـد في الافق. لم يتـح لـي الوقت ان ادرك اننـا نمـر امـام سفارة الولايات المتحـدة او القي نظرة واحدة على هذه المدينة الرهيبة . رأسي يدور وافكـاري ومشاعري تتصادم . عيناي تنشبان في وجوه من يحيطـون بي ، أترصد ردود فعلهم . هؤلاء الفتيـان والمغامرون ومثاليـو الامس والمتوحشون والمجهولون ، الذيـن بالكـاد يقرأون والصبيـة الذيـن يبذرون القذارة ،

« القتلة الساندينيون الشيوعيون » ، « عصابات الطرق الكبرى »، كلهم يصبحون فجأة وزراء . اسماؤهم تنشر في صحف العالم كله . يتوجهون الى الامم المتحدة ، في وقت اسرع مما كانوا يتصورون . دانيل يستقبل بعد ذلك بصفته رئيس دولة ، وجوليو يصبح دبلوماسيا وتوماس وجيم يصبحان بعد ذلك وزيرين . سيحاولان تعقب أثرهم واغتيالهم . اي نوع من الاداريين ورجال الدولة سيكونون ؟ ماذا سيكون عليه الابداع تجاه البيروقراطية ، والحماسة المجابهة بمنطق الثورة ، والضغوط الاقتصادية والسياسية والعسكرية الآتية من الداخل والخارج ؟ « وطن حر او الموت » كانوا يقولون . انهم لم يموتوا بيد انه يقتضي الكثير ايضا لتكون نيكاراغوا حرة . متى يمكنهم ان يتخلصوا من منازعات المصالح التي هي ليست من مصلحتهم ؟ يظهر ان كل شيء قد اقترن في الاسابيع الاخيرة فجعل نصرهم ممكنا . الى ان قدمت لهم حماقة اوركويو العجيبة السلطة بكاملها تقريبا فوق طبق من فضة .. لكن البلد مدمر منذ وقت طويل ، ونصف السكان اميون ، والوفيات بين الاطفال اعلى ما في القارة . لا استقلال ولا حرية حقيقية في مثل هذه الشروط . والمساعدة الموعودة توشك ان تكون اكثر تقتيرا اذا ما قورنت بالمساعدة بعد الزلزال . انهم يعتمدون على مشاركة الشعب. لكن هل سيتبعهم الشعب بنفس حماسة الامس ؟ ان معارك الانتاج على أهميتها وغيرها من « الآحاد الحمراء » او الساندينية في مثل هذه الحال ، تفتقد الى شيء من الاندفاع والحماسة . والمقارنة مهما تبدو مؤلمة ، يسهل بلا ريب تعبئة جيل من الشباب بكامله ، وبلد بكامله ضد فظاعات ديكتاتور دموي اكثر من ضد ما تفرضه منظمة دولية من اوامر بالقوة .

لويس وأوفالدو وجافيه ويواكيم وغلوريا وكلوديا وغيرهم ... في العشرين من أعمارهم ، سيكون الاصغر سنا بين جميع رؤساء الدول، في الخمسين من اعمارهم ، سيكونون اصغر سنا مما هو عليه اليوم سن رئيس الجمهورية الايطالية والقادة الصينيون او السوفييت ، او امبراطور اليابان وبعض الآخرين . انه سباق حواجز طويل لا ينتهي لعداء المسافة الطويلة الثوري . لن يتاح لهم الوقت ليتنفسوا ، تترصدهم شراك اكثر تعقيدا وفجورا من اي وقت مضى ، يختلج في نفوسهم ان الحرب قد وفرتهم حتى الآن .

ظهرا ــ وصلنا الى ساحة الثورة . تغص ايضا بالناس في

ناحيتيهـا ، من جهتـي الكنيسـة والمجلس الوطني . اقل منحدر يغطيه عشرات من الرجال والنساء والاطفال . وشرائط متعددة الالوان . فـوق الارض السهلة ، مائة الف ، او ربما مائتـا الف شخص يهـزون اعلامـا ورايـات صغيرة ، الشمس فـي اوج توهجها . الوجوه اصبحت قرمزية. كـان حشـد ليون ، احتفـالا برحيل سوموزا اشبه بحفلـة عائلية بجانب هـذا الهيجان . التقدم مستحيل . كـان اعضاء المجلس الحاكم ، من فوق سيارتهم الاطفائيـة ، يهزون ايديهم فـي كل الاتجاهات ، وكأنهم نجـوم سينمـا . أمر غريـب .

انطلقت رشقات رصاص من اسلحة آليـة ، فجرت العنان لكل توتر وبهجة ، وتثبيط همـة لاولئك الذيـن وجدوا يوم امس اسلحة فـي الثكنـات المهجورة ، فيأسفـون الآن لانهم لم يستطيعوا استخدامهـا . بددوا من الذخيرة فـي خمس دقائق ما لـم يستخدمه الساندينيون اثناء معركـة ماناغوا كلهـا . اصبحت اصوات الطلقات مصمة جنونية . كـان هومبيرتـو اورتيغـا في السيارة الاماميـة ، محصورا كغيره وسـط الجمهور ، فوقف فوق غطاء المحرك ليصدر امرا بالتوقف . اخـذت ذراعاها ، المنثنيتان عجزا ، ويداه الضامرتـان اللتـان لم يستطـع استخدامهمـا في اعقاب جرح في الحرب ، تهتزان فـي الهواء بجنون ، مهلوسا : « لا تطلقوا ! لا تطلقوا ! » كيف لـه ان يأمل بأن يسمع ؟لكـن السلطـة تأتـي من جهـة اخرى . بدأوا يعرفون عنه انه احـد المنظريـن الرئيسيين واحـد اول فناني الثورة والنصر . كـان صوته لا يبعـد اكثر من ثلاثة امتار ، لكـن ذلـك كـان كافيا . اخذ المتدافعون حول سيارتـه يصيحـون بدورهم : « لا تطلقوا !» « لا تطلقوا ! » تكرر الامر ، يؤكـد عليه دفعـة واحدة عشرات ، مئات ، آلاف ، عشرات الآف من الاشخاص. اصبحت الساحـة كلهـا صوتا واحدا اعطاهـا هومبيرتو وتيرة بلا مهارة، لكنهـا ناجعـة . ان المقاتليـن والمتطوعـة لا يمكنهم ان ينسوه . تباعدت الطلقات . وتضاءل الاطلاق بسرعـة كمـا انطلق . سيطرت لحظـة صمت وتجمـد الجميـع ... « عاشت الجبهة الساندينية عاش ! عاش ! عاش! ساندينـو ! عاشـت نيكاراغوا ! عاش الشعب ! » لكم رأوا في هـذه اللحظـة صورة الثورة وسلطة الشعب ؟

الساعـة ١٢،٣٠ ـ وصلنـا الى اسفل الدرج الامامي للقصر الوطني. لـم تكـن له درجات . فـلا بد لتسلقه من قوة القبضة ، بمساعدة رفاق كـان عليهم ايضـا ان يأتوا بالاعاجيب كي لا يسقطوا . صعد كل قائـد

بدوره ثم استدار لتحية الجمهور . كان اكثر من حياهم الجمهور ، واشهرهم هم توماس بورج وايدن باستورا وفيوليتا شامارو . القى كل منهم كلمة قصيرة لا تسمع تقريبا .

الصياح لا يسمع تقريبا داخل القصر السميك الجدران . بسطه المخملية وأرائكه جعلتنا نفكر اننا في عالم آخر . لكن الترصن المصطنع والاحترام والتحفظ الذي كان يبديه البرلمانيون الفاسدون بالامس ليسنوا القوانين وفقا لاهواء سوموزا ، لم يعد لوجودها من مبرر . قام قائد وقد تمدد وسط ممر وقبعته منخفضة فوق وجهه . كان السفراء يبحثون بيأس عن ماء من مشرب النواب . كان وليام باودلر ، مبعوث كارتر الخاص ، يجلس فوق درجات منصة الشرف . طلب مني ان ألتقط له « صورة تذكارية » ، وقد اتخذ وضعيته مع ميغل اوسكوتو ، الذي اصبح فيما بعد وزيرا للخارجية ، وقد أمسك بالاثنين بذراعيه . التقيت بليا وقد جلست فوق طاولة . كانت قد سمعت الراديو هذا الصباح يعلن تعيينها وزيرة للرفاه الاجتماعي . « ليس لدي اية فكرة عن هذا الموضوع » .

الساعة ١٣،٣٠ ـ اقسم المجلس الحاكم يمين الولاء في قاعة استقبال في الطابق الاول . وكان حاضرا اسقف ماناغوا ومبعوث واشنطن الخاص . كان اعضاء القيادة القومية يهرعون واحدا بعد آخر ، تحت صورة الشاعر روبن داريو ، حاملين امامهم علم الجبهة الساندينية،بينما المدنيون ، سيرجو راميرس وفيوليتا شامارون والفريدو روبيلو وموريزس حسان يمسكون بعلم نيكاراغوا الازرق والابيض . القى مستشار جمهورية الدومينيكان خطابا كله دس وازعاج . كان التلفزيون يصور والمصورون يلتقطون الصور والدبلوماسيون يتواعدون. من نافذة، يشاهد الجمهور في الأسفل ، ما يزال يصيح بلا هوادة ، يردد مؤكدا كل شعارات عشرين عاما من النضال . لاحظت القادة ، الذين وقفوا كلهم تقريبا في الظل ، ليس ليصفق الجمهور لهم ـ اذ لا يستطيع احد ان ينظر اليهم بالشمس من الاسفل ـ انما ليشاهدوا فحسب . يشاهدون ولربما يفهمون ايضا . لبث كارلوس نونيوس معظم الوقت في عينين مبتلتين ، شاردا . وموديستو متأثر ايضا ، حدثني عن المسؤوليات الثقيلة والتعهد تجاه هذه البقع من الالوان المتموجة التي لم تسحقها الشمس. اما باتريسيا، التي الفت هذا المكان اذ كانت قائدة عملية آب ١٩٧٨ ، فقد طرفت بعينيها مرات ، تعالج بعصبية بندقيتها الرشاش:

« انتظـرت هذه اللحظـة سنوات . لكـن ان اعيشهـا فذلك امر آخر » . ثم قالت وهـي تمد يدهـا نحـو الخارج : « حيـن ارى هـذا اعرف ان ثورتنـا لن تنتكس » .

الساعـة ١٥ ـ زيارة قصيرة للقصر القاري ، وكـان حتى يوم يلتجىء فيه سوموزيـون مصرون على آثامهم . لم يكـن ملاكه فيه ليرتب الغرف. دخلنـا اليه وكأننـا تدخل طاحونـا اذ كانوا فـي معظم الاوقات يذهبون حامليـن معهم المفاتيح . هل عـن سهو أم للذكرى ؟ كانت البزات ملقـاة على عجل فوق الاسرة والاسلحة الآلية في الخزانات . شهود الايام الاخيرة يتحدثون عـن مشاهـد تذكـر بالجنـون الذي دب لمغادرة سايغـون ، قبل وصول الثوار الفيتناميين اليهـا بالضبط : فالطائرات تنقض وتقلع بمأساة وكل مـا فـي البشريـة من بؤس من اولئك الذيـن اصبحوا على استعداد للتذابـح لانقاذ جلدهم . هنـا على الاقل ، تحولت السفارات والكنائس الى ملاجىء مضمونـة من الساندينيين ووضعت تحت رقابة الصليب الاحمر. وهي ملأى باللاجئيـن .

في احدى حجرات القصر القاري كان النور مـا يزال مشتعلا . في خزانـة الثياب ، بزة احتفالات رسميـة وقمصان ناعمة فـي لون ازرق صاف ، وجيليت واقيـة من الرصاص يغطيهـا قماش قطني ابيض ،تلبس في الاحتفالات الاجتماعيـة . فوق الطاولة ، محفظـة معلمة برقم وزير سابـق في العهـد السوموزي . فيهـا بضعـة اوراق واذن مرور خاص من الرئاسـة ودفتر شيكـات على مصرف نيكاراغوا . لا بد وان الرجـل كـان يعرف اكثـر من اي احـد ان الهاربيـن لـم يترددوا بأن يسحبوا لانفسهم ، تحت تهديـد السلاح ، كل السيولـة النقديـة المتوفـرة ، ويوقعـوا لانفسهم شيكـات بمليـون دولار . في ادراج المكتب ، وجـدت رزم علب سيكائر وسيجار تقليـد هافانـا والكثير من زجاجات الكحول. فوق طاولة الليـل ، سطل ثلج ما تزال تتربـع فيـه زجاجـة شمبانيـا من علامة « فوف كليكو ١٩٧٢ » نصف مليء ..

الساعة ١٥٫٣٠ ـ اجتزنـا ساحـة لتوقف السيارات وشارعـا ثـم وجدت نفسي في وكـر سوموزا : « لا لومـا دي ديسكابا » حيث كانت توجـد وحداته من النخبة ومعقلـة المحصن . تشكلت ادارتهـا الجديدة بسرعـة . وعمدت المنطقـة ثانية باسم : « المجمـع العسكـري جيرمـان بومارس » . ابوابهـا التي فتحت قبـل ساعات من هذا الصباح ، أعيـد اغلاقهـا . لكن حارسهـا اليوم ، الذي اشترك فـي الهجوم على مشفى

ماناغالبا ... اصبح اخا الان . لا علاقة له بالحارس الذي ادخلني منذ خمسة اشهر ، يوما بيوم ، حين استقبلني « الرئيس سوموزا» من اجل حديث صحفي . كان حارسا عاديا ، في شارب وقبعة وبزة مدنية بلون بيج فاتح . والد عائلة بلا ريب ، ليس شريرا بالضرورة ،لكني لا انساه ابدا . كنت قد تأثرت بدخولي مثل هذا المكان واضطراري لمصادفة « ابناء سوموزا » الذين اسمعهم يوميا يروون الجرائم، ومروري امام مكاتب الامن القومي التي كان يعذب فيها يوميا عشرات من الاشخاص . حينذاك تجمد دمي عندما شاهدته يخرج من جيبه ابهاما مقطوعا احمر كالدم . اضطررت لان استدرك ثلاث مرات لأتأكد من انه كان فعلا من البلاستيك يتدلى في سلسلة مفاتيح رخيصة الثمن .

المعقل كتلة طويلة من الاسمنت المسلح ، منخفض ، لا تظهر عليه اقل فتحة ، بني بامتداد الرابية قبالة المدينة وبحيرة ماناغوا . وخلافا لما تصورته مخيلة الشعب ، داخله ترف متزن وآية في فن حسن الذوق الغني . عملي وبلا زخارف . يغلب فيه الجلد اللدن والخشب القاتم . وحجرة للعائلة وبعض مكاتب للضباط والمساعدين الخاصين بالجنرال، ثم تأتي قاعة كبيرة للاجتماعات ومكتب الرئاسة والشقق الخاصة وتتألف من غرفة وقاعة طعام ـ صالون ومطبخ وحمام .

لم يكن للحديث اهمية ابدا . كان رجلا جميلا ، متسلطا ، في نظرة ذكية . اكتفى الرئيس بالرد في غاية الايجاز وبكل ادب على الاسئلة المطروحة . قبل ان يصرفني ، جعل وقاحته الاسطورية تظهر ثلاث مرات فقط : بصدد احتمال استمرار سلالته في السلطة بفضل ابنه : « يمكنه ان يرشح نفسه كأي نيكاراغوي ، وصناديق الاقتراع هي التي تقرر ، وبصدد موجة الاحتجاج التي اخذت تعم البلد كله : « آوه، انت تعرف ، من عادتي عقد اجتماعات انتخابية . ليست هذه هي المرة الاولى التي اسمع فيها بعض المدفوعين يصيحون :« اخرج يا سوموزا»، واخيرا بصدد سحب المساعدة الامريكية : « تؤثر في الشعب اكثر مني. لدي من النقود ما فيه الكفاية لاعيش ».

وبالعكس ، قدمت لي قاعة الانتظار مكثفا من الصور الرمزية عن النظام : تحت نظرة رقيب ـ سكرتير العصبية والتي لا تخطىء ، رأيت سفير غواتيمالا ورجل اعمال امريكي وشاب مصرفي نيكاراغوي في هيئة المنغمسين في الملذات ، ومسؤول عن ادارة جزء من ثروة

الديكتاتور الشخصية . وكانت المجموعة الاهم هي وفد عن احدى الكنائس التي لا تحصى في الولايات المتحدة ، وهما امريكيان من الغرب الاوسط ، بأحذية رفيعة الاطراف كأحذية الكاوبوي ،يصحبهما مترجم نيكاراغوي . كانت ذراعا الاخير مرتبكتين بعلبة ضخمة ويغلفها ورق هدية عيد الميلاد وشريط ضخم احمر في عقدة منمقة . علبة رأيتها فيما بعد مفتوحة فوق مكتب سوموزا ، خرجت منها قرابة عشرة من كتب التوراة وقد اهينت متكدسة في مكان . السفيروالشاب المستهتر المنغمس في الملذات ورجل الاعمال ورجلا الدين ، كلهم نهضوا بهمة لتحية دخول الجنرال ، الذي كان يمسك بتراخ بيده اليسرى اعلانات رائعة بالالوان ، تمجد الصفات التي لا تضاهي لعربة مدرعة تصلح لكل الاراضي . مثالية في الحرب التقليدية وشديدة الفائدة في قمع ثورات المدن المسلحة .

هذا المحيط المزخرف بالبلد على الطريقة الامريكية ، لم تعد له صلة بهذا اليوم من ٢٠ تموز . الاماكن هي نفسها ، لكن الفوضى تسيطر عليها الى حد عجيب . سببها هروب الديكتاتور السريع ودخول المقاتلين المرتجل وبعض المدنين الذين عاثوا فيها فسادا ، يوم امس. ارض المكاتب تغطيها كلية صفائح صغيرة من الورق تكدست بسماكة ٥٠ سنتم تقريبا . وفي زاوية هرستا ورق يشتبه فيهما انهما لم تعملا الى هذا الحد الا في الايام الاخيرة .

اجتمع اعضاء القيادة القومية . املوا مسائل عسكرية ، فالوضع لا يقتضي تقرير هجوم عسكري مفاجىء جريء وانما تنظيم الدفاع عن بلد بكامله بلا ابطاء .

في الحجرات الاخرى ، ما يزال الاحتفال . الفضوليون والطفيليون ، المقاتلون المتشككون او هواة الذكريات التاريخية ينعمون بالاحتفال . قرابة خمسة عشر مقاتلا مستغرقون بلذة في الادراج والخزائن والسلاح لا يفارق ايديهم . وجدوا كل شيء ،من تلفزيونات واجهزة اتصال بالراديو وعدة كاملة لبطاقات تسجيل المعلومات (فيش) ، واكداس من جوازات السفر جاهزة للتوقيع ، وتقارير تجسس وبرقيات من واشنطن وسانتياغو ورسائل من معجبات ورسائل شكر والقليل من كشوفات الحساب وبعض دفاتر شيكات ، ومعلومات حول النشاطات العسكرية للجبهة وخططها . انطلق صفير متعجب : « ياللعاهرين ، انهم يعرفون

عنهـا اشياء ! » وصناديق بكاملهـا لافلام للتصويـر بالالوان ، وطلبـات للتدخـل فـي نيكاراغـوا والولايات المتحدة او في معظـم بلـدان امريكـا الوسطى ، وتقاريـر سريـة ، ومخزون من الساعـات لـم يطل عهده ، وادوات خاصـة بفتـح الرسائل الملغومة ، وصور للديكتاتور ، وسلاح او سلاحيـن من الاسلحـة المتطورة ، الخ . انه كوكب مجهول . وامتهـان الاشياء النفيسـة عمل سحري . كـان الرفاق يتساءلون ليظهـروا مكتشفاتهم ويتفجرون ضحكـا ويأتون بتعليقات متشككة ، وبيـن وقـت وآخـر فقط ، يضعـون في جيوبهم شيئا تذكاريـا يتيح لهم ان يقولـوا: « انـي كنت هنـا » .

لم يجرؤ الكثير على المغامرة بالدخول الى مكتب الديكتاتور . فظلـه ما يـزال يحوم . رأيت النص المكتوب باليد لبرقية تعلن عن وصول مرتزقة قادميـن من ميامي ، ليس لهـا تاريخ . عرفت من قائد ان طائرة استؤجرت للمرتزقـة خاصة قد طلبت الهبوط في مطار لاس ميرسيدس، بعد دقائـق بالكـاد من وصـول الساندينيين اليه . ولما كـان الساندينيون لا يريدون ان يخلقـوا لانفسهم مشاكل غير مجديـة ، تصحوهـا بأدب ان تعـود. كانت ادراج المكتب ما تزال ملىء بملفات حمراء صنفت فيهـا آخر المعلومات حول بعض المؤسسات العديدة التـي كـان للديكتاتور مصالح فيهـا . يظهر ان سوموزا قـد رحل تاركـا ملفات ثرواته في نيكاراغوا واخذ غيرهـا . صرح لدى وصوله الى ميامي بأنه « يتزود بزاد بسيط يضعه كـل شخص صالـح باستمرار تحت متناول يـده للاوضاع المفاجئة » !

ثمة غرفـة نوم رهبانيـة ، اي الوانهـا قاتمة ، اذ يحتلهـا سرير واسع . ورفيق مستغرق في التفكيـر امام الصندوق الحديدي المفتوح، « هذا القذر لـم يترك غير ثلاث قرطبات و٧٥ سنتيمـا ـ قال لـي :خذها لك ، ذكـرى » . مد لـي القطع الثلاث ، وفي الوقت ذاته وضع في جيبه القطـع الورقيـة الثلاث .

ان مـا يفاجـيء هـو الهاتـف المعلق فـي الجدار قـرب حوض بيت الخلاء . انهـا صورة تذهل عـن اولئك الراحليـن عن ريفهم واكواخهم من غيـر ادنـى رفاهيـة ، او عـن سنـوات المغاويـر حيـث اضطروا لان يتعلموا الاستغناء عن كل شـيء .

راحت البهجة تتصاعـد . لكـن هؤلاء النيكاراغويين الذيـن تملؤهم الدعابة ، لا يتفجرون بسهولـة في الحفلـة . أخذوا يتشقلبون فوق سرير

الرئيس لوقت ، كتلة من فتيان اغرار . وعراك آذان بسيط . التقطت الصور التذكارية . يستحيل مقاومة هذا الاغراء . استفدت من لحظة هدوء وتمددت ووسادة تحت راسي ، وتناولت الهاتف وضربت بهدوء الارقام التي تتيح لي ان اتصل مباشرة بباريس .

ـ آلو ؟

ـ نعم .

ـ هل تسمعني ؟

ـ تماما .

ـ نفذ الامر ، انا في ماناغوا بصحة جيدة . أهتف من سرير سوموزا ...

ـ ... هل سكرت ؟

ـ لست بحاجة اليه . ليس بعد . الكوكتيل موجود في المطبخ . الخزانات وحافظات الطعام والبرادات والثلاجات ، كلها تغص بأجود منتجات مستوردة يمكن ان يحلم بها المرء : مرقة انجليزية وارضي شوكي صغير ايطالي يسبح بزيت الزيتون ، وخردل ديجون ، وخيار مخلل حلو على الطريقة البولونية ، وسلما بكامله من منتجات المخازن الكبرى الراقية في نيويورك او ميامي . والقبومون بالضبط ، من نبيذ فرنسي من الاعوام الطيبة أخذ من كروم مختارة ومتنوعة ، وشامبانيا وويسكي وبوربون وفودكا وبورتو وكونياك ... من أجود الماركات وبعد هائل . وما يدهش ، بعض خضروات وفطائر بيزه (محشوة بالبندورة والجبن واللحم) وسمك وفخذ خنزير ، ولا سيما ، لا سيما ... صندوقين من الكافيار في كل منها ٢٤ جرة في كل جرة ٢٠٠ غرام من اجود الكافيار الايراني . هل تكون هدية ارسلها الشاه ؟ انها اوج التألق ، وحصة الكلاب من الصيد ، والنشوة .

قلى المحتاجون لانفسهم شرحات لحم وأخرج العطشانون صناديق بيرة ونقب العارفون عن سحابة سدادة ليتذوقوا نبيذ بوردو ، وشرب الخشنون الفودكا من عنق الزجاجة ، وأعد اصحاب الذوق المرهف خبزا محمصا يغطيه الكافيار بكثافة ، يزينه حز ليمون رقيق ، فيأخذ طعما لا نظير له في اجود مطاعم العالم . طبطبت بشدة فوق ظهر مقاتل جذل ، كنت قد اجتمعت به في الليلة المأساوية حين سهرنا على رفيق قتل في ايستيلي : « لم افكر قط بأن مما يستحق العناء ان أتعب لاكون غنيا وأعيش بترف، لكن خوض الثورة حتى النصر امر

آخـر ... » انـه بخيـر من هذا الكافيار قرص ذرة وفاصولياء .

ليس لشيء أهميـة . كل شـيء عظيم جدا ، كل شـي تم بسرعة. المدينـة كلهـا في عيـد ، بلا تفريط ، يـوم امس حطمـوا تمثـال الديكتاتور . هنالـك الكثير من القتلـى يبكي عليهم . أقسمت الحكومة اليميـن في قصر كامينـو سيال . الساندينيـون يفاجأون بعمل كل شيء تجاه مخلفات ٤٥ يومـا من الحرب وعاميـن من التوتر المتناهي و٤٥ عامـا من الديكتاتورية وبضعة قرون من البؤس والاستغلال الاستعماري المتراكم. دعـت اذاعـة ساندينـو عمـال المركـز الهاتفي الى العـودة فورا لمركز عملهـم .

الساعة ١٧ ـ ان مباني مدرسة التدريب الاساسي للمشاة السابقة هي حصر امريكي شمالـي في ارض نيكاراغوية . ارض مفردة لا تشبـه فـي شيء الثكنات البائسـة في داخل البلاد ، التي يصعب احيانا اخذهـا، لكنهـا ليست مريحـة ابدا . وهـي مباني منخفضة وطويلة تفصلهـا فيما بينهـا مسكبـات وملعب رياضي يتمتع بكـل المنشآت الحديثة ، وحـوض للسباحة . انهـا نوع من حرم جامعي بلون الخاكي ، توفرت فيه الصحـة مقاهيهـا (الكافتريـات) ، وحجرات الخدمة الذاتيـة ذات الهواء المكيف والموزعات الآليـة للكوكا كولا المبردة ، لا بـد وانهـا لا تجعل الضباط،الذين هم من جميـع الامم ، الذيـن تدربوا في قواعـد قناة بنامـا او الولايات المتحدة ، يشعرون بالغربة . اننا لنرتعش امام هذا الفيض من التجهيزات التي بيـد « ابنـاء سوموزا » انه الترف الذي لا يقدر تجاه اي ترف آخر، اذ يجعل الحرب أقل صعوبة. يتمثل فيه كل شيء ، حتى فـي ادنى زر ، ثلاثي النموذج ، من كل الاحجام وبأجور نوعيـة ممكنـة . كلهـا تحمـل علامة « الولايات المتحدة ـ U. S. او اليديـن المتشابكتيـن وتحتهـا الرايـة المنجمة رمز « التحالف من اجل التقدم » ، وقد وضعت بلا تمييز فوق اكياس الارز والقنابل وقذائف الهاون ، والجزمـات التي صنع جزؤها المرتفـع من قماش نايلـون رفيع للبلدان الحارة ، والجوارب الصوفيـة والقطنيـة ، القصيرة او الطويلة الساق ، والسراويل القصيرة«سليب» او العارية ، حتى سراويل السباحـة ،والقمصان الرياضية ، وكل نمـاذج المحازم الممكنة ، والحميلات ، وكل اغلفـة المسدسات التي يمكن تصورها، والسراويـل السوداء التي كتبت تحتهـا كلمة « كوماندوس » باحرف نارية، وكل نمـاذج البناطيل وقمصـان المعاركـة المبقعـة او الخضراء الزيتيـة، من القماش خفيف تقريبـا او المتقـن تقريبا ، بجيوبهـا المائلة في كـل

جهة من الصدر بأحرف باسم الجندي وبلده ليتمكنوا ، بسبب امتزاج الشعوب الكبيره في معسكرات التدريب ، من تمييزهم عن بعضهم البعض ، ويساعدوا الضباط الغرينغو ، الذين لا يفرقون غير قليل بين الامريكيين اللاتينين فيميزون بين نيكاراغوي وغواتمالي، وأرجنتيني وشيلي ، والاسوأ ، بين سلفادوري وهندوراسي .

كل شيء مقرر لراحة الجيش بأقل تفاصيله ، من ادوات حلاقة وأوراق رسائل وواقيات ركب ونظارات شمسية وحتى ، في اثناء اوقات الفراغ ، دهان لتسمير الجلد في علبة مدورة بلون الخاكي ، تحفظ بلا عائق في أصغر عدة جندي .

في هذا اليوم من النصر ، كانت مدرسة التدريب رونالدو اوروسكو، التي وصلت في العشية من غرناطة . استولوا على آلاف من الاسلحة وقلبوا ما وجدوه وسط الدروب والممرات . كانت ما تزال ارضا مسدسات وبنادق « الجليل » . وقد قلبت جميع خزانات الجنود الفردية. القيت نظرة خاطفة على واحدة منها سلمت بأعجوبة من الثأر ، كان فيها طقم بدلة مدنية ، وبزة مموهة وزاوج جزمات وزوج جوارب وآلة حلاقة ومعجون اسنان وفرشاة اسنان وقبعتين والبسة داخلية وبطاريات غيار لراديو صغير من العهد السابق مرقع بالشريط اللاصق وكتابان للتأهيل العسكري احدهما بالانجليزية وحزمة صغيرة للرسائل الشخصية مربوطة بمطاط وملتصقة داخل باب الخزانة ، وصورة لعائلة تظهر صبيين بين ذراعي والدتهم وثلاث صور لنجيمات سينمائيات امريكيات في صدر واسع وبسمة دعائية ، وصورة المسيح المصلوب ، ونص : « ابتهال ضد المغاوير » انتزع من غلافة مجلة : « المدرسة » :

فلنهب ضد المغاوير في سبيل الوطن !
تلك هي صيحتنا في الحرب في الجبل .
في الليل توهج سيفي
يسطع كشعاع مصباح مشتعل . . .
المطر ، الشمس ، العرق والدم
أصدقائي في ساحة المعركة
في ظهري صوت شعب بأسره
وفي جيبي الشرف . . لاني جندي !

وقد كتب تعليق باللباد ، وفي اسفل الصفحة ، وبأحرف مستديرة

كبيرة : « الموت للشيوعية ! » وفي أسفلها بالضبط ثلاثة صلبان صغيرة ميزت بالحبر الاسود ...

لم يراع مدنيو الامس المكاتب الادارية . ترقد في ارضها كتل من الاوراق . أجري بحث سريع اتاح استعادة وثائق خارقة ، منها نسخة مصورة عن الحديث المسجل بين دوائر الامن وضابط برتبة عالية والملحق العسكري لسفارة غربية ، وبرامج التدريب في الشيلي ، والامر الذي أصدره سوموزا « بألا يعذبوا او يقتلوا سانديينيا » يقدم اسمه تحت حرف « زيت ـ «Z» » ، وبالعكس ، يرسلونه اليه في افضل اوقات ممكنة لانه يعمل لحسابه ، الخ . كان المنطق يقضي بأن تصنف وتدرس وتحلل هذه المواد كلها . غير انه كان من الجنون بلا ريب ان يتحدث المرء بالمنطق في مثل هذه الاوقات . كان المقاتلون الذين بدأوا يعيدون النظام في كل مكان تقريبا ، قد أخذوا هذه الاوراق كلها بتقزز . كانت هذه الاوراق تحرق اصابعهم . كانت ردة فعلهم ان يلقوا بها، يحرقوها . أوضح لي احدهم : « نحن لا نريد ان يكون لنا جامع مع كلاب الامس » . لكن كل شيء ليس بسيطا الى هذا الحد . أصبح ماركو ـ انتونيو مفوضا سياسيا للكتيبة ، كانت تتجاذبه مشاعره المتناقضة : « انت تتصور جيدا البهجة التي شعرت بها وانا اجتاز بوابات مدرسة التدريب الاساسي للمشاة . عند هذه اللحظة فقط قلت في نفسي ، في اعمق ما في نفسي ، لقد ربحنا الحرب حقا . لم يكن في نيتنا في البداية ان نقيم في هذه الاماكن المحملة كثيرا بالرموز . جئنا هنا لنضمن الامن فحسب . لكننا ادركنا ما احس به الشعب حين اقتحمها وسلبها تقريبا ... بقي ان هذه المدرسة بوجه خاص جيدة التصميم . ولسنا بمثل هذا الغنى لنقيم في مكان آخر ، وتبني شيئا اخر . تهدمت بيوت كثيرة في هذه الحرب . ومن المهم جدا ان نقدم مأوى في مباني اخرى لسكان ماناغوا الذين ليس لديهم مكان ينامون فيه ». توقف لحظة ومرر يده في شعره ، مكشرا تكشيرة بسيطة بفمه . « ليس هذا ممتعا لاحد لكن الشكل ليس فيما هو أهم . أشرقت نظرته : « ان ما يهم هو المحتوى الذي نعطيه للجيش الذي سيحتل هذه المباني ـ سيكون نقيضا للسابق. نحن لم يدربنا اليانكي وقد اظهرنا في الوقائع اننا دافعنا عن الشعب والسيادة الوطنية » .

في قاعة العمليات ، وجد ابطال معركة ماناغوا خارطة جدارية

هائلة للعاصمة ، تمثل فوقها المخطط الصحيح للمنطقة المحررة واستعداداتها العسكرية . وفوق جدار آخر لوح أسود يحمل الاسماء الرمزية والحقيقية لكل من الجبهات ، التي كانت تقام فيما بينها يوميا اتصالات لا تنتهي بالراديو . واسماء القادة المسؤولين المستعارة ، في عمود مفرد . ظهر في درج شطر كبير من محادثاتهم. طغى السرور على ماركو ـ انتونيو امام هذا المشهد : « انهم يعرفون كل شيء عنا او تقريبا . لكنهم حتى بهذا الشكل لم يستطيعوا وقف تقدمنا . حين يتخذ الشعب مكانه فيه ، ايها الاخ ، يمكن بخبرة التقنيين في البنتاغون والمخابرات المركزية ان يرتدوا ثيابهم ثانية » .

قدس الاقداس : الشقق الخاصة بابن سوموزا تحتل قلب مدرسة التدريب الاساسي للمشاة . هي مسكن عازب مريحة ، من بسط مخملية وبار وحمام ومطبخ وبراد ضخم فيه موزع الآلي لقطع الثلج تسقط مباشرة في الكأس . وهي اكثر امركة بقليل من بقية شقق المدرسة. ومع هذا سكن عازب الى حد غريب . فكل ما فيها اطلاقا ، عسكريا : الالواح والكتب التقنية والتاريخية ـ بالانجليزية حصرا ـ يظهر ما هو مقفل فيها ما تتعلق بطرق قمع الثورات ، وتاريخ الحرب العالمية الثانية والحرب الاسبانية . زخرف هذه المكتبة البوم رائع من صور الشعارات النازية . حتى الموسيقى عسكرية ، من السلام الوطني (مارش) لكل شعوب العالم ، واناشيد كافة فرق جيوش كل ما في المعمورة . انه لعالم مجنون يقشعر منه البدن . لكن الصور الساخرة لا تتصل دوما بالحقيقة . توقفت مسحورا امام علبة صنفت فيها بعناية رسائل غرامية وطلبات لقاء تلتهب شوقا ، ورسالة أم متيقظة ، ونسخة عن نفقات الجامعة ارسلها الاب حين كان ابنه يدرس في الولايات المتحدة . لكن رجل الاعمال اخذ يبرز خلف جنون الحرب ، فقد كان العقيد في سبيله الى السيطرة على استيراد سيارات مرسيدس لنيكاراغوا ، ولربما فيما بعد لامريكا الوسطى كلها .

داهمنا الليل بظهور شاحنتين اتى بهما مدنيون من حي مونسينيور ليسكانو ، وتتجهان في درب . احداها محملة اسلحة والاخرى اوراقا اخذت من بيوت وشاة وبيوت الكثيرين من الضباط الذين هربوا في العشية .

خمدت اللازمات الغنائية واصوات الطلقات في المدينة . لم ينس الناس الخوف فعادوا الى بيوتهم . كان بضع حرس شاردين يطلقون

النار على كل مـن يتحرك . انـه نهايـة حكم وبدايـة مناهضة للثورة . هرعت امهات مذعورات امام ابوابهـن . كـن يسألـن بيأس عـن اخبار ابنائهن ، مـن اولاد او بنات ، ذهبوا منذ اسابيـع عديدة ، لا بـل اشهرا عديدة ، والتحقوا بمقاتلي الجبهـة . لكـن كيف الرد عليهن ؟ انهم مـا يزالون تحت اسمائهم المستعارة ولوقت طويل . وعلى مبعدة ، فـي ساحة، كـان سكرتيـر مرتجل يستعرض الكتيبة امامه ، فصيلا فصيلا ، علـى ضوء مصباح خافت، فراح يحسر عن الكنية والاسماء والاعمار والعناويـن للشباب العامليـن سرا وبأسماء مجهولة بالامس .

((ليس هنالك مدرسة لاصبح وزيرة))

حديث ليا غويدو ، وزيرة الرفاه الاجتماعي

لم تضم حكومة اعادة البناء الوطني ، التي تألفت فور وصول المجلس الحاكم الى ماناغوا ، غير ثلاثة وزراء : توماس بورج وزيرا للداخلية وجيم ويلوك وزيرا للاصلاح الزراعي وليا غويدو وزيرة للرفاه الاجتماعي. وليا ، خلافا للاثنين الاخرين ، ليست من الملاك العسكري ولا عضوا في القيادة القومية للجبهة . وهي مدرسة علم الاجتماع في جامعة نيكاراغوا الوطنية ، واسهمت في تأسيس رابطة امبروناك ، التي اصبحت الامينة العامة لها ، وانضمت منذ بداية عام ١٩٧٩ الى منظمة حركة الشعب المتحد . انه ليصعب تصور سعة المهام التي كانت تنتظر الثوريين لدى وصولهم الى السلطة . ولهذا طلبت الى ليا غويدو ، الوزيرة الساندينية في وزارة لم تكن موجودة قبل تعيينها ، ان تعطينا فكرة عن مصاعب هذا العمل الواسع . فكانت بداية حديثنا :

ـ كيف أحدثت الوزارة ؟

ـ يوم دخل الرفاق ماناغوا أعلموني اني عينت وزيرة للرفاه الاجتماعي . في هذا الوقت بالذات ، كانت الوزارة انا ، وأنا وحدي، ولم يكن اي شيء من هذا النوع موجودا في عهد سوموزا . كان لدينا في الاكثر بعض البرامج الصغيرة جدا طابعها بالاحرى اعمال

احسان تقضي ثلاثة ارباع وقتها بتقديم دخل لاخوان النظام . غير انه لم تكن لدينا منظمة شاملة للحماية الاجتماعية ولا اي اهتمام بالدفاع عن نوعية حياة الشعب . اذا ، اصبحت بين عشية وضحاها وزيرة وفي مثل هذه الظروف الجديدة كليا علي ، اذ لم اتصرف قط الى هذا النوع من المسألة وليس هنالك مع الاسف مدرسة لأصبح وزيرة .

ـ لماذا اختاروك لتحمل هذه المهمة ؟

ـ ليس هنالك حتى الان احد يمكنه ان يفسر لي بوضوح. يمكنني ان اقول فقط انني بصفتي مؤسسة لامبروناك وعضوا في اللجنة التنفيذية لحركة الشعب المتحد ، اكتسبت شيئا من الخبرة في العمل الجماهيري والعمل السياسي الذي ساعدني الى حد كبير في ان اوجه نفسي يوم ان تشكلت هذه الوزارة .

ـ ماذا كانت اولى خطواتك الملموسة ؟

ـ اعطيت مكتبا في المبنى السابق للمصرف الوطني حيث يقيم المجلس الحاكم وعدد من الوزارات. بدأت باستدعاء سكرتيرة ورئيسة استقبال. ومساعدتين للجبهة اخفيتاني اثناء الحرب . ثم توجهت الى اذاعة سانديتو وطلبت من فلان وفلان وفلان ان يأتوا الى الوزارة . كل الناس الذين كنت اعرفهم .

ـ تبعا لاي معايير اخترت مساعديك الاولين ؟

ـ تمسكت بالكفاءة المهنية، وهذا واضح، وشيء من التمثل مع المشروع الشامل الذي يستحيل بدونه ان نجسم فكرة هذه الوزارة الجديدة .

ـ كم شخصا يعملون معك اليوم ؟

ـ نحن نعمل كمنظمة تنهيج. نحن خمس وعشرون. غير اننا في الحقيقة نجري تحقيقا مفصلا جدا لاحصاء ميزانية وملاك البرامج الصغيرة التي كانت تعالج هذه المسائل ايام السوموزية. ليست عديدة لكننا انسقنا لاجراء تحقيقات معقدة جدا، طابعها بوليسي في الاغلب، مثلا، اختفت ٣٠ مليون قرطبة من ملجأ كان وزيرا مسؤولا عنه. يضاف الى ذلك وجود فساد هائل في كل المستويات. وجدنا حمالين يتناولون ٤٠٠٠ قرطبة لانهم عملاء للامن، مكلفون بمراقبة الوزارات، او ، من غير ازعاج، لانهم يعملون للحرس الوطني ولان سوموزا كان لا يريد ان يعرف ذلك. وبوجه اعم، كانت القاعدة الاجتماعية السوموزية القطاع العام، الذي انفتح فيه الى حد

جسيم ليوزع مداخيله في بلد بلغت فيه البطالة مستوى مأساويا. فضمن بهـذا الشكل جيوشا مطلقة امسك بها بالاجرة .

ـ هل في نيتكم ان تقوموا بعملية تنظيف ؟

ـ كرست في الايام الاخيرة جانبا من وقتي في زيارات لكل المنظمات الواقعة تحت قانونية وزارتي كي اشرح سياستنا في هذا الحقل. اوضحت انـه ليست لدينا اية نية في التخريب . واننا سنعزل، بعـد تحقيـق ، كافـة الموظفين المدانيين بتصرفات لا اخلاقية، وسيثبت الاخرون فـي وظائفهم ونأخذ باعتبارنا معايير الفعالية. نحن مضطرون، في هـذا القطاع خاصة، ان تكون سياستنا التنظيف ، غير اننا سننفذها بفطنة .

ـ ما هي العلاقات التي ستنشأ بين وزارة الرفاه الاجتماعي ووزارة التربية او الصحة مثلا ؟

ـ هذه نقطة هامة فعلا. سننشىء شعبة للعلاقات ما بيـن الوزارات على مستوى الحكومة. قبلا، كانت كل وزارة اقطاعية مستقلـة، تتصرف بشؤونها وتنفق الاموال كما تشاء، مع تضخم هائل في الموظفين. نأمل ان نتوصل بفضل التنسيق لازالة هذا النوع من المشكلة .

ـ حين عينوك، هل اعطوك توجيهـا حول ما يجب ان تكون عليـه الوزارة التي عهد اليك بمسؤوليتها ؟

ـ كلا اطلاقا . عرفت اسم الوزارة واطلعت على فقرة مـن برنامـج الحكومة حول ما يجب ان تكون عليه. حضرت اول اجتماع لمجلس الوزراء على اساس هذين العنصرين. الفقرة التي نحن بصددها لا تحتوي غيـر اعتبارات عامة للغاية تقترح انشاء وزارة تهتم بنوعية الحيـاة والقطاعـات غير المندمجة مباشرة بالانتاج، كالاطفال والفتية، الخ. فكان علي ان انطلق من هذا، من الفكرة التي كونتها عن المسألة والمناقشات حول معنى حكومة اعادة البناء الوطني في هذا التطور الثوري، للعمل على تجسيـد المشروع تدريجيـا .

ـ كيف شرعت بذلك بشكل ملموس ؟

ـ بدات فورا بالمناقشة مع اول رفيقة قدمت في اعقاب النداء الذي نشر في اذاعة سانديـنو. بدانا بالعمل حول افكار بسيطة غنيت تدريجيا، اننـا هنـا في وزارة الرفاه الاجتماعي. على هذا النمط بالذات اصبحـت لدينـا وزارة مكلفة بالتنهيج الاقتصادي، فيمكننا الاعتماد على منظمـة تتكفل بالتنهيج الاجتماعي للبلد، وتنسيق سياسة الحكومة في هذا الحقل. يجب ان تكون مسؤولة عن توزيع الفائض الاقتصادي، ونوعية حياة السكان

لا سيما القطاعات التي كانت هامشية جدا. ولكي نبلغ ذلك بوجه صحيح، يجب اولا تحديد هذه الاخيرة ثم تعيين الاهداف التي يجب بلوغها في كل منهـا. اخذنا بصفة اساسية النساء والاطفال والشيوخ والاسرى والمعوقين المدنيين والعسكريين، الكثيرين في بلدنا. اقتضانا بعد ذلك ان نبتكر نوعا من مكتب مسؤول ونعد سلسلة من البرامج الاجتماعية المشتركة لكل من هـذه الفئات الاجتماعية. وجل تفكيرنا هو ان نجهد بأن ندمجها كلها فـي حيـاة البلد المنتجة والمجتمع الذي تقيم فيه . ونحاول ان ندفعهم الـى خلق اعمالهم بأنفسهم، بما نقدمه اليهم من تسهيلات بأدنى حد، من مباني والقليل من النقود لينطلقوا. وفي الاغلب بشكل تعاونيـات حرفيـة او خدمات. مثلا، اعطينا مجموعة بيوت للمعوقين انشأوا فيها رابطة للدفـاع عن مصالحهم وحيث انشأوا المكاتب والورشات التي يبيعون فيها خدماتهم ومنتجـاتهـم .

«واضيف ان نشاطنا كله يجب ان يعتمد على المنظمات الجماهيريـة. نحـن لا نريد ان نجعل من هذه الوزارة جهازا بيروقراطيا ضخما، بـل سنقتصر على ملاك ضروري بحت يتمكن من اطلاق هذه البرامج العاجلـة . وبفضل اتصالاتنا الرائعة بالمنظمات الجماهيرية، يسهل علينا ان نسألها عن حاجاتها لدمجها في تنهيج الوزارة. بالاضافة الى ذلك، في نيتنا ممارسـة اللامركزية بأوسع حد ممكن. سيكون لدى الوزارة قريبا مسؤولون في كل اقليم، لديهم قدرة عملية على تسوية المطالب الحقيقية في مكانها. ولاننسى ان الفوارق بين المدينة والريف والعاصمة والمدن الثانوية، تشكـل احـد اخطر المشاكل في البلدان النامية.

«انهينا منذ وقت اعداد خطة تعالج هذه المسائل كلها ستقدم قريبـا الـى الحكومة .

ـ اين توصلتم في تنفيذ هذه السياسة ؟

ـ مضى على وجودنا اربعة وعشرون يوما، في هذا اليـوم، وقـد توصلنا الى بناء شيء صغير رغم المصاعب. الجميع متطوعون. لا احـد يأخذ اجرا.

نمضي وقتنا في البحث عن اناس ونجعلهم يعملون بعد ان نقول لهم: «امامك اربع وعشرون ساعة لتضع مشروعا لهذه المسألة». وتنضج الفكرة فـي وقت نكون اثناءه بالضبط قد اضطررنا لان نحل بكل سرعة جملـة من المسائل الملموسة . يتوجب علينا ايضا ان نستفيد مـن الرغبـة فـي مساعدة شعبنا الظاهرة لدى بعض البلدان الاجنبية، اذ يمكن ان تضمحل

هذه الرغبة بعد ثلاثة او ستة اشهر منذ الان. ولقد اقتصرنا على التعمق حول افكار عامة وما يزال امامنا، كما يقولون هنا، عمل كثير نقوم به. في مثل هذا الوضع وقعت علينا مسألة توزيع الاغذية .

ـ عهد اذا بأخطر مشكلة للبلد الى منظمة لم تكن موجودة قبل النصر.

ـ ذلك ما تم بالضبط. لكن يجب ان نأخذ بعين الاعتبار ما وجده في الرفاق من ميزة ولان خبرتي استمدها من المنظمات الجماهيرية. لقد ساعدتني كثيرا على وضع برنامج عاجل مع مساعدي وبناء اسية صغيرة لتوزيع الاغذية سميناها : «اللجنة الوطنية للتموين». ذلك ما نظمناه في المكانة الاولى لان حل مسألة الغذاء هي بكل وضوح اول مهمة لوزارة عليها ان تهتم برفاه السكان. هذه اللجنة مكلفة بتلقي المساعدة وايصالها الى البلاد كلها عن طريق لجنة الدفاع الساتديني. يمكننا ان نقيس على هذا المثال اول تطبيق واسع السلم للمبدأ متناسب مع مجموع نشاطاتنا، وهو ربط برنامج الحكومة ببرنامج المنظمات الجماهيرية. وهكذا انشأنا مخازن في الاقاليم تشمل احياء عديدة. يزور الممثلون المنتدبون عن اللجان الساندينية هذه المخازن التي تسلمهم الغذاء وفقا لحاجات لجانها، طبقا لنتيجة الاحصائيات ـ نسلمهم الغذاء في نطاق وسائلنا طبعا . وفعلنا الامر نفسه بالنسبة للنساء والشباب. فلم نتوجه للبحث عن تقني متخصص في هذا القطاع، فاذا كان شاب لديه الخبرة في المنظمات الجماهيرية، يمكنه ان يكون مسؤولا عن برنامج هذه الوزارة للشباب وعليه ان يدرك سلسلة من الخطط النوعية، طبقا لمناقشاتنا حول اهداف وسياسة الدولة في هذا الحقل. وفضلا عن انه، واكرر، ليس لدينا مدرسة نتعلم فيها حل المسائل المطروحة علينا، فقد شكلت فرقة مكلفة بتقديم الاقتراحات، مثلا، جمعت اليوم كافة قادة حي ماناغوا لاشرح لهم مسائل المساعدة وسياسة الحكومة قبل ان اتلقى مقترحات واتحقق منهم عن الشكل الذي نقوم به فعلا. كانت نيتي ان اعمل في هذا الاتجاه .

ـ هل يمكنك ان تعطينا شيئا من التفاصيل الاضافية عن شكل تنظيمك لمسائل توزيع الاغذية ؟

ـ لم يكن لدينا في البداية شيء بحصر المعنى لان معظم المساعدة الدولية كانت عن طريق الصليب الاحمر وبعض منظمات الاحسان المسيحية. بدأت اذا بدعوتها الى اجتماع لاعلمها ان المجلس الحاكم لاعادة البناء الوطني قد قرر ان تكون في هذا البلد وزارة الرفاه الاجتماعي، فمن الضروري وضع خطة واحدة لتوزيع الاغذية. بدأنا فورا بمناقشة مسائل

التنسيق . قلت لهم اننا لن نعمل كلا من ناحيته، وانما يجب، منذ اليوم وفي المستقبل، ان تناقش كافة برامج تنمية المجتمع مسبقا مع الوزارة. وفي الواقع توصلنا بسهولة الى الاتفاق على خطة واحدة : خطة الثورة التي وضعت الحكومة فيها السلم للاولويات .

ـ هل يمكنك ان تحددي الموقف الامريكي الصحيح من المساعدة ، بهذا الصدد ؟

ـ من المؤكد ان الولايات المتحدة قد ساعدت، لكنها قدمت هذه المساعدة عن طريق الصليب الاحمر حتى اليوم . ليس لها ثقة كبيرة بقدراتنا. اقترحت اذا عقد اجتماع على الشخص الذي يمكنه اتخاذ قرارات في هذا الحقل، وهو السفير الامريكي بيزولو الذي استقبلته هنا. واتفقنا على ان تكون مساعدتهم عن طريق الحكومة. وكانت فائدة ذلك، بين غيرها من الفوائد، ان شجعت على خلق جو اكثر انفراجا. لم نفعل شيئا غير اننا قلنا الحقيقة حين اكدنا اننا نحن الحكومة لم نتلق شيئا من الولايات المتحدة. يمكننا ان نقول في المستقبل «انهم ارسلوا الينا طائرة، باخرة، الخ». ونحن نعرف جيدا انهم اوصلوا الى البلد خمسة ملايين دولار عن طريق الصليب الاحمر. لكن ذلك شكلا من اشكال عدم الاعتراف بنا. وتوجيه المساعدة الى حكومة اعادة البناء الوطني هو شكل ملموس للاعتراف بنا، نتمسك به .

ـ كيف تفسرين ان هذه المساعدة الدولية ذات الطابع الانساني البحت لم تكن هامة جدا ؟

ـ لم تجر الامور بكل وضوح كما حدث وقت زلزال عام ١٩٧٢، رغم ان القتلى كانوا اكثر عددا والدمار اشد جسامة. ان ما حدث لا علاقة له بفاجعة طبيعية. انها ثورة. اني اتصور ان بعض القطاعات تتساءل عن الطريق الذي سنتبعه، فلا تصل المساعدة بينما هي تتردد. واضيف ايضا، وكما يخيل الي انه مفهوم، ان البعض كانوا يتساءلون عما اذا كان بقدرة هذه الحكومة ان تتلقى المساعدة ولا سيما توزعها .

ـ لكن هل يمكن الثقة بفعالية منظمة شعبية في هذا النوع من العمل؟

ـ بالتأكيد. لدينا خبرات كثيرة في ذلك. اثناء مناقشتي اليوم مع ممثلي احياء ماناغوا، تبين بوضوح انه لم يمكنهم ان يوزعوا بشكل كثيف. لكن ذلك لم يكن عن عجز ، وانما بكل بساطة لانه لم يكن لدينا ما نوزع بشكل كثيف. نحتاج لثلاثمائة طن يوميا ولا يصلنا غير اربعين او ستين طنا. اعتقد انه ليس هنالك ما يخشى على قدرة لجان الدفاع الساندينى

على التوزيع لان الشعب هو الذي يدير، طبقا لتعليمات الحكومة، الاغذية التي يتلقاها والتي هو بأمس الحاجة اليها. يمكنني ان اضرب مثلا اخر منبثقا عن الحرب. كانت المجالس الحاكمة المحلية تقايض عادة ارزا بذرة، الخ. واستمرت في ذلك لتحل بأفضل ما يمكن المسائل القائمة، من غير ان تنتظر دوما التعليمات الاتية من الاعلى .

ـ الحديث كثير عن نقص الحليب ...

ـ هذا صحيح. امكننا ان نتأكد من نقص الحليب وبعض مشتقاته. لكني اعتقد انه يجب علينا ان نأخذ بعين الاعتبار ان كثيرا من الناس الذين ما كانوا يشربونه من قبل ابدا، اخذوا يشربونه الان. قبل الحرب، كان يقتصر، في كثير من انحاء البلد، على انتاج الحليب وارساله الى ماناغوا والمدن الهامة جدا. تغير هذا الوضع والناس الذين اعتادوا حديثا على شرب الحليب، الذي لم يكن قابلا للنقل بسبب الحرب، ما زالوا يشربونه رغم نقصه الخطير .

«علينا ان نحل في الواقع ثلاث مسائل في وقت واحد : سوء التغذية القائم في مناطق عديدة من البلد منذ عهود بعيدة، ومسائل التغذية المنبثقة مباشرة عن الحرب، ونجابه، كما توجب علينا قبلا، واقع ان كل ثورة تثير ضرورات جديدة على هذه الثورة ان تلبيها. ان ما يشغلنا هو رفاه السكان في كل المستويات. علينا ان نسوي مسائل سوء التغذية التي تضرب ٧٠ بالمئة من الاطفال، مثلا، بوسائل في غاية الفقر. ونحن نحاول ان نعالج المرض من جذوره فلا نقتصر على سد ثغرات. من اجل ذلك، نحن بحاجة لان نعيد الاقتصاد الى وضعه الطبيعي اذ لا يمكننا ان نعتمد الى الابد على المساعدة الدولية، غير الكافية بالتالي. من هذا الواقع عدا عن تلك المسائل، نحن مضطرون في الوقت ذاته لتسوية التنمية الاقتصادية ، والبطالة، وعلينا ان نقدم الى السكان سلسلة من الخدمات الاجتماعية حققت لهم، بانتهاجنا سياسة هجومية وثورية. مثلا ، كل ما يتعلق بالصحة ودور حضانة الاطفال وملاجىء الشيوخ. ونحاول اقامة ورشات نشرك فيها كافة المعوقين المدنيين والعسكريين في الانتاج بانشاء مراكز حرفية او خدمات، يديرونها بأنفسهم .

«ثمة مسألة اخرى وهي اننا نريد ان نتخلص من مفهوم كان ما يزال مسيطرا حتى الامس، مفهوم الاحسان، نريد ان نتخلص من التسول. وهكذا نظمنا توزيع الاغذية مع العمل الطوعي تحت شكل، بين اشكال غيره، الوية تنظيف. بعد هذا الظهر، الححنا على رفاق من احياء ماناغوا ان تساهم الجماهير في اعمال اعادة البناء الوطني. تكفل بعضهم بتوزيع

الاغذية. لكن على الذين يتلقونها الا يعتبروها منحة. انما تأدية عن عمل محدد. ولا ريب في ان التأدية ناقصة يجب ان تعوض بنشاط ينجر لمصلحة المجتمع .

ـ لماذا تولين اهمية لهذه المسألة؟

ـ يرجع ذلك قبل كل شيء الى المفهوم نفسه وهو ان للحكومة دورا، وهو شكل من اشكال دمج الشعب بسلسلة من المهام الهامة في اعادة البناء. هذا الدمج بالمهام، من ابسطها الى اعقدها، مسألة سياسية واقتصادية واجتماعية اساسية. مثلا، الجميع متفقون على القول ان ماناغوا، رغم دمارها، ليست بأنظف منها اليوم من اي وقت مضى. وضعت في كل زاوية من الشارع براميل لالقاء القمامة. ونظفت كافة المباني شبه المتهدمة على يد الوية مؤلفة من سكان الحي المقيمين فيه . واليوم، على اللجان الساندينية ان تعرف الاولاد الذين لقحوا والذين لم يلقحوا والذين يذهبون الى المدرسة والذين لا يذهبون اليها. نحن لن نلجأ الى محققين يعلموننا حول هذه المسائل كلها. على الشعب ان يحقق، بفضل منظماته الجماهيرية، في مسائل رفاهه وما يعيقه، ثم يقترح على الحكومة.

ـ ما هي المصاعب التي لاقيتيها في انشاء هذه الوزارة الجديدة، خلال هذه الاربعة والعشرين يوما ؟

ـ قبل كل شيء، نقص الوسائل لا سيما النقود ، ونقص الملاك المؤهل ايضا. وفيما يتعلق بالنقطة الاخيرة، تمتعنا لحسن الحظ بسلسلة من الاشخاص الاكفاء كانوا بعيدين عن الادارة العامة لاسباب سياسية. يضاف الى ذلك وجود ارادة شديدة للعمل. ويعمل الرفاق جميعا عشر، اثنتي عشر، حتى اربع عشرة ساعة في اليوم بمردود جيد. لكن نقص الوسائل يمنعنا من ان ننطلق ابعد كما نريد. يقابل ذلك وجود جانب ايجابي، فبفضل مصادرتنا للاموال السوموزية، اصبحت لدينا شبكة هامة من المباني امكننا ان نخصها ببرامجنا من غير ان نحتاج لبنائها .

ـ كيف كون الناس فكرة عن ادارة شعبية تختلف عن ادارة حكومية اعتاد عليها ؟

ـ لم يحن الوقت بعد للرد على هذا السؤال، غير انه واضح اننا نصطدم بمصاعب عديدة، لا سيما من نوع عقلي. علينا ان نجابه ذلك بتحفيزنا شيئا من الابداع لحل المسائل. لا ثورة ممكنة من غير ابداع وقد اظهر شعب نيكاراغوا جانبا لا بأس به من هذا الابداع حتى الان .

ـ هل خصصت ميزانية لهذه الوزارة ؟

ـ ليس بعد حتى الان .

((اشداء في المعركـــة ، كرماء عند النصر))

حديث القائد توماس بـــورج

((خلافا للاحاديث الاخرى ، لا يهدف هذا الحديث الى مساعدتنـــا علـى التوغل بعمق في ثورة نيكاراغوا. تحقق قبل كل شيء بقصد نشره مباشرة في الصحافة، فيمكن ان يتخذ اليوم ملخصا لعدد مـــن مواقـف الساندينية الحساســة .

ان الادارة الجماعية التي تمسك بها الساندينيون كثيرا لا يمكنهـــا ان تمنع الصحفيين والشعب من التمييز بين شيء من المميزات الفرديـة، يحتل فيها بلا جدل مكانا ممتازا توماس بورج وزير الداخلية، اضافة الـى مسؤولياته في القيادة القومية. هذا ((الشيخ))، ذو الجسـم الصغيـــر والصحة الجيدة والقسمات الهندية ، هو اخر مؤسس للجبهة الساندينية ظـل حيا، مما اضفى عليه ((شرعية في الشرعية))، عززتها ارادته العنيفـة فـي وحدة الجبهة. توحي صراحته ـ كفلاح ـ الثقة به من الجماهيـــر المسحورة بصفاته الخطابية. ان شدته التي دفع بها الى احترام التعهدات تجـاه الاسرى، طمأنت البورجوازيين، الذين قالوا عنه مع هذا، انـــه ((صاحب اليد الصلبة)). تاريخه الطويل في النضال، فـــي خوضه حرب المغاوير وسجنه، جعله القائد بلا منازع في نظر المناضلين. يتســـاوى اكثـر بقليل مع غيره من اعضاء القيادة القومية، ويتمتع بمكانة افضـــل من اي اخر للبت في المواقف)) .

ـ كيف تحدد الاصالات الاساسية للثورة النيكاراغوية ؟

ـ يمكننا ان نقول تقريبا، كتحديد، انه لا يمكن ان تتساوى ابدا ثورتان وكأنهما نقطتا ماء. اعتقد ان ثورتنا تميزت بخوضها في وقت واحد الكفاح السياسي الذي اظهرت فيه مرونة وقدرة على التفاوض ، والكفاح العسكري الذي مفصلت فيه حرب الموقع والمغاوير والثورة الاهلية المسلحة تميزت ايضا باشتراك الشعب الى حد هائل قبل وبعد النصر وبتسامحها ايضا .

ـ هل يمكننا ان نقول انها بورجوازية، اجتماعية، ديمقراطية، ماركسية ... ؟

ـ لا افهم سبب وجوب وضع بطاقة تعريف على التطورات السياسية وكأنها زجاجات ويسكي . نحن لسنا زجاجات جوني ووكر ولا زجاجات الاسود والابيض. تستقي ثورتنا جذورها من تاريخنا. تكمن اصالتها في قوميتها. انها ساندينية .

ـ ما هي الملامح الاساسية للساندينية ؟

ـ يظهر التاريخ ان الساندينية هي قبل كل شيء الاستقلال والدفاع عن السيادة الوطنية وحق النيكاراغويين باختيار مصيرهم. ثورتنا، وفقا لفكر ساندينو، تتجه قبل كل شيء الى قطاعات السكان الذين هم اشد من يتألمون ويعتدى عليهم ويستغلون : عمال المدن والارياف. لكننا نحن نتوجه ـ ايضا ـ الى قطاعات اخرى هي جزء من الثورة الوطنية لان النظام السابق لم يتح لها ان تنجز بما يكفي. نريد ان نحرر العمال من بؤسهم والقطاعات الاجتماعية الاخرى من حدودها ونزعتها الى الاستغلال وانانيتها الطبقية .

ـ ما هدف شعار «اعادة البناء الوطني» ؟

ـ المسألة مسألة مرحلة ربما تكون ايضا اقسى واكثر تعقيدا من مرحلة الحرب. بلدنا من قبل فقير ومتخلف ودمره الان جنون سوموزا بقتله الجنس البشري. يقتضينا بكل بساطة اعادة بنائه، وتلك مهمة ضخمة ننجح في تحقيقها اذا كانت حكومة اعادة البناء الوطني والجبهة الساندينية مرتبطتين فيما بينهما الى حد وثيق بالجماهير، لانه من غير مساهمة الشعب لا يمكننا ان ننجح ابدا في اعادة بناء البلد. نعتمد في تحقيق ذلك على الحكومة المكلفة بانجاح تحقيق البرنامج الذي وقعته كافة القوى السياسية في البلاد وايدته الجبهة. حتى انه يمكننا ان نصف هذه الحكومة بحكومة «المساهمة الوطنية» .

ـ هل ستجري انتخابات في نيكاراغوا ؟

ـ نعتقد انها واجبة لاننا لا نريد ان نسقط في فخ الثورة اللاشرعية. افضل وسيلة لجعل هذه الثورة شرعية هي ان ننتقل الى الانتخابات. نحن نثق بأن الشعب سيؤيد الساندينيين. ولربما يقودنا ذلك الى اعداد برنامج يختلف قليلا عن البرنامج الراهن. غير اننا لسنا من البلادة بحيث نحرق المراحل من غير ان نولي اعتبارا لما حدث في العالم. كان لدينا متسع من الوقت بحيث تعلمنا خلال نضالنا الطويل، والثورات اخيرا لا تدعي ادعاء ولا تصنع نفسها صنعا .

ـ كيف سيصبح نظام نيكاراغوا بعد مرحلة اعادة البناء الوطني؟

ـ لم يحن الوقت بعد لمعرفة ذلك. ما يهم هو ان نجتاز هذه المرحلة اليوم. بعد ذلك سيكون لدينا بلا ريب مجتمع بلا انانية وقمع، يساهم فيه الشعب بالديمقراطية بحد واسع. نحن منذ الان انصار للغالبية السياسية وحرية التعبير، مما ينطبق على اعمق مراحل الثورة .

ـ كيف يمكن تفسير غياب الثأر بعد خمسة واربعين عاما من ديكتاتورية دامية الى هذا الحد ؟

ـ نخشى جدا من ان يسيل غضب شعبنا انهارا من الدماء في بلدنا. هذا الغضب، رغم انه حق، كاد ان يوقعنا في اخطاء متمادية . ولقد اوضحنا انه كان علينا ان نفعل عكس ما فعل عدونا. ولهذا السبب كنا كرماء مع اعدائنا المغلوبين. ما فائدة ان نصنع الثورة ان لم نختلف كليا عمن قاتلناهم ؟

ـ خلق انتصاركم العسكري الشامل شروطا تختلف عن الشروط التي وقعت اثناءها الجبهة الساندينية اتفاقيات مع ما يسمى بالقطاع الخاص. الا يؤدي ذلك الى محاولة عدم احترامها ؟

ـ ان من ابسط الامور الاولية ان يكون المرء منسجما مع تعهداته. اضافة الى ان ذلك تقليد للساندينية. نحن نعتقد ان الاتفاقيات المبرمة عادلة وصحيحة ونحن على استعداد لاحترامها الان والى الابد. ويجب ان نضيف الى ذلك ان اخلاصنا في تنفيذ التعهدات المبرمة مع حلفائنا هام جدا للحركات الثورية في امريكا اللاتينية المهتمة بتوسيع مجالها السياسي. ان عدم احترامنا يجعل مهمتها اشد صعوبة . كما ان مبادئنا وضروراتنا الداخلية ورؤيتنا لمسائل القارة، كلها تدفعنا لاحترام هذه الاحلاف .

ـ ما هو اثر الثورة النيكاراغوية على القارة الامريكية اللاتينية كلها؟

ـ ان ما نقدمه بصفة اساسية لشعوب القارة هو بلا ريب المثال عن ثـورة مظفرة ضد جيش جيد التدريب والتسلح، ثورة شعبية تمكنت من ايجاد طريقها وسط جميع العوائق. وواضح انهم سيجعلوننا مسؤولين عن تصاعد الثورات في البلدان التي تعاني من البؤس والاضطهاد، بينمـا ان هذا البؤس والاضطهاد هما سبب الثورات. ليس لنا من مسؤولية اخـرى غيـر اعطائنا المثال عن انجاح ثورة مظفرة. انهم لم يتوانوا قبـلا عـن ان يحملونا مسؤولية تصويت الدورة السابعة عشرة لمنظمة الدول الامريكيـة حيث صوتت حكومات امريكا اللاتينية ضد اقتراح تدخل الولايات المتحدة، خلافا لتقاليدها. فكان حصاد الموقف الذي تبناه سبعة عشر بلدا من القارة استحالة تدخل في المستقبل من الولايات المتحـدة او اي بلد كان فـي الشؤون الداخلية لاي بلد .

ـ انت وزير الداخلية. كيف توفق بيـن حقوق الانسان والدفاع عن الثـورة ؟

ـ لا تناقض بين الحدين، ونحن بقدر ما كنا اقوياء بحيـث هزمنـا العدو، نحن اقوياء ايضا بكرمنا. على هذا النحو يجب ان يفهم شعـارنا: «أشداء في المعركة، كرماء عند النصر». نعتقد بوجوب احترام حقـوق الانسان. فعلنا اكثر من ذلك واكثر مما كان ينتظر منا. كان بامكاننا، بـلا اي ريب، ان نعدم، بعد محاكمة عددا من المجرمين من غير ان يجـد اي شخص، فوق سطح هذه الارض، مطعنا في ذلك. نحن لو تصرفنا على ذلك النحو لكنا قد ارضينا متطلبات عدالة شعبنا. وكان بامكاننا ان نكون اكثـر قسوة مع الاسرى ولكننا لم تسمح لمقاتلينا حتى ان يرفعوا اصواتهـم فـي وجوههم. بيدنا الجيش ونسيطر على جهاز الدولة ويؤيدنا الشعب، ولهذا لا نخشى لاننا كرماء مع اعدائنا وتركنا اياهم ينقذون حياتهم. حتـى اننـا سنجازف عما قريب باطلاق سراح غالبية المعتقلين .

ـ من سيحاكم الذين يظلون في السجن وما هي العقوبـة القصـوى المستحقـة ؟

ـ قررنا ، عشية النصر، ان يحاكم المتهمون امام المحاكم العادية وان تكون العقوبة القصوى المستحقة ثلاثين عاما سجنا، كما ينص قانون عقوبات بلدنـا. لن تكون عقوبة موت في نيكاراغوا ابدا .

الفهرس

في الجبهة الجنوبية ٧
تقويم ٢٨
ابناء ساندينو وحراس السلالة ٣٣
خطة الهجوم النهائي للجبهة الساندينية ٤٢
حديث القائد يواكيم كوادرا
النشاطات الرئيسية السياسية والعسكرية للهجوم ٤٦
الاستمرار التاريخي ٥٧
حديث القائد هومبيرتو اورتيغا
البندقية ليست غير مظهر للقتال ٥٩
خطوات الثورة المسلحة الاولى ٧٠
حديث القائد دانيل اورتيغا
اريد ان اظل حيا ٧٣
كان من حظنا ان نلتقي اخيرا ٨٢
حديث القائد جيم ويلوك
« انقذتا من الشر » ٨٥
فرقة العمل السياسي والعسكري ٩٣
حديث القائد يواكيم كوادرا
اقسم سوموزا ان يحول المدينة مطارا ٩٦
«الساندينية لا تقتصر على فلسفة خاصة» ١١٤
حديث القائد هومبيرتو اورتيغا
اشكال عديدة ١٤٣
حديث القائد لويس كاريون
« هل فكرت بطبيب الاسنان للاطفال ؟ » ١٤٥
ادخال قطاعات ، ليست في الثورة ، متناقضة مع السلطة الراهنة. ١٦٨
حديث القائد هومبيرتو اورتيغا
«يا امي، اذهب معك، الافضل ان يقتلونا نحن الاثنين» ١٧٠
لماذا ننشىء جيشا ؟ ١٨٠
حديث القائد لويس كاريون
لن نربح اذا لم تكن لدينا طائرة ١٨٢
جيش الغد ١٩٥
حديث القائد لويس كاريون
الحياة هي التي قادتني الى الثورة ١٩٧

برنامجنا هو الاكثر ثورية لانه الاكثر واقعية ٢١٦
حديث كارلوس كاريون
يجب تغيير هذا والا لن يغير ذلك في شيء ٢١٨
اعـادة البناء الوطني ٢٣٨
حديث القائد هومبيرتو اورتيغا
سأحقنك ابرة لتشعر بالقوة وتقاتل بلا خوف ٢٤٠
البورجـوازيـــة ٢٦٠
حديث القائد جيم ويلوك
« لان العيش افضل ... » ٢٦٢
المزاحمة بين الثوريين والبورجوازيين قد تكون ايجابية للبلد ٢٧٩
حديث القائد جيم ويلوك
الهجوم على المستشفى ٢٨١
الطرق التي اتاحت لنا ان نربح الحرب، لم تعد كافية بعد النصر ٢٩٢
حديث القائد لويس كاريون
« يجب ان تبكر الثورة لتعيش » ٢٩٤
« حين نحرق مرحلة نتعرض لخطر عدم فهم الناس ٣٠٤
حديث القائد دانيل اورتيغا
« لن يموت اطفالنا ابـدا » ٣٠٦
الحزب ٣٣١
حديث لويس كاريون
« لا شيء يوقفنا ابدا » ٣٣٣
حديث كارلوس كاريون ٣٥٨
« نساهم في تقدم الثـورات » ٣٦١
« العدو سيتعلم دروسا من هذه الثورة » ٣٧٧
حديث القائد هومبيرتو اورتيغا
نضرب مثلا بقيادتنا ثورة مظفرة ٣٧٧
حديث القائد توماس بورج
تفسير خاصية التطور التاريخي لكل شعب ٣٧٨
حديث القائد لويس كاريون
في معقل سوموزا المحصن ٣٧٩
« ليس هناك مدرسة لاصبح وزيرة » ٣٩٥
حديث لياغويدو، وزيرة الرفاه الاجتماعي
« اشداء في المعركة، كرماء عند النصر » ٤٠٣
حديث القائد توماس بورج

المؤسسة العربية السورية لتوزيع المطبوعات
٢٥٠٠ ق.س
السعر محدود

حسن يوسف اللويشي

متاح للتحميل ضمن مجموعة كبيرة من المطبوعات من صفحة
مكتبتي الخاصة
على موقع ارشيف الانترنت
الرابط
https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

https://archive.org/details/@hassan_ibrahem

الثمن ٢٥ ل.ل. او ما يعادلها